ساعدت جامعة بغداد على نشر هذا الكتاب



دراسة أنثروبولوجية لقرية في أهوار العراق

تأليف

الدكتور شاكر مصطفى سليم

الاطروحة التى قدمها المؤلف لجامعة لندن ونال
بها درجة الدكتوراه فى الفلسفة عام ١٩٥٥

الطبعة الثانية

مطبعة العاني – بغداد

١٩٧٠

ساعدت جامعة بغداد على نشر هذا الكتاب



الچبايش

دراسة أنثروپولوجية لقرية في أهوار العراق

تأليف

الدكتور شاكر مصطفى سليم

الاطروحة التي قدمها المؤلف لجامعة لندن ونال
بها درجة الدكتوراه في الفلسفة عام ١٩٥٥

الطبعة الثانية

مطبعة العاني - بغداد

١٩٧٠

محتويات الكتاب

الفصل الثانى عشر

الفصل الثالث عشر

الفصل الرابع عشر

الفصل الخامس عشر

الفصل السادس عشر

الجـداول

المخططات

مُقدّمة

فى العراق اليوم حاجة ملحة للقيام بدراسات اجتماعية بين العدد الكبير من المجتمعات والشعوب المتأخرة التى يزخر بها القطر • وهذه الحاجة ماسة ليس لتيسير مهمة السلطات المسؤولة عن مستوى المعيشة لتلك المجتمعات وتحسين أحوالها الاجتماعية والاقتصادية فحسب ، بل لتوجيه اهتمام المثقفين فى البلد الى تلك المجتمعات والشعوب التى تكون الاغلبية العظمى من سكان العراق • فاكثر المثقفين فى بلادنا يجهلون الشيء الكثير عن نظم وحياة المجتمعات المتأخرة فى العراق بل وبعضهم يجهل أبسط الحقائق فى ذلك الصدد • ونشر المعلومات الدقيقة المفصلة عن أى موضوع هى احدى الوسائل الفعالة في اثارة الاهتمام به • وعندى أن قد آن الوقت ان يحظى الريف والهور وسكانهما فى العراق باهتمام المثقفين عامة وقادة الفكر بصورة خاصة • فبدون هذا الاهتمام لن تستطيع الحكومة وحدها ، مهما صدقت نيتها وبلغت مجهوداتها ، ان تقوم بالاعباء الضخمة التى يستلزمها الاصلاح المنشود •

ومن حسن الحظ ان المدارس الحديثة فى الانثروپولوجى ، وبصورة خاصة المدرسة الانكليزية ، تشترط على الدارس الاجتماعى اقامة دراسية Fieldwork لمدة لا تقل فى العادة عن سنة واحدة وقد تطول الى اثنتين او أكثر ، يقضيها بين الشعب أو المجتمع الذى ينوى دراسته ، فيندمج فيه ويتفهم أسسه ومقوماته ويلمس مشاكله ومعضلاته • فيصبح بحكم هذه الاقامة والدراسة قادرا على تعيين علل ذلك المجتمع ووصف الدواء الناجع له •

وحين اتيح لى التخصص فى الانثروبولوجى حرصت ان تكون اول اقامة دراسية لى بين مجتمع عراقى ، كما حرصت ان اختار ذلك من بين المجتمعات التى لا تمثل نفسها فحسب ، بل ولحد كبير مجتمعات اخرى مماثلة • وكان سكان الاهوار فى جنوب العراق يستحوذون منذ امد طويل على اهتمامى ويثيرون بى حماسا شديدا لدراستهم • وهم ، وعددهم يقرب من اربعمائة الف نسمة ، لا يختلف بعضهم بصورة عامة عن بعض الا قليلا جدا ، سواء أكان ذلك فى العادات أو التقاليد أو اللغة أو طراز المعيشة • ولذا فكان من الميسور اختيار قرية من قراهم ودراستها كنموذج لهم كافة • فاخترت الچبايش لاسباب أوضحتها فى الفصل الاول من هذا الكتاب •

ولكن قرية الچبايش تنفرد ، بالاضافة الى الصفات العامة التى تشترك فيها مع بقية مجتمعات الهور فى العراق ، بصفات خاصة بها • فهى تختلف فى حياتها الاقتصادية اختلافا اساسيا عن بقية قرى الاهوار فى العراق • فسكانها يعتمدون فى الجزء الاكبر من موارد حياتهم على جمع القصب وحياكة الحصر التى يصدرونها خارج قريتهم ، وهم بذلك يختلفون عن الاغلبية الساحقة من سكان الاهوار الذين يعيشون على الزراعة ورعى الجاموس وتربية المواشى •

والچبايش هى القرية الوحيدة فى الاهوار التى يعيش كافة سكانها ، وعددهم حوالى أحد عشر ألف نسمة ، على جزر اصطناعية صغيرة منتشرة فى الهور ومستحدثة اصلا من فرش طبقات من القصب والبردى والتراب • وهى بهذا تختلف عن كافة قرى ومجتمعات الهور التى تسكن السهول وضفاف الانهار والترع وفى الجزر الكبيرة فى الهور •

وتنفرد الچبايش فى وضع سياسى خاص • فقبل أكثر من ثلاثين عاما ألغيت (المشيخة) فيها فأصبحت العشيرة التى تقطنها تحت الحكم المباشر للحكومة المركزية ، ووزعت نتيجة لذلك الالغاء أراضى الشيخ وسلطته بين

عدد من رؤوس الحمايل • فأصبح الاتصال مع الحكومة المركزية والعالم الخارجى نتيجة لذلك الوضع السياسى الفريد أشد مما هو عليه فى أية منطقة من الاهوار • فظهرت الفرصة لاصلاحات شاملة واسعة • ورغم ان كثيرا من ثمار ذلك الاتصال قد ضيعت لعدم كفاية الجهاز الحكومى وفساده فى القرية فلقد استفاد منه أهلها فى كثير من نواحى حياتهم •

لقد كان فى الچبايش قبل عام ١٩١٥ تناسب بين الطبقات الاجتماعية والامتيازات الاقتصادية ، فكانت الطبقات الاجتماعية العليا تتمتع بأوفر حظ من الامتيازات الاقتصادية بينما تتحمل الطبقات السفلى الضغط والاستغلال المادى • ولكن ادخال الادارة ، أجنبية وعراقية ، وما تبعه من اتصال بالعالم الخارجى ، وبصورة خاصة تعرّف أهل القرية على الاساليب الاقتصادية الحديثة ، أدى الى احلال الاقتصاد الحضرى الحديث القائم على التجارة والسوق مكان الاقتصاد القبلى القديم القائم على الزراعة وتربية الماشية • وبينما ظلّ نظام الطبقات الاجتماعية قائما لم يتغير ، ظهرت فى القرية طبقات اقتصادية جديدة فأنعدم الاتساق والتناسب بين ذينك النوعين من الطبقات • كما أن هذه التبدلات مكنت قيام نوعين من المثل والقيم المتباينة فى طبيعتها جنبا الى جنب فى نفس المجتمع ، وهى المثل والقيم القبلية والتجارية • ولان الحياة التجارية والانغماس فى الاعمال المشابهة تختلف اختلافا اساسيا عن الحياة العشائرية ومثلها فان المشاركة فى التجارة والجرى وراء الكسب المادى يفقد الاعتبار الاجتماعى فيترتب على ذلك ان يصبح من غير الميسور على الفرد فى الچبايش ان يشارك فى الاعمال التجارية وأن يظل بعين الوقت محافظا على التقاليد والعرف العشائرى ويتمتع بمركز سام فى العشيرة •

ورغم مرور أربعين عاما على اتصال القرية بالعالم الخارجى فلا تزال التقاليد القبلية تؤثر تأثيرا بالغا على الحياة الاقتصادية لاهل الچبايش • فهى

تحرم مثلا بيع منتجات الالبان ، وهى العنصر الثمين فى غذاء اهل القرية • فيضطر الكثير ممن لا يملكون ماشية منهم ان يصرفوا جزءا كبيرا من دخلهم فى شراء هذه المنتجات من النساء (المعدان) اللواتى يأتين القرية للاتجار • فى حين تضطر العوائل التى يفيض اللبن الذى تنتجه ماشيتها عن حاجاتها الى تبذيره ولا تستطيع الاستفادة منه ببيعه • وكذا الامر بصدد صيد السمك • فهو كثير فوق العادة فى الچبايش ، فى النهر والهور ، ولكن التقاليد تمنع صيده خاصة ان كان ذلك لغرض البيع • وبما انه جزء أساسى فى غذاء أهل القرية فان مبالغ كبيرة من دخلهم تصرف كل يوم فى شرائه من (المعدان) الذين يجلبونه الى الچبايش بكميات وافرة • فلو أمكن صيد السمك بشكل منتظم وبصورة جماعية لاصبح موردا مربحا للغاية • وهناك فعاليات اقتصادية أخرى ممنوعة بحكم هذه التقاليد • لذا فان أهل الچبايش يعانون صعابا كبيرة لتمسكهم بمثل وتقاليد تعوقهم عن سلوك سبل مناسبة لاستغلال بيئتهم القاسية ورفع مستوى حياتهم •

ان الطريف فى قرية الچبايش هو بقاء المجتمع العشائرى بنظمه غير القابلة للتطور رغم التبدل الاساسى الذى طرأ على اقتصاديات سكان القرية • فالمجتمع العشائرى موجود ماثل ولكنه فقد القوة على التطور الذى قاد حركته فى القرية رجال موسرون وتجار ظهروا على مسرح الحياة نتيجة الاتصال بالعالم الخارجى والاساليب التجارية الحديثة • ولكن هؤلاء الاثرياء والتجار لا يملكون أى اعتبار فى المجتمع • فالاعتبار الاجتماعى فى الطبقات المختلفة لمجتمع الچبايش يقوم على عدة أسس ليس المال أو الغنى واحدا منها • فهو فى حالة طبقة السادة مستمد من كونهم يدعون نسبا للرسول محمد ، وفى حالة آل خيون ، بيت الرئاسة فى العشيرة ، يستند على زعامتهم السياسية والعسكرية فى الماضى • وفى حالة (السراكيل) و (المخاتير) يتأتى من كون هؤلاء الرجال يسيطرون على (حمايلهم) و (افخاذهم) •

اما الفرد العادى فى العشيرة فانه يستطيع ان يتمتع بالمركز والاعتبار فى المجتمع ان كان عضوا فى (فخذ) كبير محترم وكان متحليا بصفات معينة ويملك مضيفا • وهذا هو سبب الصراع فى المجتمع القديم بتماسكه القوى وبين الطبقة التى تروم الكسب وجمع الثروة بفرديتها العصرية • فالاعتبار الاجتماعى ما زال يعتمد على أسس من الضمان القبلى وليس على الفعاليات الاقتصادية •

ويكاد ان يكون هذا الوضع نموذجا لما يجرى فى العراق كله • فالعراق بلد ذو مجتمعات قديمة محافظة تقوم اقتصادياتها على أسس بدائية • ولقد تعرضت هذه المجتمعات منذ مطلع القرن الحالى الى اتصال شديد بالحضارة الاوربية ودخلت اليها بعض الصناعات والاساليب الحديثة • فتطورت الاسس الاقتصادية فى حين ظل الكيان الاجتماعى لحد كبير ثابتا • فالقيادة الاجتماعية ما زالت بيد الشيوخ ورؤساء العشائر والقبائل فى شمال العراق وجنوبه ، ومازال التنظيم الاجتماعى قائما على اسس قبلية بحتة • وكنتيجة لضغط ذلك الاتصال الشديد ولانتشار الثقافة الحديثة اضحت المثل والقيم القبلية القديمة محاطة بنظائر لها اوربية عصرية ،وترتب على ذلك بصورة حتمية ظهور صراع شديد في كل ناحية من نواحى الحياة فى العراق بين ذينك الصنفين من القيم والمثل •

والچبايش ، بالاضافة الى انها مسرح لهذا الصراع الذى أشرنا اليه ، مثل من أمثلة الفقر المدقع والظروف المؤلمة التى يعيش فيها كافة سكان الاهوار والارياف ولحد كبير الاغلبية من سكان العراق كله • وهى لهذا تحتاج حاجة ماسة الى اصلاح عاجل وشامل يهدف لرفع مستوى معيشة أهلها • فالقرية بحاجة شديدة لمشاريع رى ومشاريع سيطرة على المياه تصيّر الزراعة التى تتعذر تماما فى الشتاء ولا تحدث الا عرضا فى الصيف بسبب الفيضانات ، ممكنة ومضمونة صيفا وشتاءا • وهى بحاجة ملحة لفتح المواصلات

المائية بينها وبين المدن الاخرى الواقعة على نهر الفرات ، كما انها تفتقر الى مدارس أكثر وخدمات طبية وبلدية أعم وانفع • وفى رأيى أن الذى أخر تحقيق رغبات أهل الجبايش فى مثل هذه الامور الحيوية انعدام الصلة بينهم وبين السلطات العليا المسؤولة عن وضع الخطط وتنفيذها لتحسين أحوالهم ورفع مستوى معيشتهم • وعندى ان احدى المعضلات الكبرى فى العراق هى ايجاد هذه الصلة بين السكان عامة ، وسكان الارياف والاهوار وبقية المجتمعات المتأخرة بصورة خاصة ، من جهة وبين الحكومة المركزية من جهة أخرى •

ويملك العراق الآن موارد مادية ضخمة تخوله القيام بكافة المشاريع الاساسية التى تقلب الاوضاع الاقتصادية فى البلاد مهما بلغت كلفتها • ولكن السؤال الذى يهم كل عراقى الآن هو كيف يمكن ان تستعمل هذه الموارد الضخمة بحيث تؤدى بأقصر وأصلح السبل الى تطوير هذه المجتمعات المتأخرة وتحسين أحوالها الاجتماعية ؟

كلية الآداب والعلوم
آذار ، ١٩٥٦

شاكر مصطفى سليم

اعتراف بالجميل

أود أن أعبر عن شكرى الصادق وامتنانى العميق لعدد من الاصدقاء الذين بذلوا لى عونا كريما فى الجبايش ، فيسروا مهمتى العلمية ومكنونى من بلوغ ما هدفت اليه • وليس من السهل ذكر اسمائهم كافة فلقد كانوا كثيرين جدا ، موظفين وأهليين •

ولكن طبيعة عملى واقامتى فى القرية حتمت على أن أختص بعدد معين من الاخوان وأن ألجأ لهم اكثر من غيرهم • فألى هؤلاء ، وأخص بالذكر منهم الحاج عبدالمطلب قطان مدير ناحية الجبايش السابق ، والاستاذ ثعبان آل خيون ، وكزار آل طاهر ، والحاج جاسم آل محمد ، والسيد سالم عبدالرزاق كاتب ناحية الجبايش السابق ، والسيد قيس آل خيون مأمور نفوسها ، والمفوض عبدالقادر جابر ، أقدم شكرا خاصا •

ودينى عظيم للغاية لرجلين هما المرحوم عبدالهادى آل جايد آل خيون (سركال) حمولة آل الشيخ السابق وولده طارق آل عبدالهادى آل خيون رئيس بلدية الجبايش • فبدون العون الحقيقى والمساعدات القيمة التى قدمها لى هذان الرجلان بكل اخلاص وحماس ما كان ميسورا لى ان ابلغ ما أردت فى القرية • فرغم اعتلال صحة المرحوم عبدالهادى آل خيون أبان اقامتى فى الجبايش ، ورغم جسيم مسؤولياته تجاه الحكومة والعشيرة وتجاه أهل بيته ، فقد تبنى عملى وساندنى مساندة فعالة ووضع تحت تصرفى معلوماته الثمينة والمامه الشامل فى الشؤون العشائرية وبذل قصارى جهده لتسهيل مهمتى •

ولازمنى طارق آل خيون مدة بقائى فى القرية وعمل معى • فأسندنى بصداقته التي أعتز بها كثيرا ، وبنفوذه الذى مهد لى كل طريق سلكت فى اقامتى الدراسية فى الجبايش • وكان طارق آل خيون يفهم طبيعة عملى ومراميه فقدم لى بسبب هذا الفهم معاونة لا تقدر • ولقد تيسر لى الجزء الاعظم من المعلومات التى جمعتها فى الجبايش بسبب تعاونه الفعال المخلص معى وادراكه الصحيح للحياة القبلية ومقدرته على مقارنتها ومعارضتها بالحياة الحضرية • فأليه بصورة خاصة أقدم امتنانى العميق وشكرى الجزيل وتقديرى البالغ •

ش • م • س

ملاحظـات

١ ـ ان هذا الكتاب دراسة انثروبولوجية مكتوب طبقا لطريقة المدرسة الانثروبولوجية المعروفة باسم The British Functional School of Anthropology ولذا فيجب ان ينظر لكل ما يرد فيه على هذا الاساس .

٢ ـ كل ما يرد فى هذا الكتاب من معلومات وحقائق يخص قرية الچبايش فقط الا اذا نص على خلاف ذلك .

٣ ـ ان كافة اسماء الاشخاص والاماكن ونعوت القرابة وكافة اسماء الاشياء مادية كانت أو معنوية سترد فى هذا المؤلف طبقا للنطق والمعنى المستعمل فى قرية الچبايش الا اذا نص على غير ذلك . كما أن كثيرا من الكلمات المحلية ذات المعانى الخاصة مثل (السركال) و (الحمولة) و (الگرمة) و (الاجاويد) وكثيرا اشباهها استعملت كما هى دون أن تستبدل بالفـاظ عربية فصيحة محافظة على معانيها الدقيقة .

القسم الأول

مقدمه

الفصل الأول

ظروف وميادين الدراسة

في الچبايش

تتناول هذه الدراسة النظام الاجتماعي والسياسي والاقتصادي لمجتمع من سكان أهوار الفرات وقد وضعت على أساس اقامة دراسية Fieldwork في قرية الچبايش من الثاني لشهر كانون الثاني عام ١٩٥٣ حتى نهاية شهر ايلول من نفس السنة .

١ ـ لماذا أختيرت قرية الچبايش ؟

الچبايش أكبر قرية في الهورين العظيمين الدائمين ، هور الحمار وهور الحويزة . ولكونها واقعة في منتصف منطقة الاهوار ، فهي مركز مناسب يمكن ان يقوم الدارس منه بزيارات لقرى ومجتمعات الاهوار الاخرى المجاورة . ولأن سكان الچبايش يعتمدون في اقتصادياتهم على جمع القصب ولانهم لهذا السبب مرتبطون بالهور ، فهم يمثلون تمثيلا قويا سكان الاهوار .

وللچبايش ، بعد هذا كله ، ميزات وخواص تنفرد بها وتكون اسبابا قوية تدعو لاستخدامها كمركز للدراسة . فالغاء المشيخة عام ١٩٢٤ خلق في القرية وضعا سياسيا طريفا وأدى الى تغلغل نفوذ الحكومة المركزية الى تلك المنطقة ، وتمثيلها في القرية تمثيلا قويا بصورة نسبية . ولقد مهد هذا الوضع لدراسة الاحتكاك بين الادارة الحديثة التي ادخلتها الحكومة المركزية والنظم السياسية القبلية القائمة في القرية كما انه أعطى فكرة عن مجهودات الحكومة للعمل على تقدم مجتمع بدائي متأخر . ولقد ضمن تمثيل الحكومة المركزية تمثيلا قويا في القرية وتمتعها باعتبار كبير ، اذا ما قيس بما لها من

اعتبار فى بقية قرى الاهوار ، ظروفا دراسية ملائمة فى بعض النواحى •
فلا يوجد اليوم فى الچبايش شيخ يضع العراقيل فى وجه الدارس حين يريد الاخير أن يقوم بدراسة مفصلة للحياة القبلية ، العمل الذى لا يتفق ورغبات الشيوخ خاصة اذا ما تناولت تلك الدراسة العلاقة بين الشيخ واتباعه • وأخيرا ، فأهل الچبايش أناس معروفون بوداعتهم ومسالمتهم وبأنهم ذوو شهامة ونخوة • هذه كلها عوامل مشجعة جعلتنى أفضل هذه القرية كمركز دراسي على غيرها •

٢ – ظروف الدراسة

ان الصعوبات التى واجهتها فى اقامتى الدراسية فى الچبايش تجعلنى اشارك الاستاذ ايفانس برچرد رأيه في كتابه The Nuer حين قال[1] «يجب أن يحكم المرؤ على أعماله بالعقبات التى تغلب عليها وبالصعاب التى تحملها • واذا ما طبق هذا المقياس على عملى فلن أخجل من النتائج التى توصلت لها» •
فأول مشكلة واجهتها كانت مشكلة السكنى • فالقرية مكونة من قسمين منفصلين يسكن احدهما أهل الچبايش وفى ذلك القسم طبعا أردت أن أقيم • ولكن لم يوافق أهل الچبايش ولا مدير الناحية على ذلك • فلقد أشار الاخير بانه ما دامت مهمتى فى القرية لم تزل غامضة بالنسبة لاهل الچبايش وان كثيرا من الشكوك والاقاويل قد أثيرت بمجرد وصولى القرية فمن المستحسن أن اؤجل فكرة السكنى بين أهل الچبايش ذاتهم لفترة من الزمن • ولقد اقترح بان فى استطاعتى ان اسكن مؤقتا فى القسم الثانى من القرية مع مفوض الشرطة الذى كان يشغل أحد الدور المبنية بالآجر • ولم استطع الانتقال الى السكنى بين أهل الچبايش الا فى الثامن عشر من شهر شباط ١٩٥٣ ، بعد أن رضى صاحب جزيرة من الجزر الفارغة أن يؤجرها لى • فهدمت الكوخ القديم الذى كان مشادا عليها ودفنت أرضها

(1) Evans-Pritchard, E.E., "The Nuer", Oxford, 1940, p. 9.

بشكل حسبته يقى من الفيضان ثم أشدت عليها كوخا جديدا وأحطته بسياج من قصب •
كانت اقامتى فى بيت مفوض الشرطة غير مرضية من وجوه عدة • فالبيت كان اشبه ما يكون بناد ليلى يجتمع فيه عدد من المعلمين وموظفى الحكومة كل مساء يلعبون القمار ويسمرون • وكنت أعانى صعوبات أساسية فى الاتصال بأهل القرية بحكم كونى أعيش منفصلا عنهم ، وبيت مفوض الشرطة لا ترتاده الا طبقة خاصة جدا من أهل الچبايش •
لقد أحاطتنى الشكوك ساعة ان وطأت قدماى أرض القرية • فلقد حاول أهل الچبايش أن يعرفوا شيئا عنى من موظفى الحكومة • وبعد أيام قلائل بدأ الناس يسألوننى عن مهمتى فى القرية ، فكانت أجوبتى توحى بان الحكومة قد شعرت بالحاجة الملحة للقيام ببعض الاصلاحات الهامة خاصة فى بعض المناطق المتأخرة فى بلادنا • وما دامت هذه الاصلاحات لا تنجح وتؤتى ثمراتها الا اذا رسمت لها خطط مبنية على أساس دراسة مفصله للمنطقة التى يراد اصلاح شؤونها ، فان الحكومة أرادت أن تدرس الاحوال الراهنة فى مثل هذه المناطق تمهيدا لاصلاحها • وهى لهذا الغرض ارسلت موظفين الى أقسام مختلفة من القطر ولقد وقع الاختيار عليّ لاقوم بهذه المهمة فى الچبايش • فواجبى اذن أن أمكث فى القرية قرابة سنة ادرس خلالها طرق معيشة أهلها وأحوالهم الاقتصادية والاجتماعية وأقدم بذلك تقريرا للحكومة •
وبعد حوالى شهر اعتاد الناس وجودى في القرية وتلاشت حدة فضولهم وانقطعوا عن التساؤل عنى وعن عملى •
وكان من المعضلات الاخرى التى واجهتها الحصول على خادم ونوتى لزورقى • فرغم اعلان استعدادى لدفع أجور طيبة فلقد كان من الصعب الحصول على خادم أو نوتى وذلك لعدم اتفاق مثل هذه الاعمال مع التقاليد القبلية التى تستنكر الخدمة والعمل بأجرة • وكان من تيسر الحصول عليهم

من نوع غير مرض ، فكنت استوظف الخادم والنوتي تلو الآخر طلبا لواحد يتفق وما أريد ، ولكني لم ابلغ ما اردت الا بعد ان فزت بثقة سركال حمولة ال الشيخ وولده الثاني طارق ال خيون حيث اختار لى الاخير رجلا عمل معى كخادم ونوتى حتى غادرت الچبايش •

وبما ان المواصلات المائية هى طرق المواصلات الوحيـدة فى مناطق الهور الشاسعة ، فلقد قمت بعدة محاولات للحصول على زورق بخارى • فطرقت أبواب مديرية الموانىء فى البصرة بدون جدوى • ولم يكن الزورق الصغير الذى ابتعته فى الچبايش مأمونا فى موسم علو الماء ولا صالحا للقيام برحلات طويلة ولذا فكان لزاما عليّ ان اعتمد على زوارق كبيرة وزوارق تجارية تستأجر لهذا الغرض • وكان زورق عبدالهادى آل خيون الكبير الفخم موضوعا تحت تصرفى فى المناسبات •

وكان الطعام معضلا آخر لانه كان من المتعذر واقعيا آن استوظف طباخا محليا أو ان أجلب واحدا من مدينة مجاورة • فكان لزاما عليّ آن اعتمد على الطعام الذى يمكن الحصول عليه فى الچبايش ذاتها • فاتفقت مع فراش المدرسة الذى كان يقدم وجبات طعام لبعض مدرسى المدرسة آن يقدم لى الطعام بنفس الطريقة • ولقد قاسيت صعوبة كبيرة فى التعود على الطعام الذى كان يقدم لى بموجب اعتبارات كثيرة لا يعد مزاجي واحدا منها • وكنت اعتمد فى اغلب الاحيان على الخبز والسمك المشوى والرز واللبن الرائب •

وكانت الظروف الطبيعية فى القرية فى بعض أوقات السنة لا تطاق لان الحر والفيضان يحلان فى وقت واحد تقريبا ومعهما يصبح البعوض كثيرا كثرة غير اعتيادية • فالفيضان الذى يستمر من مارت حتى آب يصيّر الحركة حتى فى داخل الجزيرة التى يقيم فيها الساكن غير ممكنة الا بزورق • ويصبح السير على الاقدام في موسم اشتداد الفيضان عملا لايمكن مزاولته • ويتعذر فى هذا الفصل على المرء أن يمكث خارج الناموسية بعد غياب

الشمس ، خاصة ان لم تكن هناك ريح تدفع غائلة غيوم البعوض التى تبدأ فى التساقط من السماء مع حلول الظلمة • وكنت احارب البعوض النهم بطرق عدة أغلبها غير مجدية ، وكم تمنيت على الدهر لو ملكت مائة يد بدل اثنتين لاحمى جسمى من تلك الحشرات المؤذية ! وتكثر الافاعى فى هـذه الفترة وتنشط فتزيد هى وبقية الزواحف والحشرات كثيرا من الازعاج الذى يواجهه الانسان فى موسم الحر •

كان الصيف الذى أمضيته فى الچبايش مرهقا لحد كبير جدا • فلقد استمر الحر شديدا ستة أشهر • وفى شهور حزيران وتموز وآب كانت درجة الحرارة ترتفع فى الظل الى ما بين ٩٠ و ١١٠ درجة فهرنهايت • وفى شهرى تموز وآب كانت كثيرا ما تتجاوز ال ١١٠ درجات فهرنهايت وفى عدد من الايام فى ذينك الشهرين بلغت ال ١٢٠ درجة • ولم يكن لى واقيا من لهب الشمس المحرق فى ذلك الفصل غير سقف كوخى المكون من حصيرتين خفيفتين من القصب •

وكانت المساعدة من جانب الحكومة معدومة انعداما تاما سواء آكان ذلك فيما يتعلق بجمع المعلومات أو فيما يتعلق بتسهيل مهمتى • لقد ظلت كمية كبيرة من المعلومات مدفونة فى ملفات الحكومة رغم محاولاتى المتكررة ومجهوداتى الطويلة فى بغداد للحصول عليهـا • فلقد أدعى أن ما طلبت الاطلاع عليه من معلومات تعتبر سرية للغاية وانها تتعلق باشخاص احياء وباحداث ما زالت ماثلة فى الاذهان • وفى رحلتى لمناطق أهوار العمارة فى ربيع عام ١٩٥٣ منعت من الذهاب الى منطقة معينة بسبب اضطرابات ومصادمات كانت قد وقعت مؤخرا هنـاك بين الفلاحين والشيـخ • وادعت السلطات المختصة ان مرورى هناك قد تترتب عليه نتائج غير محمودة • ولكى أحصل مثلا على عدد أشجار النخيل فى قرية الچبايش اضطررت أن أراجع جمعية التمور فى البصرة أربع مرات ولم أنل بغيتى الا بعد الاتصال بمعاون المدير العام • وعندئذ فقط قرأ لى الموظف المختص الرقم من محفظة قريبة التناول •

وكان المعضل الاساسى الذى لاقيته فى الشهور الثلاثة الاولى من اقامتى فى الچبايش انعدام ثقة الاهلين بى وصعوبة اختلاطى بهم • فلقد طرقت سبلا عدة لتوفير تلك الثقة الضرورية جدا لعملى • فلقد دأبت على زيارة الشخصيات البارزة فى القرية كسركال حمولة آل الشيخ وابنه الثانى وابن الشيخ السابق للعشيرة وغيرهم • واعلنت استعدادى لمساعدة اهل القريه فى معاملاتهم مع الحكومة بكتابة رسائل التوصية الى بغداد وغيرها • وكنت اكتب الرسائل الخاصة لمن يريد أن يكتب لاهله واصدقائه خارج القرية • وكان كوخى مفتوحا دائما لاى شخص يروم زيارتى • وكنت أقدم فيه للزائرين السجائر والشاى • وساعدت زياراتى للبارزين من أهل الچبايش وأحاديثى فى المضايف والمقاهى وتقديم بعض الهدايا الصغيرة لبعض الاهلين من حين لآخر على خلق جو مناسب للعمل •

وبعد ثلاثة شهور بدأت اشعر اننى قد نلت ثقة أهل الچبايش فبدأ المجتمع يفتح نفسه لى • ولم يكن فى وسعى حينئذ ان أحصل على عدد من مخبرين متطوعين Voluntary informants فحسب ، بل ان المضايف كلها فتحت أبوابها لى فأضحت علاقتى بكل الناس علاقة ود بعيدة عن التكلف والمجاملات • وبعد ما يقرب من ستة شهور بدأ أهل الچبايش يتحدثون عنى كـ (واحد من عدنه) و (واحد من بنى أسد)[١] • وبذل كل من سركال حمولة آل الشيخ المرحوم عبدالهادى آل خيون وولده طارق آل خيون قصارى جهدهما لتيسير مهمتى • وكنت أذهب لهما فى مشاكلى فكانا يهتبلان كل فرصة ليظهرا لاهل الچبايش باننى كنت موطن ثقتهما وموضع عنايتهما وانهما كانا يبذلان كل ما فى وسعهما لمعاونتى فى عملى • وكانت النتيجة الطبيعية لهذا السلوك ان صار أهل القرية يتبارون فى تقليد رئيسهم وولده فى معاونتى وتسهيل عملى •

---

(١) العشيرة التى تقطن الچبايش •

٣ ـ المخبـرون INFORMANTS

ولكن رغم هذا كله فلقد تصرمت خمسة شهور على وصولى الى الچبايش قبل ان احصل على مخبرين دائميين Regular Informants • ففى الشهرين الاولين لم أحاول الحصول على مخبرين لانه اتضح لى من الجو الذى كنت أعمل فيه أن محاولة من هذا القبيل قد تسبب رد فعل غير محمود • فأهل الچبايش ما كانوا يرغبون أن يسألوا عن طراز حياتهم وأحوالهم وكانوا يعتقدون أن تقديم معلومات عن هذه الامور نوع من الخيانة للعشيرة • ولذا فقد كنت اقتصر فى هذه الفترة لغرض جمع المعلومات المطلوبة على خادمى وعلى النوتى الذى كان يعمل عندى وفى حالات خاصة على بعض موظفى الحكومة •

وبدأت بصورة تدريجية استفيد من بعض الرجال الذين اظهروا فهما لطبيعة عملى كمخبرين بين آونة وأخرى • وكان أول هؤلاء طارق آل خيون ، الابن الثانى لسركال حمولة آل الشيخ ، الذى يأتى بعد والده فى الاهمية السياسية فى القرية ويتمتع بنفوذ قوى جدا فيها • وهو ممن تخرجوا فى المدارس الثانوية وله معلومات عامة واسعة ويكن اعجابا شديدا للمدنية العصرية مع تقدير كبير لفوائد الثقافة • ولقد كان طارق آل خيون خير المخبرين بشكل لا يقبل المقارنة ولا القياس ، لانه كان يفهم اسئلتى فيقدم لى أجوبة كاملة مضبوطة • وكانت المزية العظمى فى عمله كمخبر لى كونه اصبح بعد مضى اشهر قليلة صديقى المقرب فكنا نتحدث بحرية وكنت لا اتردد أن أسأله أى سؤال حتى لو كان يتعلق بعائلته وشؤونه الخاصة • ولقد استمر منذ البداية يقدم لى المعلومات وبقى كذلك ، يعمل معى أحيانا فى مقابلات يومية طويلة حتى غادرت الچبايش • وفى الفترة التى تصرمت بين تركى الچبايش وبين اتمام كتابة هذه الاطروحة فى شهر نيسان عام ١٩٥٥ كان طارق آل خيون يدأب على احاطتى علما بكل جديد مهم فى القرية عن

طريق المراسلة • وكنت بدورى اسأله أسئلة عن بعض أمور غمضة فيجيب عليها بالتفصيل بنفس الطريقة •

وبمساعدة طارق آل خيون كان بوسعى ان احصل على عدد من المخبرين غير الدائميين Irregular Informants • فمدير الناحية الذى كان يشغل منصبه لمدة خمس سنوات متواصلات فى الچبايش فحصل بذلك على معلومات غزيرة عن القرية وأهلها ، ورجل مسن من آل خيون كان معروفا بسعة اطلاعه فى تاريخ العشيرة ، ووجيه من وجوه حمولة ال غريج ذو اطلاع واسع فى القضاء العشائرى ، كل هؤلاء واخرون غيرهم كانوا من بين المخبرين الذين استعنت بهم في بعض الحالات • واستطاع طارق آل خيون فى الوقت المناسب ان يقنع والده الذى كان طاعنا فى السن معتل الصحة بان يقدم لى بعض المعلومات فكان السركال يرسل عليَّ من وقت لآخر لنتناقش فى بعض الموضوعات الخاصة كالتقاليد العشائرية والقانون العشائرى ، وهى الموضوعات التى يثقفها خيرا من أى فرد من أفراد العشيرة وبشكل لا يدانيه فيه أحد • وعلى مر الايام بدأ السركال يحب تلك المناقشات فكان كلما عاد الى الچبايش ،وكان كثير الاسفار ، وكلما سمحت صحته بذلك ، لا يضيع يوما يمر دون أن يرسل فى طلبى مع وصيتـه الكريمة المعتادة « جيب دفترك » • ولولا اعتلال صحة عبدالهادى آل خيون وتعذر تطمين مقابلات طويلة متعددة معه لغرض المناقشة والبحث لكن من المستطاع الاستفادة منه كمخبر نافع جدا لسعة معلوماته بالتاريخ العشائرى ودقة رواياته وأخباره • وكان بالاضافة الى هذا كثير الاسفار يترك الچبايش لفترات طويلة وحين يعود للقرية يكون موزع الوقت والجهد فى تدبير أمور عائلته وحمولته • ولكن رغم هذا كله فقد زودنى عبدالهادى آل خيون بكثير من المعلومات الثمينة عن القانون العشائرى •

وحين اتممت رحلتى فى منطقة الاهوار فى نهاية نيسان عام ١٩٥٣ ، اتفقت انا وطارق بان الوقت قد حان لايجاد مخبرين دائميين • فاختار لى

طارق ثلاثة رجال مسنين من حمولة آل الشيخ وطلب اليهم أن يأتوا بانتظام الى كوخى للمناقشة وللاجابة عن اسئلتى • فوافق اثنان منهم فقط على القيام بهذه المهمة • ولقد اتفقنا الا تدفع اجور لهذين المخبرين لان فكرة « بيع المعلومات » كانت بغيضة لاهل الچبايش ، والمستحسن ان يستعاض عن ذلك بالهدايا • ولكن واحدا من المخبرين فقط وهو گزار آل طاهر واضب على الحضور الى كوخى كل صباح حتى غادرت الچبايش • ولقد كان گزار مخبرى الدائم الوحيد بجانب السركال وولده طارق • ولقد كان الرجل الوحيد الذى قبل فكرة العمل بهذه الصفة ولكنه كان يبدى عدم ارتياحه لما قد يظنه الناس به لقبوله هذا العمل •

لقد كان گزار آل طاهر يختلف من نواح عدة عن رفاقه شيوخ العشيرة والا لرفض العمل كمخبر كما فعـل كثيرون • فكان قـد أمضى قرابـة ثلاثين عاما من حياته خارج العشيرة يعمل تاجرا وعاملا وأمضى قسما من تلك الاعوام فى المدن • وحين عاد الى الچبايش بعد تلك الغيبة الطويلة لم يدأب على كسب عيشه من الزراعة أو حياكة الحصـر وهما الطريقتـان الاعتياديتان لكسب العيش فى القرية ، ولكنه كان يعتاش من مورد دكان فى زورق صغير تجوب به زوجته أرجاء القرية تبيع مواد وأدوات الزينة لنساء القرية ، ومن اعانات مالية يرسلها له كل شهر ولداه الجنديان من خارج الچبايش • ولم يكن گزار يعد فى القرية بين « أجاويد الطايفة » الطبقة التى تتمتع باعتبار واحترام عظيمين لاسباب عدة لا مجال لذكرها هنا •

لم يفهم گزار آل طاهر فى البداية طبيعة الاسئلة التى كنت أوجهها له • ولكننى دأبت على تمرينه وتدريبه ، وبعد مضى ما يقرب من اسبوعين اصبح گزار مخبرا ممتازا • فلقد كان صاحب معلومات واسعة ولقد صيرت منه خبرته الطويلة فى بيئات وأعمال مختلفة منبعا من المعلومات والاخبار • وكان يوشك ان يكون متفرغا تمام التفرغ للمقابلات اليومية Interviews

لانه كان بلا عمل وكان على استعداد لان يطيل المقابلة بقدر ما ارغب انا في ذلك •

لقد لاقيت صعوبة كبرى في الحصول على امرأة مخبرة لتعينني على فهم الموضوعات التي لها مساس بالشؤون النسائية وبشؤون الاطفال • ولقد قمت انا وطارق بمحاولات متكررة للحصول على مخبرة من هذا القبيل ولكن كان من المتعذر اقناع امرأة كي تأتي بشكل منتظم لكوخي فتجيب على اسئلتي ولتتناقش معي في موضوعات نسائية • فلقد كانت النسوة في الجبايش يعتقدن بأن من الخزي كشف اسرارهن وشؤونهن لرجل غريب • وكان يظن ان امرأة واحدة ، هي أخت فراش المدرسة الذي كان يقوم بتقديم الطعام الي قد تقبل مثل هذا العمل لو كانت موجودة في القرية • ولذا فقد اقنعت انا وطارق ذلك الفراش أن يرسل في طلب أخته الى الجبايش • وبدأت تلك المرأة واسمها نجدية آل مخور العمل معي اعتبارا من الحادي عشر من شهر آب • وكانت لنجدية خبرة طويلة في القبالة ورعاية الاطفال وتربيتهم • وهي مثل گزار ذات مركز خاص في العشيرة سمح لها بقبول ما رفضته كثير من نسوة القرية • فلقد كانت سابقا عبدة من عبيد ال خيون ، والعبيد ذوو مركز اجتماعي وضيع جدا في العشيرة • وكانت تعمل عدة سنوات كخادمة في بيوت بعض الموظفين في القرية فاعتادت بذلك الاتصال بالغرباء والعمل معهم •

يختلف المخبرون ، طبعا ، في معلوماتهم حسب ثقافاتهم وتجاربهم • فبعد ان عرفت المخبرين الذين كنت أعمل معهم صرت استفيد من ميولهم وسعة اطلاع كل منهم في نواحي خاصة فكنت أحصر مناقشاتي مع كل واحد منهم في الموضوعات التي يلم بها أكثر من البقية •

٤ ـ اساليب جمع المعلومات

كنت أحصل على المعلومات التي ابتغيها بأستعمال عدد من الأساليب •

فالمشاهدة أو الملاحظة المباشرة Direct Observation كانت المورد الاساسي لمعلوماتي ، وكنت استعملها للحصول على معلومات عن حياكة الحصر وصيد السمك وبناء وتصليح الزوارق وجمع القصب من الهور والعناية بالحيوانات وبالشؤون المنزلية مثل الطبخ والخبز والغسل وما الى ذلك من فعاليات كانت تراقب وتشاهد بعناية وتكرار • وكنت أقوم بزيارات صباحية رتيبة لمضيف عبدالهادي آل خيون حيث كانت القهوة تقدم للضيوف كل صباح وحيث كان يلتئم عقد عدد من رجال العشيرة ليتحدثوا ساعات عن موضوعات وشؤون مختلفة • فكنت اشترك في الاحاديث واتعمد اثارة موضوعات تؤدي الى نقاش واختلافات في الرأي • وكنت أزور مضايف أخرى كمضيف ثعبان آل خيون وغيره •

وكنت اشارك مشاركة تامة ، كلما تيسر لي ذلك ، في حياة القرية • فحين بني عبدالهادي آل خيون مضيفه الجديد شاركت في كافة مراحل البناء • وفي العيدين وشهر رمضان ومحرم كنت أشارك في الفعاليات المحلية كما يفعل أي فرد من أفراد العشيرة •

وكنت أزور دار الحكومة في القرية كل يوم لاستقي المعلومات والاخبار عن الشكاوى التي ترفع وعن الاحداث التي تقع • وكنت أجمع بزياراتي تلك معلومات عامة من الموظفين وفي أبان ذلك درست عددا ضخما جدا من ملفات دار الحكومة • وبالاضافة لكل هذا درست مجموعة ثمينة من أوراق خاصة بعبدالهادي آل خيون قدمها لي ولده طارق وكانت تحوي وثائق ومستندات طريفة عن العهد العثماني والشؤون العشائرية وبعض الاحداث السياسية الهامة • وكنت أقوم بجولات يومية في زورقي في أرجاء القرية لارقب الناس والتقي بهم ابان قيامهم باعمالهم اليومية المعتادة •

ولقد جمعت تواريخ حياة Life Histories أولا من خدمي ونوتيتي ثم من بعض الاهلين • واتصلت بالطلبة الكبار في المدرسة وطلبت لبعضهم أن

يكتبوا تاريخ حياتهم • وجمعت مرة زمرة منهم ووجهت لهم اسئلة معينة أجابوا عنها تحريريا •

كانت وسيلة جمع المعلومات هى الاسئلة Questionnaire والمناقشة Discussion • وكانت الاسئلة توضع طبقا للمنهج العام الموضوع فى كتاب Notes and Queries on Anthropology. (1) مع التغييرات التى كان يقتضيها الموضوع • وكانت المناقشات والتعليقات تستعمل دائما كطريقة أساسية لتوضيح المعلومات المطلوبة • وكنت أسجل كل ما يطرق سمعى من قصص وأخبار واشاعات مهما تفهت قيمتها •

وكانت المعلومات المهمة تدقق بصبر وأناة • فلقد كان من الاجراءات التى اتبعتها حين كنت استقصى موضوعا بالغ الاهمية أن أسأل أكثر من مخبر واحد نفس الاسئلة وأقارن النتائج • ولقد حصلت على كثير من النتائج الطريفة باتباع هذه الطريقة • ولم اسمح مطلقا لمخبر ان يكتشف ان ما يقدمه الى من معلومات تدقق مع مخبر آخر •

وأعددت استمارة خاصة لتكون أساسا لجمع معلومات بشرية Demographic واقتصادية • وحوت تلك الاستمارة اسئلة مفصلة عن المعلومات البشرية والثروة ورأس المال وطرق كسب العيش والامية والزواج والطلاق والامراض وما الى ذلك • وطبعت من هذه الاستمارة مائتى نسخة ولكن تعذر عليّ فى النهاية املاء كل تلك النسخ لاسباب عديدة اهمها سعة القرية التى تجاوز الثلاثة أميال طولا مع عدم توفر واسطة نقل غير الزورق البطىء ، وصعوبة فهم أهل الجبايش للاسئلة التى تضمنتها الاستمارة وصعوبة الحصول على معلومات مضبوطة عنها • فلم أكمل املاء غير مائة وعشرين استمارة استعملت فى هذه الاطروحة كأساس للاحصاء والامثلة التصويرية • ولم تقتصر فائدة تلك الاستمارات على ما حوته من معلومات

(1) Royal Anthropological Institute, 6th Ed., London 1951.

احصائية بل تعدته الى فرص الاتصال الوثيق بسكان القرية التى هيأها املاء تلك الاستمارات هذا بالاضافة الى أن الاجوبة عن الاسئلة المضمنة بالاستمارة كانت غالبا تقدم مع كثير من القصص والتعليقات والاشارات التى تكون بمجموعها معلومات ثمينة للغاية •

ولقد استقيت كثيرا من المعلومات خارج الجبايش خاصة فى البصرة وبغداد ولحد ما فى سوق الشيوخ والناصرية • فلقد زرت فى البصرة مكابس التمور حيث يعمل عدد كبير من عوائل الجبايش ما يقرب من شهرين كل عام • فأمضيت اسبوعا فى تلك المكابس وقمت بدراسة مفصلة لهجرة العمل الموسمية هذه • ودرست فى بغداد بعض المواد المطبوعة بالاضافة الى القليل من الاحصائيات والمعلومات الرسمية التى حصلت عليها من الدوائر الرسمية • وزرت عدة مرات الشيخ سالم آل خيون شيخ بنى أسد السابق فى بغداد حيث يقيم ، فتحدثنا طويلا عن الجبايش وعن بنى أسد ، واستنسخت تاريخ حياته الموضوع فى حوالى سبعة عشر الف كلمة فى اللغة العربية(1) • وفى سوق الشيوخ والناصرية اطلعت على بعض الوثائق الرسمية وناقشت بعض موظفى الادارة فى بعض أمور ذات خطر •

٥ ــ الرحلات فى مناطق الاهوار

لقد قمت بنوعين من الرحلات فى الاهوار ؛ رحلات الى المناطق القريبة من أهوار الفرات كالعبد وابو سيباية وليشان والحمار وبنى مشرّف وعبادة وسوق الشيوخ • وكنت أقوم بمثل هذه الرحلات فى مناسبات عدة لقرب هذه الاماكن والقرى ولان مثل هذه الرحلات يمكن ان تتم فى يوم او اثنين • وبالاضافة لهذا قمت برحلة طويلة فى الربيع فى هور الحمار وأهوار دجلة ، استغرقت شهرا كاملا •

(1) مخطوط ، تأليف محمد هادى الدفتر ، بغداد ١٩٤٩ •

كانت رحلة الربيع فى موسم ارتفاع المياه ، فبدأتها فى الثانى من شهر نيسان وانتهت فى اليوم الاول من شهر مايس • وخصص القسم الاول من هذه الرحلة لهور الحمار واستغرق خمسة أيام جبت فيها الهور العظيم طولا وعرضا وزرت خلالها كافة القرى والمجتمعات المنبثة على طول حافته الجنوبية وفى سلسلة الجزر الناتئة فى وسطه • وخصص القسم الثانى من هذه الرحلة الى أهوار دجلة ودام سبعة عشر يوما • ولقد زرت كل ما يمكن الوصول اليه من القرى والمجتمعات فى أهوار دجلة الثلاثة الكسارة والعظيم والحويزة •

لقد مكنتنى هذه الرحلات أن أكوّن فكرة عامة عن سكان الاهوار وتوزيعهم وان اتعرف على الاهوار والحياة فيها • وكانت تلك الرحلات بالغة الاهمية والنفع للمقارنة بين سكان الچبايش ومجتمعات الهور الاخرى •

٦ – ميدان الدراسة ومراميها

ان ميدان هذه الدراسة هو وصف وتحليل بعض نواحى الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية فى قرية الچبايش • ولقد قسمت الدراسة الى أربعة أقسام ، الاول ، وهو مقدمة ، يحتوى على تعريف بظروف الدراسة فى القرية وتعريف عام مقتضب بسكان الاهوار فى العراق ثم وصف لقرية الچبايش وبيئتها الطبيعية • والدراسة ذاتها تتكون من ثلاثة أقسام يدرس الاول الكيان الاجتماعى ويبحث الثانى عن النظام السياسى والثالث النظام الاقتصادى • ففى القسم الاول درست المكونات المهمة فقط للبناء الاجتماعى فى القرية كالعشيرة والحمولة والفخذ والعائلة والقرابة والطبقات الاجتماعية والمضيف وأثره فى المجتمع • وفى القسم الثانى تناولت تطور النظام السياسى فى القرية والمشيخة القديمة ثم النظام السياسى المعاصر فيها مع دراسة للحكومة ومؤسساتها كما وجدتها عام ١٩٥٣ • وفى القسم الرابع الذى يدرس الحياة الاقتصادية تناولت الاراضى وشؤونها ثم المكونين

الرئيسين فى حياة القرية الاقتصادية وهما الزراعة وتجارة وحياكة القصب والحصر • وستتم الصورة الاقتصادية دراسة الفعاليات الاقتصادية الاخرى كهجرات العمل الموسمية والمصادر الاقتصادية الثانوية كتربية الماشية وصيد السمك والطيور • وهناك فصل خاص يدرس السوق والتجارة والمقايضة والتصدير والاستيراد • أما الاحتكاك بين الفعاليات الاقتصادية والبناء الاجتماعى فسيصور فى الفصل الختامى من هذا القسم •

هذه أول دراسة فى الانثروپولوجى الاجتماعية فى العراق والذى نرجوه هو أن تحفز الهمم لدراسات انثروپولوجية مماثلة فى قطر يحتاج حاجة ماسة لمثل هذه الدراسات لانه يضم بين حدوده عددا كبيرا من المجتمعات المتأخرة • والمتوقع أن تلفت هذه الدراسة اهتمام ذوى الشأن للمنطقة المدروسة فتحظى بحاجتها من الاصلاح •

الفصل الثانى

سكان الاهوار فى العراق

ان الغرض من هذا الفصل هو تقديم فكرة موجزة عن سكان الاهوار فى العراق كأساس لدراسة بعض النواحى الاجتماعية والسياسية والاقتصادية لسكان الاهوار فى الچبايش •

هناك ثلاثة تعابير تستعمل فى معرض الحديث عن سكان الاهوار فى جنوب العراق ؛ « سكان الاهوار » Marshdweliers « وعرب الاهوار » Marsh Arabs « والمعـدان » Ma'dan • وما دام سكان الاهوار ذوى أصل مخلوط ، فيبدو أن من الانسب استعمال التعبير العام « سكان الاهوار » Marshdwellers ليضم الاصناف الثلاثة • وسأستعمل هذا التعبير فى هذا المؤلف قاصدا به كل سكان الاهوار فى جنوب العراق كما سيعرفون ادناه بغض النظر عن أصلهم أو طراز حياتهم الاقتصادى •

والتعبير الثالث « المعدان » كان ولا يزال يستعمل بكثير من الغموض • فسكان المدن فى العراق يستعملونه فى معان مختلفة ، اما للتدليل على سكان الاهوار عامة بلا تمييز أو لوصف الشخص المنعوت بهذا التعبير بالغلظة او عدم الانتظام سواء أكان المنعوت من سكان المدن أو الاهوار أو الارياف • وكثيرا ما يطلق هذا التعبير فى الكتابات الانكليزية على سكان الاهوار بصورة عامة • وانا أرى ان كلمة « معدان » يجب أن يقصد بها قسم واحد من سكان الاهوار فحسب وهم رعاة الجاموس الرحل الذين يكونون قسما صغيرا من سكان الاهوار ، واننى سأستعمل هذه الكلمة فى هذا المؤلف بهذا المعنى

فقط • وسكان الاهوار أنفسهم يستعملون كلمة معدان بهذا المعنى • ولعل من الطريف أن نذكر بهذه المناسبة ان سكان الاهوار من غير المعدان يعتبرون نعتهم بهذا الاسم اهانة ما داموا يعتقدون ان المعدان أقل منهم درجة فى سلم الحضارة وانهم أشد سكان الاهوار تأخرا •

١ – الموقع والتوزيع

يقطن سكان الاهوار الاراضى الواطئة فى الحوض الجنوبى للنهرين التوأمين دجلة والفرات • ويقع مسكنهم بصورة تقريبية فى حدود خط مار بالبصرة جنوبا وبالكوت والكفل فى الشمال الشرقى والشمال الغربى على التتابع • ويمتد هذا المسكن بين خطى العرض ٥٠′ ٣٢° و ٥٠′ ٣٠° شمالا ، من الشمال الى الجنوب وبين خطى الطول ٥٠′ ٤٤° و ٠′ ٤٨° شرقا ، من الشرق الى الغرب • ومن المهم أن نذكر بان هذه المنطقة ليست مسكونة كلها بسكان الاهوار ولا هى هور متصل • فقسم كبير من سكان هذه المنطقة يتكون اما من أهل المدن أو من سكان الارياف القاطنين فى عدد كبيرا جدا من القرى على ضفاف دجلة والفرات وفروعهما أو بدو رحل يرعون ابلهم وأغنامهم فى السهول الواقعة بين العمارة والكوت أو فى أحد الامتدادين الصحراويين الواقعين بين أهوار دجلة ونهـر الفرات وبين نهرى الغراف والفرات ، أو فى الصحراء الواقعة غرب نهر الفرات بين الناصرية والحلة •

ان حدود منطقة الاهوار فى العراق هى مدينتا الكوت والكفل فى الشمال ومدينة البصرة فى الجنوب وفى الشرق الحدود الايرانية التى تمر لمسافة طويلة ، خاصة شرق العمارة ، فى الاهوار ذاتها ، وغربا نهر الفرات بين مدينتى الحلة وسوق الشيوخ والحافة الجنوبية لهور الحمار بين سوق الشيوخ والبصرة •

ليس من المستطاع تصنيف سكان الاهوار على أساس لغوى لان لغة بعضهم لا تختلف عن لغة البعض الآخر الا قليلا • فالجماعات المختلفة من

سكان الاهوار يتكلمون كافة لغة واحدة مع اختلافات طفيفة فى اللهجه • وتصنيفهم –كما يفعل ذلك بعض الباحثين – على أساس تقسيمهم الى بدو ومعدان غير صحيح أيضا ، لان كثيرا من القبائل البدوية التى هاجرت من الجزيرة العربية الى العراق اتخذت الاهوار ملجأ ورعى الجاموس وسيلة للعيش ، فترتب على هذا انقطاع الصلة بينها وبين الحياة البدوية لعدة مئات من السنين • ولكن رغم هذا كله فان صفات بدوية ، طبيعية وحضارية يمكن ان تلاحظ بوضوح فى سكان أهوار منطقة الفرات نتيجة الاتصال بالجزيرة العربية عن طريق الهجرة والتزاوج • وتكاد هذه الصفات ان تقسم سكان الاهوار ولو بصورة غير واضحة ، الى مجموعتين ؛ المجموعة الشرقية التى تقطن أهوار دجلة ، والمجموعة الغربية التى تقطن أهوار الفرات •

ولذا ، فيبدو من الاصلح أن نصنف سكان الاهوار على أساس اقتصادى بحت • وبهذا المقياس يمكن تقسيمهم ثلاثة أقسام : المزارعون Cultivators ، وجماعو القصب Reed-Gatherers ، ورعاة الجاموس Buffalo-Breeders • ورغم وجود مجموعات من هذه الاقسام الثلاثة فى كل منطقة فان من المستطاع ان نعتبرهم موزعين بصورة عامة على الوجه التالى :

القسم	المسكن
١ – المزارعون	
أ – البو محمد	أهوار دجلة من العمارة الى الكسارة وعلى نهر المجر الكبير •
ب – آل ازيرج	بين لواءى العمارة والمنتفك فى أهوار المجر الصغير •
ج – السودان	الشمال الشرقى لمدينة العمارة على نهر الكحلاء •
د – السواعد	هور العظيم •

هـ – بنى لام (جزء من العشيرة)	الشمال والشمال الغربى لمدينة العمارة (وبصورة رئيسية فى هور عودة وهور السنية)
و – خفاجة	الاقسام السفلى لنهر الغراف •
ز – البو صالح	الاقسام السفلى لنهر الغراف •
ح – المجرّة	منطقة سوق الشيوخ ؛ غرب نهر الفرات والحدود الشمالية للچبايش •
ط – بنى خيگان	منطقة سوق الشيوخ شرق نهر الفرات •
ى – الجزاير	منطقتا الچبايش والمدينة •
ك – بنى منصور	منطقة القرنة •
ل – بنى حجام	على الفرات بين الشنافية والدراجى •
م – خزاعل وجبور وآل فتلة	بين فرعى الفرات الحلة والهندية •
٢ – جماعو القصب	
أ – بنى أسد	قرية الچبايش والخرفية على بعد بضعة أميال شرقى الچبايش •
ب – البو محمد (حمايل البطابطة والنوافل وآل ارذيل والبو غنام والشدة) •	هور الكسارة •
٣ – رعاة الجاموس	
أ – البو محمد (حمايل بيت نصرالله والبو غنام) •	هور الحويزة •
ب – البنده	هور العظيم •
ج – عگيل	الجدول فى الاقسام السفلى من نهر الغراف
د – الفرطوس	هور العبد •

٢ ـ معلومات بشرية

ليس لدينا لسوء الحظ أية معلومات رسمية عن السكان وكثافتهم فى مناطق الاهوار • فاحصاء النفوس الاخير الذى جرى فى العراق عام ١٩٤٧ ، وهو أول احصاء يجرى على أساس علمى منظم ، قد وضع على أساس الاقسام الادارية ؛ الالوية والاقضية والنواحى ولم يحو أية احصائيات عن العشائر ولا عن توزيعها واقسامها • ولذا فنحن مضطرون اما ان نأخذ بالتخمين أو بتقديرات الموظفين الاداريين التى هى ليست أصلح من التخمين الا قليلا •

وعلى هذه الاسس ، التخمين وتقديرات الموظفين الاداريين ، قدر سكان الاهوار بثلاثمائة الف نسمة ، ولكننى اعتقد انهم قد يقاربون الاربعمائة الف • وأكثر صعوبة من تقدير عدد النفوس العام لسكان الاهوار اعطاء أرقام لعدد الاقسام من مزارعين وجماعى قصب ورعاة جاموس كما أن مجال الخطأ هنا أوسع • ولكننى استطيع أن أقول بشىء من الجزم ان المزارعين يكونون الاغلبية الساحقة وقد يصلون الى ثلاثمائة وخمسين الف نسمة وان كلا من جماعى القصب ورعاة الجاموس لا يجاوزون الخمس وعشرين الف نسمة •

ان كثافة السكان فى الاهوار غير معروفة ولكن كثافة سكان الالوية التى تقع فيها منطقة الاهوار وهى البصرة والعمارة والمنتفك والديوانية والحلة والكوت هى كما يأتى[1] :

(١) المجموعة الاحصائية ١٩٥٠ ، دائرة الاحصاء ، وزارة الاقتصاد ـ بغداد ١٩٥٢ •

اللـواء	الكثافة بالكيلومتر المربع
البصرة	٢٨٫٦
العمارة	١٦٫٤
المنتفك	٢٦٫١
الديوانية	٢٥٫٧
الحلة	٤٩٫٥
الكوت	١٤٫٠

هناك أربعة أصناف من المساكن Forms of Settlement فى مناطق الاهوار :

١ ـ (السلف) (ويدعى احيانا وبصورة خاصة فى أهوار الفرات (النزل) ، ويمكن ان نطلق عليه اسم قرية وهو كثير الوجود فى المناطق المزدحمة بالسكان ويتكون من بيوت[1] يتراوح عددها بين مائة وثلاثمائة كوخ حسب كثافة السكان والموقع • ويوجد فى السلف عادة مضيف أو أكثر ودكان • والسلف عادة مقسم الى أقسام يقطن كل قسم فخذ Lineage وتنتشر هذه القرى بين المسالك والترع المائية وبين المزارع •

٢ ـ (الايشان) وهو جزيرة فى الاهوار العميقة الدائمة[2] يقطنها عادة اما جماعو القصب أو رعاة الجاموس • وفى كل من أهوار الحمار والكسّارة والحويزة العميقة الدائمة يوجد عدد من هذه (الاشن)[3] التى يعتقد انها مواقع مدن أثرية قديمة • يتكون (الايشان) عادة من عدد من الاكواخ المبنية بشكل بسيط جدا من القصب أو البردى ، ويتراوح عددها بين الثلاثين والاربعين فوق (الاشن) الصغيرة ولكنه قد يصل الخمسمائة

(١) ان لفظة بيت قد تعنى كوخاً أو (صريفة) كما قد يقصد بها عائلة •
(٢) اننا نقسم الاهوار الى عميقة أو دائمية Permanent marshes وموسمية تجف فى موسم هبوط الماء Seasonal marshes .
(٣) جمع (ايشان) •

كوخ فى (الاشن) الكبيرة • ويوجد على الاقل دكان واحد فى كل (ايشان) ولكن المضايف قليلة بل نادرة • ويقطن الايشان الواحد عادة ، ولكن ليس دائما ، فخذ أو عدد من الافخاذ ، وفى بعض الاحيان مجموعات من (حمايل) مختلفة •

٣ - (الدبون) في موسم الفيضان يصنع رعاة الجاموس مصاطب عائمة Floating Platforms أو Rafts من القصب والبردى والتراب وروث الجاموس ، تسع الواحدة منها لكوخ أو لعدد من الجاموس ويمكن دفعها ونقلها فى الماء من مكان لآخر واستعمالها كمسكن موقت ، كما يمكن جمع عدد من المصاطب العائمة فتكون فى بعض الاحيان قرية صغيرة ، لها فى بعض الحالات دكانها الخاص • وتوجد (الدبون) فى هور الحمار وهور الحويزة فقط وفى اعداد محدودة •

٤ - (چبايش)[١] : تستحدث بعض الجزر أو يرفع سطح الواطئة منها خاصة فى المناطق الهورية التى يكثر فيها القصب بفرش طبقات من القصب والبردى والتراب فى موسم الفيضان لضمان عدم غمر الماء للجزيرة ولامكان استمرار استعمالها كمسكن فى ذلك الموسم • وهذا النوع من المسكن هو طراز السكنى الخاص بقرية الچبايش • فالچبايش كما سنرى من الفصول القادمة قرية سكانها يقربون من أحد عشر ألف نسمة يقطنون ما يقرب من الف وستمائة جزيرة صغيرة وفيها ما يقرب من ستمائة مضيف ومائة دكان ودوائر حكومية تضم مدرسة للبنين ومستوصفا • وقرية الچبايش هى القرية الوحيدة فى أهوار العراق التى يقطن سكانها چبايش مستحدثة من البردى والقصب والتراب •

٣ - التاريخ والنسب

ان كافة العشائر الكبيرة فى الاهوار تدعى انتسابا لواحدة من القبائل

(١) ومفردها (چباشة) وهى مأخوذة من الاصل العربى كبس •

العربية القديمة المعروفة ، وتدعى أن القبيلة الام هاجرت كلا أو جزءا الى العراق فى وقت من الاوقات فيما بين الاحتلال الاسلامى فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب عام ٦٣٧ ميلادية وبين عهد قد يتأخر الى ما قبل مائتى عام فقط • وهذا يتعارض ، كما سيظهر من البحث ، مع وجهات نظر علماء الانثروبولوجى والآركيولوجى •ولعل من المفيد الآن ان نلقى نظرة على النظريات الخاصة بأصل سكان الاهوار فى العراق •

فيقول هنري فيلد[١] انه حين مر فى منطقة الاهوار ورغب ان يعرف الصلة بين سكان الاهوار والعرب المحيطين بهم استعاد لذاكرته « النظرية القائلة ان سكان الاهوار هم النسل المباشر للسومريين الذين عاشوا فى العراق قرابة خمسة آلاف عام خلت ، وانهم قد دفعوا للحياة فى الاهوار لغرض الحماية » • أما اين سمع هنرى فيلد بهذه النظرية فانه لا يفصح عن ذلك ، كما اننا لا ندرى ما يقصده بالضبط بكلمة سكان الاهوار

ويعتقد هنرى فرنكفورت[٢] با نمنطقة الاهوار فى العراق كانت مأهولة منذ الالفين الخامس والرابع قبل الميلاد • وبينما كان « فلاحو السهول الشمالية المتكونة من الفيضانات فى العراق » التى كانت « قد تكونت قبل عدد من القرون » فى مرحلتهم الحضارية الثالثة « دخل رجال من الهضبة الايرانية الاهوار الجنوبية • ويبدو غير مقبول تحت الظروف الحاضرة ان يختار رجال الهضاب هذا السبيل أو حتى انهم يستطيعون البقاء والعيش لو انهم فعلوا ذلك • ولكن الهضبة الايرانية ما كانت قد تحولت بعد الى صحراء رملية فى الالفين الخامس والرابع قبل الميلاد • فكثير من الانهار المنحدرة من الجبال المحيطة بالهضاب تصب فى بحار فى المرتفعات مع فروع وروافد تطوقها المستنقعات • وحتى هذا اليوم ، نجد سكان أهوار يعيشون فى شرق ايران على ضفاف بحيرة نهر هامون العظيمة • وهم كسكان الاهوار فى

(1) Field, Henry; Marsh Arabs of Iraq, Asia, 1916.
(2) Frankfort, Henry; The Birth of Civilization in the Near East, London, 1951, p. 44.

جنوب العراق يبنون زوارقهم وبيوتهم من قصب[1] ويصيدون السمك ويربون الماشية والجاموس » .

ان رأى فرانكفورت مبنى على أساس ما توصل له علم الآثار Archaeology ، لان « الاواني الفخارية Pottery التى صنعها سكان جنوب العراق القدماء تظهر انهم جاءوا من ايران »[2] .

وهناك عالم آركيولوجى آخر وهو سيتن لويد يعتقد[3] بان « من خطل الرأى ان يتصور الانسان بان كافة مزارعى جنوب العراق قد تكونوا من استيطان العرب الرحل بصورة تدريجية . فان اى عالم أنثروبولوجى راقب فلاحا عراقيا ذا رأس مدورة Brachycephalic يشق حقله بصبر واناة فى مسحاته العامودية التى تظهر رسومها فى آثار الآشوريين ، أو يحمل على كتفيه وهو يعود الى كوخه فدانه الخشبى البدائى الذى لا يختلف عما يظهر فى المخططات السومرية ، لابد وان يظهر له ان لهذا العراقى أصولا وجذورا تمتد على أقل تقدير الى ما قبل العهد العربى فى البلاد » .

وفى مؤلف آخر[4] يقدم سيتن لويد أدلة أخرى على رأيه . فحين يتحدث عن سكان الاهوار يقرر أن « حياتهم وظروفهم تشابه لحد بعيد حياة اولئك الاقوام القدماء الذين استوطنوا الدلتا التى كانت فى دور الجفاف فى عصور ما قبل التاريخ ، وان مضايف شيوخهم الجميلة المدورة التى تشبه بناء الكنائس والمبنية كلها من القصب والطين تقرب لحد كبير جدا من ما يمثل الهياكل الاصلية للمعابد السومرية فى الالف الرابع قبل الميلاد » .

ان ثلاث نقاط جوهرية لابد وأن تؤخذ بنظر الاعتبار عند مناقشة

(١) لا يصنع سكان الاهوار فى جنوب العراق الآن زوارق من قصب ولم اسمع مطلقا رغم كثرة استقصائى هذه الحقيقة فى مناطق عديدة من الاهوار بان مثل هذه الزوارق كانت تصنع قبلا .

(٢) نفس المرجع صفحة ٤٥ .

(3) Seton Llyod: Iraq, Oxford Pamphlets on Indian Affairs, No. 13, Bombay, 1934, pp. 17-18.

(4) Foundation in the Dust, Oxford, 1947, p. 20.

النظريات الخاصة بأصل سكان الاهوار فى العراق : الاولى ان من المهم أن نفرق عنصريا Racially وحضاريا Culturally بين «المجموعة الشرقية» من سكان الاهوار ، كالمعدان والبو محمد وغيرهم من عشائر أهوار دجلة من جهة ، وبين « المجموعة الغربية » من سكان الاهوار غير المعدان من جهة أخرى . ثانيا ، يبدو ان لا خطر فى الادعاء بان عشائر سكان اهوار دجلة ، أى المجموعة الشرقية ، كانوا منذ أزمنة بعيدة على اتصال وثيق مع جيرانهم الشرقيين ؛ سكان ايران ، عن طريق الهجرات والتزاوج . وعلى نفس المنوال كان سكان أهوار الفرات ، أى المجموعة الغربية ، على اتصال مع جيرانهم البدو . والنقطة الثالثة ان كافة سهول الدلتا المنبسطة فى جنوب العراق التى يكوّن موطن سكان الاهوار جزءا منها كانت موطن الامبراطوريات البابلية والسومرية القديمة .

وهكذا ، يبدو معقولا أن نعتقد ان قسما من سكان أهوار العراق تحدروا عن أصول بابلية وسومرية وتعرضوا لكثير من الاختلاط المسبب عن الهجرات والتزاوج مع الايرانيين فى القسم الشرقى فى منطقة الاهوار ومع بدو الجزيرة العربية فى القسم الغربى ، والقسم الآخر هاجر ولجأ الى الاهوار جماعات وعشائر من ايران ومن الجزيرة العربية فتأقلم وفقد الكثير من صفاته الاصلية .

ان مثل هذه النظرية تأخذ بنظر الاعتبار وجهات نظر كل من علماء الانثروبولوجى والآركيولوجى وفى الوقت ذاته تفسر الفوارق الحضارية والعنصرية بين المجموعتين المتميزتين من سكان الاهوار كما هما فى الوقت الحاضر .

٤ — البيئة الطبيعية

ربما كانت منطقة الاهوار فى العراق من أوسع مناطق الاهوار فى العالم . فتقدر[1] مساحتها مع الامتدادات الصحراوية التى تتخللها بما يساوى

(1) Dimmock, L. The Waterways of Iraq. Journal of the Royal Central Asian Society, 1945.

عشرين الف كيلو متر مربع • فمن العمارة وهى المدينة الرئيسية فى منطقة أهوار دجلة الى القرنة يجرى نهر دجلة باتجاه جنوبى والى شرقه تمتد الاهوار الى ما وراء الحدود الايرانية • ويجرى الفرات فى اتجاه جنوبى من الكفل الى الناصرية ثم باتجاه شرقى الى القرنة والى جنوبه بين سوق الشيوخ والبصرة يقع هور الحمار البالغ طوله حوالى السبعين ميلا •

وهناك ثلاث مجموعات من الاهوار فى جنوب العراق • مجموعة اهوار دجلة التى تمتد على وجه التقريب من البصرة الى الكوت بين دجلة والحدود الايرانية • وأهم أهوار هذه المجموعة هى أهوار الحويزة والسنية ولعطيم وعودة • ومجموعة أهوار الحمار التى تمتد من كرمة علي التى تقع على بعد خمسة أميال شمال البصرة ، الى سوق الشيوخ والبو صالح والشطرة حول نهاية نهر الغراف • وأهم أهوار هذه المجموعة هو هور الحمار • والمجموعة الثالثة هى أهوار الفرات التى تمتد من الخضر الى الكفل وهى تتألف من عدد من أهوار صغيرة بين فرعى الفرات ؛ الحلة والهندية •

وهناك امتدادان صحراويان يتخللان هـذه المجموعـات الثلاث من الاهوار ؛ الاول يقع بين نهرى دجلة والغراف والثانى بين نهرى الغراف والفرات •

لقد تكونت منطقة الاهوار كلها فوق سطح البحر القديم من الغرين الذى رسبه النهران التوأمان• ورغم ان كافة السهول في هذه المنطقة شديدة الخصب جدا فان الكثير من هذه السهول الغنية لا يمكن زرعه لاحتوائه على مقادير كبيرة من الملوحة • والارض شديدة الانبساط لا يُرى فيها من المرتفعات غير تلال واطئة هنا وهناك يعتقد ان أغلبها مواقع مدن أثرية قديمة •

ولقد قدر انه من شهر مارت الى تموز حين تعلو المياه فى نهرى دجلة والفرات يغطى الماء فى منطقة الهور مساحة لا تقل عن اربعة الاف ميل مربع تضم الاهوار العميقة الدائمة وتصل بينها وتحيط بها مسافات من المستنقعات

الضحلة المغطاة بنمو كثيف من القصب والبردى • وحين ينحسر الماء فى النهرين تتحول المستنقعات الضحلة الى ارض يابسة وأما الاهوار العميقة فيقل الماء أو يجف فى أقسامها القليلة الغور فى حين تبقى أقسامها العميقة كبرك وبحيرات دائمة •

وتغطى وجه ماء الاهوار فى أغلب أقسامها باستثناء العميقة منها امتدادات واسعة من القصب والبردى • فبين نقطة قرب العمارة وأخرى قرب الحويزة يمتد نمو متصل من القصب والبردى الى ما يقرب من ثمانين ميلا •

ان عمق الماء فى أغلب اجزاء الاهوار يتراوح بين اربعة وخمسة أقدام ولكنه يكون أكثر عمقا فى مناطق معينة • فلقد سجل فى بقعة معينة فى هور الحويزة عمق يقرب من عشرين قدما •

ان من المحتمل الا تتجاوز مساحة الاهوار الدائمة ثلاثة ارباع مساحة الاهوار ابان موسم الفيضان • وتنتج الارض المحاددة للهور والتى تتعرض للانغمار بالماء كل سنة بشكل منتظم أكثر كميات الارز والذرة التى ينتجها العراق ، فى حين ينمو البردى وخاصة الفصيلة المعروفة باسم Typha latipholia على الاقسام التى لا تزرع من هذه الاراضى المحاددة للاهوار • اما النبات الآخر الكثير النمو في الهور فهو القصب Phragmites karka Trin الذى ينحصر نموه فى الاهوار الدائمة • ويغطى قعر الهور وسطح مائة فى كثير من المناطق نمو كثيف من نباتات مائية عائمة •

٥ ـ الاساليب الاقتصادية المختلفة

يمكننا ان نقسم سكان الاهوار باعتبار اساليب حياتهم الاقتصادية الى رحل Nomads وجماعي قصب Reed-gatherers ومزارعين Cultivators فالرحل ، وهم المعدان يتكونون من قسمين ، القسم الشرقى الذى يقطن هور الحويزة وهم فصائل من (حمايل) مختلفة من عشيرة البو محمد[1] تتنقل

(١) عشيرة كبيرة تقدر نفوسها بعشرين الف نسمة اغلبهم مزارعون يسكنون مساحة واسعة على ضفاف نهرى دجلة والمجر الكبير فى لواء العمارة •

بين الكسارة والعمارة ، والقسم الغربى القاطن فى هور الحمار الذين هم فى أغلب الاحوال نواشي وعكيل وسريحات وعمايرة يتنقلون فى هور الحمار بين الچبايش وكرمة علي وسوق الشيوخ • ويجب ان نضيف الى هذين القسمين عشيرة الفرطوس وهم اصلا حمولة من حمايل عشيرة البو محمد انفصلت عنها مؤخرا وكونت عشيرة مستقلة تتنقل بين هور العبد والچبايش وقد اتخذت ، فى السنين الاخيرة ، العويدية والعبد وايشان ابو الصخير مواطن لها •

يعتمد المعدان اقتصاديا على قطعان الجاموس التى يملكونها • فالعائله الثرية تملك اعتياديا بين سبع جاموسات وعشر والمتوسطة الثراء بين ثلاث وخمس والفقيرة بين ثلاث جاموسات وجاموسة واحدة • وقيمة الجاموس فى البانه • فهو لا يذبح أو يباع خاصة اذا كان كامل النمو أو منتجا • ونادرا ما يذبح فحل الجاموس البالغ من العمر سنة واحدة أو ما يقرب منها • ويستهلك قليل من (البياض)(١) اصحاب الجاموس أنفسهم • فهو عادة يحول الى زبد أو دهن ويباع الى دكاكين متنقلة على زوارق تجوب الأهوار • أو يأخذه اصحابه الى المدن والقرى المجاورة ليباع فى أسواقها •

ويبتاع المعدان أغلب طعامهم من أسواق القرى والمدن الواقعة فى الاهوار أو على أطرافها • ويحصلون بعضا على الحبوب اما بمقايضة البانهم مع جيرانهم المزارعين أو بالعمل فى المزارع القريبة فى موسم الحصاد فى أجور عينية تدفع حبوبا •

لا تزاول عوائل المعدان الثرية عملا غير تربية جاموسها ورعايته • ولا يوجد معضل فيما يتعلق بتوفير العلف للجاموس ما دامت هذه الحيوانات تقتات على القصب الاخضر اليافع والبردى وكلاهما ينبتان فى الهور بكثرة • ويشترى المعدان فى فصول معينة من السنة حقوق الرعى فى الحقول التى تم حصاد محاصيلها فى المناطق الزراعية المجاورة فيقطعون سيقان المحاصيل ،

(١) البياض يطلق محليا على الحليب ومشتقاته •

وهى عادة الذرة ، ويخزنونها لعلف حيواناتهم فى موسم الشتاء • والعائلة التى تملك عشر جاموسات فاكثر تستطيع أن تدخر مالا بأن تبيع عددا من الجاموس الصغار كل عام ومن بيع منتجات الالبان ، بينما تضطر العائلات الفقيرة ان تدعم دخلها عادة بحياكة الحصر أو بالعمل باجرة ،او ،وهذا مقصور على معدان هور الحويزة فقط ، بالزراعة بين ان واخر •

فحياكة الحصر تتخذ موردا اقتصاديا فى حالة توفر القصب فى أماكن قريبة • وتباع الحصر الى وكلاء أو تجار محليين أو قد تؤخذ فى بعض الاحيان مع شيء من القصب غير المحيوك الى المدن والقرى القريبة • ويعمل عدد كبير من المعدان فى حقول الارياف المجاورة للاهوار فى مواسم الحصاد الشتوى والصيفى بأجرة عينية ولا يباع الطعام المجموع من هذا العمل بل يختزن مؤونة للعائلة • ويذهب بعض المعدان ، وخصه من يعيش منهم قريبا من البصرة ، للعمل فى مكابس التمور لمدد تتراوح بين الثمانية والعشرة اسابيع فى الخريف ويكسبون أجورا واطئة طالما ينفقونها أبان اقامتهم فى المكابس •

ولابد من التأكيد هنا على أن الموارد الاقتصادية الثانوية التى يحصل عليها المعدان من حياكة الحصر والعمل بأجرة لا تكون الا جزءا يسيرا من اقتصادياتهم • أما صيد السمك فانه يستغل لاغراض الاستهلاك ولا يباع الا قليلا •

اما سكان الاهوار جماعو القصب فيمكن تقسيمهم الى مجموعتين : مجموعة الچبايش وهى مكونة بصورة اساسية من عشيرة بنى أسد ومجموعة هور الكسارة وهى مكونة من فصائل من حمايل مختلفة من عشيرة البو محمد •

يجمع القصب من الهور ويحاك حصرا تباع محليا أو تستبدل بالمقايضة بالطحين والقماش والضروريات الاخرى • وتؤخذ الحصر فى بعض الاحيان الى المناطق الزراعية لتستبدل بالشعير والذرة •

ولا يستطيع جماعو القصب ان يعتمدوا على جمع القصب وحده كوسيلة اقتصادية ذات كفاية ذاتية • ولذا فهم يدعمون دخلهم بالعمل باجرة وبتربية الماشية وصيد السمك • فمجموعة هور الكسارة يعتمدون على العمل بأجرة فى المناطق الزراعية المجاورة لهم في مواسم الحصاد الشتوى والصيفى • وتدفع لهم الاجور عينا فى الحاصل الاقل ثمنا كالشعير فى حالة الحصاد الشتوى والذرة فى الصيفى • وتزود بعض القرى القريبة من مراكز تجارة وشحن الحصر كالبطابطة ونهر أم الجرى المراكز بحمالين وعمال يقومون ببعض الاعمال التى تتطلبها أعمال تلك المراكز • ويربى سكان الاهوار هؤلاء الماشية فتزودهم بالغذاء وقد يباع قسم من البانها • اما صيد السمك وهو يجرى بـ (الفـالة)[1] عادة فانه يستفاد منه لاغراض الاستهلاك العائلى فقط •

ويعتمد أهل الچبايش ، المجموعة الثانية من جماعى القصب ، فى اقتصادياتهم بالاضافة الى تجارة القصب والحصر على زراعة صيفية غير منتظمة ولا مربحة وعلى تربية المواشى • ويستفيد قسم منهم من صيد السمك للاستهلاك فقط ولا تبيعه او تتجر به الا حمولة واحدة فقط هى آل غريج • وتكوّن الهجرة لمزارع الفرات للعمل فى موسم الحصـاد الشتوى والى الايشان ، وهى جزيرة قريبة فى الهور يهاجر اليها بعض سكان الچبايش لكى يكونوا قريبين من القصب فيتضاعف انتاجهم من الحصر فى موسم الشتاء ، والى هور العبد لصيد السمك ، والى مكابس التمور فى البصرة فى موسم الخريف ، كل هذه الفعاليات تكون موارد ثانوية فى اقتصاديات أهل الچبايش[2] •

اما المزارعون وهم الاغلبية الساحقة من سكان الاهوار فانهم يعتمدون

(١) الفالة رمح قصبى أو من خيزران مشدودة الى رأسه كف حديدية ذات ثلاثة أو خمسة أصابع مدببة حادة ، يستعمل لصيد السمك فى الاهوار •

(٢) لدراسة مفصلة عن اقتصاديات اهل الچبايش راجع الفصول ١١ ـ ١٦ •

بصورة أساسية على الزراعة وبالدرجة الثانية على تربية الماشية • فالزراعة تجرى مرتين فى السنة اذا سمحت بذلك حالة الفيضان ؛ فى الصيف حين يكون المحصولان الاساسيان الارز والذرة ، وفى الشتاء حين يكونان الحنطة والشعير • وتزرع الخضروات فى بعض المناطق على نطاق واسع للاتجار مع أسواق القرى والمدن المجاورة • وتربى الماشية خاصة بين سكان الاهوار المزارعين فى منطقة أهوار دجلة وتباع منتجاتها • فتقوم النساء عادة برحلات يومية الى الاسواق القريبة يأخذن معهن الحليب والزبد والجبن و « المطال » و « الجلة » (وهما نوعان من الوقود مصنوعان من روث الحيوانات) ويعدن بالسكر والشاى والتبغ والقماش والضروريات الاخرى •

٦ ـ القرابة Kinship والخلافة Succession

ان الارث Inheritance والخلافة Succession والولاء السياسى Political allegiance يحددها مبدأ النسب الابوى Patrilineal descent
فأكبر وحدة سياسية وهى العشيرة Tribe مكونة من عدد من الحمايل Clans تقطن عادة اقليما واحدا • ويوجد عادة جد تقليدى هو فى أغلب الحالات أب خيالى لمؤسسى الحمايل ورؤوسها • ولكن العشيرة ليست وحدة اقليمية ، فقد نجد حمايل أو أفخاذا منها تعيش في مناطق بعيدة عن موطن العشيرة التقليدى • وتحمل العشيرة بصورة عامة اسم جدها الذى عاش منذ مائتى أو ثلاثمائة سنة خلت • وتتكون الحمولة من أفخاذ Lineages عمرها أربعة أو خمسة أجيال Generations • كل فخذ منها يسكن عادة اقليما واحدا •

ويشعر أعضاء الفخذ الواحد بانهم أخوة مشتركون كافة فى الثأر والفصول كما يتحملون متضامنين مسؤولية أية جريمة يقترفها أى فرد من أفراد الفخذ • ويشعر أفراد الحمولة الواحدة بأواشج القربى حيال بعضهم البعض ويعرف بعضهم بعضا مهما كبرت الحمولة واتسع الاقليم الذى

تسكنه وهم يتحملون مسؤولية الجرائم التى يقترفها أفراد الحمولة ما عدا الجرائم التى تعرف (بالفسدة) أو (السودة) وهى الجرائم التى تعتبر منكرة أو مخلة بالشرف كقتل فرد من نفس الحمولة او خطف امراة او ما يشبه ذلك مما تقع مسؤوليته على فخذ المجرم او عائلته فقط وليس على حمولته •

٧ ـ النظام السياسى

ان الوحدة السياسية بين سكان الاهوار يمكن ان تكون واحدة من ثلاث :

أ ـ القرية Village التى تتكون عادة من عدة مئات من العوائل تنتسب الى عدد من الافخاذ الأبوية Patrilineages • وقد تكون هذه الافخاذ منتسبة الى حمولة واحدة وقد تكون تابعة لعدد مختلف من الحمايل • وتميل الافخاذ المنتسبة لحمولة واحدة ان تقطن على شكل كتلة واحدة والعوائل المنتسبة الى فخذ واحد ان تعيش فى مجموعة متراصة Cluster من الاكواخ • وتوجد في كثير من القرى مراكز للشرطة ولبعضها كالچبايش مدرسة ومستوصف وموظف ادارى •

وفى حالة كون الحكومة المركزية ممثلة برجال الشرطة أو موظف ادارى فى القرية ، فان ذلك الممثل يشاطر الشيخ أو السركال ومن يعاونهما السلطة السياسية ويتعاون معهم •

ب ـ (السلف) (ويدعى النزل فى مناطق أهوار الفرات) وهو لا يختلف اختلافا أساسيا عن القرية باستثناء انه أصغر حجما ويتكون عادة من أفخاذ تنتسب الى حمولة واحدة • ولا يكون السلف عادة مقرا للشيخ وليس له فى أغلب الحالات ممثل حكومى •

ج ـ (لبيوت) وهو عدد من الاكواخ لا تتعدى العشرين أو الثلاثين عدا ، تكون السلطة فيها لاكبر الرجال سنا وهو اعتياديا رئيس الفخذ الوحيد

الذى يكوّن سكانه (لبيوت) •

وهناك عدد من ذوى المراكز السياسية فى مناطق الاهوار الذين نود ان نتعرف على واجباتهم •

فالشيخ هو صاحب[1] الارض ، وهو الرأس السياسى للعشيرة ويرتقى لمنصبه عن طريق الوراثة • وللشيوخ سلطات واسعة على العشائر التى يترأسونها فى كثير من الشؤون كتوزيع الارض وحق السكنى ضمن المنطقة التى يهيمنون عليها وفرض الضرائب وما يشبه ذلك •

وبما أن الشيخ أمي في أغلب الاحوال فانه يعين (ملّة) يستطيع ان يقرأ ويكتب ليتولى مراسلاته ومراجعاته القانونية ويدير شؤونه المالية • ويقوم (الملّة) بتنفيذ أوامر الشيخ وينوب عنه فى كافة الشؤون الهامة • ويتمتع (الملّة) نتيجة لسيطرته على شؤون الشيخ المالية بنفوذ كبير على أهل بيت الشيخ ، ويصبح فى بعض الاحوال أكثر هيبة واحتراما من الشيخ نفسه ، خاصة اذا كان الاخير ممن يمضون جل أوقاتهم فى المدن بعيدا عن عشائرهم كما يفعل أغلبية الشيوخ الموسرين •

و (السركال) هو رئيس الحمولة وهو مسؤول بصورة مباشرة تجاه الشيخ الذى يعينه • فان لم يوجد شيخ فى المنطقة فالسركال مسؤول نحو ممثل الحكومة المركزية • وتتفق حقوق السركال وواجباته نحو الحمولة مع حقوق وواجبات الشيخ نحو العشيرة •

و (المختار) هو رئيس فخذه وينال تلك الرئاسة بحكم كونه أكبر الذكور فى الفخذ سنا على ان يقترن ذلك بموافقة السركال والشيخ •

وقد يدعو الشيخ فى مناسبات خاصة المسنين فى السلف أو القرية ليتشاور معهم فى شؤون ذات خطر تهم المجتمع كله ويدعى أمثال هؤلاء المسنين (الاجاويد) وهم عادة رجال معروفون بالاخلاق الحسنة والرأى

(١) اننا لا نقصد بهذه الكلمة مالك الارض Land owner بل المتصرف بها Land holder .

الصائب • وكان (الاجاويد) وكافة مقاتلى العشيرة فى الازمنة السابقة يدعون فى حالة الحرب ليجتمعوا فى مجلس حربى ويناقشوا الموقف الراهن وخطط الحرب • وكان مثل هذا المجلس يدعى (العمرة) ويحق لكل من يحضره ان يعبر عن رأيه بحرية ولكن القرارات كانت دائما تتخذ من قبل الرئيس •

ويعين بعض الشيوخ ، خاصة شيوخ أهوار دجلة (وكيل) يرسلونه ليقيم موقتا في قرية أو سلف لينفذ أوامر معينة • والوكيل عادة فرد من (حوشية)[1] الشيخ الكبيرة التى تقوم بوظائف عدة كالاشراف على الامن فى القرية أو السلف أو ايصال الرسائل الشفوية او التجذيف فى مشاحيف الشيخ أو الخدمة فى بيته • وكل هؤلاء يتسلمون رواتب عينية من الشيخ •

٨ – المعتقدات والطقوس الدينية

ان سكان الاهوار فى العراق مسلمون من اتباع المذهب الجعفرى (شيعة) ولكنهم ليسوا بحال من الاحوال شديدو التمسك بدينهم • ان مدار اعتقادهم الدينى هو الامام عليّ بن أبى طالب وأولاده •ورغم انهم يعتقدون كبقية المسلمين بالله وبرسوله فانهم قد أطرحوا كثيرا من واجبات الاسلام الاساسية وتوجهوا بالكلية ، فيما يخص الاعتقادات والعبادات ، الى الولاء للائمة • فهم يعتقدون ان هذا الولاء هو أساس المعتقدات وان اظهار هذا الولاء هو الفرض الوحيد الواجب اداؤه • وهكذا فهم يؤدون بالاضافة الى الصوم والصلاة ، اللتين تؤديان بندرة ، الطقوس التالية : الحزن على مقتل الامام الحسين ، وزيارة مراقد الائمة فى الكاظمية وكربلاء والنجف ومشهد فى شمال ايران ، ودفن الموتى فى مدينة النجف •

فيعبر عن الحزن على مقتل الامام الحسين ، ثانى أولاد الامام عليّ ، وأهله واتباعه فى موقعة كربلاء ، بـ (قرايات) ، وهى اجتماعات دينية منظمة تستمر عشرة أيام تقرؤ فيها فصول من حوادث الموقعة المثيرة بطريقة

(١) من الكلمة الفصحى حاشية •

تلعب بمشاعر المجتمعين ويصحب هذه القراءة بكاء وعويل وفى الايام الثلاثة الاخيرة يضاف للبكاء اللطم على الصدور • ويبلغ الحماس فى اظهار الحزن أشده فى الليلة الاخيرة ، ليلة العاشر من محرم وفى صباحه •

ومن الطقوس البالغة التقديس الزيارات لمرقد الامام عليّ بن أبى طالب فى مدينة النجف ومرقدى الامامين الحسين والعباس فى مدينة كربلاء ومرقد الامام موسى الكاظم فى الكاظمية والامام عليّ الرضا فى مشهد فى شمال ايران • فالفقراء من سكان الاهوار يدخرون المال لكى يقوموا بواحدة من هذه الزيارات • ويعتبر القائم بمثل هذه الزيارات رجلا صالحا وذا منزلة دينية خاصة • وعند وصول (الزاير) الى عتبة المرقد يطلب اذن الامام فى دخول المرقد ثم يدور حول الضريح ثلاث مرات ويقبل سياج القبر • ويصحب هذه الطقوس صلواة وأدعية يقرأها (مزور) ممتهن يدّعى عادة انه سيد من نسل الرسول محمد فيسبغ على نفسه قدسية الصلة بالائمة الذين هم أولاد النبى •

ويعتقد سكان الاهوار انهم يستطيعون ان يضمنوا حماية الامام عليّ بن ابى طالب فى الحياة الآخرة اذا ما دُفنوا جواره فى أرض مدينة النجف المقدسة • ولذا فالجثث تجلب من أطراف منطقة الاهوار مهما نأت وصعب الوصول منها الى مدينة النجف بالزواق والسيارات والقطارات • فان تعذر جلب جثة الميت بعد موته توا فان الجثمان يودع كـ « أمانة » فى مدفن قريب لمدة من الزمن حتى يصبح فى مقدور عائلة الميت ان تنقل جثمانه الى أرض النجف المقدسة • ومن الزم واجبات أفراد الحمولة الواحدة ان يساعد بعضها بعضا فى نقل أمواتهم الى النجف ان كانت تلك المساعدة عن طريق جمع المال أو المشاركة الفعلية فى النقل •

يعتقد سكان الاهوار بان المسلم يستطيع ان يضمن الخلود فى الجنة فى الحياة الآخرة ان كان قد عبر عن ولائه للائمة وزار واحدا أو أكثر من مراقدهم المقدسة فى حياته ودفن فى أرض النجف بعد وفاته •

٩ ـ الاتصال بالمدن والهجرة اليها

ان اول اتصال على نطاق واسع بين سكان الاهوار والمدن والقرى المجاورة بدأ بعد الحرب العالمية الاولى نتيجة لتوغل الادارة العراقية واستتباب الامن فى ربوع الاهوار •

فلقد بدأ أهل الاهوار يلمسون بان اسواق المدن والقرى القريبة أماكن مربحة يمكن ان تباع فيها منتجات الهور • فبدأت نساؤهم بالقيام بزيارات يومية يحملن الى الاسواق الحصر والقصب والوقود المصنوع من روث الحيوانات والحليب ومنتجاته كـ « الروبة » والزبد والدهن والسمك والطيور وغير ذلك • وحين ظهر لسكان الاهوار ان هذه التجارة مربحة بدأوا يصرفون بعض مايكسبونه من السوق على أشياء كمالية كالسكر والشاى والتبغ وأنواع معينة من قماش رخيص (چيت) • وازداد الاتصال تدريجيا حتى فتح بعض الرواد من أهل المدن ، ثم بعد زمن فتح أهل الاهوار أنفسهم ، دكاكين فى مناطق الاهوار ، يبيعون فيها السكر والشاى والتبغ أول الامر ثم ازداد الاقبال على الكماليات حتى غدت بعض تلك الدكاكين الكبيرة تبيع الآن حتى أقراص الاسپرين وأقلام الرصاص[١] • وكان الاتجار مع هذه الدكاكين فى البداية وقفا على المقايضة بالحصر والسمك والحبوب فقط ثم استعملت النقود الى جانب المقايضة بحسب ما تقتضيه مصلحة صاحب الدكان • وبدأت الزوارق التى تستخدم كدكاكين عائمة (دكان مسيس) تجوب الاطراف النائية من الاهوار •

لقد شجعت تلك التجارة وذلك الاتصال مع القرى والمدن سكان الاهوار ان يفكروا بترك الاهوار موقتا أو بصورة دائمية • وكانت العوامل التى أغرتهم أولا استعداد الحكومة العراقية فى بداية العقد الثالث من هذا

(١) لابد من التنويه بان الدكاكين فى منطقة الاهوار خاضعة للشيوخ يتقاضون عنها ايجارات باهضة جدا ويضطرون سكان الاهوار ان يشتروا حاجياتهم منها فقط •

القرن لان تجند فى الجيش والشرطة المؤسستين حديثا عددا كبيرا من المتطوعين الشباب • لقد كانت فى الانضمام للجيش والشرطة فرصة حياة جديدة مملوءة بالامور المثيرة وبالدعة والكسب اذا ما قورنت بالحياة البرمائية لرجال الهور • والعامل الثانى ان النساء والرجال من اهل الهور وجدوا ان العمل فى المدن كحمالين وحراس ليليين وعمال بناء وخدم مربح للغاية •

ولقد اقترنت هذه العوامل المغرية الجاذبة بعوامل منفرة دافعة حملت بعض سكان الاهوار على هجرها • فأول هذه العوامل الهبوط العام في أسعار الحبوب فى العالم الذى كان جزءا من الوضع الاقتصادى العالمى المتردى فى نهاية العقد الثالث وفى بداية العقد الرابع من هذا القرن والذى استمر عدة سنوات • ولقد حدث هذا بنفس الوقت الذى اضطرت فيه الحكومة لرفع الضرائب على محاصيل الارض مما سبب كثيرا من عدم الارتياح • ولقد أوغل الشيوخ فى ابتزاز الفلاحين والتضييق عليهم بحجة هذه الضرائب المرتفعة ، وصاروا يزيدون فى ضغطهم على الفلاحين كلما ازداد ضغط الحكومة عليهم •

وهاجر سكان الاهوار آلافا ، تجذبهم مغريات الكسب في المدن وتدفعهم قساوة الشيوخ وتردى اسعار المحاصيل الزراعية ، ينشدون حياة أفضل • وبلغت حركة الهجرة من الاهوار ذروتها فيما بين عامى ١٩٢٨ و ١٩٣١ وكانت بعض النتائج الاجتماعية لهذه الهجرة انتشار البغاء بين النساء المهاجرات والسرقات فى المدن التى هاجر اليها سكان الاهوار اولئك • وبعد عام ١٩٣١ حدت البطالة وصعوبة ايجاد عمل لهذا العدد الضخم من المهاجرين في المدن التى هاجروا اليها من تيار الهجرة واوقفته عند حده • ولقد بدأت حركة هجرة أخرى فى السنين الاخيرة فى أهوار دجلة بسبب الاستغلال غير الاعتيادى الذى يلجأ اليه أغلب شيوخ تلك المنطقة • فبدأ الوف من الفلاحين يتركون الاهوار الى القرى والمدن المجاورة والى بغداد وحتى الى الكويت خارج القطر العراقى • ولاول مرة فى تاريخ الاهوار حدثت

اصطدامات مسلحة بين الفلاحين وقوات شرطة الحكومة التى تظاهر الشيوخ وتفرض ارادتهم •

١٠ – التمثيل الحكومى

لقد ظل سكان الاهوار محجوبين تماما عن العالم الخارجى حتى بدء الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ – ١٩١٨) • وحتى سياسة رجال تركيا الفتاة الاصلاحية فى العراق لم تمسس الاهوار ، ولم تكن الحكومة المركزية ممثلة هناك فى العهد العثمانى ما خلا قليل جدا من مراكز البوليس فى المدن والقرى الكبيرة المحيطة بمنطقة الاهوار •

وحين انتهت الحرب العالمية الاولى وتكونت الحكومة العراقية حظيت منطقة الاهوار بكثير من الاهتمام • فانشئت مراكز ادارية فى القرى وأقيمت مراكز للشرطة فى ارجاء منطقة الاهوار • وفى مطلع العقد الرابع من هذا القرن أفتتحت الحكومة مدارس ريفية فى بعض المناطق فى أكواخ من القصب كانت تدار كل واحدة منها في البداية من قبل معلم واحد • وبسبب التعاون الذى أظهره بعض أهل الهور الذين رغبوا فى ان يستفيد أولادهم من الثقافة وبسبب معاونة نفر من الشيوخ أنفسهم نجحت هذه المدارس نجاحا نسبيا مما شجع الحكومة على فتح مدارس جديدة وتوسيع المدارس القديمة • وفى الوقت المناسب أسست الحكومة مستوصفات فىالقرى الكبيرة وحتى مستوصفات سيارة فى زوارق بخارية ادخلت فى تلك المناطق لتصل القرى النائية فى قلب الهور • وهكذا ازداد نشاط الحكومة فتحقق تقدم ملحوظ فى هذا المضمار فى الخمس وثلاثين سنة التى مرت على تأسيس الحكومة العراقية • واليوم تدخل كافة اجزاء منطقة الاهوار تحت الوحدات الادارية وللقرى الكبيرة فى الهور موظفون اداريون وصحيون ومفوضو شرطة ومدارس ومأمورو بريد وفى بعض الحالات موظفو بيطرة ورؤساء بلدية • وبدأ سكان الاهوار يفقهون ويقدرون أعمال الحكومة • وخلقت

الخدمات التى تقدمها دوائر الشرطة والمدارس والمستوصفات جوا من الثقة اذ صار باستطاعة أهل الاهوار ان ينشدوا العون والتوجيه من حكومة تهب أكثر مما تأخذ •

ومن الطبيعى ان ينشأ تصادم قوى بين نفوذ الحكومة بسياستها الرامية لاسعاد سكان الاهوار والاخذ بيدهم وبين سياسة الشيوخ الذين كانوا منذ زمن سحيق يستغلون اتباعهم من سكان الاهوار • فعارض الشيوخ الاقوياء كل توغل من جانب الحكومة فى مناطق الاهوار ، وحتى مانع بعضهم انشاء مدارس ومستوصفات فى مناطقهم • فلقد اتضح لهم ان مثل هذا التوغل يهدد مصالحهم ويقوض سلطتهم • ولقد تعرقلت مشاريع الحكومة لانعاش العشائر القاطنة فيالاهوار بشكل أساسى حين بدأ الشيوخ انفسهم يصلون الى مراكز سياسة عالية فى الحكومة ، اذ أصبح كثير منهم نوابا وأعيانا فى مجلسى الامة ورقى قليل منهم الى منصب الوزارة • فتأخرت لوقت طويل كثير من الاصلاحات خاصة ما يتعلق منها بتسوية حقوق الاراضى لمجرد كونها ضد مصالح الشيوخ أنفسهم • ان هذا الصراع بين مصالح مئات الالوف من سكان الاهوار وبين مصالح العدد القليل من شيوخهم المتنفذين لهو أحد المعضلات الكبرى التى يجب على الحكومة ان تواجهها بسرعة وحزم •

الفصل الثالث

الجبايش وبيئتها

١ – الموقع

تقع الجبايش على نهر الفرات على بعد يقرب من عشرين ميلا غرب مدينة القرنة وست وستين ميلا الى الشمال الغربى من مدينة البصرة وعشرين ميلا شرق مدينة سوق الشيوخ وخمس وخمسين ميلا شرق مدينة الناصرية • وهى واقعة على الضفة اليسرى لما كان قبل عدة مئات من السنين مجرى نهر الفرات والذى هو الآن جزء من هور الحمار •

يفقد نهر الفرات شكله عندما يختلط بالنهاية الغربية لهور الحمار العظيم على بعد عدة أميال شرق سوق الشيوخ ويمتد معه بشكل قطعة مائية هائلة الانبساط تمتد من هذه النقطة فى اتجاه جنوبى شرقى حتى تخوم مدينة البصرة • ورغم أن مجرى الفرات القديم يمكن ان يشاهد قرب الجبايش فى أبان موسم هبوط الماء فانه ليس اعمق ولا أكثر ملائمة للملاحة من بعض مجارى الهور • وفى اثناء الفيضان عندما يتصل هور الحمار باهوار دجلة تصبح كل المنطقة قطعة واحدة متصلة من الماء •

٢ – نهر الفرات

ينبع نهر الفرات فى المناطق الجبلية فى تركيا بين بحيرة فان والبحر الاسود • وتقع مجاريه الرئيسية فى تركيا وسوريا ويدخل نهر الفرات العراق عند مدينة القائم •

وبعد ملتقى الفرات بالخابور على بعد مائتين وثمانين ميلا شمال هيت

لا تصب فى الفرات روافد غير ان بعض الوديان تزوده بين حين وآخر ببعض ماء الجزيرة السورية والجزيرة الشمالية •

ويصل الفرات دلتاه قرب الرمادى على بعد مائتين وسبعة عشر ميلا من الحدود العراقية • وينحصر النهر جنوب هذه المنطقة بين ضفاف تمنع غرق الاراضى الزراعية المحيطة به فى موسم الماء العالى •

ويتفرع الفرات جنوب المسيب الى فرعين كبيرين فرع الحلة وفرع الهندية اللذين يلتقيان على بعد مائة وعشرة أميال الى الجنوب الشرقى قرب السماوة • وكان ماء الفرات فى الماضى يجرى حينا فى فرع وحينا فى اخر • وبين سنتى ١٨٦٥ و ١٨٩٠ انتقل المجرى الرئيسى من الفرع الشرقى ، فرع الحلة ، الى الفرع الغربى ، فرع الهندية • وبعد عدة محاولات غير ناجحة لتوقيف هذه الظاهرة التى كانت تهدد فرع الحلة بالجفاف النهائى ، بنيت سدة الهندية وناظم الحلة فى سنة ١٩١٣ لينضما جريان الماء فى الفرعين • وبواسطة السد والناظم سيطر على فرع الحلة وأصبح فرع الهندية المجرى الرئيسى للنهر •

ويدخل الفرات جنوب الكفل مرحلة غير مستقرة تنعدم فيها السيطرة على مائه • فهو يتفرع فرعين مرة أخرى قبل دخوله منطقة الاهوار ؛ فرع الكوفة وفرع الشامية ، ويتجمع ماء الاهوار فى مجار عدة تتحد لتكون النهر مرة أخرى شمال الشامية • وبعد الشامية مباشرة يتفرع النهر مرة ثالثة ثم يظهر مرة أخرى كمجرى واحد قرب السماوة • ومن هذه النقطة يجرى الفرات ببطء ويتسرب كثير من مائه الى هور الحمار •

ويكون مجرى الفرات من النقطة التى يلتقى فيها فرعاه فى السماوة حتى ملتقاه بدجلة فى القرنة اوطأ من مجرى النهر الاخير • وربما كان موقع مدينة الناصرية هو النقطة التى كان يلتقى عندها فى وقت من الاوقات النهران العظيمان • ولا زال نهر الغراف الذى يجرى فى مجرى نهر دجلة القديم حتى اليوم يحمل كميات كبيرة من ماء نهر دجلة الى الفرات •

وعندما يجرى الفرات من قرب سوق الشيوخ حتى القرنة فى اتجاه شرقى تصب فيه مياه أهوار دجلة المتدفقة من الشمال والتى تجد طريقها اليه خلال مجارى الاهوار والترع المنتشرة فى تلك المنطقة بين النهرين • وهكذا تتضخم كميات مياه الفرات فى هذه المنطقة فتصبح فوق ما يتسع له مجراه القديم المتجه نحو القرنة ، فتتدفق معظم مياهه جنوبا والى الجنوب الشرقى الى هور الحمار مكونة منطقة شاسعة من ماء متصل ومستنقعات يجرى فيها المجرى الحديث للفرات متصلا بشط العرب فى كرمة علي على بعد خمسة أميال شمال مدينة البصرة • ولا يصل اليوم شىء من ماء الفرات الى شط العرب عن طريق المجرى القديم فى القرنة بل كل مائه يجرى الى شط العرب عن طريق المجرى الحديث الذى يصب فى الشط عند كرمة علي •

وفى المنطقة الواقعة شمال القرنة مباشرة تزداد كميات المياه الجارية في كلا المجرين نتيجة لانصباب عدد من السواقى والترع التى تعيد اليها بعض الماء من الاهوار • ولكن الماء الذى يعود من الاهوار يكون صافيا بعد ان يترسب غرينه فيها وحيث يفقد كميات هائلة من جرمه نتيجة للتبخر •

ويكون مجرى الفرات فى أقسامه السفلى متغيرا لجريانه فى أرض منخفضة رفعت فيها كميات الغرين العظيمة المترسبة قعره ، فصار الماء بحثا عن ارض واطئة ، يكوّن لنفسه مجارى جديدة • فانحدار قعر النهر ليس عظيما ، وهذا ما ساهم فى رفع قعره عن طريق تجمع الغرين • فان أعلى مستوى للفرات هو ١١١٥ قدما فوق سطح البحر فى پرەچك • وبما ان طول النهر من هذه النقطة حتى التقائه بنهر دجلة فى القرنة ١١١٧ ميلا فان معدل الانحدار قدم واحد فى الميل الواحد •

٣ – الهـــور

بين مدينتي سوق الشيوخ والبصـــرة وجنوب مجرى الفرات القديم الذى يجرى فى هذه المنطقة من الغرب الى الشرق ، يقع هور الحمار •

ويبلغ طوله حوالى سبعين ميلا من نهايته الشرقية الى نهايته الغربية حيث يتسرب ماؤه الى نهر شط العرب خلال منفذ يقع قرب كرمة علي • وينقسم هور الحمار بواسطة سلسلة من الجزر الصغيرة وامتدادات متصلة من نمو البردى والقصب الذى يتخلله عدد من المجارى المائية الملتوية القابلة للملاحة (كواهين) الى قسمين ، القسم الشرقى وهو الاعمق ويحتوى على قطع ماء متصلة مفتوحة ويبلغ عرضه قرابة ثلاثين ميلا من الشمال الى الجنوب • والقسم الغربى الذى يبلغ حوالى خمسة عشر ميلا عرضا وكثير من مجاريه المائية القابلة للملاحة ضحلة ومملوءة بالاعشــاب المائية التى تصير مرور الوسائط المائية ذات المحركات متعذرا • ومساحة هور الحمار كله تتجاوز الفا وخمسمائة ميل مربع •

وكانت منطقة هور الحمار كلها فى الازمنة القديمة مغمورة بالماء لانها كانت جزءا مما يطلق عليـه الان اسم خليج البصرة ، وكان النهران التوأمان يصبان فيه فى مصبين منفصلين • وملأ الغرين الذى كان يجلبه النهران ، كما يحدث فى الواقع فى هذه الايام ، فم الخليج الضحل فتحول ماء البحر الى هور مالح وتحول بعد ذلك الهور المالح بدوره الى ارض صلبة •

وهناك دلائل تاريخية على ان هور الحمار تكون فى حوالى عام ٦٠٠ ميلادية • فلقد وصف لوسترانج[1] كيف تكونت اهـوار جنوب العراق قبيل نهاية القرن الخامس الميلادى ابان حكم الملك الساسانى قوباذ الاول • « كانت السداد الموجودة فى أيامه والممتدة على طول ساحل دجلة كما كان يجرى فى ذلك العهد قد تعرضت للاهمال عدة سنين • وطغى المـاء فجأة فتدفق من عدد من الثغرات وأغرق كل الاراضى الواطئة الواقعة في الجنوب والجنوب الغربى » وفى عهد الملك الذى تلا قوباذ الاول اصلحت السداد اصلاحا جزئيا وعاد الفلاحون يزرعون الارض التى غمرها الماء مرة أخرى

(1) Le Strange, G., The Lands of the Eastern Caliphate, Cambridge, 1905, p. 26.

ولكن فى سنة ٦٣٦ ميلادية حدث أن « ارتفع الماء فى نهرى دجلة والفرات مرة أخرى بطغيان عات لم يعرف له مثيل من قبل • فدمر النهران سدودهما فى أماكن لا تحصى وغمرا كافة ما يحيط بهما من أرض بالماء »[١] •

ويقطن فى هور الحمار الآن كثير من (الطوايف)[٢] والمجتمعات الهورية • وتقع هذه (الطوايف) اما على حافتيه الجنوبية والشمالية او انها تقع منتشرة فيه • فأهم المجتمعات الرئيسية الواقعة على حافة هور الحمار الجنوبية هى الشويعرية والشاطى والچرباسى والجلعة وأصليل وأعلوي •

الشويعرية : وتتكون من قرابة مائة وخمسين عائلة كلهم من عشيرة بنى اسد ، باستثناء حوالى عشر عوائل من آل سعدون[٣] واتباعهم • والطايفة كلها تحت أمرة شيخ من آل سعدون • والمورد الرئيسى لمعيشة اهل الشويعرية هو استخراج الملح مما يقرب من خمسين بئرا وهم يبيعون الملح أو يقايضونه بالحبوب مع القرى والمجتمعات القريبة من منطقتى العمارة والغراف • وحين يتعذر استخراج الملح فى فصل الشتاء بسبب الامطار والرطوبة يصطادون السمك فى الهور • ويربى عدد قليل من العوائل الجاموس • ورغم ان الارض خصبة وان آل سعدون يملكون مضخة ماء للسقى فان بنى اسد القاطنين فى الشويعرية لا يزاولون أية زراعة ولذا فيضطر آل سعدون ان يجلبوا فلاحين من خارج الشويعرية للزراعة فيها •

الشاطى : تتكون هذه الطايفة مما يقرب من خمسين عائلة من عشيرة بنى اسد تحت أمرة شيخ من آل سعدون • وأهل الشاطى يزاولون الزراعة ويستخرجون الملح مما يقرب من خمسة وثلاثين بئرا وأربع عوائل منهم فقط

(١) نفس المرجع صفحة ٢٧ •

(٢) اننا نستعمل هذه الكلمة بالمفهوم المحلى الذى يعنى مجتمع أو ما يقابل Community •

(٣) عائلة كانت قوية جدا وكانت تملك أراضي واسعة وغنية جدا فى لواء المنتفك أبان الحكم العثمانى فى العراق • راجع الفصلين الثامن والعاشر •

تملك ما يقرب من عشرين رأسا من الجاموس •

الچرباسي : وهى شبه جزيرة تتحول الى جزيرة منفصلة عن البر تماما أيام الفيضان • وفى الچرباسى أربعة وتسعون كوخا تقطنها ست وستون عائلة منها ثلاث وستون عائلة من آل ونيس واثنتان من الحداديين وواحدة من آل خيون وكل هذه حمايل من عشيرة بنى أسد • وتوجد فى الچرباسى أكثر من خمسين بئرا لاستخراج الملح تكون المصدر الرئيسى لمعيشة السكان فيه • وأغلب الملح المستخرج يقايض بالارز والذرة مع فلاحى منطقة العمارة والغراف • وعندما يكثر السمك فى الهور فى شهر ايلول يزاول اغلب سكان الچرباسى صيده • ويباع الصيد عادة لتجار يرتادون الچرباسى او يؤخذ بالزوارق ليقايض بالتمر فى قرى قريبة • وفى مواسم الزراعة الصيفية يزرع أهل الچرباسى الذرة فيما يقرب من مائتى حبل[١] من الارض حول شبه جزيرتهم • وهناك بين اربعين وخمسين رجلا يزاولون الزراعة على أساس اعطاء ثلث الحاصل الى السركال صاحب الارض •

الجلعة : وهى جزيرة تقع على بعد عدة أميال من الحافة الجنوبية للهور تسكنها قرابة أربعين عائلة ؛ ثلاثون من الحداديين واثنتان من آل ونيس وهما حمولتان من حمايل عشيرة بنى اسد وأربع من قرية المدينة ، وهى قرية فى الهور تقع على الضفة اليمنى من المجرى القديم للفرات فى منتصف المسافة بين قريتى الچبايش والقرنة • اما بقية العوائل فهم معدان • ويتكون المورد المعاشى لاهل الجلعة من استخراج الملح من تسعة وثلاثين بئرا يقايض انتاجها بالحبوب فى منطقة الغراف ومن زراعة الذرة فى الصيف فقط •

أصليل : وهو مرتفع من الارض يبرز من الجهة الجنوبية من الهور ويقطنه ما يقرب من الف نسمه من عشيرة الحلاف • ويزاول السكان هنا

(١) الحبل مقياس محلى للارض مساحته ٢٥٠٠ متر مربع يستعمله اهل الچبايش ومن يجاورهم من سكان الاهوار ويسمى بعضا (گباله) او (مشارة) ، ويساوى ٦٢٥ر٠ من الاكر •

الزراعة والمحصول فى أغلب الحالات ذرة • وكثير من أهل اصليل يصطادون السمك بطريقة الطواريف وهى جماعات تتكون كل جماعة منها من عشرة الى أربعة عشر رجلا ويؤخذ الصيد الى اسواق البصرة للبيع كما انهم يربون الماشية ويستغلون الناتج من البانها للاستهلاك فقط • وفى السنين التى يطغى فيها الماء بصورة غير اعتيادية كسنتى ١٩٤٦ و١٩٥٣ يغمر الماء اصليل كلها فيهاجر أغلب سكانها الى الجلعة ويظلون هناك حتى ينحسرالماء عن مساكنهم •

أعلوى : وهى طايفة صغيرة فى أقصى الحافة الجنوبية يعتمد اغلب سكانها على الزراعة الصيفية • ويزرع فيها محصولان الذرة للاستهلاك والرقى الذى يرسل للبيع فى البصرة •

ويقطن الحافة الشمالية لهور الحمار عدة عشائر كبيرة منتشرة على شكل مجتمعات واسعة أهمها ما يلى :

بنى أسد القاطنون فى الچبايش : ويقرب عددهم من أحد عشر الف نسمة ويعتمدون فى كسب معاشهم على جمع القصب والزراعة الصيفية وتربية الماشية ومصادر أخرى •

بنى خطيط والبو شامه : الذين يقطنون قرية الحمار ، ويزاولون الزراعة الصيفية ويهاجر عدد كبير جدا منهم الى منطقة الغراف للعمل فى حصاد المحاصيل الشتوية ويهاجر بعضهم الى البصرة للعمل فى مكابس التمور •

آل حرب ولفهود والدبات : الذين يعيشون فى عدد من المجتمعات المنتشرة على الحافة الشمالية لهور الحمار وكل أفراد هذه العشائر مزارعون ويربون الماشية ويملكون عددا كبيرا من أشجار النخيل •

آل سماعيل وعبادة وبنى مشرف : وهذه عشائر كبيرة يزاول أفرادها الزراعة وتربية المواشى ولكن كثيرا من العوائل الفقيرة وخاصة فى عبادة وبنى مشرف يهاجرون كل عام للعمل بأجرة فى البصرة والغراف •

وبالاضافة الى هـذه المجتمعات التى تعيش على الحافتـين الجنوبيـة والشمالية للهور هناك كثير من مجتمعات المعدان تتكون بصورة اساسية من فصائل من عشائر عكَيل وسديده ودَناك ونواشى وسريحات ويتنقلون فى الهور متخذين لهم مواطن موقتة فى أجزاء مختلفة منه هى فى أغلب الاحوال فى الدبن وأماكن أخرى فى نهاية الهور الشرقية وكل هؤلاء المعدان يعيشون على ما ينتجه جاموسهم •

لقد أشرنا بايجاز لهذه المجتمعات لانها أولا تقع بأستثناء اصليل واعلوى فى حدود ناحية الچبايش ولان لاغلبها علاقات اقتصادية وسياسية مع الچبايش وبنى أسد •

٤ — الفيضان والرى

ان الفيضان السنوى للفرات مسبب عن ذوبان الثلوج فى الجبال على طول منابعه وهذا يحدث حوالى بداية شهر مارت ويتزايد بالتدريج حتى نهاية شهر مايس عندما يكون عادة فى أقصى ارتفاعه • فيستمر ماء النهر عاليا ومجراه سريعا لمدة ثلاثين أو أربعين يوما ،ولكن يحصل بعد ذلك هبوط يومى يصبح ضئيلا جدا ورتيبا قبيل الخريف ، ويكون الفرات فى اوطأ مناسيبه بين منتصف شهر ايلول ومنتصف شهر تشرين الاول وقد يبـدو كأنه ثابت لا يتحرك ، حتى يحل موسم المطر قبيل نهاية شهر تشرين الاول حيث تحدث زيادة غير ثابتة تستمر حتى نهاية شهر كانون الاول • ومن هذا الوقت حتى بداية شهر مارت يخضع النهر لتغيرات طفيفة فى علو مائـة وسرعة جريانه •

وللفيضان تأثير سيىء على الاقسام السفلى من نهر الفرات ، لان قعر النهر الذى ارتفع بسبب توالى تراكم الغرين فيه أصبح غـير قـادر على الاحتفاظ بمناسيب الماء العظيمة وصار يغرق كافة المنطقة المحيطة بمجراه من جوار مدينة الناصرية فنازلا ، مسببا اضرارا عظيمة وخاصة حين لا ينحسر

ماؤه فى وقت مناسب فتتعذر الزراعة الصيفية فى مناطق واسعة • ولقد ظل هذا الطغيان والغرق يحلان كل عام تقريبا منذ ان حصل التخريب الشامل المتقصد لاعمال الرى فى كافة ارجاء البلاد من قبل المغول عندما احتلوها فى القرنين الثالث عشر والرابع عشر • فلقد كانت تلك ضربة قاصمة لكافة اعمال الرى فى البلاد • يقول لونكرك(١) :

« وكانت أشد أعمال هولاكو تخريبا هو التدمير الذى جرى بموجب خطة مدروسة للسدود والنواظم التى كان نظامها القديم المحكم المنبع الوحيد للثروة فى البلاد • ولقد صيرت الاضطرابات وانعدام روح العمل فيمن بقى حيا من السكان بعد تلك المذابح اصلاح ما تخرب أمرا متعذرا كما جعل فقدان السيطرة على الانهار وتجمع الغرين والطمى فى قعرها ضبطها وتنظيم الماء فيها المعضل البعيد الحل بل وربما استطعنا ان نقول الميئوس منه والذى لم يحل حتى يومنا هذا » •

وهناك عوامل اخرى ساهمت بخلق وضع الفيضان والرى الحاليين خاصة فى الفرات الاسفل • فأولها انعدام الطرق الصناعية للسيطرة الفعالة على النهر من منبعه الى مصبه باستثناء بحيرة الحبانية التى يسيطر فيها على خزن الماء وسدة الهندية التى تنظم جريان ماء الفرات فى فرعيه الهندية والحلة ، وباستثناء عدد قليل من النواظم الصغيرة على بعض فروع النهر والتى يتكون كل منها من عدد بسيط من الابواب الحديدية •

وثانيها كميات المياه العظيمة التى تنحدر من دجلة الى الفرات بين الناصرية والقرنة لان مجرى نهر دجلة اعلى من مجرى نهر الفرات فيما بين هاتين المدينتين • ويظهر هذا بوضوح فى منطقة الجبايش وذلك لوجود الهور الدائم الممتد من الجبايش الى دجلة والذى يتدفق خلاله ماء دجلة بدون مقاومة الى الجبايش ونهر الفرات • وبالاضافة الى هذا تجرى ثلاثة

(1) Longrigg, S.H., Four Centuries of Modern Iraq, Oxford, 1925, p. 13.

من فروع دجلة هى البتيرة والمجر الكبير والمجر الصغير فى اتجاه جنوبى نحو منطقة الجبايش لتصب كميات هائلة من مائها فى الهور شمال قرية الجبايش •

وثالث تلك العوامل ان سكان السهول الغرينية فى ربوع الفرات قد تركوا لعدة قرون بكامل حريتهم يحفرون المجارى والقنوات ويبنون السداد والحواجز بما تفرضه عليهم ضروراتهم المحلية • وكان هذا يجرى فى المناطق الزراعية على نطاق واسع وخاصة فى منطقة زراعة الارز فى لواء الديوانية ، فتؤثر بشكل سىء جدا على الفرات الاسفل •

وفى ابان اقامتى فى الجبايش حدث أحد الفيضانات العظيمة • وكان اهل الجبايش يتذكرون فيضانا واحدا فقط اشد واعنف منه وهو فيضان عام ١٩٤٦ • وفيما يلى ملخص لسجل ضبطته اثناء موسم الفيضان للحالة فى القرية ادرجه كتصوير للوضع الذى يحدث فى الجبايش نتيجة للعوامل المذكورة اعلاه •

لقد بدأت مناسيب المياه بالارتفاع منذ بداية شهر كانون الثانى بشكل رتيب ولكن بكميات قليلة • ومنذ بداية شهر شباط اصبحت الزيادة ملحوظة فى النهر والهور المجاور واستمرت كذلك طيلة الشهر ، وبدأ اهل الجبايش يزيلون الجسور والمعابر القصبية وجذوع النخل التى كانوا يستعملونها كقناطر بين جزرهم • ومنذ اليوم العشرين من شهر مارت حتى نهايته ارتفع النهر والهور ارتفاعات مفاجئة سريعة وانغمر وجه كثير من الجزر الواطئة وبدأ اصحاب كافة الجزر الاخرى يرفعون سطوح جزرهم بفرش طبقات من البردى والقصب فوقها وهى عملية (التجبيش) • وقبيل نهاية شهر مارت بدأ كافة السكان يشيدون مصاطب قصبية مرتفعة (صوابيط) ليناموا فوقها • وما كاد ينتهى الاسبوع الاول من شهر نيسان حتى اختفت كل قطعة من من الارض فى القرية وبدأ اهلها يظهرون قلقهم ، حتى قبل حلول موسم ارتفاع الماء الشديد ، من الفيضان الذى كان طاغيا فوق العادة •

واستمر الماء يرتفع طيلة شهر نيسان ،وعجز عدد من سكان القرية عن حفظ سطوح جزرهم فوق مستواه فتركوها ليشاركوا عوائل اخرى مساكنهم ريثما ينحسر الماء • اما الذين مكثوا فى جزرهم فكانوا مضطرين أن يلجأوا لعملية (التجبيش) عدة مرات • وفى الايام الثلاثة الاولى من شهر مايس غرقت دكاكين السوق ودوائر الحكومة والمدرسة والبيوت المبنية بالطابوق على ساحل النهر ، ووجب ان يلجأ الى (التجبيش) فى كافة منشآت ذلك القسم من القرية بما فى ذلك دار الحكومة • وانشئت عدة ممرات ضيقة من قصب وبردى بين الدكاكين وبقية اقسام هذا الجزء من القرية •

وحافظ الماء على مستواه بين العاشر والتاسع عشر من شهر مايس ، ولكنه ارتفع فجأة وبشكل عنيف فى العشرين منه • وبدأ الناس يفقدون أملهم فى الزراعة الصيفية ذلك العام وفى التاسع والعشرين من شهر مايس جاءت آخر زيادة مفاجئة وكبيرة مما أدت الى غرق أعلى جزيرة حتى الجزر التى لا تغرق عادة فى موسم الفيضانات لعلوها الشديد بالقياس لبقية الجزر •

وبموجب التقويم المحلى ، يصل الفيضان اعلى مناسيبه بين بزوغ وغروب نجم يسميه اهل الجبايش (الثرية) وهى مدة عدادها خمسة وعشرون يوما • فاذا ما غرب هذا النجم فلا زيادة تحدث فى منبع النهر • وبما ان ماء الفرات – بعرف اهل الجبايش – يحتاج فى مثل هذا الوقت من السنة الى اثنى عشر يوما ليصل من منبع النهر الى الجبايش ، فانهم يعتقدون أن لازيادة في مستوى الماء فى الجبايش يمكن ان تحدث اذا ما تصرمت هذه الايام الاثنا عشر على غياب (الثرية) • ولكن ثبت خطأ هذه النظرية ؟ فلقد غرب النجم المذكور بحساب التقويم المحلى فى الثانى عشر من شهر مايس ، وحين حلت فى الجبايش زيادة طفيفة واخرى كبيرة فى اليومين السابع والعشرين والتاسع والعشرين من نفس الشهر على التوالى لم يكن بوسع اهل الجبايش أن يقدموا تفسيرا غير قولهم (هذا موش ماي ، هذا بلوة) •

ويعتقد اهل الجبايش بان الريح (المهب) تسبب نزول الماء ، ولذا فقد

ظلوا ينتظرونها بصبر نافذ • وبدأت الريح تهب فى اليوم الثلاثين من شهر حزيران • واستمر نزول الماء ببطء شديد حتى اذا ما وصل اليوم الثامن عشر من شهر حزيران كان مجموع نزول مناسيب الماء ستة انجات من مستوى اعلى منسوب بلغه • وفى اليوم التاسع من شهر تموز برزت بعض الجزر العالية جدا من تحت الماء • وفى العاشر منه كان الماء قد انخفض بما يساوى فوتين من اعلى منسوب بلغه • وفى الخامس من شهر آب برزت فوق الماء عدة جزر وبدأ اهل الجبايش يزيلون طبقات البردى والقصب وعادت كافة العوائل التى هجرت جزرها الى مساكنها • وعندما ابتدأ شهر ايلول كانت كميات المياه قليلة جدا فى ترع القرية ومجاريها المائية • وحوالى منتصف الشهر لم يكن فيها ما يكفى لسير الزوارق ، وترتب على ذلك ان اضطر السكان ان يعتمدوا فى تنقلهم بين جزيرة واخرى اما على الخوض فى الماء الضحل أو على التنقل فى النهر خاصة فى السفرات الطويلة •

وظل مستوى الماء ثابتا منذ نهاية شهر ايلول الى نهاية شهر تشرين الاول • ووصل أوطأ مناسيبه فى منتصف شهر تشرين الاول • ولقد أظهر أوطأ منسوب سجلته نزولا بلغ تسعة اقدام وخمسة انجات بالقياس لاعلى منسوب وصله الماء •

وبين نهاية شهر تشرين الاول وبداية شهر كانون الثانى خضع الماء لتغيرات بسيطة فقط ، ولكن طرأت بصورة عامة زيادة طفيفة على مستوى الماء •

ان المد الذى يحدث فى خليج البصرة فيرفع الماء فى شط العرب يصل تأثيره الى قرية الجبايش رغم ان ذلك التأثير ضعيف ونادرا ما يلاحظ • فيصل المد الجبايش مرتين فى اليوم رافعا مستوى الماء فى النهر وفى ترع القرية القريبة عدة انجات •

٥ ـ الطرق والمواصلات المائية

ان الماء هو طريق المواصلات الوحيد بين القرية والعالم الخارجى • وهذا الاتصال يتم بثلاثة اصناف من الوسائل المائية ؛ اولها زوارق بخارية صغيرة ذات محركات قوتها خمسة وعشرون حصانا ، ويوجد منها فى الچبايش اربعة فقط ، يملكها ستة رجال اثرياء من اهل الچبايش • وتعمل هذه الزوارق الاربعة بين الچبايش والقرنة وهى رحلة طولها يقرب من عشرين ميلا • ويعمل اثنان من هذه الزوارق كل يوم ؛ فيترك احدهما الچبايش نازلا الى القرنة ويغادر الثانى القرنة صاعدا الى الچبايش ثم يتلوهما الاثنان الآخران فى اليوم التالى •

والصنف الثانى هو العدد الكبير من الزوارق الصغيرة التى يملكها اهل الچبايش بصورة خاصة والتى يؤجر بعضها لاغراض النقل والسفر خاصة ما كان منها كبيرا • وتقوم هذه الزوارق برحلات قصيرة الى الهور لجمع القصب ، أو الى القرى والمجتمعات الهورية المجاورة لاغراض التجارة أو النقل • وهى تسيّر بمجاذيف (غراريف) أو تدفع باعمدة قوية من قصب (مرادى) • وتستخدم انواع من الزوارق الكبيرة تسمى (الكعود) لقطع المسافات البعيدة الى اهوار العمارة والغراف والحمار • وقد تستخدم الاشرعة الصغيرة فى الـ (كعود) وتسيّر عادة بالـ (مرادى) •

والصنف الثالث هو الزوارق الشراعية الكبيرة (بلام) وهى تستخدم بشكل اساسى للاحمال وبعضا لنقل الركاب • وعند السفر فى النهر ضد التيار قد يربط واحد أو اكثر من هذه الزوارق الكبيرة الى احد الزوارق البخارية ، وهى طريقة يكثر الالتجاء اليها فى فصول ومواسم معينة من السنة •

ان المواصلات النهرية بين الچبايش والقرى الواقعة اسفل النهر ، كالمدينة والقرنة ، متصلة مفتوحة طيلة اشهر السنة ولكافة اصناف النقل

المائى • ولكن المواصلات مع القرى والمدن الواقعة فى اعلى الفرات كسوق الشيوخ مثلا فانها ممكنة فى موسم الفيضان فقط ؛ من شهر مارت الى شهر تموز • ففى هذه الشهور الخمسة تسحب الزوارق البخارية زوارق شراعية كبيرة و (دوب) ينقل فيها معظم انتاج البوارى من الچبايش الى عدة مدن على نهر الفرات حتى الفلوجة شمالا • وتقوم زوارق الچبايش البخارية الاربعة برحلات عرضية الى سوق الشيوخ • وفى الشهور السبعة الاخرى من السنة تتوقف المواصلات بين الچبايش وسوق الشيوخ وغيرها من القرى الواقعة فى أعلى النهر الا ما كان منها بالزوارق الصغيرة • وحتى هذه فانها لا تستطيع المرور فى مناطق معينة كـ (المزلگ) وعلى ركابها اما تركها واكمال الرحلة على اليابسة ، او ان تسحب الزوارق باليد وتزلق فوق قعر الهور الضحل وعلى الرمال مسافات طويلة •

وفى الهور مسالك مائية عميقة ، تسمى (الگواهين) ، يعرفها اهل الهور ويستعملونها للملاحة بين مجتمعات واجزاء الهور المختلفة ويستخدمون فيها الزوارق الصغيرة (المشاحيف) أو الكبيرة الـ (كعود) •

وفى قرية الچبايش نفسها يستعمل السكان اصنافا مختلفة من الزوارق للمواصلات أو لجلب القصب من الهور ، وتدعى هذه الاصناف حسب سعة حجمها كالآتى : (ماطور) ، (چليكه) ، (مشحوف) ، (طرادة) ، وكل هذه مصنوعة من ألواح خفيفة من الخشب مغطاة من الخارج بالقار وتسير بالـ (غرافة) أو تدفع بالـ (مردى) • وهناك نوعان آخران وهما الـ (كعدة) والـ (بلم) وهما يبنيان من ألواح خشبية قوية ويسيّران بالاشرعة أو يدفعان بالـ (مرادى) •

والجدول الذى يلى ، والذى وضع على قياسات أخذت لاكثر من مائة واسطة مائية ، يبين أحجام هذه الزوارق •

جدول رقم (١)

احجام الزوارق والـ (بلام)

الواسطة المائية	الحد الادنى				الحد الاعلى			
	الطول		العرض		الطول		العرض	
	انج	قدم	انج	قدم	انج	قدم	انج	قدم
ماطور	١	١١	٥	٢	١٠	١٣	٨	١
چليكة	١	١٤	٩	٢	٤	٢٣	٤	٣
مشحوف	١١	٢٣	٨	٣	—	٢٨	١	٤
طرادة	٦	٣٤	٢	٣	—	٣٥	٣	٥
كعـدة	٥	١٣	—	٥	٩	٥١	٦	٨
بلـم	٧	٥٣	٢	٧	٦	٥٨	٣	٩

ولقد وجدت ان المائة وعشرين عائلة التى درست دراســة احصائية تملك (١٣٧) واسطة نقل مائية ؛ منها (٨٤) (مشـحوف) و (٣٨) (چليكه) و (١١) (كعدة) و (٤) (بلام) وليس فيهـا (ماطـور)أو (طرادة) • وكان عدد العوائل التى لا تملك واسطة مائية بالمرة (٢٠) وعدد من يملك واسطة مائية واحدة (٧١) واثنتين (٢١) وثلاثا (٨) عوائل • وكانت توجد واسطة مائية واحدة لكل ٢ر٥ شخصا •

٦ ـ الطقس

ان احوال الطقس فى العراق هى تلك التى توصف بالقارية شــبه الاستوائية التى تقع بعيدة عن محيط من المحيطات فتصبح شبه جافة ايضا رغم تساقط بعض المطر فى اشهر الشتاء • ان اهـم خصائص الطقس فى العراق هى الفرق الشاسع فى درجات الحرارة اليومية بين الليل والنهار والسنوية بين الشتاء والصيف والرطوبة الواطئة وانخفاض مستوى سقوط الامطار •

وتتراوح درجات الحرارة فى سهول العراق الجنوبيه بين شتاء بارد وصيف حار جدا • وهى متشابهة فى كل اجزاء السهول رغم وجود ميل نحو الارتفاع فى الجنوب • وأشد الاشهر بردا هى كانون الاول وكانون الثانى وشباط حيث يكون معدل درجات الحرارة اليومى بين ٥٠ و ٥٦ درجة فهرنهايت وقد ترتفع الى ٨٥ درجة وقد تنخفض الى ١٩ درجة • وفى اثناء هذه الفترة تكون الرطوبة النسبية فى الساعة الثانية بعد الظهر ما يقرب من ٥٠٪ • وابتداء من شهر مارت تأخذ درجات الحرارة بالارتفاع تدريجيا وبشكل رتيب حتى يحل اكثر شهرى السنة حرارة وهما تموز واب ، حيث يبلغ معدل درجات الحرارة ٩٥ درجة فهرنهايت ، وقد تتعدى الـ ١٢٠ درجة ، ولكن مع هذا قد تهبط درجات الحرارة فى الليل الى ٦٥ درجة • وعند حلول الربيع ثم فى الصيف تهبط نسبة الرطوبة فتصل الى أوطأ مستوى فى شهر آب حيث تبلغ معدل ١٥٪ فى الساعة الثانية بعد الظهر • وهـذا الانخفاض فى الحد الادنى لدرجة الحرارة والرطوبة النسبية مسببان عن هبوب الرياح الشمالية التى يستمر هبوبها طيلة هذه الفترة باستثناء فترات قصيرة من الهدوء • وتجلب هذه الرياح بهبوبها الهواء الجبلى البارد الجاف من سلسلة جبال زاغروس • وتبدأ درجات الحرارة بالانخفاض ببطء ابان شهور ايلول وتشرين الاول وتشرين الثانى • وحتى نهاية شهر تشرين الاول قد ترتفع درجات الحرارة حتى تقرب من ١٠٠ درجة فهرنهايت ، رغم حدوث ليال باردة • وتكون معدل درجات الحرارة فى هذا الشهر حوالى ٧٨ درجة فهرنهايت ومعدل الرطوبة النسبية حوالى ٢٣٪ فى الساعة الثانية بعد الظهر • وفى نهاية تشرين الثانى يكون الشتاء قد حل وقد نزل بعض الجليد •

ويمكن ان يعتبر موسم المطر من شهر تشرين الاول الى شهر مايس حيث لا يسقط فى الشهور الباقية من السنة مطر بالمرة • والمعدل السنوى

لسقوط المطر هو ٢٠٠ مليمتر والمعدل السنوى لعدد الايام الممطرة لبغداد والبصرة اذا حسبت كافة الايام ذات المطر البالغ ربع مليمتر فما فوق ، هو ٢٦ يوما •

والريح الكثيرة الهبوب هى الشمال التى تهب من جبال آسيا الصغرى وكردستان ويستمر هبوبها على طول وادى دجلة والفرات فتلطف فى الصيف لحدما الحرارة المرتفعة وتساعد على خفض مستوى الماء فى موسم الفيضان السنوى فى جنوب العراق وطول الفترة الاساسية التى تهب فيها ريح الشمال من عشرين الى ثلاثين يوما ، ولكنها فى العادة تنقطع لفترات قصيرة • وتبدأ هذه الفترة الاساسية بصورة اعتيادية فى النصف الاول أو فى منتصف شهر حزيران •

ويتفق الطقس فى الچبايش مع طقس العراق العام مع شىء من الاختلافات البسيطة • ففى الچبايش مثلا :

أ – ترتفع نسبة الرطوبة فى اشهر حزيران وتموز وآب •

ب – تكون الليالى فى شهرى كانون الثانى وشباط أشد برودة •

ج – تكون امسيات وليالى الصيف ، خاصة فى شهرى تموز وآب ، أشد حرارة •

٧ – الحياة الحيوانية والنباتية

تكون الحياة الحيوانية فى الچبايش بصورة اساسية من :

أ – الجاموس[1] : (Bos bubalus, Linn) وهو حيوان ضخم اسود ذو قرون مستقيمة ويعطى كمية كبيرة من الحليب •

ب – الماشية : (هوش) وهى محدودبة الظهر قليلا صغيرة الاجسام صفراء اللون هادئة الطبع اعتادت الحياة كربائط على الجزر الصغيرة ،

(١) ان بعض المعدان القاطنين حول الچبايش يربون الجاموس والنفر القليل جدا من أهل الچبايش ذاتهم الذى يربى الجاموس يحتفظ به خارج القرية •

وتعطى مقادير معتدلة من الحليب[1] •

ج – الخنازير المتوحشة (Sus scorfa) وهى كثيرة فى الهور • وسكان الچبايش ، ككافة المسلمين ، لا يأكلون لحوم هذه الحيوانات وحتى لا يمسونها لانها تعتبر نجسة ولحمها محرم اكله • ولكن هذه الحيوانات خطرة لانها تهاجم وتقلب الزوارق وتتلف المحاصيل الزراعية ولذا فان اهل الچبايش يقتلونها اينما وجدوها وتيسر قتلها •

د – الكلاب : وهى تربى لاغراض الحراسة فقط • وتعتبر هذه الحيوانات غير نظيفة ،ولذا فان كثيرا من اهل الچبايش لا يربونها لاسباب دينية •

هـ – السمك : توجد انواع كثيرة من السمك فى الهور والنهر • واغلب اصناف السمك تؤكل الا عددا يسيرا ، كالجرى ، يحرم أكلها لاسباب دينية • واكثر اصناف السمك وفرة فى الچبايش هى :

الگطان	(Barbus Xntopteurs, Heckel)
الشبوط	(Barlus Grypus Heckel)
البني	(Barlus Puntius Sharpei, Gunther)
شلج	(Asqius Varax, Heckel).
صبور	(Hilsa ilisha Alosas).
خشني	(Mugil Liza Misra).

و – (البش) Geese والبط Ducks : وهما فصيلتان منتشرتان من الطيور • واثناء الشتاء يكثر وجود (الحذيف) و (الحر) و (دياى الماى) ، وغالبا ما تصطاد هذه الطيور وتؤكل •

ز – البعوض (البگ) منتشر وكثير جدا فى موسم الصيف • وتوجد فى منطقة الچبايش ثلاث فصائل من البعوض اكثرها انتشارا فصيلة

(١) ستدرس الماشية بتفصيل واف فى الفصل الرابع عشر •

Anopheles pulcherrimus وهى ناقلة ضعيفة للملاريا . اما فصيلة Anopheles Stephensi ناقلة الملاريا الخطرة فانها ليست كثيرة الوجود .

ح – والذباب وكثير من حشرات صغيرة اخرى كثيرة الوجود خاصة فى فصلى الربيع والصيف .

ط – وفى الجبايش انواع متعددة من الثعابين تصبح كثيرة وخطرة ابان موسم الفيضان وقسم منها سام .

ان النبات العام الكثير الانتشار فى الجبايش هو :

أ – القصب[1] (Phragmites karka Trin) وهو ينمو فى الاجزاء العميقة من الهور .

ب – البردى : (Typha latifolia) ، وينمو فى كل مكان من الهور تقريبا وحتى فى مجارى القرى ومسالكها المائية . ويستعمل فى كميات ضخمة لرفع مستوى الجزر عن وجه الماء ابان الفيضان كما يستعمل علفا للماشية . وتبنى بعض الاكواخ الموقتة ، كالاكواخ التى يقيمها الفلاحون فى موسم الزرع على حقولهم البعيدة عن القرية وغيرها ، من البردى كما تلحّف فيه الجدران القصبية للاكواخ فى موسم الشتاء طلبا للدفء .

ج – وفى الجبايش والاهوار المحيطة بها انواع عديدة من الاعشاب والنباتات المائية ، يؤكل قليل منها كخضروات مع الخبز ويستعمل قسم آخر فى الطب المحلى . ولقد وجدت ان اهل الجبايش يميزون ويسمون الاعشاب المائية الآتية التى توجد كلها فى أو حول القرية والتى يمكن مشاهدتها طافية فوق سطح الماء أو تكسو قعر الهور والمسالك المائية فيه :

چولان ، شنبلان ، عرمط ، گاط ، مرّان ، فجيّل ، گعيبه ، مگطوع لصل ، ذيل العتوى ، بربين ، سهير البط ، سلهو ، سميره ، گرگر ، غزّيزيه .

(١) سندرس القصب ومواقعه ونموه وادامته بتفصيل في الفصل الثانى عشر .

٨ – السكان وتوزيعهم

يبلغ عدد سكان قرية الجبايش كما جاء فى احصاء النفوس العام لسنة ١٩٤٧ ، ٩٧٦٨ نسمة موزعة على حمايل العشيرة كالآتي[1] :

الحمولة	النفوس	
١ – آل الشيخ	٤٥٠٠	نسمة
٢ – آل غريج	١٢٦٣	«
٣ – الحداديين	١٢٠٠	«
٤ – آل خاطر	٧٧٣	«
٥ – بني عسچرى	٦٢٥	«
٦ – آل عنيسى	٤٨٧	«
٧ – آل ونيس	٤٥٠	«
٨ – آل لمعبر	٣١٥	«
٩ – آل ويس	١٥٥	«
المجموع	٩٧٦٨	

لقد اجرى احصاء النفوس العام فى شهر تشرين الاول حين كان كافة اهل الجبايش الذين يعملون فى مكابس التمور فى البصرة ما زالوا خارج القرية ، ولم يدخلوا لهذا السبب فى الاحصاء المذكور . ولقد قدرت وجوب اضافة قرابة الف شخص لمجموع السكان المذكور آنفا للوصول الى المجموع

(١) تقرير احصاء النفوس العام ، وزارة الشؤون الاجتماعية ، بغداد ، ١٩٥٤ . والغريب جدا ان هذا التقرير يشير الى أن نفوس قصبة الجبايش تساوى ٨٣ نسمة فقط ، وربما كان المقصود بذلك ليس القرية كلها وانما الجزء الصغير منها فقط المسمى (الناحية) . أما الرقم ٩٧٦٨ فقد استنبطناه من جمع نفوس حمايل بنى اسد وغيرها من السكان القاطنين فى الجبايش التى وردت اعدادهم متفرقة تحت ابواب مختلفة من ذلك التقرير . اما الناحية كلها ، أى قرى الجبايش والحمار والفهود وعباده وغيرها من المجتمعات الصغيرة فتبلغ حسب ما جاء في نفس التقرير ٢٩١٠٠ نسمة .

الحقيقي • وتبدو هذه الاضافة قريبة جدا من عدد العمال الذين كانوا خارج القرية اذا اخذ بنظر الاعتبار عدد العمال الذين هاجروا من القرية الى البصرة لنفس الغرض فى موسم (ايلول ـ تشرين الاول ١٩٥٣) وهو ٩١٠ نسمات بين رجل وامرأة وطفل[1] • وعلى هذا الاعتبار ، اذا اضفنا الف نسمة ، يصبح مجموع نفوس قرية الچبايش ١٠٧٦٨ ، أو ما يقرب من احد عشر الف نسمة •

لم يكن الحصول على معلومات تتعلق بالهجرة الدائمية من القرية ميسورا • ولكن ثبت بعد التحرى انه لم يتخذ غريب الچبايش مسكنا فى السنوات العشر الاخيرة وان كافة من فى القرية من غرباء هاجروا اليها قبل عدد من السنين واغلبهم فعل ذلك قبل الغاء المشيخة فى عام ١٩٢٤ ، فى حين أن هناك أدلة كثيرة على ان كثيرا من اهل الچبايش هاجروا منها فى الثلاثين أو الاربعين سنة الاخيرة • والجدير بالتنويه هنا ان الهجرة من الچبايش لم تكن مسببة من مشاكل الاراضى أو استغلال الشيوخ لاتباعهم كما هى الحال بين سكان اهوار العمارة ، بل يبدو ان الاسباب الرئيسية للهجرة كانت صعوبة الحصول على القوت وامتناع الزراعة بسبب الفيضانات العالية المتكررة •

ولكن يجب ان نستثنى من هذا الحكم حالة الصابئة[2] (الصبّة) الاقلية الدينية • فلقد كان عدد عوائل (الصبة) في الچبايش حتى وقت قريب قرابة مائة وعشرين عائلة تعيش بصورة أساسية على الحدادة وبناء الزوارق • ولكن أبان الاضطرابات السياسية التى عمت القرية بين سنتى ١٩١٤ و ١٩٢٤[3] صار بعض آل خيون ، وهم بيت الرئاسة فى عشيرة بنى أسد ، يعامل (الصبة)

(١) راجع الفصل الثالث عشر : (هجرات العمل الموسمية) •
(٢) للاستزادة عن الصابئة راجع الفصل السادس •
(٣) راجع الفصلين الثامن والتاسع عن التاريخ والنظام السياسى للقرية •

معاملة قاسية جدا بفرض ضرائب فادحة عليهم وبنهب ممتلكاتهم • فبدأ الصابئة يتركون الچبايش بالتدريج حتى انه لم يبق منهم فى عام ١٩٥٣ غير ثلاث عوائل فقط •

ويبدو ان هجرة أخرى من الچبايش حدثت اثناء احدى الحروب مع الحكومة العثمانية ، حين دحر الجيش العثمانى عشيرة بنى أسد فاضطرت الاغلبية الساحقة منها على الهجرة من ديارها الى الحويزة فى ايران لعدة سنوات • وكنتيجة لهذه الهجرة استقر بعض بنى أسد نهائيا فى ايران فى حين اتخذ البعض الاخر گرمة علي مسكنا دائميا له •

ان أغلب اهل الچبايش الذين هاجروا منها مؤخرا يسكنون الآن حافةهور الحمار الجنوبية فى الشاطى والشويعرية والچرباسي والجلعة وفى مارگيل من ضواحى البصرة • ولكن ليس لدينا معلومات عن تاريخ هذه الهجرات ولا عن عدد المهاجرين •

ان قرية الچبايش مسكونة بشكل رئيسي بعشيرة بنى أسد ، وهى عشيرة كبيرة قديمة لها فروع تعيش فى أجزاء مختلفة من العراق وفى الجنوب الغربي من ايران • وتضم الچبايش بالاضافة لبنى أسد فصائل من المعدان كالنواشي والسريحات وغيرهم ، يعيشون فى القرية اما بصورة دائمية أو يأمونها فى مواسم معينة • ويضاف الى ذلك عوائل الصابئة الثلاث • وحمايل بنى اسد موزعة فى القرية كالآتى :

آل خاطر : تقيم فى مجموعة الجزر الواقعة بين (گرمة)[1] بهيمة شرقا والنهر جنوبا و (گرمة) مسلم غربا و (المدار)[2] الفوگانى شمالا وهناك فصائل من حمولة آل خاطر تقيم على الضفة الشمالية من گرمة مسلم من النهر حتى مدار النزل ، فى جزر تمتد على طول الگرمة •

(١) (گرمه) وجمعها (گرام) تعنى ترعة ماء وهى اكبر من (الشگلة) واصغر من (الگاهن) و (المدار) •
(٢) (المدار) ترعة مائية طويلة ملتوية •

بنى عسچرى : تقيم فى الجزر المحصورة بين گرمة مسلم شرقا والنهر جنوبا وگرمة المچرى غربا ومدار النزل شمالا • ولهذه الحمولة فخذ واحد ، آل عبدالمير ، تقيم في مجموعة جزر واقعة شمال مدار النزل في نفس المنطقة• وهناك عدة عوائل من حمولة بنى عسچرى تقيم بالاشتراك مع بعض المعدان وبعض العوائل من حمولة آل خاطر فى مجموعة من الجزر على شكل مثلث يقع فى الشمال الشرقى من موطن آل عبدالمير •

آل ونيس : وتقيم هذه الحمولة بين گرمة المچرى فى الشرق وگرمة الشيوخ فى الغرب والنهر فى الجنوب ومدار النزل فى الشمال •

آل الشيخ : يقيم القسم الاعظم من هذه الحمولة فى الجزر الواقعة بين گرمة الشيوخ فى الشرق وگرمة الساجية فى الغرب والنهر فى الجنوب والمدار الفوگانى فى الشمال • وهناك ثلاثة أفخاذ من حمولة آل الشيخ تعيش خارج هذه المنطقة • اولها فخذ البو مسعود ويقيمون بين حمولة بنى عسچرى فى المنطقة المحصورة بين گرمة مسلم وگرمة المچرى الى الشمال من فخذ آل عبدالمير • وثانيها فخذ البخاترة الذين يقيمون فى مجموعتين منفصلتين بين حمولة الحداديين على الضفة اليسرى من گرمة أم الجذوع • فتقيم المجموعة الاولى على مدار النزل والثانية الى الشمال منها على المدار الفوگانى • اما الفخذ الثالث فهو البو زهرون وهم يعيشون بين حمولة الحداديين وحمولة آل عنيسى على مدار النزل •

الحداديين : وتتكون هذه الحمولة من حيث اقامتها فى القرية من اربع فرق • تقطن الاولى الجزر الواقعة بين گرمة الساجية وگرمة الدلية • والقريبون من الساجية يدعون (الحداديين أهل الساجية) والباقون يدعون (الحداديين البو عيدة) • اما الفرقة الثانية فتدعى (الحداديين آل رشيدة) وتقيم فى الجزر المحصورة بين گرمة أم الجذوع فى الشرق وگرمة عصيدة فى الغرب والنهر فى الجنوب وگرمة المدار الفوگانى فى الشمال • والفرقة

الثالثة وتسمى (آل عواد) ، وتقطن شمال آل ونيس بين گرمة المچرى وگرمة الشيوخ • والفرقة الرابعة من هذه الحمولة هى (آل هجول) التى تعيش بين حمولة آل خاطر على گرمة بهيمة •

آل لمعبر — وتقطن هذه الحمولة فى الجزر الواقعة بين گرمة الدليّة وگرمة أم الجذوع من النهر جنوبا الى المدار الفوگانى شمالا •

آل عنيسى — وتسكن الجزر المنتشرة بين گرمة عصيدة وگرمة أصيبح السادة من النهر حتى المدار الفوگانى •

آل ويس — وتعيش هذه الحمولة بين حمولة آل عنيسى بين گرمة أصيبح السادة وگرمة العويجة •

آل غريج — ويحتلون مجموعة من الجزر على شكل مثلث تكوّن اضلاعه النهر جنوبا وگرمة العويجة شرقا والمدار الفوگانى فى الشمال •

المعدان — وهناك عدد قليل من عوائل المعدان يعيشون شمال حمولة آل خاطر بين گرمة بهيمة وگرمة مسلم والمدار الفوگانى •

الصابئة — تسكن عائلتان من الصابئة مع حمولة الحداديين على گرمة أم الجذوع، اما العائلةالثالثة فتعيش مع حمولة آلغريج علىگرمة العويجة •

٩ — وصف القرية

تتكون قرية الچبايش من ما يقرب من الف وستمائة جزيرة صغيرة تمتد على شكل نطاق يحاذى النهر ويجاوز الثلاثة أميال طولا ويتراوح عرضه بين المائة والمائتى يارده • ويشكل النصف الشرقى من القرية هلالا نهايتاه نحو الجنوب وظهره نحو الشمال ، فى حين يمتد نصفها الغربى على شكل خط مستقيم باتجاه شمالى شرقى •

وتنقسم قرية الچبايش قسمين متميزين ؛ الناحية والنزل •

الناحية : وهى القسم الذى استحدث من تعلية سطوح الجزر بصورة مستمرة ومن ردم الترع والمجارى المائية التى تفصل بين تلك الجزر حتى

تكونت قطعة كبيرة من الارض • وكان هذا القسم من القرية الموقع الذى شيدت عليه بيوت ومضايف آخر شيوخ بنى اسد ، وبعد ذلك اصبح مقرا لمديرية ناحية الجبايش ودوائر الحكومة الاخرى ، ومن هنا جاءت تسميته بالناحية •

ويبلغ طول هذا القسم الآن ٦١٥ ياردة ولا يتجاوز الخمسين ياردة عرضا • ولهذا القسم رصيف من آجر مبنى على طول جبهة النهر مع قنطرتين مشيدتين فوق ترعتى الشرطة والغميجة فى نهايتيه الغربية والشرقية • ويبلغ طول القسم المبنى من هذا القسم ٤٥٤ ياردة مبتدأ من القنطرة الغربية ويتكون هذا القسم من :

أ – اربع وعشرين دارا ، بنت الحكومة عددا قليلا منها ويشغل أغلبها موظفو القرية ومعلموها •

ب – دار الحكومة والمستوصف والمدرسة •

ج – سوق القرية ويتكون من خمسة وستين دكانا تمتد على طول جبهة النهر •

اما المائة واحدى وستون ياردة الواقعة بين نهاية القسم المبنى وبين القنطرة فانها مشغولة بعدد من أكواخ القصب •

ولقد بدأت السلطات المختصة فى القرية مؤخرا تزرع بعض الاشجار على طول جبهة النهر كما ادخلت الاضاءة فى هذا القسم من القرية وهى مكونة من ستين مصباحا نفطيا موزعة على طول جبهة النهر فى السوق وعلى واجهات الدور والبنايات الحكومية •

النزل(١) :

ويتكون من مجموعة الجزر التى يقطنها سكان القرية ويجاوز عددها الالف وستمائة جزيرة مفصولة عن الهور بترعة كبيرة تجرى بمحاذاة النهر،

(١) تعنى كلمة النزل عند سكان اهوار الفرات مجتمعا اقليميا كبيرا • Territorial Community

ويفصل تلك الجزر العديدة بعضها عن بعض ما يقرب من عشرين ترعة تتفاوت فى الطول والعرض وكلها تجرى من الشمال الى الجنوب اى من الهور الى النهر •

والجزر صغيرة فى حجمها الذى يتغير بسبب صعود الماء وهبوطه • فاصغر جزيرة تقارب الستين ياردة مربعة فى حين تبلغ الجزر الواسعة المائتى ياردة مربعة • ويكوّن عدد من مجموعات من هذه الجزر قطعة واحدة متصلة من الارض ابان موسم هبوط المياه حين تجف الترع والمجارى المائية الصغيرة الضحلة وحين ينعدم الماء الا فى الترع الرئيسية العريضة • ولكن حين يعلو الماء فى موسم الفيضان لا يظهر فوق سطحه غير الاكواخ والمضايف تبرز من الماء ، وغير معابر وجسور من جذوع النخل والقصب تصل اجزاء البيت الواحد ببعضها أو تصله بمضيف العائلة •

ويمتد النزل جنوب الهور يحده شمالا المدار الفوگانى وهى ترعة ماء تجرى من الغرب الى الشرق بمحاذاة النهر وجنوبا النهر وشرقا گرمة بهيمة وهى ترعة عريضة تجرى من الهور الى النهر وغربا النقطة التى يتفرع فيها المدار الفوگانى من النهر •

وأهم الترع المائية التى تجرى من الهور شمالا الى النهر جنوبا بين النهايتين الشرقية والغربية للنزل هى :

١ – بهيمة •
٢ – گرمة مسلم •
٣ – گرمةزاير عبدالله •
٤ – المجرى •
٥ – گرمة الشيوخ
٦ – لغميجه •
٧ – گرمة الشرطة •
٨ – الساجية •
٩ – الدلّية •
١٠ – أم الجذوع •
١١ – گرمة بيت طاهر •
١٢ – عصيدة •
١٣ – أصيبح السادة •
١٤ – لعويجه •
١٥ – الشطرة •
١٦ – مجرى الصيخة •

وهناك ترعتان تجريان موازيتين للنهر ؛ أولاهما مدار النزل التى تقطع القرية طولا جارية من الشرق الى الغرب ومقسمة النزل نصفين يوشكان ان يكونا متساويين ومتقاطعة مع كافة الترع الجارية من الهور الى النهر • اما الترعة الثانية فهى المدار الفوگانى التى تكوّن الحدود الشمالية للنزل والتى تجرى من الغرب فى بداية النزل الى الشرق وراء نهايـة القـرية بمسافة بعيدة •

القسم الثاني

القرابـة والمجتمع المحلي

KINSHIP & LOCAL COMMUNITY

أ – عائلة متحدة

ب – عائلة مركبة مكونة من تزوج ارمل له اطفال من زواج سابق

ج – عائلة مركبة متعددة الزوجات

ملاحظة : ▲ : رجل متوفى ، △ : رجل حى ، ● : امراة متوفاة ،
○ : امراة حية ، = : متزوج من ،

مخطط (١)
العائلة المتحدة والعائلة المركبة

الفصل الرابع

العائلة والقرابة والزواج

THE FAMILY, KINSHIP & MARRIAGE

١ – العائلـــة :

ان النموذج المثـالى للعائلة فى الجبايش هـو العائلـة المتحـدة[١] Joint Family التى تتكون من الرجل وزوجاته وأولاده المتزوجين وزوجاتهم وأطفالهم ، يعيشون ويعملون معا كوحدة اقتصادية واحدة • وينفرط عقد هذه العائلة فى بعض الحالات عند موت الاب • ولقد حوت المائة وعشرين عائلة التى شملها الاحصاء الذى قمت به ثلاثا وثمانين عائلة (٦٩٫٢٪) ابتدائية Elementary Family ، تتكون كل واحدة منها من الزوج وزوجتـه وأولادهمـا ، وسبـع عوائـل (٥٫٨٪) مركبـة Compound Family تتكون من الزوج المتعـدد الزوجات وزوجاته وأطفالهم ، وثلاثـين عائلة (٢٥٪) متحدة[٢] • ويترأس العائلة المتحدة عادة الاب ، ولكننى وجدت تسع حالات من بين الثلاثين عائلة المتحدة كان الاخوان فيها قد ظلوا يعيشون معا بعد وفاة والدهم فتسلم الرئاسة الاخ الاكبر[٣] •

وتقيم كل عائلة على جزيرة واحدة • فان كان للعائلة مضيف فانه يبنى

(١) رغم علمنا بعدم لياقة هذا الاصطلاح ومطابقته للمعنى المقصـود فاننا لم نفلح فى ايجاد اصطلاح انسب • فالمعنى الحرفى هو (المشتركة أو المتصلة) •

(٢) راجع المخطط رقم (١) •

(٣) راجع الجدول رقم (٢) •

على جهة من الجزيرة والبيت على جهة اخرى • والجزر فى الغالب صغيرة لدرجة يغطى سطحها كله البيت والمضيف فيضطر الاطفال مثلا ان يلعبوا طيلة الوقت على سطح الماء فى الزوارق • ويقيم الزوج وزوجته وأطفالهم جميعا فى كوخ واحد • وتتخذ كل زوجة في العائلة المتعددةالزوجات Polygynous Family لنفسها كوخا خاصا ، وربما كان ذلك على جزيرة منفصلة مجاورة • ويجوز فى حالات قليلة ان تقطن العائلة المتحدة الواحدة التى تكوّن وحدة اقتصادية واجتماعية فى أكثر من جزيرة واحدة • وعلى الزوج المتعدد الزوجات أن يقضى ليلة فى كوخ واحدة من زوجاته على التتابع ، رغم انه يخزن حاجياته الشخصية فى كوخ احداهن • ويوجد فى كل جزيرة مرحاض ، واذا كانت العائلة كبيرة وغنية فتستعمل كوخا صغيرا بسيطا كمطبخ • وتنام العوائل الفقيرة فى كوخ واحد حتى لو كانت الواحدة منها مؤلفة من أكثر من الزوجين وأطفالهما • وينام الاطفال مع أمهاتهم حتى يبلغوا حوالى الثامنة من عمرهم فيفصلون حينئذ ولكنهم يداومون على النوم بنفس الكوخ حتى يتزوجوا • ويمضى أعضاء العائلة الواحدة سحابة النهار معا اثناء العمل أو الراحة ولا ينفصلون الا عند تناول طعامهم ، حين يأكل الرجال أولا وعلى حدة ، فان من الخزى على الرجال ان تأكل النساء معهم •

يبدو أن ندرة الجزر غير المسكونة تؤدى الى تعاون اوثق بين الاقارب • ولكن رغم هذا فان صعوبة تبديل محل الاقامة بعد مشادة أو خصام لا تمنع الانقسام والانشقاق بالمرة حتى بين أفراد العائلة الواحدة • فقد يعيش الرجل مع أخيه سنين على جزيرة صغيرة ومع هذا فهو لا يكلمه ولا يتصل به ، ولعل طبيعة العمل تمكن ذلك • فحياكة الحصر ، وهى المهنة الاساسية لاهل الجبايش عمل يمكن القيام به بصورة فردية • فمن الميسور ان يتشاغل الرجل بحياكة الحصيرة أو دق القصب أو تقشيره فيتجاهل وجود الشخص الذى قطع صلاته به •

ولا يترك الرجال عوائلهم حين يتزوجون • وبما ان الابناء لا يملكون ثروة أو ارضا خاصة بهم ، بل هم يعملون تحت أمرة الاب وله ، فان من الصعب على الابناء الذين يرومون العيش مع زوجاتهم على انفراد بعد الزواج ان يجدوا لهم جزرا يشترونها أو يستأجرونها ، كما لا تسمح أية عائلة لغريب ان يشاطرها السكنى فى جزيرتها الخاصة • وفى حالة حدوث نزاع بين الابن أو الاخ المتزوج وبين رئيس العائلة ، النزاع الذى يحدث عادة حين تكون الزوجة من غير فخذ زوجها ، فى هذه الحالة فقط يحاول الزوجان الانفصال عن عائلة الزوج الرئيسية • فان لم يفلحا فى الانفصال بعد الخلاف فانهما قد يستمران على العيش فى كوخهما باستقلال اجتماعى واقتصادى تام لا يحدثان بقية افراد العائلة ولا يتصلان بهم •

ان سكان قرية الجبايش بموجب احصاء النفوس العام لسنة ١٩٤٧ يبلغ ٩٧٦٨ نسمة وعدد عوائلها ١٦٠٤ ، ولهذا فان معدل نفوس العائلة الواحدة ٦ر١٠ شخصا • وكان مجموع أفراد المائة وعشرين عائلة التى أحصيتها ٧١٦ شخصا مكونة من ٥١٧ بالغا و ٩٩ طفلا • وكان عدد العوائل المكونة من ٤ ـ ٨ اشخاص ٨٩ عائلة أى ٧٢ر٢٪ من المائة وعشرين عائلة ، وعدد العوائل المكونة من ٩ ـ ١٤ شخصا ١٦ عائلة اى ١٣ر٣٪ من المائة وعشرين عائلة • وكانت ١٥ عائلة فقط (١٢ر٥٪ من المائة وعشرين عائلة) مكونة من ٢ ـ ٣ أشخاص • وكان معدل نفوسها ٥ر٩٦٥ شخصا •

وقد تحتوى العائلة فى الجبايش ، بجانب الازواج وأطفالهم واحدا أو أكثر من هؤلاء الاشخاص :

١ ـ أم الزوج ان كانت أرملة •
٢ ـ أخوات الزوج ان كن غير متزوجات بعد أو مطلقات أو أرامل •
٣ ـ نسوة أخريات من فخذ الزوج كعمته وأم أبيه اللواتى يكن غالبا غير متزوجات أو مطلقات أو أرامل •

٤ – أخوان أصغر من الزوج سنا ، متزوجون أو عزاب ، مع زوجاتهم وأطفالهم أو بدونهم .

جدول رقم (٢)

تكوين ثلاثين عائلة متحدة

التسلسل	الأزواج		درجة قرابة الرجال لرئيس العائلة	عدد الأولاد والبنات غير المتزوجين ممن هم فوق سن الثامنة	عدد الأطفال تحت الثامنة	عدد الأشخاص الآخرين الذين يعتمدون في معاشهم على رئيس العائلة	المجموع	مركز رئيس العائلة	درجة قرابة الأشخاص المعتمدين في معاشهم على رئيس العائلة ، غير الزوجات
	نساء	رجال							
١	٢	٢	أبن	٣	٢		٩	أب	
٢	١	٢	أبن	٢	٢	٢	٩	أب	بنت وأبنة أبن
٣	٢	٢	أبن	٤	١	١	١٠	أب	أم
٤	١	٢	أبن أخ	١	٤	٢	١٠	عم	زوجةأخ وأبنأخ
٥	١	٢	أخ	١	٢		٦	أخ	
٦		٢	أبن	٣		١	٦	أب	زوجة أب
٧	٢	٢	أبن	١	١		٦	أب	
٨	٢	٢	أبن	١			٥	أخ	
٩	٢	٢	أبنأخت	١	٣	١	٩	خال	أخت
١٠	١	٢	أبن	٢	١		٦	أب	
١١	٢	٢	أبن	١	١		٦	أب	
١٢	٣	٣	أخوان	١	٣		١٠	أب	
١٣	٢	٢	أبن	١	٢		٧	أب	
١٤	٢	٣	أبناء	١	١		٧	أب	

تابع الجدول رقم (٢)

التسلسل	الأزواج		درجة قرابة الرجال لرئيس العائلة	عدد الأولاد والبنات غير المتزوجين ممن هم فوق سن الثامنة	عدد الأطفال تحت الثامنة	عدد الأشخاص الآخرين الذين يعتمدون في معاشهم على رئيس العائلة	المجموع	مركز رئيس العائلة	درجة قرابة الأشخاص المعتمدين في معاشهم على رئيس العائلة ، غير الزوجات
	نساء	رجال							
١٥	٣	٢	أبن	٥	٢		١٢	أب	
١٦	١	٢	أخ	٢	١	١	٧	أخ	أم
١٧	١	٢	أبن				٣	أب	
١٨	٢	٢	أخ	١	٢	١	٨	أخ	أم
١٩	٣	٣	أخوان		٨		١٤	أخ	
٢٠	٢	٢	أخ		٤		٨	أخ	
٢١	٣	٣	أخوان		٤		١٠	أخ	
٢٢	٣	٣	أخوان		٤		١٠	أخ	
٢٣	٢	٢	أخ	٤	٤	١	١٣	أخ	أم
٢٤	٣	٣	أبناء		٢		٨	أب	
٢٥	٢	٢	أبن				٤	أب	
٢٦	٢	٢	أبن	١	٣		٨	أب	
٢٧	٢	٢	أبن	٣	١		٨	أب	
٢٨	٢	٢	أبن	٤	٢		١٠	أب	
٢٩	٢	٢	أبن		٢		٦	أب	
٣٠	٢	٢	أبن	٣			٧	أب	
مجموع	٥٨	٦٦		٤٦	٦٢	١٠	٢٤٢		

ان رؤوس هذه الثلاثين عائلة المتحدة :

١٩ أب (٦٣٫٣٪) ٠
٩ أخوان (٣٠٪) ٠
١ عم (٣٫٣٪) ٠
١ خال (٣٫٣٪) ٠

ولا يمكن اعتبار التبنى Adoption فى الجبايش عادة منتشرة فلقد سجلت ثلاث حالات فقط ٠ ويلجأ للتبنى لايجاد بيت ليتيم أو لان الوالدين يريدان القيام بعمل محمود يحصلان من ورائه أجرا وليكسبا به احترام المجتمع ٠ ومن المحتمل ان يلجأ الازواج العديمو الاطفال ،وهم قليلو العدد جدا فى الجبايش ، الى التبنى ٠ ولكن لا يمكن ان يتبنى طفل له والدان حيان لان أهل الجبايش يعتبرون اعطاء الولد لاناس آخرين يربونه وينشئونه خزيا ومنقصة ٠ ولذا فلا يوجد هنا احتمال قيام موضوع أجور تدفع لوالد الطفل المتبنى ٠ هذا بالاضافة الى ان الولد المتبنى لا يستطيع ان يرث ثروة ممن تبناه ، ما لم ينص المتبنى على ذلك فى وصية يتركها قبل وفاته ٠ ولا يتأثر المركز الاجتماعى للولد المتبنى بمركز الرجل الذى تبناه ٠ ولا يتبنى البالغون من الاولاد أو البنات ٠ ولا يوجد ميل للتخفى فى مزاولة عملية التبنى بل ربما كان العكس ما دامت هذه العملية تعتبر عملا صالحا وربما فضل مزاولها أن يعرف ويشتهر ٠ ورغم هذه الرغبة لا توجد حفلة تقام أو طقس دينى يطبق فى هذه المناسبة ٠

والعائلة أصغر وحدة اجتماعية فى الجبايش ، يرأسها دائما أكبر الرجال سنا ، وهو عادة الاب ، الذى تتصرف العائلة اجتماعيا واقتصاديا تحت سيطرته ونفوذه ٠ وينوب هذا الرئيس عن العائلة ويمثلها فى المجتمع وفى الخصومات ودفع التعويضات العشائرية ، حيث تتصرف العائلة كلها كوحدة لا تتجزأ ٠

والسلطة فى العائلة متروكة بيد الاب ٠ وهذا ناتج عن أسباب اجتماعية

واقتصادية ٠ فنظام القرابة فى الجبايش يقوم طبقا للنظام البدوى على أساس النسب(١) الابوى Patrilineal Descent ، ونظام السكنى بعد الزواج(٢) Patrilocal Residence أى أن الزوجة يجب ان تعيش مع زوجها فى بيت أهله ٠ ويتحمل الاب وحده كافة المسؤوليات الاقتصادية ٠ فللاب سلطة لا تقبل النزاع ممثلة فى امتيازاته وحقوقه ٠ ولكن هذه السلطة وهذا المركز يلقيان على كاهله عبئا ثقيلا ٠ فللاب الحق فى أن يضطر أى فرد من أفراد العائلة على طاعته وعلى العمل من أجل كيان العائلة ٠ وبالاضافة الى كون طاعة الاب تقليد قبلى فهى واجب دينى تنص عليها تعاليم الدين الاسلامى(٣) ٠

للاب مطلق الحرية فى التصرف فى ثروة العائلة وله الحق ان يطرد أو أن يطلق زوجته فى أى وقت ولاى سبب يعتقده كافيا ، مع احتفاظه بحق ابقاء اطفاله منها أولادا كانوا أم بنات وفى أى عمر كانوا بعد الرضاعة ، أو المطالبة بهم اذا ما ولدوا منه لامرأته المطلقة أو المهجورة ٠ وله الحق

---

(١) تقوم نظم القرابة فى المجتمعات البدائية على اسس نسب عديدة اهمها : النسب الابوى Patrilineal Descent والنسب الامى Matrilineal Descent والنسب الثنائى Bilateral Descent وهى التى ينتسب فيها الفرد الى مجموعة من الاقارب يرتبطون به عن طريق الرجال أو النساء أو عن الطريقين فى آن واحد على التوالى ٠

(٢) تفرض المجتمعات المتأخرة نظما معينة لسكنى الزوجين بعد زواجهما اهمها : الـ Patrilocal حيث تعيش الزوجة مع زوجها فى بيت اهله و Matrilocal حيث يعيش الزوج مع زوجته فى بيت أهلها و Neolocal حيث يعيشان مستقلين فى مسكن جديد و Bilocal حيث يحق لهما أن يعيشا مع أى من اهليهما ٠

(٣) لقد نص القرآن فى اكثر من مكان واحد على وجوب طاعة الوالدين مثل « وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر احدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما ٠ واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا » (سورة الاسراء ، الآيتان ٢٣ و٢٤) ٠ « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا » (سورة النساء ، الآية ٣٦) ٠

فى أن يضرب زوجته حين يشعر أن ذلك مناسب أو لازم • وللاب ان يقبل أو يرفض تزويج ابنته لاى رجل وباستطاعته ان يستولى على مهرها كله • وبما انه هو الذى يدفع مهر زوجة ولده ، فانه صاحب الحق فى ان يقرر ذلك الزواج • ولا يملك الاب امتيازات خاصة فيما يتعلق بالطعام أو الملابس ، ولكن كل امتيازاته مركزة فى الاحترام الذى يجب على كافة أفراد عائلته ان يظهروه له • فلاوامره قوة القوانين ، وكل أفراد عائلته ملزمون ان يتصرفوا بما يتفق ورغباته • ولكن يجب ان نتذكر ان سلطة الاب تميل نحو الضعف اذا ما كبر خاصة ان كان له ولد كبير وبصورة أخص اذا أصبح الوالد عاجزا عن السيطرة على شؤون العائلة • والاب مسؤول عن السلامة الجسمية لافراد عائلته ويجب عليه ان يثقفهم بحسب ما تقتضيه التقاليد القبلية • ويتمتع أب الاب أو الاخ الاكبر فى العوائل المتحدة بالسلطة والنفوذ على كل فرد من أفراد العائلة • فله فيها عين ما لرئيس العائلة الابتدائية من حقوق فى عائلته ويسيطر على الشؤون الاقتصادية كسيطرة رئيس العائلة الابتدائية على تلك الشؤون فى عائلته •

ويبقى الابناء تحت سيطرة الآباء يعاونونهم دون ان يكون لهم الحق فى جمع ثروة خاصة بهم • وحين يتزوجون لا يتغير مركزهم فى العائله الا قليلا ؛ فانهم يستمرون على العمل للعائلة تحت سيطرة الاب لا سلطة لهم الا على زوجاتهم ولا يتمتعون الا بقليل من الاستقلال • وقد يتمتع الابناء البالغون بسلطة كبيرة على أمهاتهم وأخواتهم ولكن بصفتهم ينوبون عن آبائهم ليس غير • وتبقى البنات تحت ضبط وسيطرة آبائهن حتى يتزوجن ليستبدلن تلك بسيطرة الازواج •

وللنساء مركز اجتماعى واطىء فى المجتمع • فهن محتقرات من قبل الرجال ويعتبرن مخلوقات ضعيفة العقل • ولا حق للمرأة فى اختيار زوجها أو تطليقه • وليس أدل على مركز المرأة من انها يمكن ان تعطى كزوجة لمن يدفع أعلى مهر أو الى العائلة أو الفخذ المختصم معه كتعويض عن جريمة

أقترفت من قبل رجل من عائلتها أو فخذها • وللنساء سيطرة قليلة على ابنائهن خاصة ان كن غريبات عن فخذ ازواجهن ، رغم ان اولادهن يحبونهن ويحترمون رغباتهن • وليس للمرأة راى مسموع فى الچبايش بصدد تدبير شؤون العائلة ، فأهل الچبايش يعتقدون ان نساءهم يعطين دائما مشورة فاسدة وعليه فهن قد يستشرن ولكن يجب ان يخالفن ويعمل بعكس آرائهن(١) • وليس للامهات حق فى القرارات النهائية الخاصة بالزيجات التى تقع فى العائلة ما دامت هذه الزيجات من أخص شؤون الفخذ والامهات قد يكن غريبات عنه • وتستطيع النسوة ان يوفرن مبالغ صغيرة من المال • وقد يبدأ هذا التوفير ، خاصة فى حالات الزوجات الغريبات عن الفخذ ، من المبالغ التى يجلبنها معهن كجزء من مهورهن ، وتنمى تلك المبالغ من مصادر مختلفة كالتوفير سرا من مصرف العائلة اليومى ، العادة التى تسمى (الحوز) أو من بيع البيض أو الدجاج للنسوة المعدان اللواتى يجبن القرية متاجرات بزوارقهن أو من غزل الصوف أو من بيع عجل ان كانت الزوجة تملك بقرة وغير ذلك • ولا يعترض الرجال على جمع نسائهم للمال ما دام هذا يمكن ان يستعمل عند الضرورة لخير العائلة •

ان الواجب الاساسى للامهات العناية ببيوتهن واطفالهن وتجهيز الطعام لكل فرد فى العائلة والعناية به • وعليهن ان يعتنين بالماشية ويشاركن بكافة الاعمال التى يقتضيها كسب العائلة كحياكة الحصر والزراعة كما يشاركن بقية أفراد العائلة • فأعمالهن البيتية لا تعفيهن من المشاركة فى كسب معاش العائلة •

ويضبط السلوك بين أفراد العائلة بتقاليد معروفة ولكنها تختلف كثيرا

(١) من الامثلة والاقوال المشهورة فى الچبايش التى تصور هذه الحقيقة وتصور مركز المرأة عامة ما يلي :
١ — شيروهن وخالفوهن •
٢ — كل اربعين حرمة بشاهد •
٣ — أهينك مثل ما أهين حرمتى •

باختلاف الافراد والظروف • فرغم وجود طراز مثالى للسلوك بين مختلف أفراد العائلة فان أهل الچبايش يختلفون فى درجة تمسكهم بذلك السلوك المثالى •

فالسلوك بين الوالد وأولاده قائم على أساس من الاحترام والطاعة • ولكن الاب ذا الولد الواحد كثيرا ما يميل الى التساهل فى علاقته مع ولده • كما ان سلوك الاباء حيال ابنائهم فى بيوتهم أقل جدا وصرامة من سلوكهم معهم خارج البيت ، خاصة ان كان اولئك الابناء يشاركون آباءهم المسؤولية الاقتصادية فى العائلة •

ويتغير سلوك الابناء بصورة طبيعية حين يصلون سن الرشد فيبدأ آباؤهم بالنظر اليهم كرجال فيستبدل كثير من الاحترام العميق بالالفة • ولا يتصل الآباء ببناتهم اتصالا وثيقا • وحين تبلغ البنات النضج الجنسى تتحول تلك الصلة مع آبائهن الى شىء من التجنب • وحين يحتجن آباءهن بأمور ذات خطر ، فانهن كثيرا ما يستعملن امهاتهن كوسيطات بينهن وبين آبائهن •

ويقوم السلوك بين الزوج والزوجة على أساس مبدأ حطة منزلة الزوجة بالنسبة لمنزلة الزوج • فالرجال ينظرون لنسائهم نظرة واطئة ويعتبرونهن أقل منزلة منهم • ولكن هذه النظرة تتأثر كثيرا بحكم كون النساء شريكات فى الكسب الاقتصادى للعائلة • فيعتقد الرجال فى الچبايش ان منح الزوجة أى احترام أو النظر اليها نظرة مساواة مع الرجل أمر يتنافى والرجولة • وعلى الزوجة ان تنظر للزوج كسيد متنفذ فلا تخالف رغبته ولا تتوانى فى تنفيذ أوامره بل ويجب الا يعلو صوتها على صوته • وكثيرا ما يستغل الرجال علاقاتهم بزوجاتهم لاظهار سيطرتهم فى العائلة واشباع رغبة النفوذ والتسلط • فالنداء الاعتيادى الذى ينادى الرجل به زوجته هو (ولچ) أو (خايبة) وهما لفظتان تنطويان على كثير من الاحتقار • وضرب الزوجة شائع وينظر له كتصرف اعتيادى • ولكن الازواج الذين يعيشون مدة طويلة خاصة ان كانوا يعيشون منفردين ينعمون بشىء من

الالفة والصداقة •

والعائلة وحدة اقتصادية ، يعمل كل فرد فيها تحت سيطرة رئيسها ويعتمد فى عيشه عليه • ويتجمع مورد العائلة فى يده وعليه هو أن يتصرف فيه بما تقتضيه متطلبات أفراد عائلته • فلا يملك أى فرد غيره فى العائلة ثروة خاصة به حتى لو كان ذلك الفرد ابنا بالغا • ويقوم رئيس العائلة بكافة اتصالاتها الاقتصادية فى الخارج ؛ فيشترى طعامها ويتعامل مع أصحاب الحوانيت ووكلاء الحصر ويستقرض ما تحتاجه من ديون ويوفيها وما الى ذلك من اتصالات وفعاليات اقتصادية •

ويعمل كل فرد من أفراد العائلة بموجب مبدأ تقسيم العمل Division of labour المعمول به فى القرية • ففى الزراعة يحضر كافة الرجال البالغين البذور ويزرعونها وحين تنمو للحد الذى تحتاج معه الحماية من الطير والدواب تنتقل العائلة كلها الى الحقل لتمكث هناك حتى نهاية موسم الزراعة • وفى ابان هذه الفترة تتصرف العائلة كوحدة تعاونية فى كافة الفعاليات الزراعية ؛ ففى البداية يحرس الرجال والاولاد الشتلات الصغيرة فى حين تدأب النساء والبنات على حياكة الحصر الواسعة (المفارش) اللازمة لنشر المحصول الزراعى عليها • وحين يحل موسم الحصاد تشارك العائلة كلها رجالا ونساءاً واولادا وبنات فى الحصاد والدياسة والتذرية ونقل المحصول • ثم يدفع رئيس العائلة ديونها من المحصول ويبيع المتبقى أو يخزنه لاستهلاكها • ويذهب الرجال والاولاد الى الهور لقطع القصب ويعاونون بقدر ما يتطلبه الامر فى الحياكة ذاتها • وتدق النساء والبنات القصب ويحكنه حصرا • وحين تحتاج العائلة الى المزيد منه يصحب الرجال نساءهم الى الهور ليعاونّ فى جمع كميات كبيرة منه واذا ما تجمع فائض كبير من القصب المفشق المدقوق ولم تستطع النساء حياكته فان الرجال والاولاد يبادرون لعونهن فى هذا الصدد •

والعمل مقسم في العائلة بموجب المبادىء الأساسية التالية :

١ – ان الاعمال البيتية من اختصاص النساء والبنات الكبيرات تساعدهن فى ذلك البنات الصغيرات •

٢ – كل عمل يحتاج الى براعة يعتبر من اختصاص الرجال وكل ما يحتاج الى الصبر والاناة من اختصاص النساء •

٣ – تقتضى التقاليد قيام جنس من الجنسين بأنواع معينة من الاعمال بغض النظر عن المبدأين المار ذكرهما •

وفيما يلى ثبت بتقسيم العمل فى العائلة بين أهل الجبايش :

١ – الاعمال البيتية :ـ

العناية بالطفل	النساء يعاونهن البنـــات
طبخ واعداد الطعام	
الخبز	
العناية بالماشية وحلبها	
غسل الملابس وتنظيف الكوخ	
عمل الاوانى الطينية (كالتنانير وغيرها)	

٢ – حياكة الحصر :ـ

جمع القصب	الرجال يعاونهم الاولاد
تقشير القصب	الرجال والنساء والاولاد والبنات
تفشيق القصب	الرجال فقط
دق القصب	النساء والبنات
حياكة الحصر	الرجال والنساء والبنات الكبيرات

٣ – الزراعة :ـ

تنظيف الارض من الاعشاب	الرجال فقط
الحرث	

زرع الشتلات	الرجال يعاونهم النساء فى بعض الاحيان
الحصاد	الرجال فقط
الدياسة	الرجال والنساء
التذرية	النساء يعاونهن الرجال
نقل المحاصيل	النساء فقط

٤ – بناء الاكواخ والسوابيط والتجبيش :ـ

الرجال فقط

٥ – جمع العلف للحيوانات :

الرجال والنساء والبنات الكبيرات يعاونهم الصغار

٦ – النقـل :ـ

دفع المشاحيف والتجذيف فيها	الرجال والنساء ، ولكن يجب على الرجل ان يسيّر المشحوف الذى تركب فيه معه امرأة داخل القرية •

٢ – القرابـة

ان النسب Descent فى الجبايش أبوي Patrilineal والارث Inheritance والخلافة Succession والولاء السياسي Political allegiance يقررها هذا المبدأ ايضا • فالاولاد فقط يستطيعون أن يرثوا مراكز آبائهم • ولقد كانت المشيخة فى كافة الادوار التاريخية للعشيرة تنتقل من الاب لولده الاكبر الا اذا مات الشيخ أو قتل دون أن يترك أولادا فتنتقل حينئذ الى أكبر أخوته • وحين ظهرت (السركلة) كوظيفة سياسية فى حياة العشيرة عوضا عن المشيخة خضعت لنفس المبدأ مع شروط اقتضاها وجود الحكومة المركزية كمسيطر على الوضع السياسى فى العشيرة •

ويظهر مبدأ النسب الابوى بوضوح فى علاقة الفرد بأهل أبيه وأهل أمه ان كانت الاخيرة أمرأة غريبة عن فخذه • ففى الوقت الذى يدعو فيه

الشخص فخذه وأهل أبيه (أَهَلي) أو (لَحَمْتي) فانه يدعو فخذ أمه وأهلها (أهل أمي) • وفى الوقت الذى ينظر لكافة أفراد فخذه كأفراد عائلته فانه يعتبر أهل أمه غرباء بالنسبة له رغم أنهم فخذ أمه واهلها • وبصورة اعتيادية تنشأ علاقة طيبة بين عائلة الشخص بصورة خاصة وفخذه بصورة عامة من جهة وبين عائلة أمه وفخذها من جهة أخرى • ولكن لا يترتب على هذه العلاقة أية التزامات • فحتى الخال وهو أقرب أفراد أهل الام الى الشخص لا يملك سلطة على أبناء أخته ولا حق له ان يتدخل في شؤونهم لانه يعتبر غريبا • فأهل الجبايش لايظهرون الحب لاخوالهم الا لانهم اخوان أمهاتهم اللاتى يحبون • فان ساءت العلاقة بين الام وأخيها فان الاولاد لا يتصلون بأخوالهم • ويظاهر الفرد بصورة اعتيادية وبدون ان يتردد جهة ابيه وفخذه فى حالة نشوب أى نزاع بين خاله وبين أى فرد من افراد فخذه أو أهل أبيه • وليس للخال الحق في ان يتدخل في زواج بنات أخته وحتى انه لا يستشار فى الامر ولا يشارك فى دفع أو استلام التعويضات عن جرائم تقترف من قبل أو ضد اولاد أخته ولا ينتقل شيء من ثروته اليهم بعد وفاته •

اما العم فانه فى مقام الوالد • ولا تمييز بين الاعمام ، بقدر ما يتعلق الامر بسلطتهم على أولاد أخيهم وبمركزهم فى عائلته ، الا فى كون أكبرهم يحترم احتراما خاصا • ويشترك العم فى كافة واجبات التعويضات التى تقع على كاهل أسرة أخيه ، وهو مسؤول مسؤولية مباشرة عن كافة أفراد اسرة أخيه ، باستثناء الزوجة حين تكون غريبة عن فخذه • ويستطيع العم ان يتصرف كالوالد فى كل ما يخص زيجات أولاد أخيه • واذا مات دون ان يترك أولادا أو بنات أو ترك بنات متزوجات فقط فيرث أولاد الاخ عمهم المتوفى بالوصية أو القانون الشرعى • وبمقدور العم ان يقتل ابنة أخيه ، كما يحق لاولاده أن يفعلوا ذلك ، لامور تتعلق بالشرف ، كما يفعل أبوها أو اخوتها تماما دون أن تترتب عليه أية عقوبة

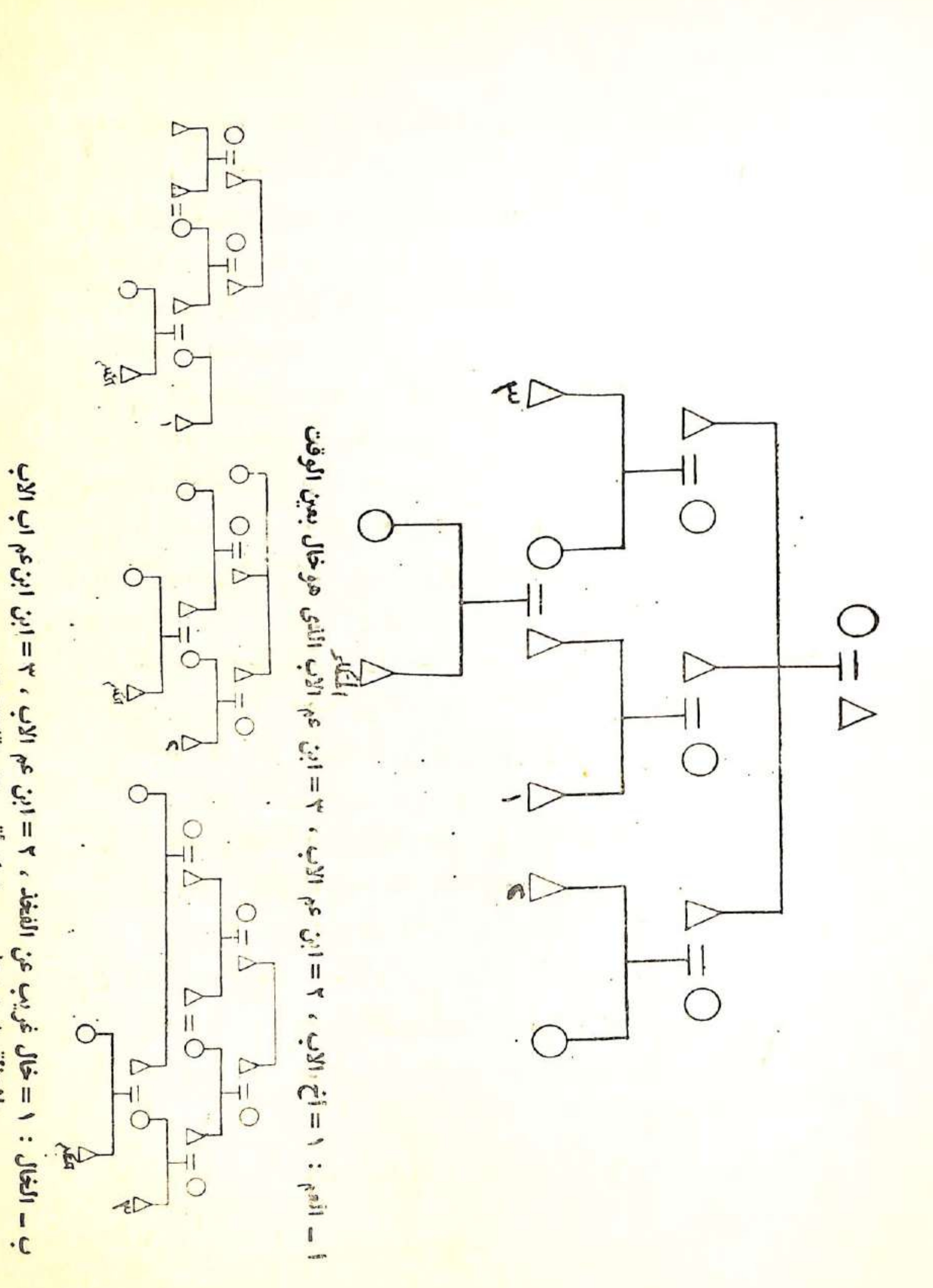
عشائرية • فان قام بهذا القتل الخال فعليه أن يدفع (الفصل) لفخذ الفتاة المقتولة كما يتحتم على أى غريب أن يفعل • واليتامى القصر بنات وأولادا يذهبون الى بيوت أعمامهم وليس الى بيوت اخوالهم وحتى لو اختارت أمهم الارملة ان تعود للعيش فى بيت أبيها فان على أولادها وبناتها ان يعيشوا فى بيت أبيهم المتوفى • ورغم ان بعض الاعمام يوافقون فى بعض الحالات أن تصطحب أرملة أخيهم أطفالها الى بيت أهلها فان البنات اللواتى يعشن بين بيوت أهل أمهاتهن يجب ان تطلب أيديهن فى الزواج من أهل آبائهن ، أى من أعمامهن وليس من أخوالهن •

ويميل رؤوس العوائل المتحدة الذين هم أخوان من أب واحد الى العيش فى جزر متجاورة • ورغم ان كلا منهم يستقل فى شؤون عائلته من ناحية ادارتها واقتصادياتها فى الكسب والصرف، فانهم يكوّنون وحدة اجتماعية بين العائلة المتحدة والفخذ • وليس ضروريا ان يكون رؤوس هذه العوائل فى كل الاحوال أخوانا فقد يكونون اولاد عم أو يربطهم جد عام واحد • وتسمى مثل هذه المجموعة التى تتصرف بصورة اعتيادية كوحدة لا تتجزأ فى كل أمر يتعلق بزواج ابنائها وبناتها وفى دفعها الفصول عن جرائم معينة (خوّان) ، ويعتبر رجال هذه الوحدة أنفسهم ذوى افضلية على بقية رجال الفخذ فيما يتعلق بحق طلبهم بنات تلك الوحدة كزوجات لانفسهم ولاولادهم • وليس لفرد معين حق فى فتاة معينة ولكن تقرير تزويج أية فتاة لاى رجل فى هذه المجموعة يتوصل اليه عن طريق الموافقة الاجماعية لـ (خوّان) الذين يعيرون رأى أكبرهم سنا احتراما واهتماما خاصا[1] •

وهناك أقوال وامثال كثيرة فى الچبايش تصور النظرة المحلية لموضوع العم والخال • فمنها مثلا :

١ ـ (الخال مخلّة والعم مدنّة) ومعناه أن الخال متروك والعم مقرب • وهذا المثل يمثل الفكرة كلها بصورة عامة •

(١) سنبحث الزواج داخل الفخذ والحمولة فى الفصل الخامس •



أ – العم : ١ = أخ الأب ، ٢ = ابن عم الأب ، ٣ = ابن عم الأب الذي هو خال بعين الوقت

ب – الخال : ١ = خال غريب عن الفخذ ، ٢ = ابن عم الأب ، ٣ = ابن ابن عم اب الأب

ملاحظة △ : رجل ، ○ : امرأة ، = متزوج من

مخطط (٢) العم والخـــال

٢ – (العم عم الذى تأكل فى نعمته ، والخال خال الذى من شره سالم) ومعنى هذا ان العم الحقيقى هو الذى تأكل فى نعمته والخال الصحيح هو الذى تكون فى حل من شره • وفى هذا المثل اشارة الى ان العم يرعى الاولاد وينعم عليهم كوالدهم فى حين لا ينتظر من الخال غير التكـاليف والواجبات وخير الاخوال من ترك أولاد أخواته لشأنهم •

٣ – (الخال ليس العم وليس ابن العم) : لا يشبه الخال ولا ابن العم •

٤ – (خالى أخو أمى ليس ابن عمى) أى ان خالى هو أخ لامى وليس ابن عم لى • وفى هذا تصوير لفكرة انالخال من أهل الام وليس من أهل الاب •

٥ – (ابن عمى مشرك بدمى وبزرى وفصلى) أى ان ابن عمى مشترك معى فى الدم والاطفال والفصل ، وهذا القول يمثل نظرة أهل الجبايش الى الفخذ • فأفراده خاصة أولاد العم من دم ولحم واحد وأطفالهم أولاد لهم كافة وكلهم يشتركون فى الفصول كفرد واحد •

ومن المهم ان نؤكد هنا انه بناء على الميل الشديد نحو التزوج من بنات الفخذ نفسه فهناك نوعان من الخال فى الجبايش[1] •

١ – خال غريب عن الفـخذ نتيجة لزواج الرجل خرج فخـــذه Lineage exogamous marriage • وهـذا النـوع من الخال هو الذى يعارض ، كما رأينا ، بالعم وهو المقصود بالامثال والاقوال المار ذكرها •

٢ – خال هو بعين الوقت اما ابن عم للزوج نتيجة لاتباع الزوج للنوع المفضل من الزواج بنات العم ، فيكون الخال هنا ابن عم لوالد ابناء أخته وبناتها ، أو ان يكون ذلك الخال عضوا فى فخذ الزوج الذى هو ابن عم غير مباشر له •

وهذان النوعان الاخيران من الخال لا يعتبران غريبين ، وأن اولهما

(١) انظر المخطط رقم (٢) •

وهو ابن العم المباشر للزوج أقرب لاولاد وبنات أخته من الخال الذى هو مجرد عضو من اعضاء الفخذ • ولكن كلا من هذين النوعين من الاشخاص الذين هم خال وعم بنفس الوقت لا يتمتعان فى عائلة أخواتهم بنفس السيطرة والسلطة التى يتمتع بها العم •

ويتمثل مبدأ النسب الابوى بوضوح فى مركز الاخوان والاخوات غير الاشقاء Half-Siblings ومركز العمة والخالة ومركز الجد والجدة • فالاخ من الاب يتمتع بسلطة أعظم على أخوانه وأخواته من أبيه مما يتمتع الاخ من الام • فيجب أن يستأنس برأى الاول فى زواج أخواته من أبيه فى حين لا يأبه برأى الثانى فى هذا الموضوع لانه قد يكون غريبا عن الفخذ • فلابن العم سلطة أكبر ونفوذ أقوى على أبنة عمه مما لاخيها من أمها • ووالدا الاب ، وخاصة أب الاب ، أقرب للشخص من والدى أمه ولهما فى العائلة سلطة أكبر • وفى العوائل المتحدة التى يرأسها جد وجدة يسيطر هذان على احفادهما بشكل أقوى مما يسيطر فيه أولادهما عليهم • والعمة دائما أقرب الى أولاد أخيها من خالتهم ، وللاولى سلطة وسيطرة كبيرة فى العائلة خاصة ان كانت أكبر سنا من أخيها رئيس العائلة •

ولاهل الجبايش نعوت قرابة وصفية كاملة Fully developed descriptive kinship terminology • فهناك نعت خاص لكل قريب او نسيب من جهة الاب أو الام • والاستثناء الوحيد من هذه القاعدة هواصطلاح (جد) ومؤنثه (جدة) • فـ (الجد) ينعت به أب الاب وأب الام فى حين ان (الجدة) تنعت به أم الاب وأم الام •

ولقد وجدت أن نعوت القرابة المستعملة فى الجبايش ستة وستون[١]• ولكن بما أن نعوت القرابة وصفية وانها تكوّن بمزج اصطلاحات أصلية معينة ، فان أى رجل أو أية امرأة ، ان كان أو كانت فى جهة الاب أو الام

(١) راجع الجدول رقم (٣) •

غير ما يرد فى الستة وستين نعتا ، يمكن ان يوصف أو توصف بطريقة المزج هذه • والاصطلاحات الاصلية اربعة عشر اصطلاحا وهى :

١– أبو ٢– أم ٣– أخو ٤–إخت ٥– أبن ٦– بت ٧– عم ٨–عمّه ٩–خال ١٠–خاله ١١–رجل ١٢–مرت ١٣– جَد ١٤–جَدّه

جدول رقم (٣)

نعوت القرابة فى الجبايش

(م • ذ = المتكلم ذكر ، م • أ = المتكلمة انثى)

القريب	نعوت الوصف[١]		نعوت النداء[٢]	
	م • ذ	م • أ	م • ذ	م • أ
١ – الاب	ابويْ	أبوي	بْويه	بْويه
٣ – الام	أمي	أمي	يمْـَّه	يمْـَّه
٣ – الاخ	أُخويْ	اخوي	خويه	خويه
٤ – الاخت	اِختي	اِختي	خويه	خويه
٥ – الابن	أبني	أبني	بويه	يُمَّه
٦ – البنت	بتي	بتي	بويه	يُمَّه
٧ – أب الاب	جَدّي	جَدّي	جَدّي	جَدّي
٨ – عم الاب	عم أُبوي	عم أبوي	جَدّي	جَدّي
٩ – عمة الاب	عمّة أُبوي	عمّة أبوي	جَدّه	جَدّه

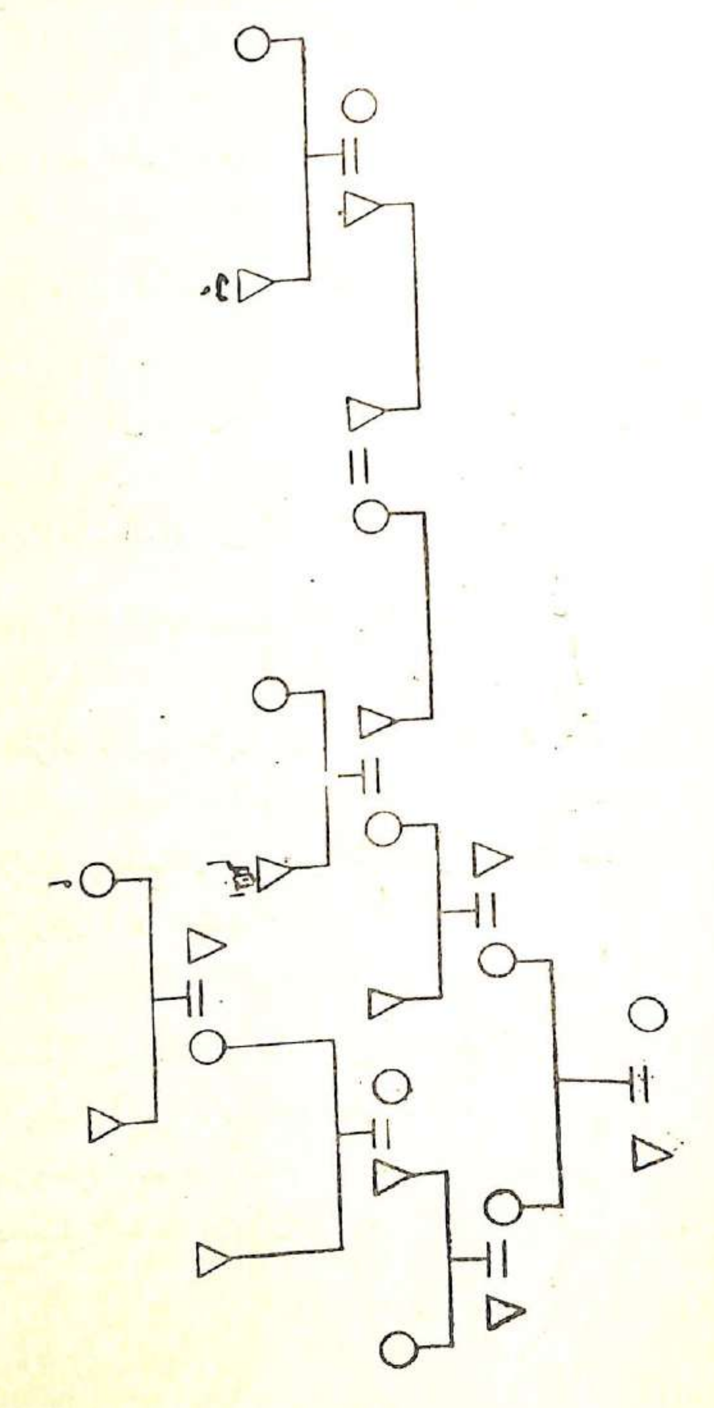
(١) وهى النعوت التي يصف بها المتكلم قريبه حين يتحدث عنه •
(٢) وهي النعوت التى ينادى بها المتكلم قريبه حين يتحدث اليه •

تكملة الجدول رقم (٣)

القريب	نعوت الوصف		نعوت النداء	
	م • ذ	م • أ	م • ذ	م • أ
١٠ـ ابن عم الاب	ابن عم أبوي	ابن عم أبوي	عمي	عمي
١١ـ بنت عم الاب	بت عم أبوي	بت عم أبوي	عمه	عمه
١٢ـ ابن عمة الاب	ابن عمة أبوي	ابن عمة أبوي	عمي	عمي
١٣ـ بنت عمة الاب	بت عمة أبوي	بت عمة أبوي	عمتي	عمتي
١٤ـ أم الاب	جدتى	جدتى	جدّه	جدّه
١٥ـ خال الاب	خل أبوي	خل ابوي	جدّي	جدّي
١٦ـ ابن خال الاب	ابن خال ابوي	ابن خل ابوي	عمي	عمي
١٧ـ بنت خال الاب	بت خال أبوي	بت خال أبوي	عمه	عمه
١٨ـ خالة الاب	خالة أبوي	خالة أبوي	جدّه	جدّه
١٩ـ ابن خالة الاب	ابن خالة أبوي	ابن خالة أبوي	عمي	عمي
٢٠ـ بنت خالة الاب	بت خالة أبوي	بت خالة أبوي	عمتي	عمتي
٢١ـ العم	عمّي	عمّي	عمّي	عمّي
٢٢ـ العمّة	عمّتي	عمّتي	عمّه	عمّه
٢٣ـ زوجة الاب	مرت أبوي	مرت أبوي	« بالاسم »	« بالاسم »
٢٤ـ ابن العم	ابن عمي	ابن عمي	حويه	حويه
٢٥ـ بنت العم	بت عمي	بت عمي	حويه	خيّه
٢٦ـ زوجة العم	مرت عمي	مرت عمي	عمه او بالاسم	عمه او بالاسم
٢٧ـ ابن العمة	ابن عمّتي	ابن عمّتي	بالاسم او خويه	خويه

تكملة الجدول رقم (٣)

القريب	نعوت الوصف		نعوت النداء	
	م • ذ	م • أ	م • د	م • أ
٢٨ـ بنت العمة	بت عمتي	بت عمتي	بالاسم	خيه
٢٩ـ زوج العمة	ر جل عمتي	ر جل عمتي	بالاسم	بالاسم
٣٠ـ أب الام	جدّي	جدّي	جدّي	جدّي
٣١ـ أم الام	جدّتي	جدّتي	جدّه	جدّه
٣٢ـ الخال	خالي	حالي	خالي	خالي
٣٣ـ ابن الخال	ابن خالي	ابن خالي	بالاسم او خويه	خويه
٣٤ـ بنت الخال	بت خالي	بت خالي	بالاسم	خيه
٣٥ـ زوجة الخال	مرت خالي	مرت خالي	بالاسم او خاله	بالاسم او خاله
٣٦ـ الخالة	خالتي	خالتي	خاله	خاله
٣٧ـ ابن الخالة	ابن خالتي	أبن خالتي	بالاسم او خويه	خويه
٣٨ـ بنت الخالة	بت خالتي	بت خالتي	بالاسم	خيّه
٣٩ـ زوج الخالة	رجل خالتي	رجل خالتي	بالاسم	خالي
٤٠ـ زوج الام	رجل أمي	رجل أمي	بالاسم او عمي	بالاسم او عمي
٤١ـ زوجة الاخ	مرت أخوي	مرت أخوي	بالاسم	بالاسم او خيه
٤٢ـ ابن الاخ	ابن أخوي	ابن أخوي	بالاسم او بويه	بالاسم او عمه
٤٣ـ بنت الاخ	بت أخوي	بت أخوي	بالاسم او بويه	عمه
٤٤ـ زوج الاخت	نسيبي	نسيبي	بالاسم	بالاسم او خويه
٤٥ـ ابن الاخت	ابن اختي	ابن اختي	بالاسم او خالي	خاله او يمه
٤٦ـ بنت الاخت	بت اختي	بت اختي	بالاسم او خالي	خاله او يمه
٤٧ـ زوجة الابن	مرت ابني	مرت ابني	بويه او بالاسم	يمه او بالاسم



مخطط (٣)
نعتان من نعوت القرابة في العبايش
أ = بنت بنت ابن خالت أمي .
ب = ابن أخو رجل عمتي .
ملاحظة : △ : رجل ، ○ : امرأة ، = : متزوج من .

تكملة الجدول رقم (٣)

القريب	نعوت الوصف م . ذ	نعوت الوصف م . أ	نعوت النداء م . ذ	نعوت النداء م . أ
٤٨- ابن الابن	ابن أبني	ابن أبني	جدّي	جدّه
٤٩- بنت الابن	بت أبني	بت أبني	جدّي	جدّه
٥٠- زوج البنت	رجل بتي	رجل بتي	بالاسم	بالاسم
٥١- ابن البنت	ابن بتي	ابن بتي	جَدّي	جدّه
٥٢- بنت البنت	بت بتي	بت بتي	جَدّي	جدّه
٥٣- الزوجة	أهلي او مرتي		بالاسم او ولج	
٥٤- أب الزوجة	عمي		عمي	
٥٥- أم الزوجة	نسيبتي		عمّه	
٥٦- أخ الزوجة	نسيبي		بالاسم	
٥٧- أخت الزوجة	نسيبتي		بالاسم	
٥٨- ابن الزوجة	ابن مرتي		بويه	
٥٩- بنت الزوجة	بت مرتي		بويه	
٦٠- الزوج		رَجْلي		بالاسم
٦١- أب الزوج		عمي		عمي
٦٢- أم الزوج		عمّتي		عمّتي
٦٣- أخ الزوج		حماي		بالاسم
٦٤- أخت الزوج		حماتي		بالاسم
٦٥- ابن الزوج		أبن رجلي		يمه او بالاسم
٦٦- بنت الزوج		بت رجلي		يمه او بالاسم

فالمتكلم يستطيع ان يصف (أ) فى مخطط (٣) مثلا بأنها (بت بت ابن خالت أمى) و (ب) بأنه (ابن أخو رجل عمتى) واذا ما أراد آن يصف قرابة ما غير ما ذكر فى الجدول السابق فانه يلجأ للجمل الوصفية عوضا عن الاصطلاحات • فـ (أ) فى المثل السابق يمكن ان توصف بان (جدها ابن خالت أمى) و (ب) بانه (يگرب لرجل عمتى) وهكذا •

ومن ميزات نظام نعوت القرابة المستعمل فى الجبايش ما يلى :

١ ـ هناك عشرة نعوت نداء يمكن ان تستعمل لاكثر من الشخص الذى وضعت اصلا لندائه ، والتى يمكن ان يطلق عليها نعوت القرابة الموسعة Extended kinship terms [1] • وكل نعت من هذه النعوت له نعت وصف خاص به • ولقد أوردنا هذه النعوت فى الجدول رقم (٤) •

٢ ـ هذه النعوت العشرة هى النعوت الوحيدة التى تستعمل من قبل الناعت والمنعوت فى وقت واحد •

٣ ـ ان نعت القرابة لا يتغير بتغير عمر الشخص المنعوت به ، فهناك نعت واحد للاخ كبيرا كان أم صغيرا ونعت واحد ايضا للاخت صغيرة كانت أم كبيرة • ولكن الناعت يستطيع ان يخصص الشخص المنعوت باستعمال كلمة (الچبير) و (الزغير) أو تأنيثهما •

٤ ـ التكنية Teknonymy وهى نعت رجل أو امرأة بابى أو أم فلان أو فلانة • والتكنية كثيرة الانتشار خاصة بين الرجال ومن المعتاد آن يكنى الآباء والامهات باسماء اكبر ابنائهم ، ويندر ان يستعمل اسم البنت الكبرى فى حالة عدم وجود ولد • ويمكن أن يكنى الرجال حتى قبل زواجهم باسماء اولاد خياليين خاصة ان كان اولئك الرجال يحملون اسماء

---

(١) وتسمى ايضا ، كما اطلق عليها Lewis Henry Morgan Classificatory terms

جدول رقم (٤)
نعوت القرابة الموسعة
(م • ذ = المتكلم ذكر ، م • أ = المتكلمة انثى)

النعت	الاستعمال الوصفى (يستعمل من قبل الناعت والمنعوت)	الاستعمال الموسع
١ بُويه	الاب والابن	(م • ذ) ابن أو بنت الزوجة • ابن أو بنت الاخ •
٢ يُمَه	الام والبنت	(م • أ) ابن أو بنت الزوج • زوجة الابن • ابن وبنت الاخت •
٣ خُويه	الاخ والاخت	(م • ذ) اى رجل أو امرأة من نفس جيل المتكلم • (م • أ) اى رجل من نفس جيل المتكلمة •
٤ خَيه	الاخت وبنت الخال والخالة والعم والعمة	(م • أ) اية قريبة أو صديقة أو غريبة من نفس جيل المتكلمة •
٥ خالي	الخال وابن وبنت الاخت	(م•ذ أو أ) اى رجل من اقارب الام ومن نفس جيلها
٦ خاله	الخالة وابن وبنت الاخت	(م • ذ أو أ) اية امرأة من جيل أم المتكلم أو المتكلمة خاصة الامرأة التى ترتبط بأم المتكلم أو المتكلمة بصلة قرابة •
٧ عمي	العم وابن وبنت الاخ	(م • ذ أو أ) أى رجل من فخذ أو حمولة المتكلم أو المتكلمة من جيل ابيه أو أبيها •
٨ عَمه	العمة وابن وبنت الاخ	(م • ذ أو أ) اية امرأة من فخذ المتكلم أو المتكلمة من جيل ابيه أو ابيها •
٩ جَدّي	أب الاب أو اب الام وأولاد وبنات ابنه أو بنته	(م • ذ او أ) أى رجل مسن من أقارب أب أو أم المتكلم أو المتكلمة من جيل جده أو جدها •
١٠ جَدّه	أم الاب أو أم الام وأولاد وبنات ابنها او بنتها	(م • ذ • او أ) أية امرأة مسنة من اقارب أب او أم المتكلم أو المتكلمة من جيل جدته أُو جدتها •

معينة تقتضيهم أن يسموا ابناءهم ، حسب التقاليد ، بأسماء معلومة • فبحسب هذه التقاليد يسمى الشخص المدعو مثلا حسين أو محمد أو جعفر ولده الاول على وجاسم وكاظم على التوالى • وهكذا فكل شخص اسمه حسين يدعى (ابو على) ومحمد (ابو جاسم) وجعفر (ابو كاظم) حتى قبل ان يتزوج • وتستعمل فى بعض الاحيان الكنية (ابو الصبي) حين لا يعرف اسم الابن الحقيقى أو الخيالى للرجل • ويلجأ الى التكنية اما لاظهار الاحترام أو لوجود ألفة بين المتخاطبين بحسب ما يقتضيه جيلاهما •

٥ – تستعمل الفاظ مثل (ولج) و (ولك) و (خايبة) و (خايب) متلوة بالاسماء الشخصية للمنادى فى النداء الذى لا كلفة فيه كالذى يجرى بين الازواج وزوجاتهم والآباء وابنائهم والاخوان الكبار واخوتهم الصغار • وتستعمل هذه الالفاظ حين تربط المتخاطبين علاقة الالفة وعدم الكلفة او علاقة الاحتقار ، ولذا فلا يخاطب فيها الصغير الكبير • واللفظة (ولج) تكاد ان تكون النداء الاعتيادى للزوجات تستعمل للدلالة على الاحتقار لا الالفة •

٦ – ويستعمل الاصطلاح (عمامى) لنعت فخذ المتكلم والاصطلاح (خوالى) لنعت اهل امه • واذا كان فخذ فرد من الافراد قد أخذ امرأة من حمولة من حمايل القرية أو من عشيرة أخرى خارج الجبايش ، فعلى ذلك الفرد ان يتكلم عن تلك الحمولة أو العشيرة كلها ، وليس عن انسبائه فقط ، كـ (خوالى) ايضا •

٣ – الزواج

يسمح للرجل بمقتضى الشريعة الاسلامية بالزواج الى حد الاربع زوجات فى وقت واحد[١] • وبين فرقة الشيعة يجوز تجاوز هذا العدد

(١) وان خفتم الا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم الا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت ايمانكم ذلك ادنى الا تعولوا (سورة النساء آية ٣) •

بزواج المتعة • وليس تعدد الزوجات Polygyny فى الجبايش مشروعا دينيا أو ينظر اليه كطراز اعتيادى للزواج فحسب ، بل هو مطمح اغلب الرجال •

ان الاسباب الرئيسية للتزوج بزوجة اخرى هى الرغبة الجنسية ، ووفاة زوجة سابقة ، والرغبة فى الاكثار من النسل • فلقد كان بين المائة وعشرين عائلة المدروسة (١١٨) رجلا متزوجا ، (٨٥) رجلا منهم (٧٢٪) كانوا متزوجين بزوجة واحدة والبقية ، وهم (٣٣) رجلا (٢٨٪) كانوا متزوجين باكثر من زوجة واحدة • وكان من بين هؤلاء الـ (٣٣) رجلا :

٢٤ رجلا (٧ر٧٢٪) تزوجوا من زوجتين و
٦ رجال (٢ر١٨٪) تزوجوا من ثلاث زوجات و
٢ رجلان (٦٪) تزوجوا من اربع زوجات و
١ رجل (٣٪) تزوج من خمس زوجات

وكانت بين هذه العوائل المائة وعشرين (٤٦) زوجة قد تزوجها (٣٣) رجلا كزوجة ثانية وثالثة ورابعة وخامسة •

وتعدد الزوجات الاخوات Sororal polygyny محرم بحكم الدين[١] • واغلب الرجال المتعددى الزوجات متزوجون من زوجتين وقسم قليل منهم فقط متزوج من ثلاث زوجات • وكان اكبر عدد من الزوجات جمعه رجل واحد فى وقت واحد هو خمس ، هن زوجات حسين آل علي آل خيون •

وتعدد الزوجات ممكن بصورة نظرية للكل ولكن وقوعه اكثر بين

(١) الآية ٢٣ من سورة النساء : حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم و ... وان تجمعوا بين الاختين ...

الاثرياء • وهناك دائما زوجة واحدة تدعى (العزيزة) أو (أم البيت) وهى عادة ، وليس دائما ، الزوجة الاولى • وقد تكون هذه الزوجة ابرع الزوجات أو اجملهن أو اصغرهن سنا بحسب مثل الزوج ومقاييسه فى التفضيل • ففى يديها تترك ادارة البيت وفى كوخها يضع الزوج ملابسه وحاجياته الشخصية • والشجار والمنافسة والخوف من السحر هى ابرز صفات حياة الضرات • فلم اقابل طيلة اقامتى فى الچبايش رجلا متعدد الزوجات ادعى حياة هادئة فى بيته • ولكن بناء على سيطرة الرجل القوية وحقه فى ضرب زوجاته ويسر الطلاق فان بيوت اولئك الازواج تتمتع بتماسك وسلام سطحيين • وفى كل مرة يتزوج فيها الزوج من زوجة جديدة يجب عليه ان يسترضى زوجته أو زوجاته السابقات بشىء من الملابس والهدايا • وعليه ان يشترى دائما عين الشىء لكل زوجاته •

وزواج المتعة زواج بعقد محدود الامد • وهو على نوعين : المتعة (بالعقد الكبير) حيث تجعل مدة الزواج أطول كثيرا مما ينتظر اى واحد من الزوجين ان يعيش ، وهذا النوع من المتعة يعتبر زواجا اعتياديا من كافة الوجوه • وفى النوع الثانى تكون مدة العقد قصيرة ؛ لعدد من الايام أو لليلة واحدة فقط ، ويسمى (العقد الصغير) • ويلجأ الى النوع الاخير من المتعة حين يعيش الرجل موقتا بعيدا عن بيته وزوجاته ، أو حين يكون على سفر أو يقوم بزيارة الاماكن المقدسة • وتعقد فى الچبايش زيجات متعة بالعقد الكبير ولكن النوع الآخر من المتعة لا وجود له وينظر اليه كشىء يشبه الزنى ولم تعرف حالة واحدة منه فى القرية • ولا تختلف الزوجة المأخوذة بالعقد الكبير فى المركز ولا فى الامتيازات والمسؤوليات عن الزوجات الاربع الاخريات المأخوذات بالزواج الاعتيادى •

ان الزواج المفضل فى الچبايش هو من ابنة العم Paternal parallel-cousin فان كان لرجل اخ له بنت فان من المؤكد ان ذلك الرجل لن يبحث

عن زوجة لابنه فى أى مكان غير بيت أخيه • ويعتبر العم طلب ابن اخيه فتاة غير أبنته كزوجة عيبا أو امرا غير لائق • وعلى نفس الشاكلة يتدخل كافة مسنى الفخذ ان حاول أحد اعضائه تزويج ابنته خارج الفخذ فى حين يوجد فيه اولاد عم لتلك الفتاة •

ان الزواج ببنت الخال Maternal cross-cousin وبنت العمة Paternal cross - cousin وبنت الخالة Maternal parallel-cousin مسموح ولكن لا يرغب فى أى من هذه الزيجات ان كان أبو الفتاة غريبا عن الفخذ • وعلى العكس من ذلك يصبح الزواج بمثل هذه الفتيات مرغوبا فيه ان كان آباؤهن ، أى الخال وزوج العمة وزوج الخالة ، اعضاء فى الفخذ •

ويحاول الرجال فى بعض الأحيان ان ينفذوا رغباتهم الشخصية فى الزواج ان كانت تتعارض مع رغبات رجال فخذهم أو رجال فخذ حبيباتهم بان يلجأوا الى الزواج بالـ (نهيبة) Elopement • فرغم ان المحبين يعرّضون حياتهم للخطر حين يلجأون لهذه الطريقة فانهم يستطيعون فى نهاية الامر ان يرغموا أهلهم على قبول زواجهم من بعضهم البعض • فكل امرأة متزوجة كانت أو غير متزوجة يجب أن تتزوج حبيبها الذى هربت معه • وحين تخطف المنهوبة جبرا ضد رغبتها ، يجوز لها فى مثل هذه الحالة فقط ان ترفض ان تكون لناهبها زوجة بعد (النهيبة) ، وتستطيع ان تعيش مع اهلها بعد تسوية القضية • اما اذا كانت متزوجة فلن يقبل بعد ذلك أى زوج ان تعايشه كزوجة بعد فضيحة (النهيبة) • وتسبب (النهيبة) خزيا كبيرا لاهل الطرفين وخاصة لاهل المنهوبة الذين يجب عليهم ان يفتشوا عنها وعن ناهبها فيقتلوهما • والنهيبة نادرة الوقوع لان الناهب والمنهوبة يعرضان حياتهما للخطر ولان النهيبة تعتبر عملا مخزيا • ففى عام ١٩٥٣ سجلت حادثا واحدا من هذا النوع فى القرية • ويلجأ الناهب والناهبة (يدخلون) عادة عند رئيس أو رجل بارز ويحاول الناهب ابان ذلك وبواسطة اهله

الحصول على وعد من اهل المنهوبة في المحافظة على حياتهما لمدة طولها اعتياديا شهر واحد وتسمى (عطوة) ليتسنى لاهل الناهب ان يسووا القضية بالتعويضات (الفصل) • ولا يستطيع أهل المنهوبة فى الواقع الامتناع عن اعطاء (العطوة)[1] التى تتم بارسال وفد من السادة و (الأجاويد) الى اهل الفتاة • وفى الوقت المناسب يرسل وفد مشابه آخر الى اهل الفتاة لتسوية القضية (بالفصل) • ومن الجدير بالملاحظة ان باستطاعة اهل الفتاة قتل الناهب قبل ان يحصل على (عطوة) وليس عليهم عندئذ دفع آية تعويضات عنه لانه يعتبر (فاسد) • اما اذا قتلوه بعد اعطاء (العطوة) فعليهم ان يدفعوا عنه عندئذ (فصل) كالذى يدفع فى حالات القتل الاخرى • و (الفصل) الذى يدفع عن (النهيبة) فى الجبايش ثلاث نساء ، وتسوى القضية مثاليا حسب الاجراءات الآتية :

يجب ان يتزوج الناهب المنهوبة • فان كانت متزوجة فيجب على زوجها ان يبادر توا لتطليقها ، وعلى أهل الناهب ان يعطوه فتاة فى سن الزواج تسمى (جدمية) كتعويض عن زوجته • اما اذا كانت المنهوبة فتاة غير متزوجة أو أرملة أو مطلقة فتعطى (الجدمية) لأهلها • ويدفع أهل الناهب كذلك بدل امرأة ثانية تسمى (تلوية) وقدره ١٨/٠٠٠ دينارا لاهل المنهوبة، اما نقدا أو على اقساط يتفق عليها • وتعين من بين اهل الناهب فتاة ثالثة تسمى (مجفوته) ويتفق الطرفان على ان يدفع أهلها مبلغ ٨/٠٠٠ دنانير من مهرها لاهل المنهوبة متى تزوجت وبأى مهر تتزوج[2] •

(١) اذا امتنع اهل الفتاة عن اعطاء (العطوة) فان على السركال ان يبلغ الشرطة التى تسارع عادة الى أخذ ضمانات من اهل المنهوبة بالمحافظة على حياة ابنتهم وناهبها •

(٢) يوثق هذا الاتفاق بان تعقد عقدة فى قطعة قماش ابيض وهى عملية تسمى (يشدون راية العباس) رمزا لجعل الامام العباس شاهدا ومشرفا على تنفيذ الاتفاق •

ولا تعود العلاقات طبيعية بين المنهوبة واهلها حتى بعد التسوية لان النهيبة عار كبير جدا تسببه الفتاة لاهلها • ولكن ليس باستطاعة اهل الفتاة قتلها بعد تسوية قضية النهيبة بالفصل فان فعلوا لترتب عليهم اعادة التعويضات التى دفعها اهل الزوج اليهم لان الناهب يصبح زوجا شرعيا بعد التسوية • واذا كان الزوج من نفس فخذ الزوجة المنهوبة فيجب عليه ان يفتش عنها ويسعى لقتلها كما يفعل والدها واخوتها • اما اذا كان غريبا فليس عليه غير ان يطلقها ويطالب بزوجة له عوضا عنها •

ولا يترتب على الناهب دفع مهر لاهل الفتاة المنهوبة اذ أن المفروض أن المهر يدخل ضمن التعويضات المدفوعة •

ويشمل تحريم الاتصال الجنسى بالقريبات أو الزواج بهن Incest في الجبايش الام والشقيقات والاخوات من أحد الابوين والبنات وبنات الاخت وبنات الاخ وزوجات الاب وزوجات الاولاد والعمات والخالات والاخوات بالرضاعة والامهات المرضعات حتى ان كن قد ارضعن الشخص رضعة واحدة • وتسمى كل هذه النساء ال (محرمات)[1] •

ويقول الناس فى الجبايش ان مجرد التفكير فى الزنى بالـ (محرمات) أو الزواج منهن يسبب الشعور بالخجل • ولم تعرف فى القرية حادثة مثبتة

(١) تختلف الشعوب المتأخرة فى درجة تحريم الاتصال الجنسى او الزواج بالاقارب • فبعضها تمنع الزواج بأية قريبة لابعد درجة فيشمل ذلك كافة نساء الفخذ وبعضا كافة نساء الحمولة والعشيرة • وبعضها الآخر تبيح بل وتحبذ الزواج من بعض الاقارب الى اقرب الدرجات • ففى بعض الشعوب الافريقية يرث الفرد زوجات ابيه المتوفى وبعضها الآخر يجوز التزوج بنساء العم والخال • وقليل من الشعوب مثل الـ Azande والـ Hawaiians وغيرهما تبيح لبعض طبقاتها التزوج حتى بالاخت والبنت ولكن بشروط وتحفظات •

واحدة من هذا القبيل • ورغم ان اهل الچبايش يعتقدون ان مرتكبي هـذه الفعلة لابد وان يتستروا لحد كبير جدا فلا سبيل لمعرفتهم ، فانهم مع ذلك يميلون الى الظن بان مثل هذه العلاقة يمكن ان تنشأ • اما الزواج من هذه النسوة فغير ممكن الحدوث لانه محرم بنص فى القرآن[1] •

ولا يعتبر اهل الچبايش الزانى بالـ (محرمات) مارقا عن الدين فحسب بل يعتبرونه خارجا على التقاليد العشائرية وعلى الانسانية • وهم يعتقدون بان جزاء من يضبط متلبسا بهذه الجريمة ان يقتل ويهدر دمـــه بلا فصل أو تعويض • ولا يمكن اتخاذ اجراءات بصدد جريمة من هذا النوع لان كل واحد سيخزيه ويخجله ان يذكر الامر ودعك عن مناقشته وتقرير عقوبة أو فصل له • ولا يوجد ذكر للزنى أو الزواج بالـ (محرمات) فى القانون العشائرى (السواني) لبنى اسد • ولقد وصف احد المخبرين الزانى بالـ (محرمات) بانه (يظل عار ليوم القيامه • هذا دونى والعياذ بالله منـــه • هذا أخو الچلب • هذا چتله حلال) • واخبرتنى مخبرتى نجديه آل مخور بان الناس يعتقدون بان الزناة بالـ (محرمات) يصابون دائما بالجذام •

والمثل الوحيد للزنى بالـ(محرمات) الذى يعتقد اهل الچبايش انه جرى أو لا يزال يجرى فى القرية هو قضية معتوگ آل شفيج وهو ليس من عشيرة بنى اسد اصلا ، والذى يتهم بالزنى بزوجة ابنه • ولان الزوج معتوه فهو لا يشعر ، على ما يدعيه المخبرون ، بالعلاقة المحرمة القائمة بين ابيه وزوجته •

(١) ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف انـه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا • حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت وامهاتكم اللاتى ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة وامهات نسائكم وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسـائكم اللاتى دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف ان الله كان غفورا رحيما (سورة النساء ، آية ٢٢ و ٢٣) •

ولقد ادعى أحد المخبرين ان بعض الناس شاهدوا معتوگ آل شفيج يقترف الزنى بزوجة ابنه ولكن يبدو ان الاتهام لم يثبت تماما • وكان معتوگ يعيش فى القـرية فى عزلة تامة ؛ لا يزوره ولا يتحـدث اليه أحد ، كمـا أن القهوة لا تقدم اليه فى أى مضيف يرتاده فى القرية وهذه اهانة عظمى تدل على انه لا ينظر اليه كبقية الرجال • وكان معتوگ يعيش محتقرا من الجميع •

عندما يختار الرجل زوجة لابنه فانه قد يسأل رأيه ولكن القرار النهائى يصدر عن الاب دائما • وبناءا على الانفصال التام بين الجنسين ، الا حين يكونان اقارب ، فانه قد تختار العائلة فى كثير من الحالات عروسا لعريس لم يسبق له ان رآها • وفى حالات قليلة معروفة فى القرية ترك الازواج زوجاتهم اللاتى لم يرغبوا فيهن لقبحهن أو لسوء معشرهن بعد الزواج مباشرة ، وفى حالة واحدة طلق العريس عروسته فى صباح اليوم الاول للزواج لانه كرهها حالما وقعت عيناه عليها • ولا يستأنس برأى الفتاة فى أمر زواجها مطلقا كما انها لا تستطيع ان ترفض رجلا يطلب يدها فى الزواج • ولها ان تعترض على تزويجها خارج القرية فقط مدعية انها لا تطيق العيش بعيدة عن عائلتها وعشيرتها •

ان اختيار الزوجة يكاد أن يكون قائما فى اغلب الاحيان على اساس سمعة العائلة وعلى اخلاق الفتاة وجمالها • فالفتيات يفضلن ان كانت عوائلهن وخاصة النساء فيها معروفة بالهدوء وبأنهم (خوش وادم) • والفتاة التى تعرف عائلتها بالرغبة بالشجار وبالخلق السىء ، لا تطلب • وتزداد قيمـة الفتاة ان كانت مشهورة بالوداعة والطاعة والمثابرة على العمل • ويجب ان تعرف الفتاة بالعفة والطهارة والا تكون لها علاقات غرامية سابقة • فالناس فى القرية يترددون فى خطبة فتاة من هذا النوع خشية ان تهرب مع حبيبها بعد الزواج • ويزيد جمال الفتاة فى قيمتها ، ولكن هذا الشرط لا يرتقى لاهمية الشرطين المتقدمين • فالفتيات الجميلات يمنحن مهورا عالية • ومن

المهم ذكره هنا ان بعض العوائل تمتنع عن تزويج بناتها الى الاغنياء خوفا من ان تصبح بناتهم ضرات حين يتزوج اولئك الاغنياء زوجات ثانيات أو ثالثات فيقضين حياتهن فى جحيم حياة الضرات المتميزة بالشجار والدس والسحر •

ان السن الاعتيادى للزواج بين الشباب هو ٢٠–٢٢ سنة وبين الفتيات بين ١٤–١٦ سنة • وتعطى الفتيات فى الزواج فى بعض الاحوال حتى قبل بلوغهن خاصة حين يتبادل رجلان فى الزواج اختيهما أو أية فتاتين اخريين من اقاربهما فى زواج (الصدق)[1] • وقد يشترط والد الفتاة غير البالغة الا يواقع الزوج زوجته حتى تبلغ • وفى بعض الاحوال يمكن ان يعين طفلان كزوج وزوجة فى المستقبل بان تقرأ (فاتحة العباس)[2] توثيقا لتعاهد اهليهما على تزويجهما حين يبلغان اشدهما • ومن المعتقدات الجازمة ان شرا كبيرا سيحيق بوالدى الفتى والفتاة ان هما نقضا تلك الخطوبة بغض النظر عن كافة الاسباب والملابسات •

ويتحمل الوالد المسؤولية الاساسية فى تدبير الخطوبة • فهو قد يحتاج الى تدخل أحد رجال فخذه أو (خيّر) أو قد يحتاج حتى لتدخل رئيس الفخذ أو الحمولة •

ويدفع المهر نقودا ، ولكن يجوز فى حالات خاصة أن يقدم أهل العريس الماشية أو الاثاث ، خاصة صناديق الملابس والسرر الخشبية الى اهل

---

(١) سيأتى ذكره فى هذا الفصل •

(٢) (فاتحة العباس) هى سورة الفاتحة من القرآن ولكنها تقرن باسم الامام العباس لان المعتقد ان هذا الامام هو المشرف أو القيم على تنفيذ هذا الوعد فان نكثه احد الطرفين أو كلاهما فان الامام العباس سينزل بهم عقابا شديدا • والجدير بالملاحظة ان كثيرا من المعتقدات الدينية ورموزها تربط بالعباس كمثل (سيف العباس) و (راية العباس) والسبب ان اهل الچبايش، شأنهم بذلك كبقية سكان الاهوار فى العراق ، يعتقدون ان الامام العباس شديد الانتقام •

العروس وينزل ثمنها الذى يتفق عليه بين الطرفين من المهر ، شريطة رغبة اهل العروس فى ذلك • والعادة ان يدفع المهر كله مقدما ولكن قد يتفق الطرفان على ترك جزء منه ليدفع فيما بعد الزواج •

والمهر فى الچبايش نوعان ؛ مهر للزواج من فتاة من نفس الفخذ Intra-lineage bride-price ، ومهر للزواج من فتاة من خارج الفخذ Extra-lineage bride-price • والمهر الخاص بالفخذ مقياس ودليل على تماسك الفخذ ولذا فاننا ننسب تأجيل بحث هذا النوع من المهر الى الفصل القادم حين نتطرق لدراسة الفخذ •

ويتراوح المهر المدفوع للتزوج من فتاة من خارج الفخذ بين ٥٠/٠٠٠ و ١٠٠/٠٠٠ دينار وقد يهبط هذا المهر الى ٣٥/٠٠٠ دينارا فى حالة التزوج بمطلقة أو أرملة ، كما قد تدفع مهور عالية تصل الى ١٢٠/٠٠٠ دينارا للفتيات المرغوب فيهن جدا • ولقد دفع فى حالة واحدة شاذة مبلغ ١٨٠/٠٠٠ دينارا لفتاة مفرطة الجمال خطبها وتهافت عليها عدد من الرجال • ويطلب من الرجال غير المرغوب فيهم لسوء سمعتهم مهورا عالية لحد غير مألوف اما لكى يزهدوا بالفتيات اللاتى يخطبون أو ليستغلوا اعتمادا على ان أهل القرية لا يزوجونهم نساءا • فلقد دفع حميدى آل عامر مثلا ، وكان ذا سمعة رديئة للغاية ومركز اجتماعى وضيع لانه كان فى شبابه المبكر راقصا[1] ، مهرا قدره ١٠٠/٠٠٠ دينار لفتاة ما كانت لتحصل على اكثر من ٦٠/٠٠٠ دينارا لو تزوجت من رجل حسن السمعة • ولقد وجدت ان (١٤٤) مهرا قد دفعت فى (١٦٤) حالة زواج حدثت داخل الافخاذ وخارجها فى ال (١٢٠) عائلة المدروسة • أما العشرون زواجا التى عقدت بلا مهور فكانت من نوع

---

(١) لا وجود لرقص النساء فى الچبايش ولكن رقص الاولاد موجود بين فخذ واحد من حمولة الحداديين فقط • واتخاذ الرقص مهنة أمر محتقر جدا ويعتبر عملا مخزيا و (شغل كاولية) •

زواج الـ (گعيدى) و (الفصل) والـ (صدق) ، وهذه كلها انواع من الزيجات التى تعقد بلا مهور . وكان اعلى مهر دفع بين ال (١٤٤) حالة هو ١٠٠/٠٠٠ دينار وأوطأ مهر ٣/٠٠٠ دنانير . وكانت نسب المهور الآنفة الذكر كالآتى :

مهور دفعت داخل الفخذ :

٢٣ (١٦٪ من ال ١٤٤ مهرا) من ٣/٠٠٠ دنانير الى ١٠/٠٠٠ دنانير
٢٣ (١٦٪ من ال ١٤٤ مهرا) من ١١/٠٠٠ دينارا الى ١٥/٠٠٠ دينارا
٣٥ (٢٤ر٣٪ من ال ١٤٤ مهرا) من ١٦/٠٠٠ دينارا الى ٢٠/٠٠٠ دينارا

مهور دفعت خارج الفخذ :

١٩ (١٣ر٢٪ من ال ١٤٤ مهرا) من ٢١/٠٠٠ دينارا الى ٢٥/٠٠٠ دينارا
١٨ (١٢ر٥٪ من ال ١٤٤ مهرا) من ٢٦/٠٠٠ دينارا الى ٣٠/٠٠٠ دينارا
١٤ (٩ر٧٪ من ال ١٤٤ مهرا) من ٣١/٠٠٠ دينارا الى ٤٠/٠٠٠ دينارا
٣ (٢ر١٪ من ال ١٤٤ مهرا) من ٤١/٠٠٠ دينارا الى ٥٠/٠٠٠ دينارا
٥ (٣ر٥٪ من ال ١٤٤ مهرا) من ٥١/٠٠٠ دينارا الى ٦٠/٠٠٠ دينارا
٢ (١ر٤٪ من ال ١٤٤ مهرا) ٧٥/٠٠٠ دينارا .
١ (٠ر٧٪ من ال ١٤٤ مهرا) ٩٠/٠٠٠ دينارا
١ (٠ر٧٪ من ال ١٤٤ مهرا) ١٠٠/٠٠٠ دينار .

وكانت ٥٦ر٣٪ من هـذه المهور ال ١٤٤ وعددها ٨١ مهرا دفعت داخل الفخذ وقـد تراوحت بين ٣/٠٠٠ دنانـير و ٢٠/٠٠٠ دينارا ، و ٤٣ر٧٪ منها وعددها ٦٣ مهرا دفعت خارج الفخذ وقد تراوحت بين ٢١/٠٠٠ دينارا و ١٠٠/٠٠٠ دينار .

ورغم انه يعتبر من حق الوالد أن ينشد مهرا عاليا لابنته بان يزوجها

خارج الفخذ فان الذين يخرجون على القواعد التقليدية بتمتعهم بهذا الحق ينتقدون نقدا لاذعا . فالغرض الاساسى للوالد الذى يزوج أبنته خارج الفخذ هو حصوله على مهر اعلى فيظفر بذلك على فرصة لاداء دين قديم أو ليحصل بمهر أبنته على زوجة لولده . وتبدو هذه الرغبة واضحة فى المساومة التى تجرى عند تعيين المهر فيساوم الوفد الذى يرسله اهل الخاطب ، ويضم عادة (سيد) أو (خيونى) أو شخصا بارزا وليّ أمر الفتاة المخطوبة كما يساوم على بضاعة تُشترى . ثم يطلب اعلى اعضاء الوفد منزلة من وليّ أمر الفتاة المخطوبة أن ينزّل من المهر الذى انتهى الاتفاق عليه جزءاً اكراما (لجده) أو لشرف عائلته أو لمكانته . ولقد زوّج مثلا مطلگ آل حسان من فخذ آل حجى سارى احدى بناته الى ابن أخ عبودة آل سلمان ؛ حاتم آل صيهود ، بمهر قدره ٦٠/٠٠٠ دينارا . وعندما حدث بعد ذلك نزاع بينه وبين عبودة آل سلمان صار مطلگ وما انفك يردد بمرارة جملة تصور وجهة النظر المحلية فى هذا الموضوع فكان يقول : (بديته هوّ أبو ستين على الوادم لطت ميه). ومثل آخر هو قضية تعتبر مثلا ليس لرغبة الآباء فى الحصول على مهر عال فقط بل على تحطيم الحواجز الاجتماعية والعمل ضد التقاليد للحصول على ذلك . فلقد كانت لرجل اسمه عطشان من حمولة آل الشيخ بنت خطبها لابنه رجل اسمه مزهر ، وهو صابئى[1] دخل الاسلام . ويعتبر الصابئة فى الجبايش نجسـين Religiously unclean ، وعليـه فلا يجـوز التزاوج معهم مطلقا . فقدم مزهر مهرا قدره ٩٠/٠٠٠ دينارا لابنة عطشان وهو مهر مرتفع جدا بالنسبة لها ولمركز ابيها فى العشيرة . فرضى الاب أن يزوج أبنته بلا تردد ، رغم ان كثيرين لاموه لاعطائه ابنتـه لرجل كان والده صابئيا . ثم (نهى)[2] عطشان رجل من فخذه بألا يستمر فى اجراءات

(١) سندرس الصابئة ومركزهم الاجتماعي فى القرية بتفصيـل فى الفصل السادس .
(٢) راجع الفصل الخامس .

الزواج ، ولكن عطشان رفع شكوى على ذلك الرجل عند السركال • ولقد سمعت عطشان يقول فى مضيف السركال على مشهد من عدد كبير من الناس وبشكل واضح وبقوة : (بويه آنه رجال فقير ، واطيت بتى بتسعين دينار ، من كون ابن عمى يطلى‌هاكثر ، آنه هسها أطيها لـه) • وبعد مناقشات طويلة وبعد ان عبر كل الحاضرين عن رأيهم بأن من الخزى ان تزوج فتاة لابن صابئى ، قبل عطشان ان ينزل المهر الى ٧٥/٠٠٠ دينارا • ولما كان قريبه الذى نهاه غير مستعد ان يدفع ذلك المبلغ فان عطشان لم يابه له • وحين ألح عليه رفع عطشان شكواه الى الحكومة واستمر فى ترتيباته لاتمام الزواج بين أبنته وابن مزهر الصابئى •

وللأب مطلق الحرية فى ان يحتفظ بكامل المهر لنفسه ولكنه ينتظر منه ان يزود أبنته بادوات منزلية كاملة • والعادة الجارية ان يعطى الآباء بناتهم حوالى ثلث المهر ليزودوا أنفسهن بالملابس والفراش وسرير واناء لجلب الماء (مصخنه) وطشت وابريق وصندوق خشبى لحفظ الملابس ودولاب خشبى (محمل) وشىء من ادوات الزينة ، يعتبر الخلخال الفضى اهمها • ويرسل بعض الآباء بناتهم الى بيوت ازواجهن بدون اى اثاث مصطحبات ملابسهن فقط فى حين يترك آخرون المهر كله لهن ليزودن انفسهن بكثير من الملابس وادوات الزينة وبأحسن الادوات المنزلية • والمتوقع من الآباء ان يقدموا هدية من الحلي لبناتهم حين يتزوجن •

وينشد الاب ذو البنات فقط الذى لا يملك اولادا يعملون له شابا محتاجا عاجزا عن تدبير مهر لنفسه فيزوجه احدى بناته بلا مهر • ويترتب على مثل هذا الزواج ، ويسمى (گعيدى) Matrilocal marriage ان يقيم مع اهل زوجته ويعمل لهم • وبما ان اقامته بين اهل زوجته وعمله لهم تعتبران عوضا عن المهر فان عليه ان يدفع لوالد زوجته مهرا متفقا عليه عند عقد الزواج ان هو اراد اخذ زوجته والانفصال بها عن اهلها • فان

هو أراد تطليقها فلا يدفع أحد من الطرفين اى مبلغ من المال •

والرجال القادرون ماليا لا يقبلون ان يتزوجوا على المنوال السابق (گعيدى) فيعيشوا تحت سلطة اهل زوجاتهم فى الوقت الذى يستطيعون فيه دفع مهور لزوجات تأتى لتعيش بين اهليهم وفى بيوتهم بالطريقة المألوفة • وينظر اهل الچبايش لـ (گعيدى) نظرة احتقار • ففى علاقتـه مع والد زوجته فى الواقع شىء من العبودية ولذا فهو لا يتمتع الا بقليل من السلطة والسيطرة على زوجته •

وهناك نوعان من الزواج خارج الفخذ لا يدفع فيهما مهر • الاول زواج ال (گعيدى) وقد مر ذكره ، والثانى زواج ال (صدق) وهو الزواج بالتبادل Marriage by exchange • فقد يتبادل الرجال اخواتهم وفى حالات نادرة بناتهم وبنات اخوانهم كزوجات ، فيعطى الرجل اخته زوجة لآخر ليأخذ مكانها اخته زوجة لنفسه • فان كانت احدى الفتاتين تحت سن الزواج ، ويحدث بعضا فى زواج ال (صدق) تزويج فتيات حتى قبل بلوغهن الحلم ، فعلى اهلها ان يقدموا لمن سيتزوجها مبلغا من المال يسمى (كبّارة) كتعويض له لانه لا يستطيع ان يتمتع بعروسه كزوجة بشكل أكمل لحين بلوغها الحلم • وكلما كانت العروسة صغيرة فى العمر كلما ارتفع مبلغ ال (كبّارة) الواجب دفعه • والمفروض في الزوج الذى يتزوج عن طريق التبادل فتاة لم تبلغ الحلم بعد الا يواقعها حتى تنضج • ولقد برهن هذا النوع من الزواج على فشل وكان دائما يختتم بمشاكل • والسبب فى ذلك ان اهل كل من الفتاتين المتبادلتين يبادرون الى طرد كنتهم ان طلق ابنتهم زوجها أو طردها من بيته بغض النظر عما اذا كان ابنهم وزوجته يحبان بعضهما أم لا • وقد يؤدى الفصل بين زوجين متحابين لمجرد عدم نجاح الشق الثانى من الصفقة الى (نهيبة)• ففى عام ١٩٥٢ زوج مزهر آل نشتر أبنته الى كاظم آل جمعة وأخذ أخت الاخير زوجة لابنه • وبعد

مضى فترة وجيزة طلق ابن مزهر زوجته لالحاح أمه ، فطرد كاظم آل جمعة زوجته انتقاما من أهلها رغم انه وزوجته كانا يحبان بعضهما ويعيشان سعيدين جدا • ثم طلقت ابنة مزهر من زوجها بعد زمن ، وعقد عليها لتتزوج من رجل آخر • ولكن قبل ان يقع الزواج الجديد بايام قليلة ترصد كاظم آل جمعة ، الذى ندم على تطليق زوجته ندما شديدا ، لها فخطفها (نهبها) عندما كانت تحش الحشيش فى الهور مع اخيها الصغير واخذها قسرا فى زورقه وهرب بها خارج القرية •

ولا تفرض التقاليد في الچبايش زواجا ثانويا Secondary marriage من نوع معين[1]• ولا يحدث الا نوع واحد من ال Sororate marriage وهو التزوج باخت الزوجة بعد موتها[2] لان الجمع بين الاخوات كزوجات محرم شرعا[3] • وكذلك يحدث نوع واحد فقط من ال Levirate Marriage ، وهو زواج الاخ بأرملة أخيه[4] • ولكن كلا الزواجين ؛ الزواج بأخت الزوجة المتوفاة وبأرملة الاخ ، اختيارى محض • فالاول يتوقف على رغبة الارمل الذى ليست له حقوق ولا عليه واجبات فى هذا الصدد • ولكن كلا من اهل الزوج والزوجة يفضلون هذا النوع من الزواج ان كانت الزوجة قد تركت اطفالا قصرا بعد وفاتها • فان زوجة الاب الخالة

---

(١) تفرض بعض المجتمعات المتأخرة نوعا خاصا من الزواج الثانوى ، وهو كل زواج يعقده الزوج بعد زواجه الاول ، كأن توجب زواج الزوج بأخت زوجته المتوفاة Sororate marriage أو تلزم الرجل بالتزوج من أرملة أخيه Levirate marriage .

(٢) وتجيز بعض المجتمعات المتأخرة الجمع بين الاخوات كزوجات بنوع من الزواج يطلق عليه اسم Sororal polygyny .

(٣) الآية ٢٣ من سورة النساء المار ذكرها سابقا •

(٤) ويجيز عدد قليل جدا من المجتمعات المتأخرة زواج أخوين أو اكثر من زوجة واحدة فى وقت واحد وهو يسمى Fraternal polyandry والموجودفيقبيلة الـ Toda القاطنة فيجنوبالهند وفي بعض قبائل التبت •

ترعى اولاد اختها خيرا من الغريبة • وكذلك لا يوجد ما يضطر الاخ للزواج من أرملة اخيه رغم ان كثيرا من الاخوان يرغبون فى ذلك ان كان الاخ المتوفى قد ترك اطفالا يعتبر اولئك الاخوان هم المسؤولون بحكم التقاليد عن تنشأتهم وتربيتهم • ولكن بعض أهل الچبايش يعتقدون ان من المكروه ان (يدوس الاخو فراش اخوه) أى ان يواقع الاخ المرأة التى كانت زوجة لاخيه • والتزوج بارامل الاب محرم دينيا وينظر لمثل هذه النسوة كالامهات• اما التزوج بارامل الخال والعم فمحتقر جدا وينظر له كشىء مخجل ولكن المعروف ان مثل هذه الحالات وقعت فعلا فى القرية •

ان السببين الرئيسيين للطلاق فى الچبايش هما الزنى والعقم • فتعاقب المرأة الزانية بالطلاق من زوجها والقتل من اهلها • فان كانت غريبة عن زوجها فعليه ان يرسلها الى اهلها ويطلقها تاركا عقابها لهم • ويلجأ اهل الزوجة الزانية الى قتلها سرا • ولكن الزوجة لا تستطيع ان تطالب بالطلاق من زوجها الفاسق • فعليها ان تشتكى حالها لاهلها الذين قد يلفتون نظره الى شكوى زوجته •

ولا يُبقي الرجال النساء العقيمات كزوجات الا فيما ندر • فاهل الچبايش يعتقدون ان كلا الزوجين يمكن ان يكون السبب فى العقم ولذا فيبادر الزوج الى التزوج من زوجة ثانية وحالما تلد له هذه الزوجة طفلا يطلق الزوجة الاولى التى يثبت له عندئذ عقمها •

وهناك اسباب اخرى مختلفة اقل اهمية فى الطلاق من السببين المتقدمين مثل سلوك الزوجة السىء وعدم تدبير المنزل والتبذير فى مصروفاته وفى بعض الاحيان تأثير الدس والمؤامرات التى تحيكها الضرات لبعضهن •

لقد بينا ان الازواج يستطيعون فى أى وقت ولأى سبب ان يطلقوا زوجاتهم • فان كانت للزوج اسباب مقبولة اجتماعيا او ان كانت الزوجة ترغب فى ترك زوجها فان له الحق ان يستعيد المهر الذى اعطاه مع كافة

المصاريف التى صرفها على حفلات الزواج • ويستطيع الزوج ان يطلب أى مبلغ ، قد يصل فى بعض الحالات الى ضعف المصروفات الاصلية كما انه قد يكتفى بأخذ ما دفعه وصرفه فعلا ، أو قد يطالب بأقل مما دفع وصرف • فان لم يكن للزوج عذر مقبول فليس له الحق فى المطالبة لا فى المهر ولا فى مصاريف حفلات الزواج • وفى حالات خاصة يرغب الطرفان ؛ الزوج واهل الزوجة ، فى الطـلاق فيتفقان على دفع مبلغ معين يكون عادة المهر وحده • ويدفع مثل هذا المبلغ للزوج اما عندما تتزوج مطلقته مرة اخرى ويسمى الطلاق عندئذ (بگصيبتها) ، ويعتبر مخالفا لتعاليم الدين ، أو قد يدفع المبلغ بعد أمد يتفق عليه الطرفان •

ان الاعذار المقبولة اجتماعيا للطلاق هى اقتراف الزوجة جريمة الزنى أو هربها مع حبيب أو أن يثبت انها ليست باكرا • ويختلف الرجال فى سلوكهم تجاه عدم ثبوت بكارة زوجاتهم • فقد يطلق العريس عروسه التى يكتشف ليلة زواجه منها انها لم تكن باكرا ويعيدها الى اهلها توا ويطالب بالمهر وبمصاريف الاحتفالات • فى حين قد يتفق بعض الازواج سرا مع اهل عرائسهم على ان يرضى الزوج بزوجته الثيب شريطة ان يعيد له اهلها قسما من المهر على اساس ان الزوجات الثيبات يتزوجن بمهور اقل كثيرا من مهور البواكر •

والطلاق عملية سهلة المراسيم ؛ يذهب الزوج الى (المومن) ، وهو رجل مخول دينيا بعقد الزواج والطلاق وما الى ذلك من الاجراءات الشرعية، ويعلن أمامه وبحضور رجلين شاهدين ان زوجته طالق • فيقول « حرمتى (يذكر اسمها واسم ابيها) طالق واستغفر الله » ويرسل (المومن) الى المطلقة ، بعد ان يسجل عنده فى سجل خاص تفاصيل الطلاق ، وثيقة تثبت تاريخ ونوع الطلاق •

وهناك فترة أمدها مائة يوم يجب ان تمر بين تطليق وزواج المطلقة مرة

أخرى • وتسمى هذه الفترة (العدة) وتفرض للتأكد بان الزوجة ليست حاملا من مطلقها • فاذا ما ثبت انها حامل فانها لا تستطيع ان تتزوج مرة أخرى الا بعد الولادة • وابان فترة العدة يستطيع الزوج المطلق ان يعيد مطلقته بدون أية اجراءات ان كان قد طلقها بناءا على رغبته ، أى ان كان لم يستعد المهر ولا ما صرف على احتفالات الزواج • فتمزق وثيقة الطلاق ويرسل الزوج عادة هدية من الملابس لمطلقته التى يريد اعادتها كتلطيف لخاطرها ولاسترضائها • فان رغب الزوج فى اعادة مطلقته بعد نهاية فترة العدة فعليه ان يتزوج بها مرة أخرى حسب الاصول المرعية فى الزواج الاعتيادى ، مع فرق واحد وهو عدم دفع مهر فى هذا الزواج • وهذا الاجراء ، وهو نادر جدا ، يسمى (ندمه) • اما الشكل الثانى من الطلاق ، حين يحق للزوج ان يستعيد المهر ويلزم أهل الزوجة باعادة مصاريف الزواج ، فلا مجال فيه لاعادة المطلقة الى مطلقها مهما كانت الظروف •

اذا تركت الزوجة زوجها وبيته أو رضيت ان تتطلق فانها تفقد كافة حقوقها المالية • اما اذا طلقت ضد رغبتها فلها الحق فى نفقة من زوجها لنفسها لمدة العدة ولطفلها حتى يفطم أو يبلغ العامين من عمره • ويعين مقدار النفقة (المومن) بحسب حالة الزوج المالية وبالنظر لمستوى المعيشة المحلى • ويعود كافة الاولاد من الجنسين الى أبيهم بعد الطلاق • اما الاطفال فيستطيع الاب أخذهم مباشرة بعد الفطام الذى يجب ان يقع فى نهاية العام الثانى من عمر الطفل • ويرضى بعض الآباء أن يترك اطفالهم لمدة أطول فى رعاية أمهاتهم المطلقات •

وتعود النسوة المطلقات عادة للعيش بين اهلهن ولا يرغبن فى الزواج كثيرا • فأهل الچبايش يفضلون الارامل فى الزواج على المطلقات ، لان سوء الخلق وعدم اللياقة كزوجة صالحة مفروض فى المطلقات • وتسمى المطلقة التى تتزوج مرة أخرى (عزبة) ويقدم لها مهر لا يتجاوز فى العادة نصف ما يقدم للفتاة الباكر •

وتحترم الارملة وتعاون كثيرا من قبل أهلها وأهل زوجها على حد سواء • فان كان لها أطفال فذلك يعطيها فرصة للتزوج مرة أخرى فى فخذ زوجها المتوفى • وتستطيع الارملة ان تستمر على العيش فى بيتها كما كانت قبل وفاة زوجها أو ان تستجير بأخ لزوجها المتوفى • فلقد رفضت مثلا أرملة كريم آل ماهود ، لان لها أطفالا صغارا ، ان تعود لاهلها أو أن تتزوج مرة أخرى بعد وفاة زوجها رغم انها شابة وان كثيرا من الرجال طلبوا يدها فى الزواج • فبقيت فى بيت زوجها تعمل بجد لكسب عيشها وعيش اطفالها الصغار • ولهذا فقد كانت تتمتع باحترام أهل زوجها وأهلها وكان الكل يحاول ارضاءها وتطمين رغباتها • ولكن الارامل اللواتى لم يخلفن اطفالا يعدن دائما الى أهلهن وتكون لهن فرص أكثر فى الزواج مرة أخرى • وعلى أهل الزوج المتوفى مسؤولية تقديم أية مساعدة تحتاجها الارملة حتى تتزوج مرة أخرى • واذا رغبت أرملة ذات أطفال ان تعيش مع أهلها فالعادة الا يمانع أهل زوجها المتوفى فى ذلك • والمفروض انها يجب ان تترك أطفالها لاهل زوجها فى مثل هذه الحالة ، ولكن الناس عادة ينظرون للارملة نظرة عطف شديد لانها منكوبة ويوافقون لذلك على ترك الاطفال معها مدة من الزمن •

الفصل الخامس

الفخذ والحمولة والعشيرة

THE LINEAGE, CLAN AND TRIBE

يعتبر أهل الچبايش أنفسهم اعضاء عشيرة واحدة هى (بنى أسد) • وقد كانت فى السابق وحدة سياسية وعسكرية تحت (مشيخة) آل خيون • وينقسم سكان القرية تسع حمايل تنقسم كل حمولة منها الى عدد من الافخاذ •

١ — الفخذ[١] THE LINEAGE

ينظر للفخذ فى الچبايش كوحدة اجتماعية ذات أهمية أكثر من أهمية العائلة نفسها لان الانتماء لفخذ معين مقياس أصدق للمركز الاجتماعى للفرد من الانتماء للعائلة • والاعضاء الفعالون فى الفخذ هم رؤوس العوائل التى يتكون منها ذلك الفخذ • ويتكون الفخذ من الذكور والاناث المتحدرين عن طريق النسب الابوى من جد عاش قبل ستة أو سبعة أجيال • وينتسب اعضاء الفخذ الواحد لبعضهم ولجدهم مؤسس الفخذ عن طريق النسب الأبـوى Patrilineal descent • ولكن النسبة العالية لحدوث التزوج داخل الفخذ Lineage endogamy تعنى ان التفريق بين الانتساب أبويـا Agnation والانتساب عن طريق الاب أو الام معا Cognation لايتفق وتكوين

(١) يسمى الفخذ باكثر من اسم واحد • فبجانب لفظة الفخذ يطلق عليه غالبا (لحمة) أو (خشبة) • ومن الجدير بالملاحظة ان العرب تطلق على اقسام القبيلة اسماء اعضاء الجسم مثل البطن والفخـذ ، رمزا الى أن تماسك القبيلة يشبه تماسك اعضاء الجسم البشرى •

الفخذ القائم على أساس أبوى[1] • وهناك فخذ أو فخذان فى القرية عمرها أربعة أجيال[2] فقط نتيجة لانقسام Fission حديث الوقوع • وكنتيجة (للكتبة)[3] قد يحتوى الفخذ على بعض الافراد أو على عوائل تنتسب لغير مؤسس الفخذ الذى ينتسب له أعضاء الفخذ الاصليين •

وتوجد فى الچبايش تسعة وثلاثون فخذا ، تتراوح فى سـعتها من خمسين الى مائتى شخص • ويتوقف حجم الفخذ ، بغض النظر عن عوامل أخرى ، على عدد الغرباء المنظمين اليه بـ (الكتبة) • وتنقسم الافخـاذ الكبيرة الى أقسام Sub-lineages ينتسب كل قسم منها الى ابن من ابناء مؤسس الفخذ • ولا تملك الافخاذ الاخرى هذه التقسيمات الداخلية التى تربط عوائلها بجماعات أو كتل داخل بناء الفخذ •

وتعيش الافخاذ بصورة اعتيادية متكتلة كل فى أقليم واحد منفصل ، يحتل أعضاؤه جزرا متقاربة ، ويزرع قطعة واحدة أو قطعا متجاورة من الارض • وتمتلك الحمايل وليس الافخاذ الحقوق الاقليمية Territorial rights فى اراضى السكنى فى القرية • والتزاحم والضغط على جزر السكنى كبير ولكنه لا يمنع بذاته الافخـــاذ من الانفصال عن حمايلها متى تدعو الضرورة للتفتيش عن جزر لتقطن عليها فى أقاليم حمايل أخرى • وفى أغلب الحالات التى ينشد فيها أفراد فخذ من الافخاذ العيش فى اقليم

---

(١) حين يكون النسب ابويا مع عدم وقوع زيجات بين رجال وفتيات من الفخذ نفسه ، ينقسم الفخذ كله عندئذ الى قسمين متميزين ؛ الزوجات الغريبات وبقية اعضاء الفخذ الذين ينتسـبون لبعضهم ابويا Agnaticly اما حين يتزوج رجال الفخذ بفتيات منه فان اعضاء الفخذ المولودين نتيجـة لهذه الزيجات ينتسبون لآبائهم ولاخوالهم الذينهم اعمامهم بنفس الوقت ، فيصبح النسب فى هذه الحالة Cognation مع عدم التعارض مع الاساس العام الذى يقوم عليه النسب وهو Patrilineal descent .

(٢) نعنى بالعمر هنا Depth ، وبالجيل Generation .

(٣) (الكتبة) هى اندماج شخص أو اشخاص أو قسم من فخذ وربما فخذ بأكمله بفخذ أو حمولة عن طريق التبنى وبعد كتابة وتوقيع وثيقـة خاصة • انظر ما بعده •

حمولة غير حمولتهم الاصلية يترتب عليهم ان (يقيدوا) بصورة رسمية ، أى ان ينضموا بالتبنى الى الحمولة التى سيعيشون معها فيصبحوا جزءا منها • ولذا فوجود فخذ فى أرض حمولة غير حمولته ، أصلية أو متبنية ، غير اعتيادى • وكانت فى الچبايش أربعة أفخاذ فقط تعيش فى أرض لحمايل لا تنتسب اليها أصلا أو عن طريق التبنى وهى :

١ - البو مسـعود : وهم أصلا من حمولة الحداديين وقيدوا فى عام ١٩٤٧ مع حمولة آل الشيخ ، ولكنهم الآن يسكنون فى اقليم حمولة آل ونيس •

٢ - ألبو زهرون : وهم من حمولة آل الشيخ ولكنهم يعيشون الآن فى اقليم حمولة آل عنيسى •

٣ - البخاترة : وهم من حمولة آل الشيخ ولكنهم يعيشون الآن على انفراد قرب حمولة آل لمعبر •

٤ - آل هجول : وهم من حمولة الحـداديين ويعيشـــون الآن مع حمولة آل خاطر •

وثلاثة من هذه الافخاذ الاربعة من حمولة آل الشيخ وهى الحمولة التى تتمتع بارفع اعتبار فى القرية فلا يقيد أفرادها ، بسبب ذلك الاعتبار ، مع حمايل أخرى بل على العكس ينشد الآخرون التسجيل معهم والانضمام اليهم • والفخذ الرابع يعيش مع حمولة آل خاطر وهم (معدان) فى الاصل ، ولذا فلا يرضى أحد من بنى أسد أن يسجل معهم •

وقد يكون سبب هذه التنقلات بين الافخاذ وأقسامها نمو الفخذ نفسه أو نزاع أو خصام بين شيوخه • وتحدد ندرة الجزر فى القرية التنقل والحركة بين الافخاذ وأقسامها وتقضى على الرغبة فى الانقسام ، فتضطر المجموعة الغاضبة أو المتألمة الراغبة فى الانفصال على الاستمرار على العيش فى مكانها بين حمولتهـا ، فتزداد فرص الصلح والترضية بين الجانبين المتخاصمين •

ويوحد أعضاء الفخذ الواحد الذين يشعرون بانهم أخوة ويصفون أنفسهم دائما بانهم (خوان) و (أولاد عم) تماسك قوى • فاللفظة (عمى) تستعمل باوسع مما وضعت له اصلا وهو أخ الاب ، فتطلق على كل رجل فى الفخذ من نفس جيل أب المتكلم • وتحترم كافة نساء الفخذ كاحترام الامهات وتحب بناته وشبابه كأخوات وأخوان • ويشعر كل فرد من أفراد الفخذ بصورة شخصية بكل اهانة أو أذى يصيب أى عضو من اعضائه •

ويتصرف الفخذ كوحدة فى كل علاقة له مع الخارج ؛ كالنزاعات والتعويضات والاعمال الجماعية Communal work • ففى النزاعات مع اعضاء فخذ آخر يشعر كل فرد فى الفخذ بانه مسؤول عن النزاع ومتصل به بقدر ما يفعل الشخص أو الاشخاص الذين يهمهم الامر • ويعاضد كل فرد من الفخذ قريبهم المتنازع حتى لو كان معتديا ويناصرونه ظالما أو مظلوما ، رغم أن شيوخ الفخذ قد يلومون المعتدى سرا ويوبخونه •

ويتحمل أفراد الفخذ (الفصل) لاية جريمة يقترفها أى عضو فى الفخذ ضد عضو فى فخذ آخر من نفس حمولته • وبالاضافة الى هذا فعلى أفراد الفخذ ان يشاركوا مع أفراد الافخاذ الاخرى لحمولتهم فى دفع التعويضات عن جرائم يرتكبها عضو فى حمولتهم ضد شخص من الحمايل الاخرى فى العشيرة • وهناك جرائم معينة يتحمل الفخذ وحده ، رغم اقترافها خارج الحمولة ، دفع فصولها[1] •

والعمل الجماعى مجال آخر لاظهار وحدة الفخذ والتعبير عنها • فاذا ما أراد الفخذ ان يساهم بعمل يؤدى للحمولة أو للحكومة فان رجال الفخذ يتصرفون كوحدة حيال الافخاذ الاخرى • ففى بناء مضيف لرئيس الحمولة مثلا ، يأخذ كل فخذ على عاتقه جزءا من العمل كالتعهد بركز وشد وتغليف زوج من الاعمدة القصبية (الشباب) مثلا ، ويتنافس رجاله مع

(١) سيأتى بحث (الفصول) والتعويضات فى هذا الفصل •

رجال الافخاذ الاخرى لانهاء العمل باقصر وقت وعلى أحسن وجه • وفى حادثة معينة طلب مدير الناحية من أحد أفخاذ حمولة آل الشيخ ان يقيموا سدا من القصب عند مصب كرمة الغميجة فى النهر • فرفض الفخذ القيام بذلك العمل فألقى مدير الناحية القبض على بعض رجال ذلك الفخذ وأودعهم الموقف • وبعد بضع ساعات حضر دار الحكومة كل رجل من أعضاء الفخذ كان فى القرية حينذاك وطلبوا من مدير الناحية اما أن يطلق سراح الموقوفين أو ان يضعهم جميعا فى الموقف مع رفاقهم • ولقد قالوا فى مناقشتهم مع مدير الناحية بوضوح وتكرار : « لماذا يتحمل هؤلاء الرجال القلائل وحدهم المسؤولية التى تقع على كاهل كل واحد منا ؟ (احنه لحمة وحدة) » •

ووحدة الفخذ فى الامور الداخلية الخاصة به ، كالزواج وبعض الالتزامات الاقتصادية ، ظاهرة وتعاون أفراده قوى وفعال • فشيوخ الفخذ يسيطرون على زيجات كافة اعضائه خاصة ان كان الامر يتعلق بتزويج فتاة من الفخذ خارجه • فعلى الرجل من الفخذ التزام قوى ان يتزوج ابنة عمه • وعندما يكون عمه بلا بنت فى سن الزواج ، فى تلك الحالة فقط ، يجوز للرجل ان يفتش لنفسه عن زوجة من بين العوائل الاخرى فى فخذه • فان حدث وكان الفخذ بلا بنات قابلات للزواج فالمفروض فيه ان يوسع دائرة بحثه الى الافخاذ الاخرى من حمولته • فان فشل فى ايجاد زوجة لنفسه فى حمولته فعندئذ يستطيع ان يفتش عن واحدة من بين الحمايل الاخرى للعشيرة • ونسبة الزيجات خارج الحمولة واطئة جدا ، وقرابة خمسين فى المائة فقط منها خارج الفخذ • وبين المائة وعشرين عائلة كان (١١٨) رجلا قد تزوج من (١٦٤) زوجة (٦٣) زوجة منها (٣٨ر٤٪) كن بنات عم لازواجهن و (٢١) زوجة (١٢ر٨٪) كن نساءا من نفس أفخاذ أزواجهن ، غير بنات العم الآنف ذكرهن • وعلى هذا فتكون (٨٤) زوجة من الـ (١٦٤) ، أى (٥١ر٢٪) نساءا من نفس أفخاذ أزواجهن • وكانت (١٨) زوجة (١١٪) من حمايل أزواجهن ولكن لسن من نفس الفخذ و (٣٣)

واحدة (١ر٢٠٪) من العشيرة نفسها ولكن لسن من نفس حمايل أزواجهن • و (٢٩) زوجة فقط (٧ر١٧٪) كن غريبات عن القرية •
وعلى هذا فتكون :

نسبة التزوج داخل الفخذ ، Lineage endogamy ، ٢ر٥١٪

ونسبة التزوج داخل الحمولة ، Clan endogamy ، ٢ر٦٢٪

ونسبة التزوج داخل القرية ، Village endogamy ، ٣ر٨٢٪

ويدعي (بنى أسد) ان قاعدة التزوج داخل الفخذ والحمولة والعشيرة كانت أقوى فى السابق مما هى عليه الآن • فاتصال بنى أسد الطويل مع الحضارات غير البدوية خلال اقامتهم فى أماكن مختلفة فى جنوب العراق والنفى الطويل فى ايران والاهوار الشرقية بعد الجلاءات العسكرية بسبب الحروب مع العثمانيين ، كل هذه لعبت دورا فى هذا التغيير • فلقد استقرت (بنى أسد) منذ ستين سنة فى قرية الجبايش وترك أفرادها الحرب والسلب والتنقل الذى تقتضيه تلك الحياة وانصرفوا فى كسب معاشهم الى الزراعة وحياكة الحصر • فأدت حياة الاستقرار هذه الى تبديل فى بعض معالم النظام الاجتماعى فى العشيرة بما فى ذلك قاعدة التزوج داخل الفخذ والحمولة والعشيرة •

ويشجع التزوج داخل الفخذ Lineage endogamy كثيرا وجود مهر خاص بالفخذ Intra-lineage bride-price • فأكثر الافخاذ تعين لنفسها مهورا اسمية لتسهل بذلك زواج أفرادها فيما بينهم • فبينما يتراوح المهر العادى بين ٥٠/٠٠٠ و ١٠٠/٠٠٠ دينار ، تتراوح مهور الافخاذ اعتياديا بين ٥/٠٠٠ دنانير و ٢٠/٠٠٠ دينارا • فمهر آل خيون ١٨/٠٠٠ دينارا ومهر آل حجى سارى والبو مخيور ١٤/٠٠٠ دينارا فى حين أن مهر آل عويتى ٧/٠٠٠ دنانير •

وبما أن هذا ينطوى على خسارة اقتصادية لاولئك الاعضاء الذين يملكون بنات فقط ، أو الذين يجاوز عدد بناتهم عدد أولادهم ، فان المحتاجين

من أمثال هؤلاء يجازفون فى بعض الاحيان فى الخروج على هذه القاعدة بتزويجهم بناتهم خارج أفخاذهم ، وبذلك يعرضون أنفسهم لان يعاملوا معاملة الغرباء عن الفخذ فيما يخص المهر ان أرادوا زوجات لاولادهم من نساء فخذهم • وحتى حين يستطيع الاب الذى يزوج ابنته فى فخذه بمهر اسمى أن يعوض خسارته بحصوله على زوجة لولده بمهر اسمى أيضا ، فانه يفقد بخضوعه لهذه القاعدة فرصة تلافى مصروفات طارئة أو ايفاء دين متجمع من المهر المرتفع الذى يدفع لابنته فيما لو زوجت خارج الفخذ • ومن جهة أخرى يستطيع الاب تأجيل زواج ابنه لامد غير محدود بانتظار ظروف اقتصادية ملائمة ، دون ان يترتب على ذلك نتائج خطيرة •

وبجانب المهر الخاص بالفخذ ، هناك عاملان يشجعان على التزوج بين أفراده • أولهما ان الابناء ليسوا مستقلين اقتصاديا وان الآباء الذين يسيطرون على اقتصاديات العائلة هم المسؤولون عن تجهيز مهور زوجات لابنائهم • ولذا فالآباء يفضلون فتيات الفخذ اللاتى يستطيعون الحصول عليهن بمهور اسمية واطئة • وثانيهما ان الاعمام يأتون بعد الآباء فى السلطة ، وأن أى عضو فى الفخذ من جيل الاب ينظر اليه كعم • ولذا فان الزيجات من بنات العم أو من نساء الفخذ الاخريات مرغوب فيها جدا ، لان الزوجة تعتبر أبنة لاهل زوجها • فمثل هذا الزواج لا يدخل عنصرا غريبا لجسم العائلة فتزداد فرص نجاح ذلك الزواج • ويزوج الآباء بهذه الطريقة بناتهم لرجال لهم عليهم سلطة كبيرة ويعيشون قريبين منهم • وتفضل المرأة نفسها الزواج داخل فخذها خوفا من ان تساء معاملتها ان هى تزوجت بين أناس غرباء عنها وبعيدا عن أهلها • ويرفض بعض الرجال تزويج بناتهم خارج الفخذ على أساس ان الزواج داخل الفخذ يجعل بناتهم أقل تعرضا للطلاق أو لان يصبحن ضرات بزيجات تالية •

ويحق لاى رجل فى الفخذ ان ينهى عن تزويج أية فتاة فى فخذه خارج الفخذ • ويسمى هذا الحق (النهوة) الذى كان قبلا مصدرا لكثير

من المشاكل • فكان رجال الفخذ يطالبون بتعويضات عندما تهمل حقوقهم • كما كانت الفتيات يتركن سنين عدة ؛ ينهى الراغبون فيهن عن التزوج بهن ولايقدم الناهون على الزواج بهن • كما أسيء استعمال هذا الحق فى بعض الحالات ، لغرض الحصول على شيء من المال لقاء تنازل صاحبه عنه • وكان هذا الحق يخول الناهي فى الماضى ان يقتل كل من تسول له نفسه ان يتزوج ، رغم النُهية ، المرأة التى تعتبر زوجة فى المستقبل • واذا ما نهى شخص فلم يعر أقاربه (نهوته) اهتماما فقد يترك فخذه ، و (يدگ) عليهم مطالبا بحقه • فيأتى الناهى فى الليل فيطلق بضعة عيارات نارية من بندقيته فى الهواء ويصيح من مسافة بانه جاء ليذكرهم بحقـه ، فان لم يبادروا للاعتراف بذلك الحق فانه سيأتى بعد أمد وجيز مرة أخرى ليوقع بهم ضررا أو يلحق بهم أذى حقيقيا • والمفروض بمن يخصهم الامر ان يذهبوا له بوفد (مشية) ليلطفوا خاطره ويعتذروا منه • وقد تقدم له ، فى بعض الحالات هدايا من الالبسة • وبعد حادثة (نهوة) وقعت فى الچبايش قبل خمسة عشر عاما شعرت (بنى أسد) بالمساوىء التى تنطوى عليها هـذه العادة والاستغلال السيء الذى تستغل ، فمنع عبدالهادى آل خيون ، سركال حمولة آل الشيخ ، استعمالها بين حمولته ، وحث كافة حمايل بنى أسد الاخرى أن تفعل الشى ذاته ، فوافق الكل ووقعت وثائق تنص على هذا الاتفاق • ورغم هذا يحاول البعض ان يفرضوا حقهم فى (النهوة) • غير ان السراكيل والحكومة لا يتساهلون فى ذلك • وتتخذ الحكومة اجراءات شديدة على شكل ضمانات مالية من الذين يحاولون منع تزويج فتاة من أقاربهم • وهناك ميل عند أهل الچبايش ان توقع العوائل فيما بينها وثائق ينص فيها على الغاء (النهوة) بينهم ليضمنوا ان اقاربهم لا يستطيعون ان يمنعوا زواج بناتهم فى المستقبل •

ويتعاون اعضاء الفخذ الواحد ويؤدى بعضهم لبعض خدمات كبيرة • ففى الاعمال الكبيرة التى تحتاج لعدد كبير من الرجال ، كبناء مضيف أو

بيت ، من المعتاد أن تطلب معاونة اعضاء الفخذ • وتدعى هذه العادة (النخوة) ، ويعتبر من العيب الا يستجاب لها ، الا اذا كانت لدى الشخص أسباب قوية تمنعه عن ذلك • والشخص الذى لا يستجيب للنخوة لن يجد أحدا يبادر لعونه حين يحتاج العون وليس من المستطاع فى الچبايش الحصول على عمل بأجرة مطلقا •و (النخوة) واجب اجتماعى ملزم بين أفراد الفخذ الواحد • وكون الشخص منهمكا فى العمل اليومى لكسب قوته لا يقبل كعذر لعدم المشاركة فى (نخوة) مطلقا • وعلى هذا فان النخوة تنطوى على خسارة اقتصادية لمن يستجيب لها • وللمسنين والارامل وغيرهم من أفراد الفخذ المحتاجين للعون الحق فى طلب المساعدة من اعضاء الفخذ القادرين على القيام بالاعمال الشاقة مثل جلب العلف لماشيتهم • وعلى شباب الفخذ بصورة خاصة واجب ملزم فى تلبية مثل هذا الطلب •

وعلى الفخذ ان يساعد والد العريس بتبرعات ومعاونات فى حفلات الزواج ، ان كان الاب معوزا ، وباقراضه شيئا من المال ان كان المال اللازم للزواج غير متوفر لديه • وبالاضافة الى هذا فان على كل عائلة فى الفخذ ، ويجب ذلك ايضا على كل عائلة فى القرية تربطها بعائلة العريس صلة ، ان تأتى لتقدم تهانيها وتجلب معها بعض الهدايا من السكر والسجائر والدراهم • وتتناسب هذه الهدايا مع الحالة المادية للشخص الذى يقدمها ، ولكنها تكلف عادة بين مائة وخمسين فلسا وخمسمائة فلس • وفى صبيحة يوم الزواج يقدم الاصدقاء المقربون لعائلة العريس هدية من أكل مطبوخ تسمى (ريوگ) يتكون عادة من الارز والدجاج وما يشبه ذلك وتكلف بين خمسمائة فلس ودينار واحد • وتعتبر هذه ؛ السجاير والسكر والدراهم و (الريوگ) ديونا مؤجلة بحيث اذا ما قدمت لرجل هدية من هذا النوع فعليه ان يقدم هدية مساوية لها على الاقل فى أقرب فرصة مناسبة • ويهتم أهل الچبايش كثيرا فى عادة تقديم هدايا فى مثل هذه المناسبات ويعاب كثيرا اولئك الذين لا يقومون بهذا الواجب ، خاصة ان كانوا مدينين • ويبذل

الناس قصارى جهدهم ليؤدوا مثل هذا الواجب حتى لو أدى الامـر الى استقراضهم مالا ، لان تكرار عدم القيام بهذا الواجب يؤدى الى ضياع الاعتبار الشخصى •

وفيما يلى دراسة مفصلة لفخذين من أفخاذ حمولة آل الشيخ •

فخذ آل حجى سارى :

كان هذا الفخذ قبـلا يدعى فخذ (آل حلو) باسم والد (حجى سارى) • وعندما مات حلو ترك ثلاثة أولاد ؛ (سارى وعلي وچويد) • وكان (سارى) أكبر الاخوة وأكثرهم ثراء • ولقد استطاع ان يميز نفسه على بقية أخوته ويكوّن له سمعة طيبة ، ثم حج الى مكة فاضاف بهذا العمل كثيرا الى اعتباره الشخصى • فبدأ الناس منذ ذلك الوقت يدعون الفخـذ (آل حجى سارى) باسمه هو •

ويتكون الفخذ الآن من خمسة أقسام Sub-lineages :

١ ـ آل عبدالسادة آل حجى سارى ، ويتكون من خمس عوائل •

٢ ـ آل عباس آل حجى سارى ، ويتكون من ثلاث عوائل •

٣ ـ آل خشان آل حجى سارى ، ويتكون من اربع عوائل •

٤ ـ آل علي آل حلو ، ويتكون من خمس عوائل •

٥ ـ بيت چويد آل حلو الذى يتكون من عائلة واحدة فقط •

يضاف الى ذلك سبع عوائل مسجلة مع الفخذ وكلها من أفخاذ مختلفة من حمولة آل الشيخ • ويبين الجدول التالى تكوين الفخذ •

الجدول رقم (٥)
تكوين فخذ آل حجى سارى

اقسام الفخذ	العائلة	رجال	نساء	أولاد	بنات	اطفال	المجموع
	١	٤	١	٢		٢	٩
	٢	١	١			٣	٥
١	٣	١	٢		١	٣	٧
	٤	٥	٤			٥	١٤
	٥	١	١	١		٥	٨

تابع الجدول رقم (٥)

اقسام الفخذ	العائلة	رجال	نساء	أولاد	بنات	اطفال	المجموع
	١	٢	٦	٢	١	٤	١٥
٢	٢	١	١			٣	٥
	٣	٢	٢	٢		٨	١٤
	١	٢	٢	١		٥	١٠
	٢	١	١			٤	٦
٣	٣	١				٤	٥
	٤	١	١			٥	٧
	١	٢	٤	١	١	٢	١٠
	٢	٢	١			١	٤
٤	٣	١	١			٤	٦
	٤	٢	١			٢	٥
	٥	١	١				٢
٥	١	٢	١	١	١		٥
المجموع	١٨	٣٢	٣١	١٠	٤	٦٠	١٣٧
	١	٢	٣			١	٦
العوائل	٢	١	١	١		١	٤
الغريبة	٣	٣	٢			٢	٧
المنضمة	٤	١	١	٢	١	١	٦
للفخذ	٥	١	٣	١			٥
عن طريق	٦	٣	٣	١	١		٨
التبني	٧	١	١	١	١	٢	٦
المجموع	٢٥	٤٤	٤٥	١٦	٧	٦٧	١٧٩

ولقد كان هذا الفخذ يحوى :

١ ــ اثنتى عشرة امرأة غريبة عن الفخذ لم تدخل فى هذا الجدول فى العوائل التى تزوجن فيها •

٢ ــ خمس نساء من الفخذ تزوجن خارجه ولكنهن أدمجن مع عوائلهن فى الفخذ فى الجدول •

٣ ــ خمسة رجال متعددو الزوجات كل متزوج من امرأتين • وكانت اربع من الزوجات غريبات عن الفخذ •

ويعيش كل آل حجى سارى سوية فى عدد من الجزر المتجاورة ، ويزرعون اراض تعود لرزيج آل سعيّد ، سركال حمولة آل غريج ، وقطعا أخرى قليلة مجاورة لتلك الاراضى • ويبعد حجى سارى ، مؤسس الفخذ ، خمسة اجيال عن أكثر الاحياء من اعضاء الفخذ ، وثلاثة أجيال فقط عن المسنين منهم •

فخذ آلبو مخيور :

ان كافة اعضاء هذا الفخذ متحدرون من مخيور الذى يبعد ستة أجيال عن مسنى الفخذ • ولم يكن فى الفخذ غرباء مسجلون ، وعلى هذا فكل اعضائه خلا النساء الغريبات أقرباء يرتبطون فى بعضهم عن طريق الآباء Agnatic kinsmen • ولا ينقسم الفخذ أقساما Sub-lineages لان كل عائلة تنتسب الى مخيور رأسا • ويتكون الفخذ من ست وعشرين عائلة ، كما هو مبين فى الجدول رقم (٦) •

ولقد كان فى هذا الفخذ :

١ ــ ست عشرة امرأة غريبة لم تدخل فى الجدول مع العوائل التى تعيش فيها •

٢ ــ ثلاث نساء من الفخذ فقط متزوجات خارجه فأدرجن فى عوائلهن فى الفخذ •

٣ ــ خمسة رجال متعددو الزوجات ، اربعة رجال منهم تزوج كل واحد من زوجتين والخامس تزوج من ثلاث زوجات •

الجدول رقم (٦)

تكوين فخذ آلبو مخيور

العائلة	رجال	نساء	اولاد	بنات	اطفال	المجموع
١	٢	٢	٢	١		٧
٢	٢	٤				٦
٣	٦	٢		١	٥	١٤
٤	١	٢			٢	٥
٥	١				٣	٤
٦	٣	٦	١	١		١١
٧	٢	٤		١	٤	١١
٨		٦				٦
٩	٢	٥				٧
١٠	٥	٤			٤	١٣
١١	٣	٤			١	٨
١٢	١			١		٢
١٣	١	١	١		٢	٥
١٤	٢	١			٢	٥
١٥	١	١	١		٣	٦
١٦	٢				٢	٤
١٧	٥	٥				١٠

العائلة	رجال	نساء	اولاد	بنات	اطفال	المجموع
١٨	٣	١	٢			٦
١٩	١	١	١		٢	٥
٢٠	١	١		١	٥	٨
٢١	٢	٣			٣	٨
٢٢	٢	٤				٦
٢٣	٥	٤			٣	١٢
٢٤	١	١				٢
٢٥	١	١			٢	٤
٢٦	١	١	١	١	٤	٨
٢٦	٥٦	٦٤	٩	٧	٤٧	١٨٣

٢ ـ الحمولـة THE CLAN

تتحد عدة افخاذ لتكون حمولة واحدة ، وهى مجموعة من الاشخاص يقوم التماسك بين أفرادها على أساس ادعاء نسب عام موحد • ويمكن ان تعتبر الحمولة كفخذ كبير[1] Maximal lineage تكوّن الافخاذ التى وصفتها سابقا اجزاءا كبيرة فيه • ولكننى أميل الى تسميتها حمايل Clans عوضا عن افخاذ لان أواشج القربى بين المجموعات التى تتكون منها (ما سميناه افخاذا) اما غير معروفة أو ان كانت معروفة فغير قوية ولا تعار أهمية • والحمولة

(١) يقسم بعض علماء الانثروبولوجى الفخذ الى :
Maximal, Major, Minor, Minimal

مجموعة اقليمية Territorial group ، تتراوح فى حجمها من (١٥٥) الى (٤٥٠٠) شخص • ويبين الجدول رقم (٧) حمايل الچبايش وافخاذها مع نفوس كل منها •

الجدول رقم (٧)

حمايل وافخاذ الچبايش وسكانها

الحمايل	عدد سكانها	أفخاذهـا
١ ـ آل الشيخ	٤٥٠٠	١ ـ آل سوّاد
		٢ ـ البو زديو
		٣ ـ آل ضمد
		٤ ـ البو عايش
		٥ ـ البو مخيور
		٦ ـ البو هميل
		٧ ـ البو عبيدالله
		٨ ـ البو مخيمر
		٩ ـ آل عويتى
		١٠ـ الدليفين
		١١ـ البخاترة
		١٢ـ البو زهرون
		١٣ـ آل خزام
		١٤ـ آل راهى
		١٥ـ آل روفه
		١٦ـ آل حجى سارى
		١٧ـ آل شياع

تابع الجدول رقم (٧)

الحمايل	عدد سكانها	أفخاذهـــا
٢ ـ آل غريج	١٢٦٣	١ ـ آل حجي يعكوب
		٢ ـ آل هلال
		٣ ـ آل حمودي
		٤ ـ آل الشارع
٣ ـ الحدادين	١٢٠٠	١ ـ بيت رشيدة
		٢ ـ البو عيدى
		٣ ـ آل شيخ علي
		٤ ـ آل هجول
		٥ ـ آل حجي
		٦ ـ بيت شنيّن
٤ ـ آل خاطر	٧٧٣	١ ـ آل خاطر
٥ ـ بني عسچرى	٦٢٥	١ ـ آل عبدالمير
		٢ ـ آل عبيد
٦ ـ آل عنيسى	٤٨٧	١ ـ آل عنيسى
		٢ ـ آل الصعيبة
		٣ ـ آل عتّاب
٧ ـ آل ونيس	٤٥٠	١ ـ آل حجى عبدالله
		٢ ـ آل شهف
		٣ ـ الطرشان
٨ ـ آل لمعبر	٣١٥	١ ـ آل لمعبر
٩ ـ آل ويس	١٥٥	١ ـ آل ويس
		٢ ـ بيت محمد آل راشد
المجموع	٩٧٦٨	٣٩

ولا يميز افخاذ الحمولة الواحدة بعضها عن بعض تفضيل طبقى على اساس الوراثة أو القدم أو ما يشبه ذلك • ولكن مركز الافخاذ ونفوذها فى المجتمع يعتمد على العدد الفعلى لاعضاء الفخذ قبل أن يعتمد على أية عوامل أخرى • وهذا يفسر استعداد الافخاذ لتبنى الغرباء وضمهم اليهم • الا اذا كانت المجموعة التى تريد الانضمام الى حمولة ما كبيرة فى حجمها ، فتستطيع عندئذ ان تطلب السماح لها بالابقاء على شخصيتها وان تعتبر فخذا مستقلا قائما بذاته فى الحمولة التى ستنضم اليها • والتماسك بين اعضاء الحمولة الواحدة اقل واضعف مما هو بين اعضاء الفخذ ، ولذا فان انفصال فخذ كامل عن حمولة وانضمامه لاخرى اكثر حدوثا من انقسام فخذ على نفسه وانضمام جزء منه لفخذ آخر •

وتحمل أربع حمايل فى القرية وهى حمولة (آل الشيخ) و (آل عنيسى) و (آل ونيس) و (آل ويس) اسماء مؤسسيها ؛ (شيخ وعنيسى وونيس وويس) ، وهم اربعة اخوة من خمسة كانواأجداد الحمايـل[1] الاصلية لعشيرة بنى أسد • وأصل هذه الحمايل الاربع معلوم لا يقبل النزاع ، ولكن يصعب الاتفاق على رأى واحد بصدد الحمايل الخمس الباقيـة وهى (آل غريج) و (الحدادين) و (آل خاطـر) و (بني عسـچرى) و (آل لمعبر) • فهناك اختلاف شديد فى الرأى حول هذه القضية ، ولكن أكثر الآراء قبولا واقربها للصحة هو رأى عبدالهادى آل خيون وهو راوية موثوق به ويعتمد عليه فى مثل هذه الموضوعات • ورأيه ان :

١ ـ (آل غريج) غرباء عاشوا تحت رعاية (بنى أسد) وحمايتهم • واصلهم غير معروف ولكن المعتقد ان فخذا واحدا منهم فقط وهو (آل الشارع) ينتسبون لـ (بنى أسد) •

---

(١) الحمولة الخامسة « آل عباس » وتحمل اسم مؤسسها (عباس) تسكن (الخرفية) وهى تبعد عدة اميال شرق الچبايش •

٢ ـ (الحداديين) ليسوا من (بنى أسد) وأن اصلهم غامض •

٣ ـ (آل خاطر) غرباء وهم من عشيرة (بنى معرّف) وكانوا قد تسجلوا مع (بنى أسد) ثم اصبحوا بعد ذلك حمولة مستقلة من حمايلها •

٤ ـ (بنى عسچرى) ينتسبون لـ (بنى خيگان) ومسكنهم الاصلى سوق الشيوخ • وكانوا اصلا يعرفون باسم (عساچرة) •

٥ ـ المعتقد ان (آل لعبر) كانوا من (بنى أسد) اصلا ولكنهم الان رغم انهم يعيشون معهم فى القرية فانهم لا يشتركون معهم فى الفصول •

ورغم ان اعضاء الحمولة الواحدة لا يشعرون بروابط قوية تربطهم بعضهم فانهم مع هذا ينظر بعضهم لبعض كاقرباء • وتظهر الحمولة تماسكا قويا جدا مع الحمايل الاخرى للعشيرة فى امور خطيرة كالحرب ودفع التعويضات والنزاعات • واذا مات فرد من الحمولة فان مسؤوليتها ان تقدم المساعدة لعائلة المتوفى اما عن طريق جمع المعونة المالية لنقل جثمان المتوفى الى مدينة النجف أو عن طريق تقديم ثلاث وجبات غذاء مكونة من الرز واللحم نيابة عن عائلة المتوفى فى ايام الفاتحة الثلاثة لكل الذين يأتون لتقديم تعزيتهم لتلك العائلة • فان اختارت عائلة المتوفى الطريق المألوف وهو ان تتكفل هى بنقل الجثمان الى النجف ، فان الحمولة كلها تقسم نفسها ثلاثة اقسام يتحمل كل قسم مصروفات يوم واحد من ايام الفاتحة الثلاثة • ويقدم الافراد الذين يأتون الفاتحة ، ان كانوا من عوائل الحمولة نفسها أو من العوائل الاخرى التى تربطها بعائلة المتوفى أو أحد افراد عائلته صلة صداقة ، هدايا من قهوة وسجاير تكلف عادة بين مائتين وخمسين فلسا وسبعمائة وخمسين فلسا • اما المقتدرون ماليا فيقدمون (ذبيحة) تكلف قرابة ثلاثة دنانير •

ويحترم اعضاء الحمايل الكبيرة القوية ويخافون • فلم يعرف فى الچبايش مثلا ان أهين أو هدد عضو من حمولة آل الشيخ من قبل عضو من حمولة اخرى ، لان حمولة آل الشيخ اكبر واقوى حمولة فى القرية • ولا يمكن ان يرفض طلب افراد مثل هذه الحمايل الكبيرة القوية فى الزواج من

حمايل اخرى • ومرد هذا للتقاليد القبلية القديمة حين كانت القوة العسكرية المقياس الوحيد للاعتبار الاجتماعى •

وتتمتع الحمايل المختلفة فى القرية بمراكز اجتماعية مختلفة بحسب حجمها واصلها • فأكثر الحمايل احتراما هى الحمايل الاربع التى تنتسب للاخوة (شيخ) و (عنيسى) و (ونيس) و (ويس) ، وهم انفسهم ينتسبون لـ (أسد) • وبين هذه الحمايل الاربع تتمتع آل الشيخ باوفر قسط من الاحترام واعلى مركز اجتماعى ، ليس لكبرها وفرط قوتها فحسب ، بل لان لها اتصالا وثيقا بآل خيون بيت الرئاسة الذى يحكم العشيرة • فلقد كان شيوخ العشيرة يعتبرون آل الشيخ بطانة لهم ويعينون من بينهم وكلاءهم وخدمهم وحرسهم الخاص • ولذا فقد ازدادت قوة هذه الحمولة وازداد كذلك عدد افرادها نتيجة لتسجيل عدد من الجماعات والاقسام من حمايل أخرى • وتختلف الحمايل الخمس الباقية فى الاعتبار بحسب سعتها وعدد أفرادها • فكلما ازداد عدد افراد الحمولة سما مركزها فى المجتمع • ولكن هناك استثناءين لهذه القاعدة هما حمولة (آل غريج) وحمولة (آل خاطر) • فـ (آل غريج) ثانى حمايل القرية سعة ولكنها أحطها مركزا لغموض أصلها ولان اعضاءها يزاولون مهنا محتقرة[1] • أما مركز حمولة (آل خاطر) فواطىء لانهم اصلا (معدان) ، و (المعدان) ذوو نسب محتقر • وان بعض افراد هذه الحمولة ما زالوا يربون الجاموس ويحتفظون به خارج القرية •

٣ ـ العشيرة THE TRIBE

كانت العشيرة فى الچبايش قبل عام ١٩٢٤ وحدة سياسية واجتماعية • وكانت نواتها الحمايل الاربع التى تنتسب الى مؤسسيها الاخوة الاربعة الذين هم من نسل (أسد) مؤسس العشيرة وجدها الاكبر • وكانت العشيرة

(١) بصدد المهن المحتقرة راجع الفصل السادس عشر •

تحتوى ، بجانب هذه الحمايل الاربع ، عددا من فصائل واقسام من عشائر وحمايل استولت عليها (بنى اسد) بالقوة أو ضمتها بالتبنى ابان غزواتها وحملاتها العسكرية فى اهوار الفرات • وبعد ذلك أدعت بعض هذه الفصائل والشراذم نسبا لـ (بنى اسد) نفسها فى حين ابقى بعضها الآخر على نسبه •

وكانت (بنى اسد) قبيلة بدوية هاجرت من الجزيرة العربية قبل اكثر من ثلاثة عشر قرنا خلت واستوت فى عدد من المناطق مكونة عدة وحدات سياسية ودويلات قبل ان تضطر على اتخاذ منطقة الجبايش موطنا بعد أن دحرها جيرانها • وتبنت قبيلة (بنى اسد) البدوية فى هذه الفترة وخاصة حين سيقت الى الهور عددا من مجموعات وفصائل من قبائل وحمايل مختلفة ، بعضها من اصل بدوى وبعضها الآخر من أصل (معدان) واحتضنتها • وبذلك ازدادت قوتها العسكرية • والى أن الغيت المشيخة فى عام ١٩٢٤ ، كانت العشيرة وحدة سياسية مكونة من هذه المجموعات المتنافرة تحت سلطة وسيطرة الشيخ الذى كان قائدها العسكرى •

ولا وجود للعشيرة اليوم كوحدة سياسية واجتماعية ، فلقد انحلت ثم تلاشت بالمرة بعد الغاء المشيخة • فالحمايل كلها اليوم تحكم كوحدات مستقلة من قبل السراكيل تحت السيطرة التامة للحكومة المركزية • واهل الجبايش لا يشعرون بوجود العشيرة وكنتيجة لهذا فقد انفصلت بعض الحمايل وصارت تتصرف كوحدات مستقلة فى دفع فصولها وفى امور اخرى • والحروب العشائرية ، وهى المجالات التى تتصرف فيها العشيرة كوحدة ، لا يمكن ان تقع فى هذه الايام • وكانت الحرب الوحيدة التى وقعت بعد الغاء المشيخة هى حرب (ابو عجاج) ، بين عشيرتى (بنى اسد) و (آل حسن) القاطنة فى (كرمة بنى سعيد) بسبب نزاع حول ارض فى عام ١٩٤٥ • ولقد تصرفت الحكومة فى تلك الحرب بحزم فسحقت الحركة واعادت النظام الى نصابه وعاقبت الطرفين بشدة • ولقد هبت فى هذه الحرب كافة الحمايل فى

القرية كرجل واحد وفزع كل رجل بالغ بما فى ذلك الشيوخ الى ميدان القتال بغض النظر عن الاصل أو النسب ، تحت تأثير الدعاية والاثارة التى نشرها وسببها شيخ العشيرة السابق الذى كان موجودا فى ذلك الوقت فى القرية[1] •

ان معنى لفظة عشيرة غير واضح الان فى اذهان اهل الجبايش خاصة فى اذهان الجيل الجديد ، لدرجة يلاحظ معها وجود خلط ظاهر بين معانى لفظتى (عشيرة) و (حمولة) اللتين تستعملان بغير ما دقة أو تحديد فهم يتحدثون عن حمولتهم Clan كعشيرة Tribe ، ويقسمونها الى حمايل وافخاذ وعوائل • وبجانب الغاء المشيخة ساعد عاملان آخران على هذا الانحلال والانفراط • اولهما ان فصائل كثيرة من العشيرة تركت القرية لتعيش فى اقسام اخرى من القطر بسبب الحروب والجلاءات العسكرية والصعوبات الاقتصادية • وثانيهما ان آل خيون ، وهم بيت الرئاسة ، كانوا شديدى الرغبة لاغراض عسكرية فى زيادة اتباعهم من (بنى اسد) فأدخلوا فى العشيرة فصائل من حمايل وعشائر كثيرة ، معدان وغير معدان ، اصبحوا جميعا يعرفون فيما بعد باسم (بنى أسد) • وحالما حطمت القوة التى كانت تلم شعث هذه الاشتات المتنافرة ، استقل الذين كانوا يعيشون خارج القرية استقلالا ذاتيا وظلت الحمايل التى كانت تعيش فى القرية نفسها قائمة لا تتصل ببعضها الا بروابط واهية اسمية •

وهناك حمولة كاملة وعدد من الافخاذ وفصائل من حمايل من عشيرة (بنى أسد) تعيش خارج الجبايش • ويبين الجدول رقم (٨) الحمايل والفصائل المختلفة للعشيرة التى تعيش داخل وخارج الجبايش •

---

(١) راجع الفصل الثامن •

جدول رقم (٨)

مواطن بني أسد

الحمايل	الموطن الرئيسى	أفخاذ وأقسام من الحمولة تعيش خارج الموطن الرئيسى للحمولة	الموطن الثانوى
١ ـ آل الشيخ	الجبايش	السريحات لحجيميين السوارى البو شبيب العواجى أقسام مختلفة من أفخاذ الحمولة	المواجد، الدبن، ابوسوباط، الدبن، ابو سيباية: فى الهور المحيط بقريـة الجبايش گرمة علي
٢ ـ آل غريج	الجبايش		
٣ ـ الحدادين	الجبايش	فصائل من الحمولة آل رشيدة	ابو سـوباط قرب الجبايش الجلعة على الحافـة الجنوبية لهور الحمار
٤ ـ آل ونيس	الجبايش	فصائل من الحمولة	الجرباسي على الضفة الجنوبية لهور الحمار، والدبن وگرمة علي
٥ ـ آل عنيسى	الجبايش	فصائل من الحمولة	گرمة علي
٦ ـ بنى عسچرى	الجبايش	فصائل من الحمولة	گرمة علي
٧ ـ آل ويس	الجبايش		
٨ ـ آل خاطر	الجبايش		

تابع الجدول رقم (٨)

الحمايل	الموطن الرئيسى	أفخاذ وأقسام من الحمولة تعيش خارج الموطن الرئيسى للحمولة	الموطن الثانوى
٩ ـ آل لمعبر	الجبايش		
١٠ـ آل عباس	الخرفية		
١١ـ المواجد	حمراوية		
١٢ـ نواشى	الهـور المحيط فى الجبايش		
١٣ـ فصائل أخرى من بنى أسد			الهور فى الجنـوب الغربى لايران شرق أهوار العمارة مباشرة

٤ ـ (الكتبة) و (الفصل) ADOPTION AND COMPENSATION

من المفيد الان ان نعرج الى نظامين عشائريين هما (الكتبة) و (الفصل) لان كليهما ضرورى لفهم الحمولة والفخذ فهما كاملا •

فـ (الكتبة) ، والكلمة مأخوذة من الكتابة ، تستعمل اصطلاحا بمعنى تبنى عائلة أو اكثر أو فخذ كامل من قبل فخذ أو حمولة احرى ، وتوثق عملية التبنى بكتابة وثيقة تسجل هذه العمليـة • ويمنح التبنى العائلـة أو المجموعة أو الفخذ عين الامتيازات ويلقى عليها نفس التبعات التى للجهة المتبنية • فيصبح المتبنىٰ مساويا تماما للمُتبني وجزءاً منه • واسباب مثل هذا التبنى مختلفة كما يبدو انه حدث على نطاق واسع فى الماضى القريب ، لدرجة ان كثيرا من الافخاذ الحالية ، وحتى حمايل من (بنى أسد) كانت تعود اصلا الى افخاذ وحمايل وعشائر اخرى •

عندما كانت الحروب القبلية منتشرة وذات آماد طويلة فى الماضى ، لجأت كثير من الفصائل الضعيفة من عشائر اخرى الى عشيرة (بنى أسد) القوية لتعيش تحت حمايتها ثم انضوت تحت لوائها واندمجت فيها عن طريق التبنى • وبما ان هذا الاندماج حدث منذ زمن طويل ، وبما ان الانتساب لاصل غريب يؤثر على الاعتبار الاجتماعى للفخذ أو الحمولة المختصة ، فان من غير السهل ان نميز بوضوح بين من دخلوا عشيرة (بنى اسد) عن طريق التبنى ومن كانوا اصلا ينتسبون اليها • ورغم هذا فمعروف عن كثير من الافخاذ والحمايل انها غريبة ، كما رأينا •

لقد حصلت فى السنوات الاخيرة ، خاصة بعد سنة ١٩٢٤ ، حركة واسعة للتبنى بين الافخاذ واقسامها • ومن المهم ذكره هنا ان اغلب الافخاذ والعوائل التى كان عليها ان تترك حمايلها لتندمج فى اخرى كانت تنشد الاندماج بحمولة (آل الشيخ) ، ولم تتبن حمولة اخرى مطلقا واحدا من افخاذ هذه الحمولة • وسبب هذا ، مركز حمولة (آل الشيخ) الرفيع بالقياس لبقية الحمايل • وهناك بعض الحالات التى تركت فيها افخاذ أو فصائل من افخاذ حمايلها لتندمج عن طريق التبنى مع أحد افخاذ حمولة (آل الشيخ) طلبا للمزيد من الاعتبار الاجتماعى ، ولكن يبدو ان هناك دائما سببا آخر مع الرغبة فى الاستزادة من الاعتبار • ولا توجد حمولة ترغب فى ان يقتطع من جسمها فخذ أو جزء كما لا تقبل الحمولة التى يطلب الفخذ أو الفصيلة الاندماج فيها ، ذلك الفخذ أو الفصيلة رأسا أو ترحب به كثيرا ما لم يثبت لها ان الفخذ أو الفصيلة مصممة على الانفصال من حمولتها وان الحمولة الاصلية غير راغبة فى الصلح أو استبقاء المجموعة الراغبة فى الانفصال • والاسباب الاعتيادية لترك الحمولة والانضمام لغيرها بـ (الكتبة) هى النزاع حول الاراضى أو الفصول • وبمقدور الافراد الغرباء الذين يأتون للسكنى بين العشيرة أن يندمجوا فيها عن طريق (الكتبة) • ويعاملون بعناية واحترام خاصين من قبل كل افراد العشيرة لانهم يعتبرون لاجئين أو اشخاصا ضعافا

تجب حمايتهم • وكافة الافراد الغرباء فى القرية مسجلون مع أحد أفخاذ حمولة (آل الشيخ) • فهم وكذلك الاقليات والفصائل الضعيفة التى تنفصل عن حمايلها ، يحاولون عادة أن يندمجوا مع فخذ قوى من حمولة (آل الشيخ) ليحصلوا بذلك على مزيد من الحماية • فمثلا ان عوائل (الصبة) الثلاث التى تعيش الان فى الچبايش ، مسجلة مع فخذ (آل عويتى) من حمولة (آل الشيخ) ، وهو فخذ كبير كان رجاله مشهورين كقطاع طرق ولصوص •

واجراءات التبنى كما يأتى :

تذهب الجماعة المتألمة الراغبة فى الانفصال عن حمولتها الى سركال الحمولة التى تروم الانضمام اليها وتعرض عليه رغبتها وتعين الفخذ الذى تريد ان (تكتب) معه • فيتذاكر السركال فى الامر مع سركال و (اجاويد) حمولة تلك الجماعة ، فان ثبت له الا سبيل للوصول الى تسوية ، يأمر السركال رئيس الفخذ الذى اختارته الجماعة لـ (يقيدهم) مع فخذه • وتكتب نسختان من وثيقة التبنى وتسلم واحدة للجماعة المتبناة واخرى تحفظ عند رئيس الفخذ المُتبنّي • ويوقع هذه الوثيقة الرجال الراشدون من الفخذ المُتبنّي مع شاهد أو اكثر • وبعد توقيع وثيقة التبنى تسجل اسماء الذكور البالغين للجماعة المتبناة فى سجل التعويضات (دفتر الموادى) وحينئذ يصبح اولئك الذكور دافعى تعويضات (ودّاية) •

وفيما يلى نص[1] وثيقة تبنى فخذ (البو مسعود) من حمولة (الحدادين) من قبل فخذى (آل سوّاد) و (البو زديو) من حمولة (آل الشيخ) • ومن المهم ان نلاحظ ان (الكتبة) هنا جرت مع فخذين عوضا عن فخذ واحد وسبب هذا ان هذين الفخذين ينتسبان لبعضهما انتسابا وثيقا جدا ويتصرفان كفخذ واحد فى أمور هامة كالتبنى •

(١) هذا النص حرفى نقل كما ورد فى الوثيقة بالضبط •

بسم الله الرحمن الرحيم

التاريخ ١٢/٤/١٩٤٤م

٢٠/٥/١٣٦٤هـ

وجه تحرير الورقة　　　يوم الجمعة

نعم(١) اننا المحررة اسمائنا حمولت الحاج سواد مع حمولت البسديو قد تكاتبنا وادخلنا انفسنا بالعمّة مع حمولت البو مسعود سيد موكر السيد يعقوب حاج داغر الشبرهان طاهر الجابر كاظم الفعيل جاسم المحمد زاير محمد الفريج هدار العلى خان امريخ المزبان ماهود الصبر عبدالله الرداد ضيدان الزاير محمد رشيده الشريجي سلمان الحجيمى على الصاغر ، ندى مداهم فى موادى الذى تصير علينا أم عليهم فقد العياذ بالله من الســودة على الذى يفعلها وغير ذلك نحنو اخوان وقد حررنا هذه الورقة الصحة واشهدنا الله وجماعة من الحاضرين [ممهورة بتسعة عشر ابهاما] •

شاهد بذلك　　　شاهد بذلك

سيد ياسين السيد مهنه　　　عباس الخيون(٢)

والفصل تعويض يدفع بالدراهم أو النساء بصورة جماعية من قبـل عائلة مقترف الجريمة أو فخذه أو حمولته أو عشيرته • ويمكن اعتبار الفصل مقياسا لوحدة الفخذ والحمولة والعشيرة لانه فى كافة الجرائم باستثناء تلك التى تسمى (السودة) و (الفسدة) تتحمل الفصل كافة العشيرة ان كانت الجريمة قد اقترفت ضد شخص من عشيرة اخرى أو تتحملها حمولة الفرد

(١) من المعتاد فى الاوراق والوثائق التى يكتبها الكتاب المحليون فى العشائر والقرى ان تفتتح بغير ما داع بكلمة (نعم) •

(٢) ان الوثائق الهامة كهذه يجب ان يوقعها خيونى أو سيد أو كلاهما كشاهد •

ان كان قد اقترفها ضد حمولة أخرى من العشيرة • اما اذا كانت الجريمة قد اقترفت داخل الحمولة ذاتها فان فخذه وحده هو الذى يدفع الفصل •

وتشمل (السودة) الزنى و (النهيبة) ومحاولة اغراء أمرأة (الصيحة) وتعتبر كل هذه الجرائم مخزية وعيبا ويتحمل الفرد الذى يقترف مثل هذه الجرائم وعائلته وحدهم تعويضاتها بغض النظر عما اذا كانت الجريمة قد اقترفت داخل الفخذ أو العشيرة أو خارجها •

اما (الفسدة) فهى جرائم قتل الرئيس أو عضو من نفس الحمولة أو السرقة داخل القرية • وتعتبر هذه الجرائم وامثالها تهديدا لوحدة العشيرة والحمولة ولذا فلا تشارك الحمولة فى دفع تعويضات عنها •

ولقد مر ذكر طريقة تسوية جريمة تقع فيها المسؤولية على العائلـة وحدها وهى قضية النهيبة(١) • ولا يترك (الخوّان) فى العـادة مقترف الجريمة وهم اعمامه ولهم حق مباشر فى بنات واخوات بعضهم البعض عائلة مقترف الجريمة وحيدة ، ولكنهم قد يفعلون ذلك فيما اذا كانوا قد حذروا الجانى من ارتكاب جريمته أو ان كان قد عاود ارتكاب الجريمة اكثر من مرة •

ولبنى اسد قانون مكتوب يسمى (سوانى بنى اسد) يحوى عقوبة معينة لكل جريمة محتملة الوقوع • اما الجرائم التى لا يوجد فى (السوانى) نص على عقوبتها فانها تحل بخلق قواعد من قبل مجلس عشائرى خاص يسمى (العمرة) تضاف كمواد جديدة للقانون العشائرى (السوانى) •

وفيما يلى نص(٢) سوانى بنى اسد :

١ — اذا قتل الرئيس من قبل أحد افراد عشيرته عمدا تكون الدية مائة وخمسون دينارا (٢٠٠٠ روبية) أم اربع نسوان ويجلى القاتل وتؤخذ

(١) راجع الفصل الرابع •

(٢) النص منقول حرفيا كما جاء فى وثيقة محفوظة لدى سركال حمولة آل الشيخ •

اراضيه الى الرئيس مدة الجلاء[1] .

٢ – اذا قتل الرئيس من قبل افراد عشيرته خطأ تكون الدية عينا كما هى عمدا فقط لا يوجد بها غيظ[2] .

٣ – اذا قتل الرئيس عمدا من قبل فرد من عشيرة أخرى تكون الدية (٣٧٥[3] دينارا) بدون غيظ .

٤ – اذا قتل الرئيس خطأ من قبل فرد من عشيرة اخرى تكون الدية (٣٧٥ دينارا) بدون غيظ .

٥ – اذا جرح الرئيس عمدا من قبل افراد عشيرته تكون الدية نساء اثنين فقط .

٦ – اذا جرح الرئيس عمدا من قبل افراد عشيرة اخرى تكون الدية اربع نسوان فقط .

٧ – اذا اريد قتل الرئيس من احد افراد عشيرته فأخطأ الرامى تكون الدية حشم نساء اثنين ويجلى وتؤخذ اراضيه مدة الجلوة .

٨ – اذا كان الرامى من عشيرة اخرى فأخطأ تكون الدية حشم اربع نسوان فقط .

٩ – اذا قتل شخص احد افراد عشيرته عمدا تكون الدية نساء اثنين والا الف روبية (٧٥ دينار) .

١٠ – اذا قتل فرد من العشيرة شخص من عشيرة اخرى عمدا تكون

(١) مدة الجلاء غير محدودة ولكنها عادة سنة فما فوق ويعود القاتل بعد استرضاء أهل الرئيس بـ (مشية) أى بوفد ترضية .

(٢) اى ان الامر لا يستدعى ارسال وفد (مشية) لاسترضاء أقارب المجنى عليه .

(٣) يلاحظ فداحة الغرامة التى توازى عشر نساء فى حين انها داخل العشيرة اربع نساء فقط وذلك لصيانة الرؤساء من الاعتداء الخارجى .

الدية حسب سوانى العشيرتين المتفق عليها[1] .

١١ – اذا قتل أحد افراد العشيرة شخص من عشيرته خطأ تكون الدية (٧٥ دينار) ولا عليها غيظ .

١٢ – اذا قتل شخص من العشيرة من قبل شخص من عشيرة اخرى خطأ كذلك (٧٥ دينارا) .

١٣ – اذا جرح احد افراد العشيرة شخص من عشيرته تكون الدية اما أمرأة حشم أو بدلها (٥٠٠ روبية) .

١٤ – اذا جرح شخص من العشيرة من قبل شخص آخر من عشيرة اخرى تكون الدية حسب سوانى العشيرتين بينهم .

١٥ – ان دية الضرب بالعصا أو المگوار اذا لم يخرج الدم تكون مشيه فقط .

١٦ – ان دية الضرب بالعصا أو المگوار مع خروج الدم تكون مشيه فقط .

١٧ – اذا هدد الرئيس من قبل أحد افراد عشيرته تكون الدية مشية من اخيار العشيرة وطلب رضاه .

١٨ – اذا هدد الرئيس من قبل أحد افراد عشيرة أخرى كذلك مشية من اخيار العشيرة .

١٩ – اذا هدد أحد افراد العشيرة من قبل احد افراد عشيرته كذلك مشية فقط .

٢٠ – ان دية عضاب[2] العين الواحدة نصف الدية والعينين دية كاملة والرجل نصف دية والرجلين دية كاملة واليد نصف دية واليدين دية كاملة والسن خمس ربيات والاصبع خمس ربيات .

(١) العادة أن تتفق العشائر المتجاورة على (سوانى) خاصة فيما بينها تحل بموجبها الجرائم التى يقترفها افراد الواحدة ضد اتباع الاخرى .

(٢) العضاب بمعنى العضو .

٢١ – ان دية القتل عگبة(١) من قبل أحد افراد العشيرة تكون الدية فصل حسب سواني العشيرة ويجلي •

٢٢ – اذا كان القتل عگبة من قبل احد افراد عشيرة اخرى كذلك فصل حسب السواني ويجلي •

٢٣ – تكون دية الشخص المسير(٢) اذا قتل دية قتل حسب الفصل الجاري ويؤخذ للمسير حشم نساء اثنين •

٢٤ – تكون دية الشخص المسير من عشيرة اخرى كذلك •

٢٥ – اذا قتل السارق من قبل أحد افراد عشيرته تكون الدية الجارية بدون غيظ •

٢٦ – اذا قتل السارق من عشيرة اخرى كذلك دية الفصل الجارى فقط بدون غيظ •

٢٧ – اذا اعتدى احد على امرأة من عشيرته بالضرب والجرح مشية واذا قتل يفصل عين الفصل الجارى ، واذا كان من عشيرة اخرى كذلك •

٢٨ – اذا راود شخص امرأة تكون (صيحه) اما اذا زنى بها بالرضى أو الاجبار كذلك تكون حشم حرمة واحدة •

٢٩ – ان دية السب المخجل فى الشخص كرميه بالعبودية وعدم انتسابه الى عشيرة يكون الفصل حشم حرمة أو يدفع بدل الحرمة دراهم •

٣٠ – اذا كان الطعن بالعرض فى احدى محرمات الشخص كذلك الدية حشم حرمة واحدة •

---

(١) عگبة أى خطأ •

(٢) المسير الذى يستصحب شخصا آخر ليسير فى حمايته فاذا ما اعتدى على الشخص المحتمى يعتبر الاعتداء اعتداءا على الحامى اى المسير ولذا يطلب (حشم) • وتسمى العادة (تسيار) •

وكانت الفصول فى الماضى تدفع باستثناء فصول الجرائم الصغيرة جدا بالنساء فقط • ولكن منذ أن دخل سكان الاهوار تحت الحكم العراقى فى عام ١٩٢١ بذلت الحكومة المركزية قصارى جهدها لتقضى على هذه العادة • ورغم ان كثيرا من سكان الاهوار يصرون حتى الآن على ان تدفع لهم التعويضات فى الجرائم الكبيرة نساءاً ، خاصة ان كانت الجرائم جرائم قتل ، فانهم مع هذا يقدرون معايب هذه العادة •

ويتزوج الشخص المعتدى عليه أو اقرباؤه النساء المعطاة كتعويض له أو لاهله • ولا تؤخذ امثال هذه النسوة كزوجات رغبة فيهن ولا تطلب ايديهن من بين اصدقاء ولكنهن يؤخذن كغرامة وينتزعن من بين اعداء • ولذا فالمعتقد ان امثال هذه النسوة تساء معاملتهن من قبل ازواجهن واهلهم •

ويبدو أن منشأ نظام اعطاء النساء فى التعويضات هو طلب الجهة التى يقتل فيها شخص أمرأة لتلد لتلك الجهة عضوا مكان العضو المقتول • ولذا فان العادة بين بعض سكان اهوار العمارة حتى الآن ان امثال هذه النسوة يستطعن الرجوع الى اهلهن ان شئن ذلك بعد أن يلدن ذكرا • ومن جهة اخرى فان للجهة التى تأخذ المرأة كتعويض ان تعيدها لاهلها وتستبدلها بغيرها ان ثبت ان المرأة عقيمة • ويقول اهل الچبايش (لو أبزرت فصلت) أى لو ولدت المرأة فقد أدت الفصل ودفعته ولكن الواقع فى الچبايش ان النسوة المأخوذات فى الفصل لا يعدن لاهلهن بعد أن يلدن ولا يستبدلن ان ثبت انهن عقيمات •

ويكره أهل الچبايش اعطاء بناتهم كزوجات فى الفصول لانهم يعتقدون ان المرأة (الفصلية) تساء معاملتها جدا وتظلم للغاية • واذا ما اسيئت معاملة فتاة فى القرية من قبل زوجها أو أهلها فانها طالما تقول مستنكرة (شنهى خاله • آنه فصلية) • ولكن رغم هذا الشعور ورغم جهود الحكومة المركزية فان أهل الچبايش يصرون على أخذ نساء كتعويضات فى بعض

الجرائم خاصة فى تلك التى تسبب خسارة الجهة المعتدى عليها لاحدى نسائها •

وللجهة الطالبة للتعويض الحق فى ان تختار أية امرأة من جهة أهل مقترف الجريمة أو الجهة المسؤولة عن الدفع • فيطلب والد الفتاة التى تدفع كتعويض المهر الاعتيادى وعلى الجهة المسؤولة عن دفع التعويضات ان تجمعه فيما بينها وتسلمه له • فان كانت الجهة الواجب عليها دفع أمرأة هى العائلة كما فى حالة جرائم (السودة) ، وكانت لا تملك فتاة فى سن الزواج فقد تختار الفتاة من بين العوائل القريبة لها فى الفخذ كعائلة الاخ أو العم •

ويختلف مقدار التعويض الواجب دفعه كثيرا بالنسبة للجريمة كما رأينا من (السوانى) • فالتعويض عن قتل الرئيس اربع نساء أو ١٥٠/٠٠٠ دينارا وعن قتل فرد من بنى أسد امرأتان أو ٧٥/٠٠٠ دينارا ، بينما هو عن محاولة اغراء امرأة ٣/٧٥٠ دينارا وعن كسر سن ٣٧٥ فلسا فقط •

وحين تقترف جريمة ما فتعين عقوبتها يدفع الرجال البالغون فى الفخذ أو الحمولة (الودّاية) المسجلة اسماؤهم فى (دفتر الموادى) حصصا متساوية ليواجهوا العقوبة المفروضة • ويدفع مقترف الجريمة فى مثل هذه الحالة حصة كأى فرد آخر فى الحمولة • والمعروف بين بنى أسد أن (الودّاية) هم كل الرجال القادرين على حمل السلاح • ويعتبر السن الذى يصبح فيه الشاب قادرا على حمل السلاح ست عشرة سنة • ولكن اذا ما رغب أب فى تسجيل اسم ابنه قبل ان يبلغ تلك العمر فان رغبته تجاب بترحيب •

ومن الواضح انه كلما صغر حجم المجموعة المسؤولة عن دفع التعويض كلما ازدادت حصة كل فرد فازداد حمله • فحصص التعويضات فى جرائم (السودة) و (الفسدة) اعباء اقتصادية ثقيلة بصورة خاصة • ففى حادثة

قتل وقعت بين حمولة (آل الشيخ) فى نيسان عام ١٩٥٢[1] ، حكم على فخذ آل حجى سارى ، فخذ الرجال الاربعة المتهمين باقتراف القتل ، ان يدفعوا قرابة ٦٠٠/٠٠٠ دينار كتعويض عن القتل وعن تكاليف الدعوى وأجور المداواة للشخصين اللذين جرحا فى الحادث • وكان (ودّاية) فخذ آل حجى سارى اثنين وثلاثين شخصا فكانت حصة كل (وداى) حوالى ١٩/٠٠٠ دينارا • وكان على بعض عوائل الفخذ ان تدفع كل واحدة منها ثلاث حصص تبلغ حوالى ٥٧/٠٠٠ دينارا • وترتب مثلا على مطلك آل حسان ، أحد أعضاء هذا الفخذ ، ان يدفع عن نفسه وعن ولده حصتين تبلغ قرابة ٣٨/٠٠٠ دينارا وهو مبلغ أكبر جدا من ان تدركه موارد مطلك وامكانياته الاقتصادية • ولقد أخبرنى بانه لن يستطيع ايجاد وسيلة لدفع هذا المبلغ فيما لو نفذ الحكم بغير ان يبيع بقراته الثلاث وان يستقرض ديونا جديدة •

وقد يبدو ان من الممكن ان تتعادل الخسارة التى تقع على أفراد الفخذ أو الحمولة نتيجة لارتكاب أفرادها جرائم بارتكاب أفراد خارجيين جرائم ضدهم أو ضد أفراد من حمولتهم • ولكن الواقع غير ذلك • فبناءاً على العرف العشائرى يجب أن تقسم الدراهم المستلمة كتعويض الى قسمين ، يعطى قسم لعائلة المعتدى عليه ويقسم الثانى على المجموعة ، التى لو كان مقترف الجريمة منها لدفعت هى الفصل ؟ أى الفخذ ان كان المعتدى من نفس الحمولة أو الحمولة ان كان من نفس العشيرة أو العشيرة كلها ان كان المعتدى غريبا • ورغم ان الحصة التى تستلمها العائلة دائما كبيرة وذات قيمة فان حصة الفرد فى القسم الثانى تصبح ضئيلة تافهة خاصة اذا قسم الفصل على الحمولة أو العشيرة كلها لدرجة انها لاتستحق أن يطالب بها • وفى مثل

(١) حادثة قتل زوجة عبودة آل سلمان وجرحه هو وابنته والتى اتهم فيها مگطوف آل خشان واخواه وولده •

هذه الحالات يستولى السراكيل على النصف الثانى الذى تستحقه المجموعة ، ولكنهم لا يتحملون لقاء ذلك دفع شيء اذا اقترف عضو فى حمولتهم جريمه تستوجب دفع التعويض • ومعنى هذا أن فى الفصول دائما خسارة على الفخذ أو الحمولة أو العشيرة فى دفع غرامات عن الجرائم التى يقترفها أفرادها وليس لهؤلاء الافراد كسب ما يجب أن يؤل اليهم فى حالة ارتكاب جريمة ضد أحدهم يستحقون هم غرامتها •

ولقد كانت المسؤولية الجماعية في دفع التعويضات قبل الغاء المشيخة عام ١٩٢٤ عاملا عظيما فى كيان الحمولة • وبما ان الحمولة الكبيرة تستطيع توزيع حصص التعويضات بحيث يساهم كل فرد بمبلغ ضئيل فقد كان لدى الحمايل ميل لزيادة عدد افرادها بالتبني • ولا تبيح التقاليد القبلية للحمولة أن تتنصل من تحمل مسؤولية أى عضو من اعضائها أو فخذ من أفخاذها فى حين لا يوجد ما يمنع الفخذ من تغيير الحمولة التي يرتبط بها ويدين لها بالولاء • ولذا فان تأثير التعويضات على العضوية فى حمولة ما نافذ من جهة واحدة فقط • اما فيما يخص الافخاذ فلا يوجد سبيل لطرد أحد أفراد الفخذ أو لفظه ، وان العضو لا ينفصل من اقاربه فى الفخذ ما لم تكن لديه أسباب قوية تحمله على ذلك •

الفصل السادس

الطبقات الاجتماعية

SOCIAL CLASSES

تقوم بعض المجتمعات ، بدائية كانت أم متحضرة ، على أساس من طبقات اجتماعية Social classes • فتنقسم بعضها الى عبيد Slaves وأحرار Free men وبعضها الآخر الى اشراف Aristocracy وعوام Commoners وعبيد Serfs ، وغير ذلك • وتقوم هذه الطبقات غالبا على أساس النسب Descent الذى تدعيه الطبقة ، أو القوة والسيطرة ، أو الثروة ، التى لها فى المجتمع ، كما قد يكون ذلك الاساس هو المهنة التي يزاولها أفراد تلك الطبقة • ويترتب على وجود الطبقات فى مجتمع ما اختلاف فى حقوق وواجبات كل طبقة ، كما تميز كل طبقة نفسها ، فى الغالب ، بتقاليد معينة وتتخذ لها ألبسة وشعارات خاصة بها • ومن أبرز ما تحيط به الطبقة نفسها من تقاليد لحفظ كيانها ودوام شخصيتها هو فرض نظام تزوج داخلى لها Class endogamy بحيث تضمن زواج رجالها ونسائها داخل حدودها • فاذا ما اقترن هذا التقليد بقيام الطبقة ذاتها على أساس النسب تصبح الطبقة عندئذ مقفولة تماما •

ومن شروط اعتبار المجتمع قائما على أسس الطبقات أن تكون الحواجز بين تلك الطبقات صعبة التخطى بحيث لا يستطيع فرد من طبقة واطئة ان يرتفع لاخرى أعلى من طبقته بيسر وسهولة ، وان تتصف تلك الحواجز بالدوام الزمنى فلا تزول من تلقاء نفسها بعد زمن •

ويقترن نظام الطبقات الاجتماعية فى مجتمع ما بالنظام الاقتصادى فيه ؛ تختص كل طبقة بنوع من الفعاليات الاقتصادية فتحاول بذلك التخصص

تميز نفسها عن الطبقات الاخرى ، أو ترفع بعض الطبقات عن مزاولة أعمال خاصة أو قد تختص كل طبقة بمهنة معينة يزاولها كافة أفرادها ، كما هو الحال فى ال[1] Castes (الطوائف) فى الهند •

وفى مجتمع الچبايش اليوم يمكن تمييز ست طبقات اجتماعية هى :

١ ـ السادة و (الموامنة) •
٢ ـ آل خيون (بيت الرئاسة فى بنى أسد) •
٣ ـ (السراكيل والمخاتير وأجاويد الطايفة) •
٤ ـ العوام •
٥ ـ العبيد •
٦ ـ الصابئة •

١ ـ السادة والموامنة

السادة هم الافراد الذين يدعون نسبا للرسول محمد • والمفروض فى كل السادة ان يكونوا نسل واحد من الائمة عن طريق فاطمة بنت الرسول وزوجها علي بن أبى طالب ، ابن عم النبى ، ولذا فان لهم مركزا دينيا مرموقا • وليس هناك طبعا طريقة للتأكد فيما اذا كان احد الناس متحدرا فعلا عن النبى أو عكس ذلك ، ما دامت لا توجد لدينا سجلات أو أية وسيلة أخرى يعتمد عليها لتحقيق ذلك ، وان الامر كله يعتمد على الادعاء وحده • فكثير من الناس فى منطقة الاهوار ومناطق مماثلة أخرى يدعون انهم سادة ما دام هذا الادعاء يضفى عليهم اعتبارا اجتماعيا كبيرا مع احتمال الحصول على

(١) الـ Castes (الطوائف) نظام منتشر فى الهند حيث ينقسم مجتمع الهندو الى اكثر من ثلاثة آلاف طائفة منفصلة عن بعضها على أسس اقليمية ومهنية وعنصرية وقبلية ودينية • ويحرم الاتصال الاجتماعى والتزاوج بين اعضاء الطائفة والاخرى تحريما باتا • راجع مثلا
Hutton, J.H., Caste in India, Cambridge, 1946.

ربح مادى كذلك • والاحتياط الوحيد الذى يلجأ له مدعي النسب هو تغيير مكان نشأته بحيث لا يتعرض ادعاؤه لفحص وتمحيص دقيقين •

وبما ان للسادة فرصا أحسن للحياة بين سكان الاهوار الشيعة ، لان مذهبهم قائم على الولاء للائمة وآل البيت ، فان السادة كثيرون فى منطقة الاهوار ، وهم كافة غريبون عنها • ويعيش السادة فى أغلب الاحيان فى تلك المنطقة على الكدية والاستعطاء وعلى ما قد يمنحهم الشيوخ من أرض أو محاصيل زراعية • ويستغل السادة سكان الاهوار بادعائهم قوى خارقة لشفاء الامراض أو رفع الاذى أو انزال الضرر • وفوق هذا فهم يكسبون كثيرا بمزاولة السحر والشعوذة وكتابة الادعية والتمائم •

وتوجد فى الچبايش ثمان عوائل سادة مكونة من قرابة خمسين شخصا • ومعروف عن ست من هذه العوائل انها كانت تعيش فى القرية منذ أجيال • ويختلف سادة الچبايش عن سادة بقية مناطق الاهوار فى عدة أمور • فشخصان منهم فقط يعيشان على الكدية ، اما البقية فيكسبون معاشهم من التجارة ، وادارة الدكاكين أو الزراعة وحياكة الحصر ولم يعرف عن أحد السادة في الچبايش انه زاول السحر أو ادعى مقدرة على شفاء مرض أو القيام بعمل خارق • ومر هذا الى العناية الفائقة والكرم المفرط اللتان كان السادة يلقونهما من الشيوخ ، والى ما كان يخصص لهم من أرض واسعة وحصص وافرة فى المحاصيل الزراعية ، بحيث اصبحوا ، نتيجة لكل ذلك ، يتمتعون بضمان اقتصادى • وباستثناء ادعائهم النسب لمحمد وباستثناء لبس نفر يسير منهم الكوفية (اليشماغ) الزرقاء[1] فأن السادة فى الچبايش أفراد عاديون فى طرق حياتهم وأساليبهم فى المجتمع •

ان عائلتين اثنتين من السادة مكونتين من ستة رجال بالغين هما أغنى

(١) يميز الكثير من السادة فى العراق انفسهم بلبس عمائم سوداء وزرقاء وخضراء أو كوفية زرقاء بحسب الامام الذى يدعون له نسبا •

أهل الچبايش كافة وبشكل لا يقبل القياس أو المقارنة • كما ان أفراد هاتين العائلتين هم أكبر تجار الحبوب والحصر فى القرية وهم أيضا أكبر مرابيها وأوسعهم عملا • وعائلتان أخريان من السادة هم تجار حصر وأصحاب دكاكين ، ويأتى ترتيب رأسيهما الثانى عشر والثالث عشر بين أغنى عشرين رجلا فى القرية[1] وتعيش عائلتان من الاربع الباقيات على الزراعة وحياكة الحصر والعائلتان الاخريان على العمل بأجرة خارج القرية في هجرات العمل الموسمية أو فى الزراعة بين آن وآخر •

وينظر أهل الچبايش ، كما يفعل بقية شيعة العراق ، الى السادة كرجال مقدسين يجب أن يوضعوا فوق بقية البشر كافة • فما داموا « أولاد رسول الله » فان احترامهم وتقديسهم واجب دينى • ويقسم أهل الچبايش الايمان بالسادة وخاصة فى عدد قليل منهم معروفين بتقواهم وورعهم • ومن المفضل فى حالات ارسال وفد لخطوبة فتاة أو لفصل قضية أو تسوية خلاف أو فى أرسال وفد (مشية) لتطييب خاطر شخص متألم أو غضبان أن يترأس مثل هذا الوفد سيد ، لانه لا يرد اذا طلب شيئا • ويجلس السادة فى مكان الصدارة من المضايف ويعطون الافضلية والاسبقية اينما ذهبوا وحلوا • ولا يأخذ سراكيل القرية حصتهم من المحصولات الزراعية من السادة الذين يزرعون فى أراضيهم •

ولان السادة أولاد النبى فالمفروض بمن يدعى انه سيد أن يكون متمسكا بتعاليم الدين وان يبتعد عن التكالب على الربح المادى خاصة اذا انطوى ذلك على أخذ الربى المحرم فى الدين الاسلامى • وفى الواقع ان اربعا من عوائل السادة فى الچبايش وبصورة خاصة اثنتين منها ، لا تزاولان

(١) للاستزادة عن الثروة والميزان الاقتصادى فى القرية راجع الفصل الخامس عشر •

الربى[1] فحسب بل وتوشكان ان تحتكراه • وتفعل العائلتان الاخريان الشىء ذاته فى تجارة الحصر • ويبتعد السادة اعضاء هذه العوائل الاربع فى الواقع بسلوكهم هذا السبيل عن تعاليم الدين الاسلامى ويؤثرون كثيرا على مركزهم كـ (أولاد محمد) ، وهم ، كما يبدو ، يستغلون هذا المركز من أجل الكسب المادى • والناس يصدقونهم بلا تردد ولا يفكرون بمقاضاتهم فى حالة نشوب خلاف لا عشائريا ولا عند الحكومة • فبمجرد أن يقسم السيد قائلا (وجدى رسول الله) على الشخص أن يصدق ذلك حالا ، والا فيصبح ، بعرفهم ، كافرا • ولقد كان هذا القسم وما زال غالبا ما يستعمل وسيلة للكسب والغش • ولكن أهل الچبايش يشعرون بسلوك السادة التجار فى العمل ولذا فهم لا يكنون لهم نفس الاحترام الذى يكنون للسادة غير التجار الذين لا يسمحون للرغبة فى الكسب أن تؤثر على مركزهم الدينى •

ويجب ان نؤكد هنا أن السادة فى الچبايش ليسوا طائفة Caste كما انهم ليسوا حمولة Clan • فسادة الچبايش يعيشون متفرقين فى كافة أرجاء القرية ؛ خمس عوائل منهم تعيش مع حمولة آل الشيخ واثنتان مع حمولة آل غريج وعائلة واحدة مع حمولة آل لعبر • وتكوّن الثمانى عوائل أجزاءاً من الحمايل التى تعيش معها • ولا توجد علاقة قربى بين عوائل السادة التى تعيش فى الحمايل المختلفة ، وحتى سادة الحمولة الواحدة ليسوا أقارب بصورة ضرورية • فسادة حمولة آل الشيخ مثلا يكوّنون ثلاث مجاميع قربى مختلفة • والسادة فى الچبايش يميلون بصورة عامة للتزاوج فيما بينهم • ولكن يجب الا يفهم من هذا وجود قاعدة وجوب التزوج بين السادة كمجموعة قربى Endogamy بصورة ملزمة • فلقد وجدت بضع حالات تزوج فيها السادة نساءاً من غير السادة كما وجدت عكس

(١) ويشمل هذا الربى ربحا مركبا فاحشا يؤخذ عن اقراض مبالغ من المال على طريقتى الـ « أخضر » والـ « گلاب » فى الحبوب والحصر • راجع الفصول ١١ و ١٢ و١٥ •

ذلك أيضا • فالواقع تجوّز التقاليد تزوج السيد أو المرأة (العلويـة) برجل أو امرأة من غير السادة ، ولكن ذلك نادر الحدوث •

اما (الموامنة) فهم الوكلاء الدينيون للمجتهد ، وهو الرأس الدينى لفرقة الشيعة ومقره فى مدينة النجف • ويدعى مثل هذا الوكيل محليـا (المومن) وينادى باسم (الشيخ) • و (المومن) مخول شرعيا من قبل المجتهد تسوية القضايا التى تحل بموجب أحكام الشريعة الاسلامية كالزواج والطلاق والميراث • والمفروض فى المومن أن يكون متخرجا فى احـدى مدارس النجف الدينية وان يعيش على ما يقدمه له الناس لقاء خدماتـه الدينية • وبالاضافة الى هذا فلـ (مومن) وظيفة هامة أخرى وهى ان يترأس ويدير مجالس (القرايات) التى تقام فى الايام العشرة الاولى من شهر محرم لاظهار الحزن والتوجع على استشهاد الامام الحسين وآله وصحبه فى موقعة كربلاء • وتدفع أجور عالية لـ (موامنة) فى مجالس (القرايات) تجمع من التبرعات التى يدفعها الذين يحضرون المجلس والذين يدفعون أقصى ما يستطيعون لاعتقادهم أن الاجر يتناسب طرديا مع ارتفاع المبلغ المدفوع •

ويوجد فى الچبايش (مومن) واحد وهو متخرج من مدرسة دينيـة ومخول فى كافة الشؤون الدينية • وهو ليس من أهل الچبايش أصلا ولكنه مسؤول عن الشؤون الدينية والشرعية الخاصة بأهل الچبايش والمدينة[1] • وهناك الى جانبه عائلة كان رأسها المتوفى قبل عدة سنين مخـولا دينيـا • وبعد وفاته بدأ اثنان من أولاده رغم انهما ليسا مثقفين ثقافة دينية تخولهما ذلك ، يزاولان بعض الطقوس التى لا تنطوى على مسؤولية دينية أو قانونية مثل قراءة الادعية و (القرايات) • ولكن لا يتمتع احـدهما بما يتمتع بـه (المومن) المخول شرعيا من اعتبار ومركز • وفى شهر محرم يؤم الچبايش واحد أو اكثر من العدد الكبير من (الموامنة) الذين يجوبون المنطقة ليقرأوا

(١) قرية تقع على نهر الفرات فى منتصف المسافة تقريبا بين الچبايش والقرنة •

فى مجلس (القرايات) المبثوثة فى كل مكان والتى يوجد منها فى قرية الچبايش حوالى خمسة عشر مجلسا يدير كل (مومن) عددا منها •

ويحترم (الموامنة) ، خاصـة من كان منهم متخـرجا من المدارس الدينية ، ويوضعون فى منزلة السادة • وهم فى العادة متفرغون لاعمالهم الدينية تماما ولا ينغمرون بأعمال معاشية دنيوية • ولكن بعضهم وخاصة اولئك الذين هم ليسوا مخولين شرعيا يزاولون الكدية باسم الدين ويستغلون سكان الاهوار الجهلة خاصة فى منطقة العمارة • اما مومن الچبايش فلقد كان منصرفا لواجباته وكان يتمتـع باعتبـار عال فى القرية لسـعة معلوماته ولترفعه عن الكدية •

٢ ـ آل خيـون

آل خيون هم بيت الرئاسة فى عشيرة بنى أسد وهم ينتسبون الى (دحلة) الذى يبعد ثلاثة عشر جيلا عن أعضاء البيت الاحياء • وكان آل خيون قبل شيخ سالم آل خيون آخر شيوخ العشيرة يدعون انفسهم (آل حجى ناصر) باسم (حجى ناصر آل محمد) وهو أحد قادتهم وشيوخهم ، ثم صاروا يدعون انفسهم (آل حجى جناح) باسم ولده • وعندما نصب سالم آل خيون شيخا على العشيرة فى سنة ١٩٠٤ ، بدأ يوقع (سالم آل خيون) مستعملا اسم جده (خيون) ، لانه كان أعظم قادة هذا البيت قاطبة • ومنذ ذلك الوقت صار البيت يدعى (آل خيون) • ولقد رأيت وثائق موقعة من قبل شيوخ حكموا العشيرة قبل شيخ سالم تحمل اسماء (آل حجى ناصر) و (آل جناح) •

ظل آل خيون يحكمون بنى أسد مدة أربعة قرون تقريبا • وفى أيام مشيخة حجى ناصر آل محمد ، اصطدمت (بنى أسد) فى نزاع بآل سعدون وهى عائلة بدوية كانت تحكم اتحادا قويا من القبائل جنوب العراق • فدُحرت (بنى أسد) وسيقت من الحلة ، حيث كانت لها هناك امارة ، الى منطقة الاهوار جنوبا حتى منطقة الچبايش • ولقد قاد الشـيوخ الطموحون (جنـاح)

و (خيون) و (محى) و (حسن) بنى أسد فى حروب عقدت لهم فيها الوية النصر ضد آل سعدون وآل حسن[1] وعشائر مختلفة فى منطقة العمارة ، كما قادوا العشيرة فى حروب عدة ضد الجيش العثمانى • ولقد عاشت (بنى أسد) عدة سنوات فى مناطق مختلفة من الاهوار مثل (المجرة) و (البو شامة) و (العمارة) و (الحويزة) واشتركت فى حروب طويلة وغزوات سلب عديدة كما تعرضت لنفى طويل من موطنها[2] •

ولقد عاش آل خيون حتى الغاء المشيخة فى عام ١٩٢٤ كطبقة ارستقراطية عسكرية ، فكانوا يتمتعون بمركز ممتاز جدا وسلطة وقوة عظيمتين للغاية • وكانوا ينظرون لكافة أفراد العشيرة كاتباع أو عبيد ، أقل منهم درجة ورتبة • وحكموا حكما استبداديا عاملوا فيه اتباعهم بمنتهى القساوة • فكان الشيوخ ، وهم رؤوس آل خيون ، يلجأون الى تغريم اتباعهم وسجنهم فى قلاعهم[3] كطريقة اعتيادية فى العقوبة • والمفروض فى الفرد من العشيرة ان يضع نفسه دائما فى خدمة (بيت الرياسة) لاى واجب يطلب منه ، فكانت العشيرة كلها تعمل للشيخ وأقاربه آل خيون ، فيستولى هو وأقاربه على أغلب المنتوج الزراعى ويأخذ الضرائب على اشجار النخيل والماشية ويشارك حتى الآباء فى مهور بناتهم • وكان آل خيون يتطلبون خضوعا تاما من كافة افراد العشيرة لانهم السادة المتحكمون أو كما يطلقون على انفسهم (بيت الرياسة) ؛ فللـ (خيونى) الحق الذى لا يقبل المنازعة فى اهانة أو ضرب أو اساءة معاملة (السداوى)[4] الذى يجب عليه ان يتقبل مثل تلك المعاملة بدون أى اعتراض أو تذمر • وللـ (خيونى) الحق فى التدخل

(١) عشيرة كبيرة تسكن منطقة گرمة بني سعيد شرق سوق الشيوخ •
(٢) سندرس تاريخ العشيرة مفصلا فى الفصل الثامن •
(٣) كانت للشيوخ سابقا قلاع من طين مبثوثة فى ارجاء منطقتهم تستعمل كمراكز حربية ويقيم فيها عادة وكلاء عنهم ، وتسمى الواحدة منها (حجرة) •
(٤) (السداوي) لقب يطلق على كل فرد من افراد عشيرة بني اسد •

فى أى نزاع أو أية قضية تخص أى فرد من بنى أسد بغض النظر عن كون (الخيونى) رئيسا أو غير رئيس ، لان المفروض فى كل (خيونى) انه رئيس • ويستطيع (الخيونى) فى حالة السفر أو الحاجة لعمل اخر ان يأمر أى عدد من بنى أسد لتقديم خدماتهم • فان أراد دراهم فيستطيع ان يجمعها من أفراد العشيرة ، لانه لا يعمل وواجبه ان يحكم فقط •

وعندما الغيت المشيخة والقى القبض على الشيخ سالم ال خيون وحوكم فسجن ، انشأت الحكومة وحدة ادارية قوية فى القرية[1] • وكرد فعل طبيعى ظاهرت العشيرة كلها الحكومة ضد آل خيون الذين وجدوا أنفسهم فى مركز حرج للغاية • فلقد كانت لدى الحكومة سياسة واضحة فى قلب آل حيون الذين اعتادوا ان يحكموا الناس منذ أمد طويل الى مواطنين مخلصين للدولة • ولكن آل خيون لم يرضخوا لهذه السياسة ، فهرب بعضهم الى الهور وقادوا عصابات من اللصوص وقطاع الطرق والفارين من وجه العدالة • فسببوا للحكومة متاعب جمة قبل ان استطاعت ان تدحرهم وتقضى على قوتهم نهائيا وتنفى قادتهم من المنطقة • وترك البعض الاخر الچبايش الى العمارة ومناطق أخرى مؤملين حدوث تغير فى الحالة ولكنهم عادوا الى الچبايش بعد أن يئسوا من ذلك • وبقى قليل جدا من العقلاء من آل خيون الذين يحبون السلام فى المنطقة وحتى انهم ايدوا الحكومة وساعدوها فى مجهوداتها لصيانة الامن والنظام • ولقد خصصت الحكومة فيما بعد رواتب لبعض آل خيون واقطعتهم اراض غنية خارج منطقة الچبايش •

واليوم يعيش معظم آل خيون فى الچبايش • ولهذه الحمولة[2] فروع تعيش فى گرمة على والعمارة ، كما يقسم آخر شيوخ العشيرة وقته بين بغداد حيث يملك بيتا عصريا وبين أراضيه الغنية فى لواء ديالى ، التى أعطيت

(١) راجع الفصل الثامن •
(٢) اننى اميل الى اعتبار آل خيون حمولة قائمة بذاتها والجدير بالذكر انهم ذاتهم يرون ذلك رغم انهم لا يعتبرون انفسهم حمولة من حمايل بنى اسد بل وحدة مستقلة •

له بعد ان عفت الحكومة عنه وأطلقت سراحه .

وتتكون حمولة آل خيون الان من ثلاثة أفخاذ ؛ بيت حسن وبيت محمد وبيت محى[1] . وتسكن الجبايش الان منهم ثلاث عشرة عائلة فقط ؛ ثلاث من فخذ بيت محمد وعشر من فخذ بيت حسن ، تتكون كلها من واحد وثلاثين رجلا بالغا . اما فخذ بيت محى الذى يتكون من ثلاث عوائل فيسكنون العمارة . وتعيش فى الجبايش عائلتان من آل خيون على الرواتب التى تدفعها لهم الحكومة بصفة (مخصصات منفيين) ، وعائلة واحدة على راتب رئيسها الذى هو موظف فى حكومة القرية ، اما العوائل العشر الباقيات فتعيش من التزام الاراضى والتجارة والزراعة مع عائلة واحدة فقط تعيش على مبالغ مدخرة سابقا .

يجتاز آل خيون الان مرحلة انتقال من وضعهم السابق كرؤساء وكطبقة ارستقراطية عسكرية الى مواطنين عاديين . وحالما جرد آل خيون من سلطتهم السياسية كان أهل الجبايش على اتم استعداد ان ينكروا عليهم كافة امتيازاتهم القديمة وبدأوا يعاملونهم كبقية أفراد العشيرة . الا يوجد فى القرية اليوم حكومة أقوى بكثير من آل خيون وهى لا تميز بين (السداوى) و (الخيونى) فى الحقوق والواجبات وتعاملهما كمواطنين أنداد ؟ وباستثناء احترام سطحى محدود يمنح فى الواقع لافراد آل خيون الاخيار فقط ، فان بنى اسد اليوم لا يسمحون لآل خيون بأى من امتيازاتهم القديمة . والسبب فى تبدل سلوك العشيرة تجاه آل خيون واضح بيّن . فلم يحترم آل خيون ، باستثناء واحد أو اثنين منهم فقط ، (الطايفة) ، بل كانوا لا يعرفون غير استغلال أفرادها الذين قاسوا كثيرا على أيديهم . وقاد آل خيون العشيرة الى حروب طويلة كان يضحى فى الأفراد فيها فى حين يجنى آل خيون وحدهم ثمار النصر وينعمون بالاسلاب والغنائم .

---

(١) راجع المخطط رقم (٢٤) .

وترتب على آل خيون أن يقبلوا مجبرين سياسة الحكومة وسلوك أفراد العشيرة حيالهم . فبدأوا يكيفون أنفسهم للوضع الجديد ؛ فأخذ بعضهم،

ى آل خيون أن يقبلوا مجبرين سياسة الحكومة وسلوك
الهم . فبدأوا يكيفون أنفسهم للوضع الجديد ؛ فأخذ بعضهم،

مخطط رقم (٤)

حمولة آل خيون

(الرجال البالغون فقط)

ملاحظة : تشير الاقواس الى ان الاشخاص اموات والارقام الى تسلسل المشيخة في الحمولة

(دحلة) (١)
(اصلاح) (٢)
(عنيسى) (٦) — (شيخ) (٣) — (عباس) (٧) — (ونيس) (٤) — (ويس) (٥)
(حجى سواد) (٨)
(على) (٩) — (عليان) (١٠)
(خزيمة) (١١)
(على) (١٢)
(بدر) (١٣)
(سالم) (١٤)
(حسين الكبيدى) (١٥)
(محمد) (١٦)
(حجى بدر) — (حجى ناصر) (١٧)
(احمد) — (مغامس) (١٩)
(جناح) (١٨)
(خيون) (٢٠)
(محى) (٢١) — (محمد) — (حسن) (٢٢)

(حسن) (٢٢): سعدون — فالح (٣٦) — غضبان — (روضان) — (فيصل) — (برغش) — (سلطان) — (تركى) — (غانم) — سالم (٢٤) و (٢٧) — (فهد) — (ضيدان) — (هندال) — (بندر) — (فارس) — (على)
سعدون: (؟) — كاظم — شامخ
فالح (٣٦): مشد — فيصل — دواى — غانم — خريبط
غضبان: مسلط — عبدالقادر — مجيد — جاسم
سالم (٢٤) و (٢٧): (دبيس) — شعبان — (خيون) — (رشيد) — (حميد) — (صالح) — (مزيد)
(ضيدان): جبار
(هندال): لطيف — محسن — نايف — شريف
(بندر): حسن — صكبان — وليد
(فارس): حبيب — مزهر
(على): جمعه — صدام — (عباس) — (جليل) — حسين
(جليل): جميل — امين — فيصل

(مغامس) — (داحس) — (حمود)
(داحس): (جواد) — (ناصر)
(حمود): جيجان — ماجد (٣٥)

(محمد): (جاسم) — (جايد) (٣٣)
(جايد) (٣٣): (عبدالعزيز) — (عبدالكريم) — (عبدالله) — عبدالهادى — (محمد)
(عبدالعزيز): ناجى — حميد — رشيد
(عبدالكريم): اسعد — معن — زهير — قيس
عبدالهادى: كاظم — عبدالامير — محسن

(محى) (٢١): (خليفة) — (عطار) — (جناح)
(عطار): (مانع)
(مانع): حسن — محمد — محى
(جناح): (كريز) — عبدالاله — (مزعل) — حجى مزيد — (مشيهد)
عبدالاله: مشد — صباح
(مزعل): حميد — خالد

له بعد ان عفت الحكومة عنه وأطلقت سراحه •

وتتكون حمولة آل خيون الان من ثلاثة أفخاذ ؛ بيت حسن وبيت

محمد و

ثلاث من

وثلاثين

فيسكنو

التى تد

راتب

فتعيش

على مبا

ي

وكطبقة

من سلط

كافة امت

القرية ا

و (الخ

احترام

فان بني

والسبب

آل خيو

يعرفون

العشيرة

خيون و

وترتب على آل خيون أن يقبلوا مجبرين سياسة الحكومـة وسلوك أفراد العشيرة حيالهم • فبدأوا يكيفون أنفسهم للوضع الجديد ؛ فأخذ بعضهم، لاول مرة فى تاريخ آل خيون ، يزرع الارض ويربى الماشـية • وانخرط بعضهم الاخر فى خدمة الحكومة ككتاب وجنود وزاول قسم منهم مهنا يتردد حتى أفراد العشيرة العاديون فى مزاولتها ، كتسيير الزوارق البخارية ، لانها تعتبر ، من وجهة نظر التقاليد المحلية ، مهنا محتقرة[1] •

ولا يزال آل خيون يختلفون حتى اليوم فى طريقة حياتهم ، ويحافظون بصورة عامة على مستوى فى المعيشة أعلى من بقية أفراد العشيرة • فيسكنون باستثناء عائلة أو أثنتين ، بيوتا أحسن ، تحوى غالبا أثاثا جيدا كالكراسى ودواليب وصناديق الملابس وما الى ذلك • ويلبسون ملابس كملابس بقية أفراد العشيرة فى طرازها ولكنها بصورة عامة أحسن نوعيـة وتمثـل ترفا ورفاهية • وتلبس نساؤهم ملابس أحسن كثيرا مما تلبس نسـاء القرية ويستعملن الحلى وأدوات الزينة • ويأكلون بصورة عامة طعاما أقرب الى طعام أهل المدن وأحسن من طعام أفراد العشيرة • ويحافظ آل خيون على تقاليد خاصة فى بيوتهم يحرصون لحد بالغ على تطبيقها والتقيد بها • فمثلا يجب ان يظهر (الخيونى) الصغير احترامه للكبير حتى ولو كان أصغر منه بيوم واحد فقط ، ويعبر عن هذا الاحترام بالوقوف له فى الاماكن العامة ، وان كان فى سن والد الشخص فبتقبيل يده • ولا يسمح للنساء (الخيونيات) أن يأكلن مع الرجال أو بحضورهم ، كما لا يسمح لهن بالذهاب الى الفراش للنوم قبل أزواجهن • ولا يجوز (لخيونى) ان يُسيّر (مشحوفه) بنفسه ، لا بالـ (غرّافة) ولا بالـ (مردى) • وأغلب الجيـل المسن من الحمـولة يقرأون ويكتبون ، ولا يوجد (خيونى) واحد ولد بعد تأسيس مدرسـة القرية فى عام ١٩٢٤ لا يعرف القراءة والكتابة •

وأقوى تقاليد آل خيون هو التزوج فيما بينهم ، وهى قاعدة تنفذ بلا

(١) راجع الفصل السادس عشر •

استثناء بصدد نسائهم ولا يخرج عليها الا نادرا فى حالة الرجال • فقبل ايام الشيخ حسن آل خيون ، أى قبل قرابة تسعين عاما زوج عدد قليل جدا من نساء آل خيون الى فخذ (آل سهر) ولكن الفخذ كله انقرض بعد ذلك • وزوجت امرأتان منهم الى رجلين من فخذ (آل سوّاد) ، ولكن الامرأتين كانتا عاقرتين فطلقتا وزوجتا مرة أخرى من رجلين خيونيين • وزوجت احدى بنات الشيخ جناح واحدى بنات الشيخ خيون فى العمارة ، ولكنهما ماتتا دون ان تخلفا ذرية[١] ومنذ أيام الشيخ حسن آل خيون لم تزوج خيونية واحدة خارج الحمولة • ولكن رجال آل خيون يتزوجون فى بعض الحالات نساء غريبات عن الحمولة • فكل شيوخ آل خيون تقريبا تزوجوا من نسوة غريبات بالاضافة الى نسائهم الخيونيات • فكان ، مثلا ، الشيخ جايد آل خيون متزوجا من بين زوجاته الاربع بأثنتين غريبتين • وتزوج الشيخ سالم آل خيون من خمس نساء كانت اربع منهن غريبات • وقليل من رجال الجيل الحاضر من آل خيون متزوجون من نساء غريبات كذلك • ولقد أدى هذا الوضع ، وهو عدم تزويج نساء آل خيون خارج الحمولة مع السماح للرجال منهم بالتزوج خارجها ، الى حصول فضلة فى النساء الخيونيات غير المتزوجات فى الحمولة ، رغم ان وجود نظام تعدد الزوجات يفرض كثيرا من التوازن • ففى عام ١٩٥٣ كانت فى الحمولة ست عوانس طاعنات فى السن وعدد من النساء قد تخطين سن الزواج • ولقد جعل وجود قيدالزواج داخل الحمولة ، المفروض على النساء فقط ، الخيونيات يقاومن بقوة أية محاولة من رجالهن للتزوج بزوجات غريبات • فاذا ما حدث مثل هـذا الزواج ، رغم تلك المقاومة ، فان تلك النسوة لا يقعدن عن بذل كل مجهود فى طوقهن لافساد الزواج والتسبب فى تطليق الزوجة الغريبة ، يلجأن لتحقيق

(١) ولذا فان من المعتقدات الشائعة بين نسوة القرية ان المرأة الخيونية لا تخلف نسلا مطلقا من غير رجل خيونى •

ذلك الى أمور عدة كالسحر الذى تخصص فبرعن فيه لحد كبير والشجار والمؤامرات • ومن جهة أخرى فان أهل الجبايش يترددون كثيرا بل ويرفض بعضهم بصورة باتة تزويج بناتهم الى آل خيون ، رغم ما يسبغه مثل هذا التزويج من اعتبار وشرف على أية عائلة من بنى أسد ، وذلك لسلوك النساء الخيونيات تجاه الزوجات الغريبات •

٣ ـ (السراكيل) و (المخاتير) و (اجاويد الطايفة)[١]

كان شيوخ بنى أسد يختارون رجلا بارزا من كل حمولة ويعينونه وكيلا لهم فيها • وكانت وظائف اولئك الوكلاء الاساسية تنفيذ أوامر الشيوخ والعمل كضباط ارتباط بينهم وبين أفراد حمايلهم • وكان الوكلاء يعتمدون بدورهم ، فى الامور الهامة ، على رؤوس الافخاذ التى تتكون منها حمايلهم • وحين اقصى آخر شيخ للعشيرة عينت الحكومة ، وكان عملها ذاك اجراءا حكيما صائبا ، كافة وكلائه (سراكيل) ، كلا فى حمولته • ثم مكنتهم من السيطرة على حمايلهم وأعطت كل واحد منهم الاراضى التى كانت تزرعها حمولته فى ذلك الوقت لصالح الشيخ • كما انها اعترفت برؤوس الافخاذ كـ (مخاتير) •

وتحتوى كل حمولة على عدد من الرجال ، يعرفون بـ (أجاويد الطايفة) هم اعضاء أفخاذ كبيرة ومعروفون بانهم أخيار وذوو نخوة ومحبون للسلام ولهم معرفة بالتقاليد والقانون العشائرى وان يكونوا ذوى آراء صائبة ومشورة يركن اليها • وهم مع (السراكيل) و (المخاتير) يألفون الطبقة الثالثة فى مجتمع الجبايش •

ولا يختلف أفراد هذه الطبقة عن بقية أفراد العشيرة فى العادات أو التقاليد ولا يتمسكون بقاعدة التزوج فيما بينهم كطبقة متميزة • وباستثناء

(١) بصدد حقوق وواجبات (السراكيل والمخاتير واجاويد الطايفة) السياسية يراجع الفصل الثامن •

الثراء النسبى الذى يتمتع به السراكيل نتيجة لسيطرتهم على الاراضى ولاخذهم عوائد ورسوم أخرى ، وباستثناء النفوذ السياسى الذى يتمتع به السراكيل والمخاتير ، لا يختلف أفراد هذه الطبقة الا قليلا عن بقية أفراد العشيرة العاديين • وترتبط حقوقهم وامتيازاتهم بمنزلتهم الاجتماعية وبالاحترام الذى يتمتعون به فى المجتمع ، وبالدور الذى يلعبونه فى حل كافة الامور التى تهم المجتمع كله •

٤ – العوام(١)

العوام هم الاغلبية الساحقة من سكان الچبايش • وهم يعيشون على حياكة الحصر والزراعة والهجرة الموسمية من أجل العمل ويربون الماشية ويملكون اشجار نخيل على جزرهم • وكافة أفراد هذه الطبقة فقراء بصورة عامة والاغلبية الساحقة منهم مثقلون بالديون اما لتجار الحصر أو للمرابين • لقد المعنا سابقا بان العوام قاسوا كثيرا فى الماضى من ظلم واستغلال شيوخهم • ولكن هذا الظلم والاستغلال غير ممكنين فى الوقت الحاضر • فكافة السراكيل فى القرية ، خلا اثنين ، ليسوا من آل خيون والحكومة موجودة لتحول دون أى سوء تصرف • فحقوق السراكيل السياسية محددة واضحة لا يستطيعون تجاوزها • وصحيح ان على العوام ان يطيعوا سراكيلهم وان ينفذوا أوامرهم بدقة ، ولكنهم ليسوا ملزمين بالخضوع لهم • وللعوام مطلق الحرية ان يزاولوا أى عمل كان وان يزرعوا أية ارض ويعيشوا فى أى قسم من القرية • كما ان باستطاعتهم أن يغيروا انتسابهم الى الفخذ والحمولة عن طريق التبنى شريطة ان يوافق على ذلك سركال الحمولة التى يريدون الانتساب اليها(٢) • والعوام أحرار فى شؤونهم الشخصية كالزواج والطلاق والرهن والبيع وما يشبه ذلك • ولا يستطيع السراكيل أو المخاتير

(١) لدراسة مفصلة عن اقتصاديات هذه الطبقة راجع الفصول ١١–١٦
(٢) راجع الفصل الخامس •

التدخل فى أمثال هذه الشؤون مطلقا • وتنحصر واجبات أفراد هذه الطبقة فى التزام التقاليد والقوانين العشائرية واطاعة الحكومة والسراكيل بقدر ما يتعلق الامر فى قيام السراكيل بتطبيق أوامر الحكومة أو تنفيذ القانون العشائرى فقط •

ويكوّن العوام طبقة واحدة متساوية في الحقوق والواجبات مع وجود تفريق واحد يؤثر على اعتبار Prestige الفرد وليس على منزلته Status ويقام هذا التفريق اما على اساس انتساب الفرد لحمولة معينة أو مزاولته مهنة معينة • فحمايل العشيرة تختلف اختلافا كبيرا فى اعتبارها الاجتماعي كما بينا فى الفصل الخامس ؛ فعضو من حمولة آل غريج أو من حمولة آل خاطر مثلا أقل احتراما فى المجتمع من عضو من حمولة آل الشيخ أو حمولة آل عنيسى • اما المقياس المهنى كما سنشرحه فى الفصل السادس عشر فقائم على أسس تقليدية تعتبر بعض المهن محتقرة مخزية ولذا فالمتوقع من كافة افراد بنى أسد الامتناع عن مزاولتها وكل من يحترفها يعرض نفسه لفقدان اعتباره بغض النظر عن الحمولة التى ينتسب اليها •

٥ – العبيد(١)

كان من الخواص المميزة لبيوت الشيوخ ايام المشيخة القديمة كثرة العبيد الذين كانوا يعملون خدما وسقاة للقهوة فى بيوتهم ومضايفهم ونوتية فى زوارقهم وسعاة لنقل أوامرهم ووكلاء عنهم فى أجزاء من مقاطعاتهم • وكان كافة العبيد زنوجا من افريقيا جلبوا من الجزيرة العربية وبيعوا فى

(١) فى اللهجة المحلية الدارجة فى الچبايش تعنى كلمة « عبد » (الشخص المعدوم الحرية) أو (المنحط المركز) ولكنها لا تعنى (الشخص الذى يمكن التصرف فيه) Chattel slave • فاذا ما اريد هذا المعنى الاخير استعملت الكلمة موصوفة كقولهم « عبد مملوك » •

أسواق العبيد فى البصرة وبغداد ابان ازدهار تجارة العبيد فى العراق •
ورغم ان العبيد كانوا يباعون ويشترون كأية بضاعة أخرى ، فلقد كانوا فى الچبايش محتكرين من قبل الشيوخ وآل خيون فقط وان كافة العبيد الموجودين خارج بيوتهم قد جاءوا أصلا من تلك البيوت عن طريق الهبة •

وفى تلك الايام ، حين كان أحرار العشيرة عبيدا لشيوخهم ، كان العبيد لا يملكون أى مركز اجتماعى أو قانونى • فلقد كانوا يعيشون فى بيوت أسيادهم « بأكل بطونهم » وبالقليل من الملابس التى كان يتكرم بها عليهم اولئك الاسياد • وكان اسيادهم هم الذين يختارون الوقت والنساء لزواجهم • وما كانوا يستطيعون ملك أو ارث أية ثروة • واذا ما اقترف عبد جريمة او اعتدى عليه فان سيده هو الذى يحل الامر ويدفع أو يستلم عنه الفصل بموجب القانون العشائرى • وكان أسيادهم يضربونهم ويقيدونهم بالحديد واذا ما قامت أية شكوك عن علاقة جنسية بين العبد واحدى سيداته فان العبد يقتل حالا بدون أى اعتبار لظروف الاتهام •

وكانت وظائف العبيد الاساسية اما داخل بيوت الشيوخ كتحضير وتقديم القهوة فى المضيف وجلب الحشيش للماشية والتجذيف فى مشاحيف الشيخ وما الى ذلك ، أو خارج بيوت الشيوخ اذ يعملون كرسل يبلغون رسائل الشيوخ الشفوية ويحملون الخطية منها أو وكلاء فى الحقول ليشرفوا على الزراعة وقسمة المحاصيل • اما اولئك العبيد الذين كانوا يعينون وكلاء فى المقاطعات البعيدة فانهم يتمتعون بسلطة كبيرة ويجمعون لانفسهم ثروة • وكانت العادة ان يختص الشيخ بعبد واحد فيوليه فائق ثقته فيكسب العبد نتيجة لهذه الثقة منزلة كبيرة ويتمتع بسلطة وسيطرة واسعتين فى العشيرة • فمن هؤلاء العبيد من بنى مضايف ، وهى دليل على المركز الاجتماعى العالى ، فكان أهل القرية يؤمون مضايفهم وينشدون رضاهم • والعبد الخاص

بالشيخ سالم آل خيون مثلا ، كان يلبس كالشيخ نفسه تماما ويستحم بماء معطر ، وقد دفع مبلغا ضخما كمهر لامرأة بيضاء (حرة) جلبها من بغداد •
وحين الغيت المشيخة واجه العبيد وضعا جديدا لا عهد لهم به • فقد تركوا كلهم تقريبا وبصورة مفاجئة بلا أسياد ؛ فلقد القى القبض على الشيخ وفر معظم آل خيون الى الهور ليعيشوا فيه كثوار وخارجين على الحكومة • اما القليلون الذين تخلفوا منهم فى القرية فكانوا أفقر من أن يقوموا أودهم • وكان فى الچبايش فى ذلك الوقت ما لا يقل عن خمسين عائلة من العبيد ، فهاجر بعضهم الى البصرة وبغداد ليشتغلوا عمالا مأجورين أو لينخرطوا فى قوات الجيش والشرطة المؤسستين الحديثتى التكوين اللتين كانتا فى حاجة دائمة الى المزيد من الرجال • لقد كان الغاء المشيخة فرصة نادرة للعبيد ليكسروا أغلال العبودية ، اذ حتى العبيد الذين آثروا البقاء فى القرية انفصل أغلبهم عن بيوت اسيادهم وابتدأوا يكسبون عيشهم كمواطنين أحرار •

ولا يوجد اليوم فى الچبايش غير اثنتين وعشرين عائلة من العبيد مكونة من مائة وتسعة اشخاص • ست عوائل منها فقط لا يزال افرادها يعيشون كعبيد بمفهوم الكلمة القديم ؛ خمس منها تعمل فى أربع عوائل خيونية وواحدة فى بيت رئيس فخذ فى حمولة آل غريج • ولقد اضطرت كل واحدة من هذه العوائل لاسباب معينة ان تظل فى مركزها السابق ، فلم تختر ذلك بمحض ارادتها • ومن الطريف ذكره هنا ان اثنين من عوائل العبيد التى بقيت فى القرية رضيتا ان تعودا للعمل فى عائلتين خيونيتين كـ (خدم) وليس كـ (عبيد) ؛ فلقد كانت كل واحدة منهما تستلم راتبا وتحتفظ فى بيتها وكوخها المستقل • وكانت ثمانى عوائل من الاربع عشرة عائلة الباقية تكسب عيشها من الزراعة وحياكة الحصر وست تعيش على رواتب تستلمها من اثنى عشر فردا من افرادها يعملون خارج الچبايش كجنود وموظفين فى خدمة الحكومة •

والآن ، لقد كيّف العبيد انفسهم ، كما فعل أسيادهم آل خيون ، بحيث اصبحوا يعيشون كأفراد عاديين فى العشيرة • فهم الآن يتحدثون عن انفسهم كـ (بنى أسد) وليس كـ (عبيد آل خيون) رغم انهم يعترفون انهم كانوا جميعا فى وقت ما كذلك • وعلاقتهم بآل خيون الآن علاقة اعضاء فى عشيرة واحدة ، بأستثناء اولئك الذين يعيشون فى بيوت اسيادهم القدماء • ويكسب العبيد عيشهم الآن بكل حرية ويتمتعون بحقوق تامة فى المجتمع ، ويعاملون فى كافة الشؤون العشائرية كالزواج والفواتح والفصول كأفراد عاديين وليس عليهم التزامات أو تبعات اضافية •

ورغم ان العوائل الست استمرت تعيش فى بيوت اسيادها فان بمقدور أفرادها ان يتمتعوا بحرية تامة لو يريدون ذلك • فلا يستطيع أحد ان يمنع الآن عبدا من ترك خدمته ، كما لم تبق اليوم آثار لتلك القسوة القديمة التى كان يعامل بها العبيد فى الماضى لانهم قد يهربون لو اسيئت معاملتهم • وبالاضافة الى هذا وبناءاً على المركز القانونى التام الذى يتمتع به العبيد الآن فان اجراءات قانونية قد تتخذ ضد السيد الذى يقسو على عبده • والواقع ان هذه العوائل الست تتمتع بقدر كبير من الحرية فى شؤونها الخاصة • فالعلاقة بين أفرادها وبين اسيادهم ليست علاقة العبودية القديمة بل علاقة ولاء للعوائل التى كانوا فى خدمتها منذ أمد طويل • وفوق هذا فمثل هذه الحياة تخول العبد طمأنينة وضمانا فى العيش • ومن جهة أخرى يحتاج الاسياد خدمات اولئك العبيد فيحتفظون بهم لان من غير الممكن ايجاد خدم فى الچبايش • ولذا فان حقيقة العلاقة بين هؤلاء العبيد الخدم وبين اسيادهم هى شبه عبودية مع وجود حق للعبيد فى الحرية يمسكون عن التمتع به بصورة اختيارية بحتة •

ولا يوجد تزاوج بين العبيد وبقية أهل الچبايش ، ولكن حدثت حالات نادرة وقع فيها اسياد فى حب (وصيفاتهم) فتزوجوهن • ولدينا على ذلك

مثلان ؛ خيونيان لا يزال احدهما حيا ، تزوجا وصيفتيهما • ولا يستطيع الاولاد الناتجون عن مثل هذا الزواج ، ويسمون (مولدين) ، رغم انهم يعتبرون احرارا ، ان يتزوجوا نساء حرات ، بل هم يتزوجون فى العادة عبدات أو نساء (مولدات) مثلهم • ولم تعرف القرية حالة واحدة أعطيت فيها امرأة حرة كزوجة لعبد • أما حالة خادم الشيخ سالم آل خيون الشخصى المشار اليها سابقا فقد كانت الحالة الوحيدة التى تزوج فيها عبد من حرة والمرأة كما قلنا من سكان المدن وقد جلبت من بغداد • وفى حادثة (نهيبة) وقعت بين حمولة (الحداديين) وحمولة (آل ونيس) منذ عدة سنين ، طلب أهل الفتاة المنهوبة فصلا عاليا فوق العادة لان الناهب كان ذا ملامح زنجية ، فظن لهذا السبب ان أمه قد حملته سفاحا من عبد ، ومن العيب المخزى على أهل الفتاة ان ينهب رجل فيه دم عبد ابنتهم الحرة •

وليس للعبيد تقاليد خاصة بهم • وجيلهم الجديد يقدر لحد كبير الفرص التى يتيحها وجود المدارس وتيسر الثقافة ويستفيد من الوظائف والاعمال الحكومية المفتوحة امامهم • والذين يعملون منهم فى البصرة وبغداد يميلون الى الاستقرار نهائيا ويأخذون عوائلهم الى هناك • ولقد حدث مثال على ذلك حين كنت فى الچبايش • فلقد اخبرتنى مخبرتى بان عبدا كان يعمل فى بغداد لعدة سنوات قد ارسل فى طلب أخته التى كانت تعيش فى أحد بيوت آل خيون ، ولان أبوى هذه العبدة كانا من عبيد والد صاحب ذلك البيت ، فانه رفض وأصر على الاحتفاظ بها ، ثم طلب تدخل مخبرتى ذاتها ، وهى عبدة عجوز من عبيد آل خيون أصلا ، لتوقف الفتاة من اللحاق بأخيها مدعيا انها عبدته ، لان اباها كان عبدا لابيه • ولكن مخبرتى رفضت التدخل قائلة (الوكت تبدل والفرخ يريد أخته) • ومثل هذه الحادثة تصور بوضوح الى أى مدى يشعر العبيد بالظروف التى تبدلت والى أى حد هم مستعدون ان يستفيدوا من هذا التبدل •

٦ - (الصبــة)

(الصبّة) أقلية دينية تعيش فى جنوب العراق بصورة أساسية قرب الاهوار وعلى سواحل الانهار ، لان الماء شيء هام جدا لهم للاغتسال والوضوء • وهم يدعون انهم اتباع القديس يوحنا المعمدان St. John, The Baptist ولهم كتب مقدسة مكتوبة باليد بلغة تقرب من اللغات السريانية والآرامية ، تسمى اللغة المندائية Mandaean • وأهم طقوسهم الوضوء والاغتسال بالماء • فهم يعتقدون ان الماء هو العنصر الذى يعطى الحياة للجسم والروح ولذا فهم يغتسلون به بقدر ما يستطيعون وفى أوقات مختلفة • فكل شيء يؤكل يجب ان يغسل بالماء الجاري • ويذبح قسسهم الحيوانات التى يأكلونها ويعقدون الزيجات ويقيمون احتفالات الدفن • وللصابئة أيام أعياد وصوم خاصة • وهم لا يتزوجون بغير النساء الصابئيات ويتجنبون أى اتصال وثيق مع ذوى الاديان الاخرى • ويبلغ عددهم حوالى الاربعة آلاف نسمة فى العراق ومهنهم الاساسية الحدادة وصياغة الفضة وبناء الزوارق (والبلام)[1] •

ان المركزين الهامين لـ (صبّة) فى العراق هما منطقتا العمارة وسوق الشيوخ • والى ما يقرب من اربعين سنة كانت قرابة مائة وعشرين عائلة من (الصبّة) تعيش فى الچبايش ، ولكن كل هذه العوائل هاجرت تدريجيا الى القرنة وسوق الشيوخ وذلك لانها فى فترة الاضطرابات السياسية فى (١٩١٤ - ١٩٢٤) كانت دائما يعتدى عليها وتسرق ممتلكاتها من قبل بعض آل خيون • كما ان الهبوط الكبير فى موارد تلك العوائل المعاشية نتيجة للاضطرابات السياسية المذكورة ولتزايد اتصال الچبايش بالعالم الخارجي وميل أهل القرية الى استيراد كثير مما كانوا يشترونه من (الصبّة) فيها ، دفع بعوائل (الصبّة) القليلة الباقية خارج القرية • فمثلا كانت كافة

(١) لزيادة المعلومات عن الصابئة راجع مؤلفـات Drower, E.S. المعروفة سابقا باسم Stevens, E.S. ، خاصة كتابها The Mandaeans of Iraq and Iran, Oxford, 1937.

الزوارق و (البلام) التى يستعملها أهل الچبايش تبنى محليا من قبل (الصبّة) ولكن بناءاً على ازدياد الاتصال بالعالم الخارجي ، بدأ أهل الچبايش يشترون زوارقهم و (بلامهم) من (الهوير) ، وهى قرية فى الهور تبعد حوالى خمسة عشر ميلا شرق الچبايش ، لان (مشاحيف) و (بلام) أهل (الهوير) كانت أجود صنعا وأقل سعرا •

وتعيش الآن ثلاث عوائل (صبّة) فقط فى الچبايش ، تتكون من ثلاثة عشر شخصا • ورجال كل هـذه العوائـل الثلاث حدادون يصنعون (الفول)[1] والمناجل و (المشگات) لتفشيق القصب و (المساحى) والمسامير وغير ذلك • وهم لا يزاولون الزراعة أو حياكة الحصـر ولكنهم يربـون الماشية •

ولان (الصبّة) ليسوا مسلمين فان أهل الچبايش يعتبرونهم انجاسا فلا يؤاكلونهم ولا يشربون من الاوانى التى يشربون منها • ولا يمكن طبعا تصور حدوث تزاوج بينهم وبين الصابئة • ولقد حدث ان حاول أحد عبيد القرية التزوج بفتاة (صبّية) عن طريق (النهيبة) • فنهبها ، ولكن أهلها بذلوا مجهودات كبيرة لالقاء القبض على الناهب والمنهوبة ، ثم رفضوا ، حين تم لهم ما أرادوا ، ان يقبلوا فصلا عن فتاتهم بحسب ما تقتضيه التقاليد العشائرية ، لانهم لم يرضوا اعطاء فتاتهم زوجة ، كما يلزمه حل القضية عن طريق الفصل ، لمسلم هو عبد فى الوقت عينه •

ويعيش (الصبّة) فى الچبايش فى عزلة تامة عن بقية أفراد العشيرة ، رغم ان الجزر التى يسكنونها تقع داخل (النزل) • وكنتيجة للسرقات والاضرار التى تعرضوا لها فى الماضى ، سجلت العوائل الثلاث التى اختارت البقاء فى الچبايش مع فخذ (آل عويتى) من حمولة آل الشيخ وكانوا عندئذ مشهورين بانهم سراق وقطاع طرق ، لكى تضمن تلك العوائل الثلاث مزيدا

(١) جمع (فالة) وهى رمح لصيد السماك •

من الامن والطمأنينة • ورغم هذا التبنى والسكنى داخل العشيرة ، ورغم ان (الصبّة) يشتركون فى كافة الفصول مع أفراد العشيرة ، فهم لا يحلون مشاكلهم عن طريق سركال الحمولة المسجلين معها ، ولا يشتركون فى فعاليات القبيلة ، فهم يرجعون للحكومة ويعتمدون عليها فى الشؤون الخاصة بالحماية وللحصول على حقوقهم •

٧ ـ التقسيم الطبقى بين أهل الچبايش

ان التقسيم الطبقى بين بنى أسد يقوم ، كما حاولت ان أبين ، على أساس الوراثة فى حالة اربع من الطبقات هى السادة وآل خيون والعبيد والصابئة • اما فى حالة الطبقتين الاخريين وهما (السراكيل والمختاير وأجاويد الطايفة) والعوام ، فالذى يقرر كون الفرد عضوا فى أحدهما ليس الوراثة بل المركز الذى يحصل عليه الفرد عن طريق السلوك الحسن والسمعة الطيبة والمعلومات بالقانون العشائرى وما الى ذلك مما ذكرناه آنفا • فيستطيع عضو من طبقة العوام مثلا ان يصبح من (أجاويد الطايفة) أو رئيسا لفخذه أو سركالا لحمولته • كما قد يطرد مختار أو سركال من مركزه • وفى حالة تعيين السراكيل[١] تعار الوراثة أكبر أهمية • فابن السركال المتوفى هو المرشح الاول والمرغوب فيه للمركز شريطة ان يملك بعض المؤهلات الاخرى • ولكن مجرد كونه ابنا للسركال المتوفى لا يضطر الحكومة على تعينه بعد والده بلا تدبر أو تمحيص • ولذا فان الارتقاء والهبوط فى السلم الاجتماعى ممكن فى هاتين الطبقتين فقط • وينقسم مجتمع الچبايش الى هذه الطبقات الست بشكل مستقل عن تقسيمه الى حمايل وأفخاذ • ففى كل فخذ أو حمولة يمكن ان نجد مثلا أو اكثر لاربع من هذه الطبقات هى السادة و (السراكيل والمختاير وأجاويد الطايفة) والعوام والعبيد • اما آل خيون فهم حمولة مستقلة ، وأما الصابئة ، فرغم اندماجهم فى حمولة

(١) راجع الفصل الثامن •

آل الشيخ عن طريق الكتبة ، فانهم فى الواقع لا يعدون أفرادا فى الحمولة لاسباب دينية •

لقد كانت الحواجز بين الطبقات الاجتماعية فى الماضى أكثر صلابة وقوة مما هى عليه الآن • فلقد بينا كيف ان كلا من آل خيون والعبيد يكيفون أنفسهم للحياة كأفراد عاديين فى العشيرة عن طريق الامتزاج بها ؛ ففقد آل خيون أكثر امتيازاتهم وحقوقهم القديمة وتحملوا واجبات جديدة ، كما تخلص العبيد من كل معوقاتهم الاجتماعية تقريبا وحصلوا على حقوق وامتيازات جديدة • وبعد ثلاثين عاما من ذلك التحول الجوهرى السياسى والاجتماعى والاقتصادى ، فان آل خيون الآن لا يعدون طبقة اجتماعية الا اذا نظر لهم من حيث النسب والتاريخ ، وهذا عين الامر فيما يخص العبيد • ورغم ان حاجز الوراثة لا يزال فعالا بالنسبة للسادة ، فان كونهم جميعا ، بحكم الضغط الاقتصادى ، قد بدأوا يكسبون حياتهم بعد الغاء المشيخة مباشرة بطرق مختلفة ، قد محا كثيرا من الصفات والمميزات القديمة لهذه الطبقة • فلقد رأينا كيف ان اربع عوائل من السادة يزاولون الربى فيدمرون بذلك اعتبارهم ، وكيف ان رجلين منهم كانا يستعطيان للحصول على عيشهما • ولا يعيش سيد واحد اليوم فى الچبايش ، كما كان يفعل كافة أفراد هذه الطبقة سابقا حتى الغاء المشيخة ، كرمز دينى يجب على الناس ان يقدموا له الخبز والاحترام • ولا يوجد أحد فى القرية الآن ، بعد التطور السياسى الذى جعل فرض الضرائب عملا من اختصاص الحكومة وحدها ، يقدم للسادة « خمس جدهم »[١] • وعلى هذا فعليهم أن يعملوا

(١) للسيد ، بموجب تعاليم مذهب الشيعة ، حق فى خمس ثروة المسلم • وكان الشيوخ فى الچبايش يجمعون هذا الخمس من افراد العشيرة ويقدمونه الى السادة • اما الآن فلا يدفع أحد فى الچبايش هذا الخمس الا اذا ازمع الحج لبيت الله ، اذ المعتقد ان (التخميس) اجراء ضرورى لضمان قبول الحج • وحتى فى هذه الحالة فان الخمس يدفع عن الثروة النقدية فحسب وفى مدينة النجف حيث يوزع بموجب نظام معين بين كافة السادة فى القطر أو يستخدم لاغراض دينية اخرى •

ليكسبوا معاشهم •

ان الاتصال بين أفراد طبقة وأخرى مسموح به ولا يقيد بأية قواعد أو تقاليد ، باستثناء حالة (الصبّة) اذ لا يتعدى الاتصال الكلام واللمس • أما السادة وآل خيون و (السراكيل والمخاتير وأجاويد الطايفة) والعوام والعبيد فانهم يجلسون معا ويتعاملون ويتحدثون مع بعضهم بحرية • وحتى الزواج داخل المجموعة ، كما بينا ، فانه يتقيد به فيما يخص (الصبّة) لاسباب دينية فقط • ولا يتزاوج بنى أسد مع العبيد ، الذين كانوا قبلا طبقة حقيرة مملوكة ، لمثل فى النقاء العنصرى ، لان العبيد من أصل زنجى • ولقد رأينا ان آل خيون يتمسكون بنظام التزوج داخل الحمولة لحد محدود ، فيفرضونه على النساء دون الرجال • ومن المشكوك فيه ، بناءاً على زيادة عدد النساء غير المتزوجات فى الحمولة ، وبسبب الضعف التدريجى الذى صار يتسرب لكافة تقاليد آل خيون ، ان يستطيعوا المحافظة على هذا التقليد طويلا •

اما التميز المهنى فانه مستعمل من قبل بنى أسد لتميز أنفسهم عن الفرق والفصائل من القبائل والعشائر التى انضوت تحت لوائهم أو اندمجت فيهم عن طريق الكتبة كما سيظهر ذلك من الفصل النهائي من الكتاب • ولكن هذا التميز المهنى لا يستعمل داخل العشيرة للتميز بين طبقاتها الاجتماعية المختلفة • كما لا يوجد اتصال واضح بين المكانة الاجتماعية والمزايا الاقتصادية • فمثلا يوجد بين السادة وهم أرفع طبقة اجتماعية فى العشيرة تجار وأصحاب أراض ودكاكين وزراع وشحاذون ، وكذا يوجد بين العبيد أصحاب دكاكين وموظفين وزراع وحائكو حصر • وهذا صحيح بالنسبة لكافة الطبقات الاجتماعية فى القرية • ولا يمنع فرد من أية حمولة من مزاولة أية مهنة بسبب منزلته الاجتماعية ، كما ان الغنى والفقر بذاتهما لا يمكن ان يقررا مطلقا المركز الاجتماعى للفرد •

الفصل السابع

المضيف

المضيف مركز هام من مراكز الحياة القبلية • ففى ملكه وبنائه يتقرر المركز الاجتماعى لصاحبه • والدور الذى يلعبه المضيف فى الحياة الاجتماعية والسياسية للعشيرة بالغ الاهمية • وينظر أهل الچبايش لتقاليد المضيف وآدابه نظرة تقديس واحترام • والمضيف مكان تلتقى فيه الطبقات الاجتماعية وتتصل ببعضها طبقا لنظام وعرف دقيقين •

١ ـ ملك وبناء المضيف

كان بناء المضايف أيام (مشيخة) آل خيون ، وبصورة خاصة بعد ما اتخذت (بنى أسد) الچبايش موطنا دائميا ، امتيازا خاصا بالشيوخ وبالاعضاء البارزين من حمولة آل خيون فقط • ولكن حين ضعفت سلطة آل خيون فى الايام الاخيرة من حكمهم ، ثم حين تلاشت تلك السلطة نهائيا عندما الغيت (المشيخة) ، صار كثير من رجال العشيرة وخاصة أفراد طبقة (السراكيل والمخاتير وأجاويد الطايفة) المستحدثة ، يبنون لانفسهم مضايف خاصة •

وكان فى عام ١٩٥٣ قرابة ستمائة مضيف فى الچبايش تملكها الالف وستمائة واربع عوائل القاطنة فى القرية • وكانت المائة وعشرون عائلة التى أحصيتها تملك تسعا واربعين مضيفا بمعدل مضيف واحد لكل ٢٫٤٥ عائلة • والسبب الاساسى فى كثرة وجود المضايف فى القرية هو أن المضيف لم يعد امتيازا وحقا خاصا بالشيوخ وبآل خيون ، وان بناءه وملكه أصبح مصدرا

للاعتبار الاجتماعى للفرد العادى فى العشيرة •

والمضيف عبارة عن كوخ قصبى بالغ السعة يشاد من أعمدة ضخمة من قصب قوى (شباب) وحصر قصبية كبيرة (بوارى) ، ومن جدارين جانبيين يقامان من قصب وحصر أيضا • وتتلخص عملية البناء بما يأتى :

تقام حوامل من قصب لتصنع فوقها (الشباب) ، تدعى (الطزل) • ثم يفرش القصب على (الطزل) بطول وعرض (الشبه) المطلوب ، ثم يحزم حزما قويا بأربطة مصنوعة من قصب مفشق ملوى تدعى (بنود) • وتصنع (الشبه) بحيث تكون سميكة فى قاعدتها ورفيعة فى طرفها العلوى • ويجهز العدد المطلوب من (الشباب) بحسب حجم المضيف وسعته • ويبدأ البناء الحقيقى للمضيف فى يوم يسمى (يوم التشجيج) ، الذى يكون عادة يوم أحد ، فتحفر فى ذلك اليوم حفر بعدد (شباب) المضيف فى صفين متقابلين وعلى خطين متوازيين ومتساويين ، يمثل طول كل منهما طول المضيف والبعد بينهما عرضه ، ويمتدان من الشرق الى الغرب • ثم ترفع كل (شبة) وتغرز قاعدتها السميكة فى الحفرة وتملأ الحفرة بالتراب ثم تسند (الشبة) من الخلف بأعمدة خشبية قوية وتدك الحفرة بعد ذلك دكا قويا متقنا بأعمدة من خشب أيضا لضمان تماسك الارض وعدم ميـل (الشبة) • وتغرز (الشبة) فى حفرتها بوضع مائل الى الوراء بحيث تشـكل (الشباب) مع أرض المضيف زوايا منفرجة درجة كل واحدة منها حوالى ١٢٠ درجة • وعندما يكون المضيف كبيرا واعمدته ضخمة يقتضى رفع (النبة) الواحدة وغرزها فى حفرتها عددا كبيرا من الرجال يتراوح بين ٦٠ ـ ٨٠ رجلا ، واستعمال حبال قوية وبكرات ضخمة • ثم تجهز ال (هطر) ، وهى أعمدة طويلة من القصب ، طول كل واحد منها بطول المضيف ولكنهـا رفيعة السمك ، تربط كقواطع أفقية على الهيكل الرئيسى المكوّن من الاقواس الناجمة من حنو (الشباب) وربط رؤوسها • ثم يحل ما يسمى بـ (يوم

البنيان) ، وهو اليوم الاساسى فى بناء المضيف والذى يحشد فيه أكبر عدد من (العوّانة) • وتحنى فى هذا اليوم (الشباب) وتربط رؤوسها بعد فك (البنود) العليا لكل (شبتين) متقابلتين واعادة شدهما معا بحيث يتساوى سمكها فيكونان قوسا واحدا متسق الانحناء والسمك ، ويتم ذلك بشد حبال قوية لرؤوس (الشباب) وسحبها الى الاسفل من قبل عدد من الرجال • ويلاحظ فى (الحنيان) أن تكون قمم الاقواس على ارتفاع واحد ودرجة انحنائها واحدة • ثم (تلبّس) (الشباب) كلها بقصب يختار بعناية بحيث يكون جميل المنظر وذا سمك واحد ومقشر • فتلف كل (شبة) ، بعد ان تفكك بنودها القديمة ، بطبقة من هذا القصب وتحزم بـ (بنود) أخرى جديدة منتقاة • ويقام بكل هذه العمليات بكثير من العناية ومزيد من الصبر • ثم تشد (الهطر) ؛ فيربط اسمكها ويدعى (الابو) فى منتصف تقويس الحنيات من الاعلى متقاطعا مع كافة (الشباب) • ويشـد الى جانبيه اثنان آخران أقل منه سمكا ، يسميان (الخلفات) • ثم تشد (الهطر) الباقية ، التى يجب ان تكون كلها متساوية فى سمكها ، بحيث تغطى كافة الهيكل بشكل خطوط مستقيمة متوازية متساوية البعد فيما بينها وتاركة مسافة لاتزيد على ثلاثة أقدام من الارض على جانبى الهيكل • ثم يصنع الجداران اللذان يسدان فتحتى المضيف الجانبيتين ، ويسميان (الكواسر) • فيغرز فى كل جهة نصفا جذع نخلة قوية ويصنع حول كل نصف (شبة) كبيرة من القصب بحيث يصبح نصف جذع النخلة قلبا لد (شبة) ويكون البعد بين (الشبة) والاخرى متساويا ويقسمان معا الحائط الجانبى ثلاثة أقسام متساوية• ثم يقام على (الشبتين) حائط من (مشبج) و (بوارى) له باب وفتحتان جانبيتان كشباكين • وتجعل الباب الرئيسية للمضيف فى (الكوسر) المواجه للغرب (الجبلة) حيث تقع الكعبة ومكة تمينا وطبقا للتقاليد • وآخر عملية فى البناء هى اكساء هيكل المضيف كله بـ (البوارى) ، فتلقى أولا البوارى

الجديدة الكبيرة ، التى تحاك خصيصا لهذا الغرض ، فوق الهيكل بوجوهها الى الجهة السفلى وتلقى فوقها طبقة ثانية من (بوارى) قديمة ثم تفرش فوق هذه طبقة ثالثة من (بوارى) جديدة كبيرة ثم تثبت (البوارى) كلها بـ (هطر) خارجية • وتسد المسافة القليلة بين الارض و (البوارى) التى تغطى الهيكل حتى آخر ال (هطر) الجانبية بـ (مشبچ) يمتد على طول المضيف لغرض ادخال الهواء فى أيام الصيف الحارة •

ويختلف حجم المضيف فى الچبايش من ٢٤ – ٩٨ قدما طولا ومن ١٠ – ١٥ قدما عرضا ، ويتراوح عدد (الشباب) من ٧ – ١٧ (شبة) ويجب ان يكون عددها ، طبقا للتقاليد ، فرديا • ولضخامة حجم المضيف بالقياس لحجم الكوخ العادى ، فان المضايف تلوح للقادم للقرية من بعيد بهياكلها الضخمة وألوانها الصفراء ، فتبدو بجانبها الاكواخ صغيرة متواضعة المظهر •

ويمكن تقسيم المضايف بحسب أهميتها والادوار التى تلعبها في المجتمع قسمين متميزين : مضايف الحمايل ومضايف (المخاتير والاجاويد) • فتكون مضايف الحمايل عادة أكبر حجما وتعتبر المركز الاجتماعى والسياسى للحمايل • وتقدم القهوة فيها كل صباح ، فتدق مع بزوغ الشمس ويتقاطر رجال الحمولة على مضيفهم ليمضوا فيه ساعة أو اثنتين قبل ان يتفرقوا لاداء أعمالهم اليومية • وعلى (السركال) ان يحضر المجلس الصباحى فى مضيفه كل يوم ، فان منعه عن الحضور مرض أو أى سبب آخر فيجب ان يظل المضيف مفتوحا ، وان تقدم القهوة فيه كالعادة ، وينوب عن (السركال) فى الحضور أبن أو أخ • وتفتح مضايف الحمايل لكل طارق ، ان كان فردا من الحمولة أو غريبا ، يستطيع ان يرتاده ويشرب القهوة • والاهمية الاساسية لمضايف الحمايل فى الدور السياسى الذى تلعبه فى حياة الحمولة كما سنرى ذلك فيما بعد •

وتقدم القهوة فى الصنف الثانى من المضايف بعد الظهر وفى آيام

الاعياد والمناسبات الدينية • ويحضّر بعض (المخاتير والاجاويد) القهوة فى أيام معينة معلومة من كل اسبوع ، فى حين لا يفعل ذلك بعضهم الاخر الا فى المناسبات ؛ كأن ينزل عليهم ضيف أو حين تكون لديهم أخبار أو شؤون هامة يريدون تبليغها لاخوتهم فى الفخذ أو عرضها عليهم لمناقشتها وتبادل الرأى فيها • وفى مثل هذه الحالة يستخدم الهاون النحاسى الذى تدق فيه حبوب القهوة كأشارة أو كجرس لجمع كافة أفراد الحمولة الذين يطرق اسماعهم صوته ، واهل الچبايش ذوو قابلية خارقة لالتقاط صوت الهاون وتعيين مكانه بكل دقة • وتحضّر فى العادة كمية قليلة من القهوة للاجتماعات المسائية لقلة عدد الرجال الذين يحضرون ، فالعادة ان رجال الفخذ والجيران فقط هم الذين يرتادون المضايف الخاصة ولكن الاصدقاء وأفراد الحمولة الذين يسمعون صوت الهاون أو لغط الرجال المجتمعين أو الذين يلمحون الدخان يتصاعد من المضيف ، قد يأتون لشرب القهوة وتمضية بعض الوقت

ويعاد بناء المضايف الكبيرة عادة كل خمسة عشر عاما أو ما يقرب من

فى السمر •

ذلك ، ولكنها يجب ان تصلّح مرتين فى النصف الثانى من هذه الفترة • وتدوم المضايف الصغيرة مدة أطول ولكن الفيضانات العالية المتكررة قد تقصّر هذا الامد فتتداعى المضايف وينهد هيكلها فى فترات أقصر • ولا سبيل الى بناء المضيف الا بالعمل الجماعى Communal work فتبنى مضايف الحمايل من قبل كافة رجال الحمولة البالغين • وبما ان المضيف يعتبر (مضيف الطايفة) فواجب كل فرد من أفراد الحمولة ان يساهم فى العمل • فيقرر (السركال) الراغب فى بناء مضيفه موعد ابتداء العمل ويطلب بعد ذلك شخصيا العون من رجاله الذين يحضرون مضيفه كل يوم (ينخاهم) ، أو قد يرسل ابنا أو أخا لـ (ينخى) الرجال مارا بعوائلهم واحدة واحدة • فان تعذر على كافة رجال عائلة ما ان يشاركوا فى بناء المضيف ، خاصة فى أيام معينة من البناء تقتضى عددا كبيرا من الرجال كيوم اقامة الاعمدة وغرزها

(يوم التشجيج) أو يوم حنيها وتغليفها (يوم البنيان) ، فلا أقل من ان ترسل العائلة فردا واحدا يمثلها وينوب عن بقية رجالها • وفى أيام البناء التي لا تحتاج الى عدد كبير من الرجال ، يستعين (السركال) بالذين يعيشون قريبا منه أو باصدقائه المقربين أو بذوى المسؤوليات الاقتصادية القليلة • فالكميات الهائلة من القصب اللازم لصنع (الشباب) أو (الهطر) يجب ان تقطع وتجلب من أماكن بعيدة فى الهور يصعب الوصول اليها • والحصر البالغة السعة والتي تحاك خصيصا يجب ان تقدم من كافة عوائل الحمولة المختصة •

ويتصرف كل فخذ من أفخاذ الحمولة فى بناء مضيف حمولتهم كوحدة منفصلة ، فيأخذ كل واحد على عاتقه مسؤولية غرز وحني وتغليف زوج من الاعمدة بالقصب المنتقى ، ويعرف ذلك الزوج بعد تمام البنيان باسم الفخذ • وتتنافس الافخاذ فيما بينها لتتم العمل المنوط بها على أكمل وجه وفى أسرع وقت • وقد يتراهن فخذان فيعينان جائزة وحكما يحتكمان اليه بعد تمام العمل • و (يهوس) الرجال اثناء العمل (هوساتهم) المألوفة واحيانا (هوسات) تؤلف خصيصا فى مدح صاحب المضيف • وقد يحضر الرجال البارزون فى القرية كالسادة أو الافراد البارزين فى حمولة آل خيون ليشجعوا الرجال العاملين على بذل قصارى جهدهم فى العمل وليكرموا صاحب المضيف ويشرفوه بحضورهم • ودور أمثال هؤلاء الرجال فى البناء شكلي محض ؛ فهم يراقبون ويصدرون بعض التوجيهات ويقومون بأعمال رمزية معينة كمعاونتهم فى رفع وغرز (الشباب) وما الى ذلك •

وعلى صاحب المضيف ان يقدم لكافة الرجال الذين يعملون فى بناء مضيفه (العوانة) وجبتي طعام فى كل يوم من أيام العمل ؛ الاولى ، وتدعى « ريوگ » ، تتكون من التمر وتقدم فى حوالى الساعة الحادية عشرة صباحا والثانية ، وتدعى (غده) ، ويجب ان تتكون من الرز واللحم ، وتقدم فى حوالى الساعة الثانية بعد الظهر •

وعملية بناء مضيف حمولة ، وهو كبير يتكون عادة من احدى عشرة الى سبع عشرة (شبة) طولا ، باهضة التكاليف • فحين بنى مضيف حمولة آل الشيخ فى شباط – مارت عام ١٩٥٣ ، اقتضى العمل ٧٣٨٤ ساعة[1] صرفت فى ٢٨ يوما ، واشتغل فيه فى (يوم التشجيج) حوالى ١٥٠ رجلا لمدة ست ساعات وفى (يوم البنيان) حوالى ١٦٠ رجلا لمدة ثمانى ساعات • وفى يوم آخر اشتغل حوالى ١٠٠ رجل لمدة سبع ساعات وفى ستة ايام اخرى اشتغل بين ٥٠ و ٨٠ رجلا بمعدل يتراوح بين ست الى عشر ساعات يوميا • وفى الايام التسعة عشر الباقية اشتغل بين ٣ الى ٣٠ رجلا فى أعمال صغيرة غير أساسية فى البناء •

ورغم ان كافة المواد الاولية اللازمة لبناء المضيف تقدم من الحمولة ، وان العمل ، باستثناء عمل (الاسطة) الذى يشرف على البناء ، يقدم من قبل أعضاء الحمولة عن طريق (النخوة) ، رغم هذا كله فان بناء مضيف حمولة يكلف كثيرا من المال • فلقد تكلف بناء مضيف حمولة آل الشيخ مبلغ (١٤٠/٢٥٠ دينارا) :

٩٩/١٥٠ دينارا منها صرفت على الطعام لـ (عوانه) كالارز واللحم والتمر والسكر والشاى والقهوة والسجائر وما الى ذلك • و

٤١/١٠٠ دينارا ثمن حبال وجذوع نخل وأجور لـ (اسطة) ولعمال من (المعدان) دفنوا بعض أقسام من ارض المضيف ولشراء بعض (البوارى) وأجور (بلام) وتراب ومصاريف متفرقة أخرى •

ويتكفل (السركال) بكافة هذه المصروفات ويقدمها من جيبه الخاص • وتقع مسؤولية بناء مضيف رئيس الفخذ أو الرجل البارز فيه على رجال فخذه وحدهم ، ولكن قد يساهم فى ذلك الجيران والاصدقاء وخاصة فى اليومين اللذين يستلزمان عددا كبيرا من الرجال • ولرئيس الفخذ الحق فى

(١) نقصد بالساعة هنا ما يسمي Man-hour .

طلب معونة عائلة أو أكثر من الافخاذ المجاورة ، على ان يكون قد استنفذ عون العوائل التابعة لفخذه • ولا تختلف مسؤوليات والتزامات صاحب المضيف و (العوّانة) فى البناء فى هذا النوع من المضايف عما سبق ذكره فى مضايف الحمايل • ويكلف بناء المضايف الصغيرة بين ٥٠/٠٠٠ و ١٠٠/٠٠٠ دينار •

ان الاعتبار الاجتماعى Social prestige فى الجبايش يتقرر بعوامل كثيرة من أهمها بناء وادامة مضيف • ومهما تكن المؤهلات الاخرى التى يملكها الفرد فى العشيرة فانه قد لا يوفق للارتفاع الى مرتبة (أجاويد الطايفة) ان لم يملك مضيفا ، ويواضب على استقبال الناس فيه • فهناك أمثلة فى القرية على أشخاص فقدوا اعتبارهم الاجتماعى لانهم أهملوا مضايفهم بسبب انشغالهم فى الكسب المادى • ومن ناحية أخرى فان كثيرا من الرجال الذين لم تتوفر فيهم الشروط والمؤهلات الاعتيادية الكافية للحصول على الاعتبار الاجتماعى ، بلغوا ذلك عن طريق بناء مضيف وتقديم القهوة فيه للضيوف بين حين وآخر •

ويملك كافة رؤساء الحمايل والافخاذ مضايف لانها من مستلزمات مركزهم • ولا يستطيع الفرد العادى فى العشيرة الذي يرغب فى ان يظفر باحترام واعتبار اجتماعى عن طريق بناء مضيف ان يحصل على ذلك بمجرد قدرته على تهيأة نفقات البناء • فان أهم عنصر فى بناء المضيف فى الواقع هو العمل الجماعى الذى لا يمكن للشخص الحصول عليه ما لم يكن قد بلغ مرتبة من الاعتبار بين فخذه أو حمولته تخوله طلب ذلك • فرغبة أفراد الفخذ فى تقديم العمل شرط أساسي يجب توفره قبل الاقدام على بناء المضيف • وفى الواقع حين يصل شخص ما الى مرتبة من الاعتبار والتمييز الاجتماعى بحيث يستحق معها ان يملك مضيفا يقترح عليه أفراد فخذه أو حمولته ان يبادر لبناء مضيف ويعرضوا عليه العون والعمل ، فيأتى الاقتراح فى أغلب الحالات من أفراد الفخذ أو الحمولة وليس من الشخص الراغب

فى البناء نفسه • وحتى اذا ما أصر رجل على ان يميز نفسه ويرفع مستواه الاجتماعى عن طريق بناء مضيف قبل ان يصبح مخولا اجتماعيا ان يفعل ذلك، بان يشترى القصب و (البوارى) وبقية المواد الاولية بالمال ، فانه لا يستطيع ان يشترى العمل • اذ لا سبيل الى الحصول على عمال أجراء فى القرية للقيام بعمل كبير ضخم كبناء مضيف • ففى يومين أو ثلاثة من ايام البناء يحتاج حتى اصغر المضايف الى ما لا يقل عن ثلاثين رجلا •

والعلاقة بين الاعتبار الاجتماعى والمضيف لا تنحصر بملكيته فحسب ، بل تتعداها الى حجمه ايضا • ولذا ، فيحاول صاحب المضيف ان يبنيه باكبر حجم يستطيع ، غير أن مركزه الاجتماعى يحدد ويقرر حجم المضيف • فكلما ارتفع مركز الفرد كلما اصبح بمقدوره ان يوسع مضيفه • فلقد كان اكبر مضيف فى الجبايش مضيف الشيخ سالم آل خيون الذى كان مشيّدا على عدد (الشباب) التقليدى[1] لآل خيون وهو ثلاث عشرة (شبة) ، وعندما غيّر الشيخ سالم (الشباب) تحت تأثير اغراء سيد من السادة الى خمس عشرة انتقد الشيخ انتقادا لاذعا بسبب ذلك المسلك • وحين اقصى ذلك الشيخ عن (المشيخة) واحرقت الطائرات فى الحركات التأديبية التى قامت بها الحكومة ضده مضيفه الجديد فى نفس السنة التى بناه فيها ، اعتقد كثير من اهل الجبايش ان قد حصل له ذلك لاهماله التقاليد والعادات العشائرية بما فى ذلك تبديله عدد (الشباب) التى بنى عليها مضيفه • وفى عام ١٩٤٧ بنى ولده ، ثعبان آل خيون ، الذى ما هو شيخ ولا سركال ، مضيفا اكبر حتى من ذلك الذى بناه والده ، اذ شيّده على سبع عشرة (شبة) • وترتب على ذلك ان انتقد انتقادا لاذعا وبشكل صريح • فحتى رئيس آل خيون الذى هو بعين الوقت (سركال) اكبر حمولة فى القرية

(١) تتخذ بعض البيوت والعوائل اعدادا تقليدية لـ (شباب) مضايفها تحافظ عليها وتتطير من تغييرها •

وهى حمولة آل الشيخ ، لم يتجاوز مضيفه الثلاث عشرة (شبة) • واذا اراد اليوم شخص بارز فى القرية ان يبنى مضيفا اكبر كثيرا مما يسمح له به مركزه الاجتماعى فانه يمنع من قبل (الاجاويد) والبارزين فى فخذه او حمولته فيبصّر بان فلانا وفلانا من (المخاتير) و (الاجاويد) الذينهم أرفع منه مقاما لهم مضايف اصغر مما يريد هو ان يبنى لنفسه •

واذا اخذنا بنظر الاعتبار مستوى المعيشة للاغلبية الساحقة من اهل الچبايش والكلفة العالية لبناء المضيف ، لظهر جليا ان ملك وحجم المضيف ليس مجرد رمز اجتماعى فارغ ، بل هو دليل قاطع على الحالة الاقتصادية لمالكه • فانعدام المقدرة المادية اذن هو السبب الوحيد الذى يمنع كثيرا من الاشخاص المخولين اجتماعيا بناء مضايف عن تحقيق ذلك الحلم العزيز على نفوسهم • ويجوز ان يساعد امثال هؤلاء الرجال ، خاصة ان كانوا (مخاتير أو اجاويد) ، بتبرعات أو قروض من الاصدقاء أو من اعضاء افخاذهم وحمايلهم ليمكنوا من بناء مضايف •

ويسبغ المضيف على صاحبه اعتبارا وامتيازا اجتماعيا لان افراد العشيرة يجتمعون فيه حول صاحبه ، وكما يقول اهل الچبايش (يشربون گهوته ويسمعون حچيه) • ولقد اعتاد افراد العشيرة سابقا ان يجتمعوا فى مضايف شيوخهم ورؤسائهم فيسمعوا قراراتهم واوامرهم بصدد الحروب والنزاعات والفعاليات الاقتصادية • وعلى هذا المنوال يكتسب مالك كل مضيف اعتبارا ويصبح متنفذا لان الناس يجتمعون فى مضيفه كما كانوا يجتمعون فى مضايف الشيوخ والرؤساء • ومالك المضيف الذى يثلم شرفه لارتكاب احدى نساء بيته الزنى أو (النهيبة) ، يجب ان (يچفّى الدلال) و (يسد باب مضيفه) ولا يفتحه مرة اخرى ويعود لعمل القهوة الا اذا استعاد شرفه بقتل المذنبة أو الحصول على (الفصل) • وما لم يفعل ذلك فلا يعتبره احد لائقا ان يزار ولا ان تشرب قهوته • وبنفس الطريقة لا

يستطع ابن ان يبنى مضيفا لنفسه ما دام ابوه حيا ويسكن معه فى القرية ، لان المفروض فى الولد الا ينافس والده فى الحصول على مركز اجتماعى اعلى من مركزه •

لقد بدأ الاتصال الوثيق بين الچبايش والعالم الخارجى منذ الحرب العالمية الاولى ، فأدى هذا الاتصال ، وادخال اساليب ادارية واقتصادية جديدة لم تألفها القرية من قبل ، الى خلق طبقة جديدة من التجار واصحاب الحوانيت والمستخدمين فيها • ومن الواضح ان طبيعة عمل افراد هذه الطبقة يتنافى مع التقاليد العشائرية[1] • ويبدو هذا التنافى جليا جدا فى المضيف • لقد ترتب على اغلب افراد هذه الطبقة الجديدة ان يتركوا مضايف آبائهم أو المضايف التى بنوها هم انفسهم وكانوا يديرونها قبل ان ينغمروا فى اعمالهم التجارية • فلقد تبين لهم انهم لن يستطيعوا ايجاد الوقت الكافى ليستضيفوا الناس كل يوم ساعات فى مضايفهم ، كما انهم صاروا اقل اهتماما فى الشؤون العشائرية التى تبحث وتناقش فى المضيف ، هذا بالاضافة الى انهم يبخلون بثمن القهوة وغيرها من المصروفات اللازمة • ومهما يكن من أمر فان اولئك الذين فرطوا بالمضيف، وهو أعز واغلى التقاليد العشائرية، من اجل الكسب المادى، فقدوا كثيرا للغاية من اعتبارهم الشخصى فى نظر اهل العشيرة • ولقد حاول بعض افراد هذه الطبقة ان يعوض ذلك الفقد بتخصيص غرف فى بيوتهم المبنية من الطابوق ، تسمى الواحدة منها (ديوانية) تستعمل لاستقبال الضيوف فى مناسبات خاصة كالاعياد وما يشبه ذلك ويقدم فيها الشاى وربما القهوة ولكن اهل الچبايش لا يعتقدون ان هذه الغرف المبنية بالطابوق يمكن ان تقارن بالمضيف • فلقد اخبرنى طارق آل خيون اثناء بناء مضيف والده مثلا ، بأن فى مقدورهم ان يبنوا (ديوانية) فى كلفة اقل من كلفة بناء المضيف • ولكن هذا لايتفق ورغبة اهل العشيرة الذين يريدون مضيفا يلتقون به ، ولا

(١) لدراسة مفصلة عن هذه الطبقة وحياتها راجع الفصل الخامس عشر

(ديوانية) فى رأيهم تعدل مضيف القصب • ولقد قال مرة احد رجال حمولة آل الشيخ وهو ثرى صاحب دكاكين ويعيش فى بيت حديث مبنى من آجر ، انه مصمم ان يبنى لنفسه مضيفا من قصب رغم انه يملك فى بيته (ديوانية) ، لانه يعتقد ان ذلك لا يبرر اهماله بناء مضيف من قصب وهو رمز الاعتبار الاجتماعى • ثم اضاف (مچان الدلال المضيف ، موش الديوانية) •

ان ظهور هذه الطبقة الجديدة من رجال الاعمال والمستخدمين فى القرية ، ووجود عدد من افراد الشرطة والمعلمين والموظفين الذين لا يستطيعون بحكم اعمالهم وبحكم سكناهم فى قسم (الناحية) من القرية ، اوجد عددا من المقاهى فى ذلك القسم تدار تجاريا كما هى الحال فى المدن • ففى عام ١٩٥٣ كانت فى الچبايش اربع من هذه المقاهى يقدم فيها الشاى ، وليس القهوة ، لقاء ثمن معين ويرتادها الناس فى أى وقت فى النهار وأول الليل ليشربوا الشاى ويمضوا اوقات فراغهم • والجدير بالتنويه هو ان رواد هذه المقاهى كلهم اما من الغرباء عن العشيرة كالفئات المار ذكرها أو من الشباب وذوى المراكز الاجتماعية الواطئة من اهل القرية • أما أفراد العشيرة ذوو المركز الاجتماعى الرفيع فانهم لا يجلسون فى هذه المقاهى مطلقا • وموضوعات الاحاديث الغالبة فى هذه المقاهى الاربع الاسعار والبضائع والاشاعات عن الحكومة وموظفيها ، عوضا عما يسمع فى المضايف اعتياديا من اخبار ايام العشيرة وتقاليدها و (الفصول) و (السوانى) وشؤون الحصر والزراعة وما الى ذلك • ويلعب فى هذه المقاهى القمار خاصة فى الليل وهو عمل كريه شنيع فى نظر اهل الچبايش • وطبيعى الا يكون مجال فى هذه المقاهى لتقاليد المضيف وآدابه •

٢ ـ دور المضيف فى المجتمع

يلعب المضيف دورا هاما للغاية فى حياة المجتمع كمركز اجتماعى وقاعة للاجتماعات السياسية ومحكمة عدل •

فيجتمع افراد العشيرة فى المضيف لتمضية اوقات فراغهم فى شرب القهوة والتدخين وتبادل الاخبار • وفى المضيف تقام احتفالات الزواج حيث يغنى المحتفلون ويطلقون العيارات النارية ويولمون الولائم • وتقام فى المضايف كذلك الفواتح على ارواح الموتى ، حيث يأتى الناس لمدة ثلاثة ايام ليقدموا تعازيهم لعائلة المتوفى ، وحيث تقدم لهم فى المضايف القهوة والسجائر والطعام • وفى المضايف ايضا تقام الاحتفالات الدينية فى شهر محرم فى ذكرى استشهاد الامام الحسين واهله وصحبه فى موقعة كربلاء • فيقيم (سركال) كل حمولة فى مضيفه مجالس (القراية) لمدة عشرة ايام نيابة عن كافة افراد حمولته • كما ان بعض وجوه القرية يقيمون (مجالس) خاصة في مضايفهم بالاضافة الى (المجالس) المقامة فى مضايف حمايلهم • وفي العيدين ؛ (عيد رمضان) و (عيد أضحية) يجب ان يجهز مالك كل مضيف كمية كافية من القهوة والشاى و (الشربت) والسجائر ليحتفى بكل الذين يأتون مضيفه لتقديم التهانى فى هاتين المناسبتين • وينزل كل مسافر أو غريب فى مضيف أحد اصدقائه ان كان له فى القرية اصدقاء أو يذهب الى أى واحد من مضايف الحمايل حيث يقدم له فيه الطعام وحيث يمضى فيه ليلة أو اكثر • وفى أى مضيف يحل الغريب يجب ان يقدم له فيه الاكل والقهوة ويعد له فيه منام الى اية مدة يرغب أن يمضيها فى القرية •

وللمضايف دور هام آخر فى المجتمع • فهى اماكن أو قاعات للاجتماعات السياسية تدرس وتحسم فيها كافة الشؤون السياسية للحمولة كالضرائب وشؤون الاراضى والامور المتعلقة بالحكومة • وتوضع في المضيف كافة الخطط وترسم الخطوط الاساسية للحمولة كوحدة سياسية من ناحية علاقتها بغيرها من الحمايل أو بالحكومة • وكان المجلس الحربى المسمى (العمرة) يعقد سابقا فى المضيف ، اما اليوم فتعقد فيه مجالس ومؤتمرات (اجاويد الطايفة) • والطريقة الوحيدة الصحيحة للتعرف على الرأى العام فى معضل أو مشكل معين فى الحمولة أو العشيرة كلها هو ان يعرض الامر على الافراد المجتمعين

فى المضيف وينصت للتعليقات والمناقشات ورد الفعل • وترفع الدعاوى وتحل المنازعات فى مضايف الحمايل ؛ فان كانت الدعوى من النوع الذى يجب ان يرفع للحكومة فان كافة الاتصالات بين (السركال) والطرفين المتقاضيين يجب أن تتم فى المضيف • وتحدد التعويضات و (الفصول) فى المضيف وتدفع فيه •

وينظر اهل الچبايش للمضيف كمكان مقدس ؛ فهم يقسمون به الايمان، خاصة بمضايف الحمايل والمضايف الكبيرة الاخرى وبصورة اخص بمضيف سيد أو رئيس خيونى • فيقسمون مثلا قائلين « وحگ هذا بخت[1] عبد الهادى » « وحگ هذا مضيف السيد » أى اقسم بمضيف عبد الهادى وبمضيف السيد • وفوق ذلك فان الافراد الذين يملكون رغبة عزيزة يتمنونها ويطلبونها فى المضيف • فيقف المتمنى عارى الرأس ويضع يده على احدى (شباب) المضيف ويطلب أمنيته بقلب خاشع ونية خالصة كما يفعل بالضبط فى مراقد الائمة • و (يدخل) المذنب فى المضيف ، حتى لو كان ذلك مضيف اعدائه، لاجئا ومحتميا، حيث يضمن الامن فلا يستطيع أحد ان يعتدى عليه • ففى آخر ايام الشيخ حسن آل خيون مثلا ، (دخل) عشرة من زعماء آل حسن ، اعداء بنى أسد التقليديين ، فى مضيف الشيخ • فجاءوا فى فجر أحد الايام مرتدين اكفانا وربط كل واحد منهم نفسه الى (شبه) من (شباب) المضيف ، طالبين الموت أو السلام بين العشيرتين • فعفا الشيخ عنهم ومنحهم هدنة و (چسّاهم)[2] ، فعادوا الى عشيرتهم سالمين • ولو حدث أن قبض على أى من اولئك الرجال العشرة خارج المضيف قبل (الدخالة) لقتل توا بلا رحمة ، خاصة وان احدهم حاول قتل الشيخ محى آل خيون سلف واخ

(١) يطلق على المضيف احيانا اسم (بخت) فى هذا المعرض فقط دلالة على ان من يملك مضيفا لابد وان يكون صاحب بخت وحظ أوصله الى هـذه المنزلة التى خولته بناء مضيف •

(٢) من عادة الشيوخ الكبار فى ايام (المشيخة) القديمة ان يهبوا ضيوفهم الممتازين أو من يرضون عنهم بعد اعتذار أو (دخالة) هبة من ملابس هى فى العادة (زبنات) و (عبى) •

الشيخ حسن آل خيون نفسه ، ولكنه اخطأه فى الظلمة فقتل عبده • وكل اهانة أو اذى يقع على أى فرد فى المضيف يتحمل مسؤوليتها صاحب ذلك المضيف • ويعتبر الاعتداء على شخص فى مضيف جرما عظيما وغلطا فاحشا • والمفروض بمن يقع عليه الاعتداء أو يهان ان يمتنع عن حضور ذلك المضيف احتجاجا على صاحبه حتى يعتذر منه بارساله وفدا خاصا (مشية) • فلقد اهان مثلا حسن آل بندر آل خيون مرة گنيص آل عباس من حمولة آل الشيخ فى مضيف الحمولة فلم يستطع الاخير اجابة الاهانة لانها حدثت فى المضيف ولكنه امتنع عن ارتياده قرابة عامين حتى ذهب اليه سركال الحمولة نفسه كـ (مشّاى) ليعتذر منه ويلطف خاطره • وعندئذ فقط عاد گنيص يحضر المضيف بانتظام كل صباح كما كان يفعل سابقا •

وعلى نفس الاساس لا تقدم القهوة فى المضايف للذين يقترفون جرائم منكرة • فلقد ذكرنا فى الفصل الرابع ان رجـلا كان يتهم باقتراف الزنى بزوجة ابنه فلا تقدم له القهوة فى مضايف القرية • وان من الوسائل الفعالة فى اثارة حفيظة الرجال أو شحذ هممهم أو تحديهـم الامتنـاع عن تقديم القهوة لهم فى المضيف كناية عن انهم ليسوا كبقية الرجال ذوى الكرامة والمكانة ليستحقوا قهوة يسقونها فى مضيف عام • ولابد لصاحب المضيف ان يبين السبب الذى يحدو به الى الامتناع عن تقديم القهوة لهم • ويعتبر الرجال ذلك العمـل عيبا وخزيا كبيرين وواجبهم ان يمتنعوا البتة عن ارتياد ذلك المضيف حتى يفعلوا ما اتهموا بالتقصير فيه والى ان يستعيدوا اسمهم وشرفهم كاملا بصدد ذلك الامر • فان لم يكن لدى صاحب المضيف سبب داعٍ يبرر امتناعه عن تقديم القهوة لاولئك الرجال فلهم ان يطالبوه بتعويض (حشم) عن هذه الاهانة • ففى ايام الشيخ سالم آل خيون قدم (المواجد) وهم حمولة من عشيرة (بنى أسد) تعيش خارج الچبايش للشيخ شكوى عن (البوشامة) وهى عشيرة مجاورة لهم عن اعتداءات قامت بها تلك العشيرة ضدهم • فارسل الشيخ حسين آل عويتى ، وهو كبير فخذ (آل عويتى) أحد افخاذ الچبايش

الى عشيرة (البو شامة) ليحذرهم مغبة تصرفاتهم تلك وينذرهم بان يتجنبوا احداث اية مشاكل (للمواجد) فى المستقبل • ولكن عشيرة (البو شامة) لم تأبه لرسول الشيخ ولم تحترمه ، كما انها لم تعده تحسين معاملتها مع (المواجد) • فأعتبر حسين آل عويتى سلوك (البو شامة) معه اهانة كبيرة له ولشيخه ، واراد ان ينتقم منهم برجال فخذه • فعاد مسرعا الى الجبايش ودق قهوته فاجتمع اليه رجال فخذه فى مضيفهم • فحمل دلة القهوة بنفسه ودار على الرجال المجتمعين فى المضيف دون ان يقدم لاى منهم فنجانا من القهوة • فبهت الرجال ثم طالبوه ببيان السبب ، فكان جوابه (خايبين ياهو بيكم يستاهل كهوة ؟) • ثم فصل لهم الاهانة التى لقيها من (البو شامة) ، فـ (هوس) الرجال ، وسرعان ما انطلقوا فى نفس ذلك المساء مع رجال اخرين من العشيرة الى مساكن (البو شامة) • وفى فجر اليوم التالى وقعت معركة بينهم وبين عشيرة (البو شامة) دحرت فيها الاخيرة اندحارا تاما •

٣ ـ آداب المضيف

تصور آداب المضيف بشكل واضح الاحترام بل التقديس الذى يكنه اهل الجبايش للمضيف • فعلى الرجال الذين يرتادونه ان يأتوا بكامل ملابسهم خاصة العباءة (البشت) و (العگال) • ويجب عليهم الا يتكلموا فيه مالم يخاطبوا أو يؤذن لهم بذلك ، خاصة ان كانوا من مركز غير رفيع فى المجتمع ويجب على الجالسين فى المضيف ان يتجنبوا النكات والضحك الذى لا موجب له ، وعليهم فى حالة الغضب والمناقشات الحادة ان يتكلموا بوضوح وهدوء تامين • كان لرجل من آل الشيخ يدعى عنيد آل محمد ولدان كثيرا الخصام والشجار فيما بينهما • وتشاجرا يوما فاعتدى احدهما على الآخر فأغضبا والدهما لدرجة رأى معها الاب وجوب رفع شكوى ضد ولديه عند (السركال) • فذهب الى المضيف غاضبا مسرعا فنسى فى سورة غضبه ان يلبس عقاله • وحين اوضح شكواه (للسركال) لم يستطع ان يضبط نفسه ، فتكلم بغير ما وضوح أو اتزان • فأنصت (السركال) اليه ببرود شديد وحين اتم عنيد

عرض قضيته لامه (السركال) وقرعه بعنف لعدم احترامه للـ (ديوان)[1] اولا لحضوره الى المضيف بلا عقال وثانيا لخلطه وارتباكه في الحديث • ثم اضاف (السركال) متهكما مؤنبا (عبالى وحده من العجايز ناهبة) ، قاصدا بذلك احدى نساء عنيد ومشيرا الى العادة العشائرية التى تقضى بان الرجل الذى تنهب احدى نساء بيته لايضع العقال ، وهو رمز الرجولة وعنوانها ، على رأسه حتى يستعيد شرفه المهدور • فان اراد امثال هؤلاء الرجال ان يحضروا مضيفا قبل ان يعودوا للبس العقال فيحق لهم ان يفعلوا خلافا للعرف الجارى •

وآداب المضايف ايضا مقياس واضح للمركز الاجتماعى للرجال المجتمعين فيها • فكل رجل يحضر المضيف يجب ان يجلس فى المكان المناسب لمنزلته الاجتماعية • فذوو المنزلة الرفيعة مثل السادة وآل خيون و (اجاويد الطايفة) يجلسون فى مكان الصدارة من المضيف الذى يميز عادة بفراش من سجاد ووسائد • ويضبط المركز الاجتماعى للفرد بمقدار بعده عن مكان الصدارة الذى يكون شتاء فى منتصف المضيف امام الموقد الذى تحضّر فيه القهوة وصيفا قريبا من احد الحائطين الجانبيين (الكواسر)[2] • ويستطيع صاحب المضيف ان يظهر احترامه لزائر ممتاز أو لغريب ذى منزلة خاصة بان يقوده شخصيا الى المكان اللائق به فى المضيف وان يقدم له السجائر بيده أو ان يأمر ساقى القهوة ان يجهز الشاى ليقدم له بالاضافة الى القهوة المعتادة •

وحين يدخل الشخص المضيف وحالما يبلغ بداية صف الرجال الذين يجلسون دائما بصفين متقابلين متكأين على حائطى المضيف الطولين ، يسلم قائلا (سلام عليكم) ، فيرد عليه الكل (عليكم السلام) مع بعض عبارات ترحيب اضافية اخرى تقتضيها فى بعض الحالات منزلة القادم • وعلى الرجال

(١) المقصود بالديوان الرجال المجتمعون في المضيف •

(٢) ان عادة رؤساء آل خيون ان يجلسوا متكأين على (الشبة) الثالثة فى الجهة اليمنى بالنسبة للداخل الى المضيف من جهة الغرب (الجبلة) فى الصيف وعلى السابعة وهى فى منتصف المضيف تماما امام الموقد فى الشتاء •

الجالسين في المضيف ان يظهروا احترامهم لاى قادم بالطريقة التى تلائم مركزه الاجتماعي ، وبموجب عرف ثابت معروف • فعلى الرجل ان يهب قائما على قدميه للذينهم ارفع منه مركزا • فمثلا على كافة افراد طبقتي العوام والعبيد ان يقوموا لافراد الطبقات الثلاث السادة وآل خيون و (السراكيل والخاتير واجاويدالطايفة) ، وهى طبقاتاعلى مركزا من الطبقتين المذكورتين • وأحد مقاييس المكانة الاجتماعية للـ (خيّر) ان تكون له (گومة بالمضيف) أى ان يقوم له المجتمعون فى المضيف احتراما واجلالا لسمو مكانته وعلو مركزه • وتختلف درجة القيام اظهارا للاحترام للقادم الى المضيف باختلاف مكانتى القادم والجالس ومركزهما فى المجتمع • فيتراوح ذلك بين القيام والانتصاب وقوفا على القدمين حتى يصل القـادم مكانه ويجلس فيه ، الى مجرد محاولة القيام التى لا تتعدى فى بعض الاحيان رفع العجز عن الارض عدة انجات •

وحين يستقر القادم فى مجلسـه يجب ان يحييه كل جالس قائـلا (صبحكم الله بالخير) وعليه ان يرد على كل فرد بنفس التحية أو بأحسن منها ، قائما أو محاولا القيام عند اجابته ذوى المراكز الاجتماعية الارفع من مركزه • ويصبح هذا النظام المعقد في اداء التحية وردها ، والذى يعتبر الفشل فى اتباعه على الوجه الاكمل عيبا ونقصا ، محيرا مربكا فى الساعات الاولى من النهار حين يصل القادمون الى المضيف بمجموعات صغيرة متلاحقة ويترتب على ذلك تكرار القيام والقعود ورد التحية وادائها بسرعة وتلاحق مع وجوب عدم الاخلال بقواعد وتقاليد المضيف ومع معرفة التصرف حيال كل رجل قادم بما يتناسب ومركزه الاجتماعي • وهذا أمر يتطلب انتباها وحضور ذهن لضمان عدم الاخلال بالعرف العشائرى •

وحين يقدم الطعام فى المضيف فى مناسبات كالاعراس والفواتح وايام الاعياد ، فمن التقاليد ان يدعو صاحب المضيف كل رجل موجود فيه ساعة تقديم الطعام ليأكل • وبما ان عدد الرجال يفيض على عدد من يستطيعون

منهم ان يجلسوا ليأكلوا دفعة واحدة ، فان اطباق الطعام تصف على ارض المضيف ويدعى الرجال ليأكلوا على دفعتين أو ثلاث الواحدة تتلو الاخرى • وهنا يبرز مبدأ التفريق بحسب المنزلة الاجتماعية مرة أخرى • وبما ان على كافة المشتركين فى الاكل ان يغسلوا ايديهم قبل الاكل فان صاحب المضيف، وقد ينوب عنه فى ذلك اخ أصغر أو ابن أو ربما عبد ، يدور على الرجال الجالسين حاملا ابريقا وحوضا (ابريج ولگن) ، ويدعوهم ان يغسلوا ايديهم مناديا عليهم بالاسماء • فيبدأ بأرفع الرجال منزلة واسماهم مركزا ، كسيد أو (مومن) ، ثم ينحدر منه الى من هم انزل مرتبة • فان حدث فارتكب صاحب المضيف عن غير ما قصد خطأ بان اهمل احدا أو قدم رجلا ذا مرتبة واطئة على من هو اعلى منه فانه ينبه من قبل اولئك الذين يريد ان يرفعهم على من هم اعلى منهم مكانة • وان رفع الابريق والحوض رجل آخر فان صاحب المضيف نفسه ينادى بالاسماء ، فيغسل الرجال ايديهم بحسب ذلك • وحين تدعى المجموعة الاولى للاكل فيجب على صاحب المضيف ان يدعو افرادها بصورة شخصية وأن يـلاحظ تطبيق مبدأ التفـاوت فى المنزلة والاعتبـار الاجتماعى بدقـة وضبط • وحين تنتهى المجموعة الاولى من الاكل تدعى الثانية ويجلب مزيد من الطعام ان ظن ان ما بقى منه غير كاف للمجموعة الثانية • وتنعدم فى طعام المجموعة الثانية الاطباق الخاصة كالدجاج والحلوى التى تزين بها المائدة الى جانب الارز واللحم ومرقه وهى الاشكال الثابتة فى ولائم اهل العشائر • وبالاضافة الى هذا فان من التقاليد المتبعة ان يفرز الرجل صاحب اعلى مقام واسما منزلة فى المجموعة الاولى طعاما لساقى القهوة فى المضيف يسمى (سهم الگهوچى) ، قبل ان يبدأ الاكل ، كما يجب ان توضع امام ذلك الرجل ذى المقام والمنزلة راس (الذبيحة) التى ذبحت فى تلك المناسبة • فان كانت الوليمة قد اقيمت تكريما لضيف أو غريب فيوضع راس (الذبيحة) امامه وعليه عندئذ القيام بفرز طعام ساقي القهوة •

لقد رأينا فى الفصل السابق ان هناك مجالا للارتفاع والهبوط فى

الاعتبار الاجتماعى فى طبقتى العوام (والسراكيل والمخاتير واجاويد الطايفة) ويبدو هذا الارتفاع والهبوط فى الاعتبار واضحا فى المضيف • فالعوام الذين يقتربون من منزلة الـ (اجاويد) يعطون مجالا للجلوس فى اماكن احسن ويحيون تحية تنطوى على كثير من الاحترام والاهتمام بالقياس الى ما يستحقونه كافراد فى طبقة العوام • و (السركال) أو (الخيّر) الذى يلمس انه فقد اعتباره لامور اقترفها هو أو احد افراد عائلته ، يبادر نفسه الى الجلوس فى مكان احط من مكانه الذى تسمح له به منزلته فى الحالات الاعتيادية ، ولن يحاول فى مثل هذه الحالة أحد ان يمنعه من وضع نفسه فى المكان الذى تقتضيه منزلته الجديدة • ويكسب الرجل من طبقة العوام مثلا كثيرا من الاحترام بعد عودة من حج أو زيارة لمرقد أحد الائمة فيجلس فى مكان احسن من مكانه الاعتيادى •

ولكن الاحترام الذى يعامل به الرجل فى المضيف قد لا يكون فى كل الحالات متفقا مع نظام الطبقات الاجتماعية المتعارف عليها فى القرية • فقد يحترم العبد المسن اكثر من بعض شباب طبقة العوام ، خاصة ان كان معروفا بانه (خيّر) ، وعلى ذلك فقد يجلس فى المضيف فى مكان ارفع من مكان اولئك الشباب • وبنفس الطريقة قد يجلس سيد أو خيونى شاب فى مكان انزل من مكان (سركال) أو (مختار) مسن (خيّر) • ومن الجدير بالذكر انه لا يسمح صاحب المضيف ولا الرجال المجتمعون فيه للسادة ، فى أغلب الحالات ، ان يجلسوا فى مكان أحط من مكانهم المعتاد لان احترامهم ، كما اسلفنا ، واجب دينى • وبموجب قاعدة احترام الكبار فى السن المتبعة بدقة بين آل خيون ، يترتب على الخيونى الشاب ان يجلس بعيدا عن الخيونى المسن فى المضيف تصغيرا لنفسه امامه واحتراما للعضو المسن امام الناس ، خاصة ان كان ذلك الخيونى المسن رئيسا بنفس الوقت ، ورغم ان الشاب الخيونى فى فعلته تلك يضع نفسه فى مكان احط مما تخوله اياه منزلته كفرد من افراد طبقة آل خيون • فكنت الاحظ مثلا أن كافة شباب آل خيون

يجلسون فى مضيف حمولة آل الشيخ بعيدا عن مكان السركال عبدالهادى آل خيون ، وهو رئيس خيونى مسن ، وبمكان لا يتفق ومنزلتهم بين المجتمعين • فاذا ما ترك الخيونى المسن المضيف فعلى الخيونى الشاب الذى جلس فى مكان انزل من مكانه ان يغيره • والواقع ان الحاضرين فى المضيف يحملونه على عمل ذلك • اما اذا ذهب الخيونى وحده الى مضيف ما فانه يجلس فى موضع الصدارة بغض النظر عن سنه •

ان اهل الچبايش يعرفون قواعد المضيف وآدابه ويتمسكون بها تمسكا تاما • فكل فرد يعرف منزلة الفرد الاخر ويعامله بدقة على هذا الاساس • واذا انقطع فرد من الافراد عن ارتياد المضيف لمدة طويلة لاسباب كالمرض أو السفر أو غير ذلك فربما يلجأ تأدبا أو تواضعا الى أخذ مجلس فى المضيف انزل كثيرا مما تسمح له به منزلته الاجتماعية ، وعلى صاحب المضيف أو على اولئك الذين وضعهم ذلك الفرد بأختياره مكانا احط مما يستحق فى موضع ارفع من موضعهم الاعتيادى أن يطلبوا اليه بل ويحملوه على اخذ مكانه الصحيح فى المجلس • وحين يفشل الرجال الذين يحرجون لتواضع هذا القادم فى حمله على اخذ مكان ارفع كثيرا ما يلجأون الى وضع الامر فى نصابه بان يبادروا هم الى تغيير اماكنهم بشكل يجعله ارفع منهم موضعا •

وتقدم القهوة فى المضيف فى اكواب صغيرة (فناجين) يعطى لكل قادم منها ثلاثة • ويستطيع الرجال الذين يشعرون بالاكتفاء من القهوة بعد شرب الفنجان الاول أو الثانى ان يرفضوا المزيد منها بهز الفنجان لساقى القهوة بعد شرب محتوياته • ويقدم للرجال ذوى المراكز العالية أى عدد من الفناجين حتى يكتفوا • ويستطيع صاحب المضيف ان يشرّف الضيف ذا المركز الخاص أو الغريب الزائر بان يطلب من (الگهوچى) ان يسقيه القهوة مرة اخرى بعد مرور فترة وجيزة من الزمن على شربه لها اول مرة بعد قدومه مباشرة •

وينبه الرجال الذين يرتكبون اخطاءا عمدا أو سهوا بوجوب مراعاة وتطبيق آداب المضيف وقواعده ، اما من قبل صاحب المضيف بصورة مباشرة أو بواسطة أخ أو صديق له • فان تعمد الرجل خرق تلك الاداب والقواعد بقصد وتكرار لفت نظره وانذر وربما طرد من المضيف ، ويتوقف ذلك طبعا على نوع المخالفة وعلى مركز وخلق المخالف نفسه •

والجدير بالذكر ان النظام المتبع فى السلوك والاداب التى تراعى فى مضايف الحمايل لا تنفذ بعين الدرجة من الدقة والضبط فى المضايف الصغيرة التى يملكها رؤوس الافخاذ أو (الاجاويد) ، خاصة ان كان عدد المجتمعين من الرجال قليلا أو كانوا كلهم اعضاء فخذ واحد أو جيران وهم لذلك لاكلفة بينهم ويألف بعضهم بعضا لدرجة كبيرة • وحتى فى المضايف الكبيرة ، حين يتركها الرجال ذوو المراكز العالية أو حين لا يبقى فيها الا عدد قليل من الرجال ، يبدأ الجو فيها يتحول تدريجيا من التكلف والوقار والجد الى الالفة والتبسط فى الاحاديث والتحرر من القيود •

القسم الثالث

النظام السياسي

POLITICAL ORGANIZATION

الفصل الثامن

النظام السياسي في الچبايش

١ ـ المشيخة الاقطاعية القديمة

لقد ظل كافة سكان القبائل فى العراق طيلة القرون السبعة الماضية يعيشون تحت وطأة النظام العشائرى الاقطاعى ويحكمون من قبل شيوخ اقطاعيين • ولقد تزايدت مصاعب الحياة وانعدم الامن والطمأنينة بسبب اندثار وسائل الرى وانعدام طرق المواصلات وعدم وجود ادارة منظمة أبان الحكم العثمانى الذى دام اربعة قرون من بداية القرن السادس عشر الى مطلع القرن العشرين • ومع هذه الحال من انعدام الامن والنظام سادت الاضطرابات والحروب بين القبائل بشكل مستمر ، فزادت هذه الظروف الاقطاع قوة ورسوخا •

وكانت عشيرة (بنى أسد) ، كبقية العشائر العراقية ، تعيش فى مثل هذه الظروف ولكن الحياة العسكرية التى كانت تحياها العشيرة قوت الاقطاع وعمقت جذوره • فلقد كانت القوة كلها فى مثل هذه الوحدات السياسية الاقطاعية (العشائر) مركزة بيد الشيوخ الذين كانوا بصورة عامة حكاما مستبدين يقبضون بأيديهم على حياة ومصائر اتباعهم، وكانوا اصحاب الاراضى والقادة العامين للجيوش والمحكمين الذين يبتون فى كافة الشؤون •

والمفروض ابان الاحتلال العثمانى ان يستأجر شيخ بنى أسد الارض من الوالى وان يدفع له ضريبة أو ايجارا عنها • ولكن فى الواقع ما كان الشيخ يستأذن الوالى فى استثمار أية اراض وما كان يدفع له أية ضرائب أو ايجارات عما كان يستغله منها • ولم تكن لاراضى الشيوخ حدود معروفة

ثابتة ، بل كانت الحدود تتوقف على المدى الذى يستطيع به الشيخ ان يدفع جيرانه وينحيهم بالقوة العسكرية فيستولى على الارض التى لم تكن ملكه ولا ملكهم ، وعلى الامد الذى يستطيع ذلك الشيخ المحافظة به ، بالقوة العسكرية أيضا ، على الارض التى يسيطر عليها • ولم يكن هناك نظام معين يتبعه الشيخ فى تقسيم الاراضى التى يسيطر عليها بين اتباعه • فلقد كان يهب الارض لاتباعه طبقا لرغباته الشخصية ليزرعوها له • ورغم ان المفروض وجود قاعدة لقسمة الحاصلات الزراعية بين الشيخ مالك الارض وبين الفلاح ، هى فى العادة ثلث للشيخ وثلثان للفلاح ، فلقد كان الشيخ يتصرف دائما بما تفرضه عليه رغبته الشخصية لا تحده قاعدة ولا يضبطه قانون • فكان بمقدوره ان يصادر كافة المحصول الذى ينتجه الفلاح دون ان يكون للاخير حق فى عوض • وكانت الضرائب التى يفرضها الشيخ على اتباعه غير حصته فى المحصول الزراعى كثيرة ؛ فلقد كانت هناك ضريبة مقدارها ربيتان[1] ونصف الربية (١٨٧ فلسا) عن كل مائة (بارية) تنتج ، تسمى (ساس البوارى) ، وضريبة تساوى قرانين ونصف القران[2] (٤٧ فلسا) تؤخذ سنويا عن كل رأس من الجاموس ، تسمى (كودة) ، وضريبة النخيل التى كانت تتراوح بين قرانين ونصف (٤٧ فلسا) وربية واحدة (٧٥ فلسا) وتختلف من سنة لسنة بناءاً على رغبة الشيخ وحاجته المادية • وكان الشيخ يصادر كل بندقية يستعملها الفرد من عشيرته داخل العشيرة فى شجار أو اعتداء ويفرض الغرامات المالية على الافراد من اتباعه الذين يجرأون على الاخلال بالنظام • واذا ما قتل رجل من العشيرة فان الشيخ يستلم (فصله) ، فيأخذ لنفسه النصف الذى يجب ان يوزع على (الودّاية) ويترك النصف الآخر لعائلة المقتول • وكانت الزيجات فى العشيرة ترتب

(١) الربية وحدة من العملة الهندية التى استعملت فى العراق ردحا من الزمن ، وتساوى (٧٥) فلسا •

(٢) القران ربع الربية ويساوى حوالى ١٩ فلسا •

من قبل الشيخ أو على أقل تقدير بعد أخذ موافقته • وعلى هذا فكان بمقدوره ان شاء أن يأخذ أى قدر من المهر • وحين كان يريد الشيخ السفر الى البصرة أو بغداد أو عندما كان يريد ان يزوج ولدا أو أخا فكان على العشيرة ان تساهم بمقادير من المال يقوم بجمعها وايصالها الى الشيخ وكلاؤه فى الحمايل •

وكان باستطاعة الشيخ ان يأخذ الارض من أى من اتباعه ويعطيها لغيره ، وان ينفى أى واحد من اتباعه من اقليمه ، والذين يعصون أوامر الشيخ تحرق أكواخهم وتنهب ماشيتهم وممتلكاتهم • فاذا وجد أحد أفراد العشيرة ان الشيخ لا يرغب فى بقائه فى منطقته ، أو ان كان ذلك الفرد على خلاف مع الشيخ ، فلا سبيل امام ذلك الفرد غير ان يهجر منطقة الشيخ مستصحبا ، فى أغلب الحالات ، كافة أهله معه •

وكانت سلطة الشيخ التنفيذية ممثلة بـ (مخاتير[1] الحمايل) وبأفراد حمولة آل خيون خاصة أخوة الشيخ وأولاده ، وبعبيد الشيخ • ولم تكن لـ (مخاتير) سلطة خاصة لهم مطلقا • فلقد كانوا لسان حال الشيخ ؛ ينفذون أوامره ويجمعون له الضرائب والغرامات • فان كانوا يرهبون كثيرا من قبل أفراد حمايلهم فذلك ليس الا لانهم يمثلون الشيخ ويتصرفون نيابة عنه • وكان أهل بيت الشيخ المقربون من آل خيون يتمتعون بسلطة كبيرة ؛ كل يتصرف كحاكم مطلق وسيد مستبد • فلقد كانت لهم وظائف مختلفة تحت أمرة الشيخ، يمثلونه فى الاجزاء النائية من مقاطعته أو يتوكلون عنه اثناء غيابه أو يقومون مقامه فى مهام خاصة • ومن المهم ان نذكر هنا انه غير معروف فيما يعيه مسنو العشيرة وحافظوا تاريخها أن عين خيونى (مختارا) أو رئيسا دائميا لحمولة تحت أمرة الشيخ الخيونى • ويبدو ان السبب كان الخوف من حصول المنافسة من خيونى قوى • فقد يتضح بعدئذ ان هذا

(١) كان رؤساء الحمايل فى ايام (المشيخة) القديمة يدعون (مخاتير) وليس (سراكيل) •

المنافس خصم عنيد يجب الاعتراف به أو القضاء عليه ، والاعتراف يؤدى الى المشاركة فى السلطة وهو أمر غير مستحب ، اما التصادم بين خيونيين بارزين فتترتب عليه أوخم العواقب وربما ادى الى انقسام العشيرة نفسها • وكان العبيد يقومون بواجبات رجال الشرطة والسعاة كما كان بعضهم يعين كوكلاء عن الشيخ أو ممثلين له •

والسلطة القضائية محصورة فى الشيخ • فكان القضاء يقوم على (السوانى) وهى القانون العشائرى التقليدى • فيصدر الشيخ أحكامه فى القضايا البسيطة بصورة شخصية ، فان كانت القضية معقدة فانه يجمع بعض (أجاويد الطايفة) خاصة أولئك الذين لهم المام طيب بالقانون العشائرى فى مجلس قضائى يترأسه هو • ولهذا المجلس صفة استشارية فحسب ، فالقرارات تصدر دائما عن الشيخ نفسه •

لقد اشرنا فيما سلف الى أن آل خيون كانوا طبقة ارستقراطية عسكرية قادوا (بنى أسد) الى كثير من الحروب القبلية • ففى فترة أمدها قرابة مائتين واربعين عاما ، بين هجرة (بنى اسد) الى منطقة الجبايش وبين اقامة ادارة حكومية فى القرية عام ١٩١٥ ، دخلت العشيرة فى عدد كبير من حروب ضد كافة العشائر القاطنة فى المنطقة ، وضد عدد من عشائر مناطق (العمارة) و (الحويزة) وضد الجيش العثمانى • فشيخ خيون آل جناح مثلا حكم اربعين عاما قضى أغلبها فى حروب وغزوات طويلة فى منطقة (العمارة) و (الحويزة) وعاش فى هاتين المنطقتين عدة سنوات • وعاش ولده الشيخ حسن آل خيون ، خمسة أعوام فى أرض اعدائه في (المجرة) • وبعد زمن هرب هو نفسه مع أغلبية بنى أسد الى (الحويزة) ، بعد ان دحروا فى موقعة حربية دارت بينهم وبين الجيش العثمانى قرب (المدينة) ، حيث عاشوا زمنا امتد ببعضهم مثل الشيخ وبعض أهل بيته والمقربين من بطانته أحد عشر عاما •

ولم تكسب العشيرة من كافة هذه الحروب الطويلة شيئا • فلقد كانت تلك الحروب مسببة بصورة دائمية عن الرغبة الشخصية للشيخ وعن منازعات وخصومات خاصة بينه وبين انداده من شيوخ ورؤساء المناطق المجاورة • وكان الشيوخ يهدفون من وراء هذه الحروب لكسب الاعتبار والشهرة العسكريتين لهم ولاهلهم آل خيون • اما بالنسبة لافراد العشيرة فلم تكن الحروب غير مناسبات لقتل اشخاص ليس لهم معهم مطلب أو ثار ، ولفقد عدد من ابنائهم وأخوتهم وأفراد حمولتهم • ولقد صورت وجهة نظر أفراد العشيرة فى هذا الموضوع فى (هوسة) تقول :

« چانه سهمى الماو والفرنى لغيرى ؟ »(١)

ومعناها حرفيا (اذن حصتى انا العيارات النارية والحلوى لغيرى) • وهى تصور شعور أفراد العشيرة المحاربين بالمرارة والالم اذ يتعرضون هم للقتل والجرح بينما ينفرد قادتهم العسكريون ، الشيخ وآل خيون ، وحدهم بالغنائم والاسلاب والاعتبار العسكرى ، ويتمتعون وحدهم بالاحتفالات والولائم التى تتلو النصر • ولقد تحملت (بنى أسد) خسائر فادحة وقاست الفقر والفاقة نتيجة لتلك الحروب المتكررة والجلاءات العسكرية الطويلة • ولقد أصيبت العشيرة أكثر من مرة أبان حملاتها وغزواتها العسكرية بأوبئة فتاكة وكان أشدها وطأة انتشار الهيضة بين أفرادها فى حربهم مع عشيرة آل حسن بعد مقتل الشيخ محى آل خيون •

وحين كانت حياة (بنى أسد) الاعتيادية سلسلة حروب وغزوات مستمرة تقبلت العشيرة قيادة آل خيون العسكرية وتحملت المصاعب وشظف العيش لانهما من الصفات الملازمة لحياة الحرب والغزو ومن مثل وقيم المجتمع الحربى • ولكن حين فرض النظام والامن فى المنطقة

(١) الماو : الرصاص ، والفرنى : حلوى تصنع من الحليب والسكر (محلبى) تعتبر هى والدجاج من ألزم الاطباق في الولائم العشائرية التى تولم للرؤساء والاشخاص الممتازين •

نتيجة لاقامة ادارة فعالة مسيطرة ابتداءاً من عام ١٩١٥ ، فامتنعت الحروب واستحال السلب والغزو اصبحت العشيرة لا تتقبل الخضوع والطاعة التى تفرضها الطبقة الارستقراطية العسكرية فى المجتمع والامتيازات التى تحيط بها طبقة القادة نفسها ، وهو ما كانت تقره وتتقبله مضطرة أيام الحروب والغزوات • وهذا يفسر استعداد (بنى أسد) الكبير الذى أظهروه فيما بعد للخروج على طاعة آل خيون والتحرر من طوق عبوديتهم •

عندما دحر الشيخ حسن آل خيون فى حربه مع الجيش العثمانى وفر عبر الحدود الايرانية الى الحويزة تبعه عدد كبير من (بنى أسد) ولكنهم سرعان ما وجدوا الحياة شاقة هناك • وذلك رغم ان (بنى طرف) ، سكان الاهوار الايرانيين ، قبلوا اعطاءهم أول الامر اراضى يزرعونها فى منطقتهم الا انهم صاروا بعد ذلك يسدون الماء عن حقولهم ويضايقونهم شتى المضايقات • فابتدأ كثير من بنى أسد يعودون الى الچبايش • اما فى القرية حيث عينت السلطات العثمانية چايد آل محمد آل خيون ، ابن أخ الشيخ الفار ، شيخا مكانه ، فلقد كانت الاوضاع سيئة للغاية بل وأسوأ مما كانت عليه فى أى وقت مضى فى تاريخ العشيرة • فلقد كان آل خيون كثيرا ما يعبرون الهور من الحويزة الى الچبايش ليسلبوا ويقتلوا وكان الاتراك اضعف من ان يستطيعوا فرض النظام والامن فى تلك الربوع • وبعد مضى ثلاثة أعوام على تنصيب چايد آل خيون شيخا ، قتل ضابط برتبة رئيس فى الجيش العثمانى وزوجته وأخته فى الهور قرب الچبايش واتهم فى تلك الجريمة جاسم آل محمد آل خيون أخ الشيخ چايد • وكنتيجة لهذه الحادثة ولفشل الشيخ چايد فى المحافظة على النظام وضمان السلام فى المنطقة ، نحيّ عن المشيخة ، وقرر الاتراك حكم (بنى أسد) بصورة مباشرة • وبدأ الشيخ حسن آل خيون ، الذى كان يعيش فى المنفى ، يثير الاضطرابات ، فصار يرسل أولاده العديدين ليسببوا كثيرا من المصاعب لرجال الادارة العثمانيين فى الچبايش ولسكان المنطقة ذاتهم ، فلقد كانوا

يأتون القرية ليجمعوا الضرائب بالقوة وليسرقوا المسافرين ويقطعوا طرق المواصلات فى النهر والهور •

وظهر عنصر جديد اضاف الى تبرم (بنى أسد) واستيائهم من سادتهم ومن النظام الاقطاعى القديم كله ، وهو النضال والصراع من أجل السيطرة بين آل خيون أنفسهم خاصة بين أولاد الشيخ حسن • فالشيخ حسن الذى أضحى بعد نفيه هرما معدما والذى أقعده مرض الفالج فيما بعد ، فقد بصورة تدريجية كل أمل فى عودته الى السلطة و(المشيخة) وترك الامر أخيرا بالمرة لاولاده التسعة عشر[1] • وأخيرا نجح ولده السابع عشر ، سالم آل خيون ، بعد سنوات طوال من محاولات متصلة عنيدة مع والى البصرة وبعد فترات طويلة من السجن ، بفضل قابلياته الشخصية وطموحه ، بان يحمل الوالى على الاعتراف به شيخا لبنى أسد مكان أبيه المنفى[2] • ولكن الصراع بين أفراد عائلة آل خيون لم ينته رغم تعيين شيخ جديد • واشتعلت نار العداوة المسببة عن الصراع المرير من أجل السلطة والنفوذ فى مناسبات عديدة فأدت الى مصادمات عنيفة ، وتسببت مرة فى مقتل ستة من أولاد الشيخ حسن اذ أطلق النار بعضهم على بعض فى مضيف أخيهم الشيخ سالم فقضوا كلهم • وكنتيجة مباشرة لتقاتل هؤلاء الاخوة الستة قتل أخوان آخران أخوين لهما أيضا •

---

(١) تزوج الشيخ حسن آل خيون عددا من زوجات أخويه الكبيرين الشيخ محى آل خيون ومحمد آل خيون بالاضافة الى زوجاته فبلغ مجموع من تزوجهن تسع زوجات خلف منهن جميعا تسعة عشر ولدا وثمانى بنات •

(٢) من جملة ما لجأ اليه سالم آل خيون انه اشترى من كاتب فى دائرة والى البصرة مضروفا رسميا يحمل شعار الولاية وزور أمرا بتعيين نفسه شيخا ثم هرب سرا الى الچبايش وخدع الموظف المحلي في قرية الحمار بالوثيقة المزورة ونصب نفسه شيخا • وحدث فى ذلك الوقت ان ارسلت الحكومة العثمانية باخرة حربية لقتال بعض عشائر المنطقة فجنحت فى الطين قرب الحمار فأهتبل سالم آل خيون هذه الفرصة فهب لتخليص الباخرة وقدم طاعته للوالى الذى كان فيها فرضى عنه و (خلع عليه) وأقر تعيينه شيخا على عشيرة (بنى اسد) •

لقد أظهر الشيخ سالم آل خيون قابلية خارقة في تدبير شؤون (المشيخة) وتسيير دفتها ، رغم وجود مطالب ومطامع أخوته الكبار . ولكنه لم ينجح في أداء دوره السياسي كشيخ الا لقاء ثمن باهض دفعته العشيرة نفسها . اذ انه أطلق أيدي أخوته في العشيرة يعيثون فيها فسادا . فلقد كان كل واحد من أخوته الاكبر منه سنا وهم ستة عشر أخا ، يشعر انه أحق من الشيخ سالم بـ (المشيخة) . وكانت نتيجة هذا التنافس والصراع بين الاخوة وبالا على العشيرة واضافت كثيرا لمآسي (بني أسد) اذ لم يكن الشيخ سالم في مركز يخوله ردع أخوته الكبار والسيطرة عليهم .

وكانت الاحداث التي وقعت بين عامي ١٩١٤ و ١٩٢٤ بمثابة ضربات قاصمة لعلاقات الولاء التي تربط (بني أسد) بآل خيون . ولقد اتخذ الشيخ سالم آل خيون رغبة منه في تقوية مركزه سياسة موالية للعثمانيين لدرجة انه اشترك معهم في محاربة عشائر مجاورة لعشيرته . وبسبب سياسته تلك بادرت قوات الاحتلال البريطانية التي استولت على البصرة في بداية الحرب العالمية الاولى الى القاء القبض عليه في الچبايش في شهر كانون الاول عام ١٩١٤ فأخذته أسيرا الى الهند لتضمن تنحية شخص موال للعثمانيين ومتنفذ لحد كبير من تلك المنطقة . فهيأ غياب الشيخ سالم عن الچبايش فرصة طيبة للبقية من أخوته واعضاء حمولة آل خيون الاخرين أن يتنافسوا من أجل السيطرة والنفوذ . فاختارت قوات الاحتلال البريطانية ابن أخ للشيخ سالم ، ماجد آل حمود آل خيون ، مهملة كافة أخوة سالم ، وعينته مكانه شيخا على (بني أسد) . فارتكبت تلك القوات في تعيينها ماجد آل خيون واهمالها كافة أعمامه غلطة اسناد (المشيخة) لشخص لا يعتبر من وجهة نظر التقاليد العشائرية أكثر الذكور من آل خيون أحقية فيها ، وهي نفس الغلطة التي ارتكبها العثمانيون حين عينوا (سالم آل خيون) تاركين كافة أخوته الاكبر سنا . ولقد اثبت ماجد آل حمود في مدة (مشيخته) البالغة حوالي اربعة أعوام ضعفا وفساد حكم . فلقد كان (شيخ حرب)

بحق ، ركز اهتمامه على الكسب الشخصي[1] تاركا العشيرة فريسة باردة لاعمامه ولبقية أفراد آل خيون ، الذين عاثوا فيها فسادا وسببوا كثيرا من المآسي بظلمهم وجورهم .

وحتى الشيخ سالم آل خيون خيب ظنون (بني أسد) حين عاد من الهند بعد خمس سنوات قضاها في الاسر هناك . فلقد عاد كما يصفه مسنو العشيرة ، « رجلا جديدا قد تغير في كل نواحي حياته . فلقد ترك في تلك السنوات الخمس القيام بواجباته الدينية » و (ونسه السادة والعباس وزين لحيته وگام يشرب عرگ) . ولقد عاد متأثرا بأفكار حديثة لدرجة لم تتعرف العشيرة معها فيه على الشيخ سالم القديم . فلقد عاد (يحچي بالسياسة ويربي چلاب)[2] . وكان رد الفعل في العشيرة قويا عنيفا بحيث سرعان ما تفرق (بني أسد) عن الشيخ سالم ، وهم الذين التفوا حوله منذ بضع سنوات خلت . وكان أكبر ما خيب آمال (بني أسد) في الشيخ سالم شربه الخمر وهو بدعة جديدة في حياة أهل العشيرة وخطيئة دينية عظمى في نظرهم . ولقد شعر الشيخ سالم بعد عودته الى الچبايش من الهند انه غريب بين (بني أسد) ، فلا وجود في القرية لحفلات (الكوكتيل) و (لاخبار المجتمع واشاعاته) ولا احاديث (سياسية) . وبما ان احداثا جساما كانت تقع في بغداد في تلك الفترة عقب انتهاء الحرب العالمية استعدادا لخلق مملكة جديدة في العراق ولان الشيخ سالم آل خيون كان تواقا لتطبيق

---

(١) كان الشيخ ماجد آل خيون بالاضافة الى الراتب الضخم الذي يتقاضاه من الانجليز يسيطر على المرور في النهر ويمنح وسائط النقل اجازات لقاء رسوم باهضة وكان دخله اليومي كبيرا لدرجة ان اهل الچبايش يذكرون ان يد اخيه وهو سكرتيره ومحاسبه كانت تسود من كثرة ما يحسب من الربيات كل يوم فيضطر الى غسلها بالماء والصابون . وهو وأخوه الآن يعيشان على ما ادخراه من مال في ايام (مشيخة) ماجد .

(٢) مما يروى في العشيرة ان سيدا رأى عبدا من عبيد الشيخ سالم آل خيون يغسل لكلب من كلابه بالماء والصابون فقال معلقا (ان نعمة آل خيون لن تدوم بعد ذلك مطلقا) .

ما تعلمه فى الهند عن السياسة وشؤونها ، فلقد طار الى بغداد وصار يقضى أغلب وقته في الفترة الواقعة بين عودته من الهند في شهر آب عام ١٩١٩ وبين القاء القبض عليه بعد عصيانه فى كانون الاول عام ١٩٢٤ فى مدينة بغداد بعيدا عن الچبايش وعن (بنى أسد) • فترك الشيخ سالم العشيرة فى هذه السنوات الخمس فى ايدى أخوته فسببوا لها مآسى وارتكبوا فيها مظالم • ولقد اختار أخاه غضبان آل خيون نائبا عنه ، وهو معروف بانه أشد آل خيون قسوة وأكثرهم فسادا فى الادارة والحكم • هذا بالاضافة الى ان اقامة الشيخ سالم المتواصلة فى بغداد حيث كان يعيش فى بذخ ويقيم الولائم ويلعب القمار اقتضت المزيد من النفقات • وكان المورد الوحيد الذى تأتى منه هذه المصروفات الباهضة والذى يسد جشع أخوان الشيخ وبعض أفراد حمولة آل خيون المتسلطين فى الچبايش استغلال حائكى الحصر والمزارعين من (بنى أسد) • وفى هذه المرحلة الاخيرة من عمر (المشيخة) الاقطاعية فى الچبايش كانت الاسباب الثلاث الرئيسية التى عصفت بولاء رجال العشيرة للشيخ وأهله من آل خيون واضحة جلية للغاية وهى الاستغلال الاقتصادى ، والحكم المستبد الفاسد ، واهمال العشيرة وشؤونها اهمالا تاما من قبل الشيخ • وحين عاد الشيخ سالم الى الچبايش والى العشيرة بعد ان خسر كل شىء فى بغداد فى حقل السياسة ، وجد الاحوال فى القرية قد بلغت حدا لا يمكن معه السيطرة عليها • فلقد كانت العشيرة كلها ضده وضد آل خيون وكانت (بنى أسد) قد فقدت ايمانها وثقتها بشخصيته وزعامته منذ أمد بعيد •

وعوضا عن ان يحاول الشيخ سالم استعادة ثقة العشيرة به بتركيز همه وحصر جهوده فى شؤون العشيرة فانه أشغل نفسه فى معضلات جديدة • فلانه كان عضوا فى المجلس التأسيسى ووزيرا بلا وزارة فى الحكومة العراقية الانتقالية الاولى ، فلقد وجد مما يتنافى وكرامته ان ينصاع لاوامر متصرف اللواء • ثم ابتدأ حركة عصيان فصار يثير العشائر القريبة منه

ويحرضها ضد المتصرف والحكومة المركزية • (فبعد عودته الى الحمّار[1] أخذت التقارير تتوارد عن حركاته السياسية والادارية والعشائرية كبسط سلطانه على كافة الاراضى والرؤساء باتفاقيات مع الرؤساء المجاورين لتقوية مركزه ضد الحكومة المركزية وكذا التقارير عن تراكم البقايا من التزامات الحكومة وعدم دفعه الدين المستحق عليه للحكومة • مما استدعى الحكومة ان تطلب حضوره الى بغداد ولكنه ذهب الى الناصرية حوالى ايلول ١٩٢١ وقطع على نفسه عهدا بمساعدة الحكومة فى ادارتها • على ان التقارير التى وردت عنه فى غضون عام ١٩٢٣ كانت تفيد عودته الى أحواله السابقة اذ طلب التزام كافة الاراضى فى الچبايش والحمار لمدة خمس سنوات وقدم شروطا بذلك • غير ان هذه الوزارة لاحظت بان حصر كل هذه المقاطعات فى يد واحدة مما يولد اختلافات وضغائن بين العشائر قد تؤدى الى سفك الدماء والاخلال بالامن • ولهذا فقد رفضت مطاليبه)[2] • (وفى حزيران ١٩٢٣ طلبت وزارة الداخلية حضوره الى بغداد فأبلغته متصرفية لواء المنتفك بذلك غير انه أجابها بكتب شديدة اللهجة مبينا عدم ارتياحه من سياسة الادارة وبعض الوزراء ومن بينهم المرحوم ناجى السويدى وزير العدلية وقتذاك تجاهه وتجاه أفراد عشائره)[3] •

(وبدأ فى آب ١٩٢٣ بعقد اجتماعات يدعو اليها بعض رؤساء عشائر سوق الشيوخ ويعرض عليهم طلب الحكومة حضوره الى بغداد مبينا لهم ان هذا الطلب لم يكن الا لنفيه وابعاده عن هذه المنطقة وأخذ يتجول ما بين عشائره حيث كانت تقابله بالهوسات مناصرة له ••• وقد أمر الشيخ سالم عشائره بعدم مراجعة مركز ناحية الحمّار وطلب اليهم تنظيم مضابط وتقديمها الى الحكومة بطلب العفو عنه وعدم حضوره الى العاصمة خلال

(١) قرية تبعد حوالى خمسة اميال غرب الچبايش وكانت حينئذ مركزا للناحية •
(٢) عن تقرير سرى محفوظ فى وزارة الداخلية ببغداد •
(٣) نفس المرجع •

ثلاثة أيام والا فانه سيكون مجبرا على معارضتها • وأما أخوه غضبان آل خيون فقد أمر عشيرة (عبادة) المرابطة فى ناحية الحمّار بناء استحكام بقرب عشيرة البو حمدان من بنى مشرف بمحل يسمى (الگناصية) •

(على ان الشيخ سالم ارسل بتاريخ ٤-٩-١٩٢٣ كتابا الى مستشار وزارة الداخلية يعرض فيه اخلاصه وحسن نيته للحكومة العراقية وتأييده لسياسة بريطانيا وسير الانتخابات وطلب التوسط لدى صاحب الجلالة والمندوب السامى ورئيس الوزراء للعفو عنه واذا صدر منه ما يخالف هذا الميثاق فانه يقبل بكل عقاب تنزله الحكومة به • غير ان أخاه غضبان استمر فى حركاته ومشاكساته للادارة والمأمورين ومداخلته بشؤون وظائفهم ، حتى ان بعض العشائر فى منطقة الحمّار امتنعت عن السماح للمأمورين بتعداد نخيلهم ما لم يحصلوا على أمر منه • وكان الشيخ سالم فى بغداد وبعد ان قدم تعهداته للحكومة وافقت الوزارة على عودته الى لواء المنتفك بعد ان وعد بارسال أخيه غضبان الى الناصرية وتأمين اطاعته أوامر الحكومة) •

(ورغم هذه التعهدات التى قطعها على نفسه فقد وردت لهذه الوزارة فى حزيران ١٩٢٤ برقيات من شيوخ ووجهاء سوق الشيوخ تضمنت الشكوى ضده وانحرافه عن طرق المصلحة العامة لتوسيع نفوذه الشخصى متخذا النيابة وسيلة لتبرير هذه الاعمال) •

(وفى تموز ١٩٢٤ أفادت التقارير بانه يعمل لبسط سلطانه والتصالح مع اعدائه المجاورين له واظهار استعداده باعطاء اراضى (العبد) الى الشيخ بدر الرميض اذا وافق الاخير على معاضدته فى عصيانه ضد الحكومة الى غير ذلك من عقد الاجتماعات والتنديد بالرؤساء الآخرين وايوائه المجرمين)•

(وفى آب ١٩٢٤ بينت متصرفية لواء المنتفك مماطلته فى دفع ما بذمته للحكومة وقيامه بأعمال استفزازية مخلة بالامن وطلبت اتخاذ الاجراءات السريعة ضده فأصدرت هذه الوزارة أمرا بجلبه الى مركز اللواء وربطه

بكفالة بعدم مغادرته المكان غير أنه أرسل كتابا الى المتصرفية يعتذر فيه عن الحضور لاعتلال صحته • الا ان اعماله وحركاته أخذت فى الاستمرار المتزايد مما حدا بمتصرفية المنتفك ان تطلب فى تشرين الاول ١٩٢٤ لزوم قيام الحكومة بالاجراءات التأديبية خلال خمسة عشر يوما على ان تشمل هذه الاجراءات الحركات العسكرية من الجند النظامى والمدافع الجبلية والطيارات لضبط القلاع واشغالها قبل البدء فى الحركات)[١] • ولقد جاء فى تقرير الحكومة البريطانية المرفوع لعصبة الامم عن ادارة العراق بصدد هذا الموضوع ما يلى[٢] (لقد صار « الشيخ سالم آل خيون » يعتبر شيخا عاما على كافة منطقة بحيرة الحمّار والى الشرق حتى حدود لواء البصرة • وكان يجبى ضرائب الحكومة الهامة لنفسه ويسيطر سيطرة تامة على موظف الادارة ، مدير الجبايش ، ولا يعير أوامر المتصرف اهتماما) • ولقد حاولت الحكومة تجنب القيام بأعمال تأديبية ضده ، وحذرته مرارا مغبة أعماله ولكنه لم يهتم بتحذيراتها ورفض مقابلة متصرف لواء المنتفك • وبعد ان أظهرت الحكومة صبرا وأناة كبيرين أضطرت ان تقوم بتلك الاعمال • ففى مطلع كانون الاول عام ١٩٢٤ ألقت الحكومة انذارا من الجو نصه (بناء على عصيان الشيخ سالم آل خيون فان قرية الجبايش ستدمر من الجو غدا وعلى كافة أهلها ان يتركوها وينجوا بأرواحهم) • وفى صبيحة اليوم التالى حلقت فوق القرية اربع طائرات فقصفت مضيف الشيخ وبيته واحرقتهما • واحتلت الشرطة القلعة المسماة (العگيبة) باراضى بنى مشرف العائدة للشيخ سالم ، وهدمتها • فأخذ رؤساء عشائر الحمّار يعرضون (دخالتهم) وطاعتهم على الحكومة • وحاول الشيخ وحفنة من أخوته مقاومة الطائرات ببنادقهم ولكنهم

(١) نفس التقرير المذكور •

(2) Report by His Britannic Majesty's Government to the Council of the League of Nations on the Administration of Iraq for the year 1925, Colonial Office, London, 1926, p. 34.

لم يصمدوا ففروا جميعا الى الهور • واحتلت الشرطة كافة قلاع الشيخ الطينية قرب الجبايش • ثم احتلت قرية الجبايش نفسها وفى السادس من الشهر ذاته انشىء مخفـر للشـرطة فى الجبايش على الارض التى كانت موضع مضيف الشيخ سالم •

وفى الهور ، تلفت الشيخ سالم حوله ينشد عون ومساندة عشيرته التى اعتاد هو وآباؤه من قبله ان يقودوها الى الحرب والقتال ، ولكنه لم يجد منهم أحدا حوله • وحاول ان ينظم عصابات فى الهـور يقطع بهـا طرق مواصلات الحكومة ويقاومها ولكن ، للمرة الاولى فى حياته ، بل وفى كافة تاريخ آل خيون ، انبرى له (سدّاوى) مسن ملك من الشجاعة ما مكنته ان يقول له بوضوح وقوة (ان العشيرة اليوم ليست معك فلقد تركتها بيد اخوتك فدمروها وقضوا عليها ، فلم يبق اليوم أحد مخلص لك أو لهم) • ثم نصحه بصدق واخلاص ، (من الخير لك ان تنجو بنفسك) • وأخيرا اضطر الشيخ سالم على تسليم نفسه الى الضابط السياسى الانجليزى فى القرنة • والقى بعد ذلك القبض على اخيه غضبان وأجريت محاكمتهما أمام المحكمة الكبرى فى البصرة حيث حكمت بتاريخ ٤-١٠-١٩٢٥ على الشيخ سالم بالحبس لمدة ثلاث سنوات ووضعه تحت مراقبة الشرطة لمدة سنتين وعلى أخيه غضبان آل خيون بالحبس لمدة عشرة أشـهر • ثم قررت وزارة الداخلية نقل الشيخ سالم من سجن البصرة الى سجن الموصل • وصدرت بعد ذلك ارادة ملكية باطلاق سراحه شريطة ان يقيم فى المكان الذى تعينه له الحكومة طيلة ما بقى من مدة سجنه • وجعل مكان اقامته فى مدينة الموصل ذاتها ، ومنحتـه الحكومة راتبا شـهريا قدره (٣٠٠ ربية) ثم زيد الى (٥٠٠ ربيه) فيما بعد • وفى ٢٦-٤-١٩٢٧ سمح له بالاقامة فى بغداد ولكن لم تمض فترة وجيزة على ذلك حتى خرج أخوه غضبان آل خيون على الحكومة ثائرا يقود عصابات من اللصوص وقطاع الطرق فى الهور فأعادت الحكومة الشيخ سالم الى الموصل • وفى شهر نيسان عام ١٩٣٠ رفع عنه قيد

الاقامة وقطعت مخصصاته وسمح له ان يقيم اينما شاء باستثناء ألوية المنتفك والعمارة والبصرة بمقتضى المادة (٤٠) من نظام دعاوى العشائر التى تخول ابعاد من يخشى منه الخطر عن منطقته وفرض اقامته فى منطقة أخرى •

وفى أوائل سنة ١٩٣١ منحته الحكومة اراضى اميرية جيدة مساحتها ٩١٥١ دونما و ١٥ أولكا فى منطقة كنعان (لواء ديالى) فاختار ان يعيش فى أراضيه الجديدة ، واتخذ له بيتا فى بغداد فصار يقسم وقته بين مزارعه فى كنعان وبيته فى بغداد •

ويلخص الجدول رقم (٩) حركات بنى أسد فى العراق والتبدلات السياسية التى مرت بها وحياتهـا الاقتصـادية فى الفترات المختلفـة التى اجتازتها منذ أن دخلت العراق حتى الوقت الحاضر •

جدول رقم (٩)

التطورات السياسية والتنقلات والحياة الاقتصادية لبنى اسد منذ هجرتهم الى العراق فى القرن السابع

رقم المرحلة	التاريخ	التطورات السياسية	المسكن	الحياة الاقتصادية
١	من القرن السابع حتى القرن الثالث عشر	تحـت حـكم الامبراطوريات الاسلامية حتى سـقوط الدولة العباسية فى سـنة ١٢٥٨م	بين البصرة وهيت على نهر الفرات وفى واسط على دجلة وخاصة فى مناطق البصرة والكوفة والقادسية	رعى الابل والزراعة
٢	من القرن الثالث عشر الى حوالى عام ١٦٧٠م	امارات اسلامية ذات جيوش منظمـة تحت حـكم أمـراء ، حتى دمـرت آخر امـارة من قبل اتحاد قبائل آل سعدون	منطقة الفرات الوسطى وبصورة خاصة منطقة الحلة	الزراعة

تابع الجدول رقم (٩)

المرحلة رقم	التاريخ	التطورات السياسية	المسكن	الحياة الاقتصادية
٣	من حوالى ١٦٧٠م الى عام ١٨٩٣م	مشيخة اقطاعية عسكرية ذات صفة مركزية قوية تتميز بكثرة الحروب والغزوات . ظهور آل خيون كقوة سياسية فعالة للغاية . اندماج عدد كبير جدا من العشائر وفصائل العشائر المحلية فى بنى اسد . اندحار الشيخ حسن آل خيون فى حرب مع الجيش العثمانى وفراره الى الحويزة فى ايران . تدمير قوة بنى أسد العسكرية بصورة نهائية.	التجوال على نطاق واسع فى أهوار العراق وايران من كرمة بنى سعيد الى المدينة ومن الحافة الجنوبية لهور الحمار الى الحويزة مع اتخاذ العيساوى أولا ثم الجبايش اخيرا كمقر ومركز عام .	السلب ونهب المحاصيل الزراعية فى منطقة الاهوار مع زراعة مركزة فى منطقة العيساوى .
٤	من ١٨٩٣م الى ١٩٢٤م	مشيخة اقطاعية تحت امرة الشيخ سالم آل خيون وغيره مع ادارة عثمانية وبريطانية وعراقية ضعيفة غير فعالة . الغاء المشيخة فى عام ١٩٢٤م	الاستقرار فى الجبايش بعد أن فقدت العشيرة العيساوى وأراضيها الزراعية الاخرى .	حياكة الحصر التى تعلمتها العشيرة من المعدان فى الهور . زراعة شتوية وصيفية حتى حلول الفيضانات المتكررة . تربية الماشية والهجرة للعمل باجرة الى منطقة الغراف فقط .
٥	من ١٩٢٤م الى الوقت الحاضر	حكم مباشر من قبل الحكومة العراقية . مركز ادارى قوى . تقسيم الاراضى والسلطة فى العشيرة بين السراكيل وتحت الادارة المباشرة للموظف الادارى فى المنطقة .	استقرار القسم الاعظم من بنى أسد فى الجبايش مع استقرار اقسام قليلة العدد من العشيرة فى حافة هور الحمار الجنوبية وكرمة على وماركيل .	حياكة الحصر وتربية الماشية وزراعة صيفية عرصية وهجرة موسمية للعمل باجرة الى مناطق الغراف والبصرة والى الهور لحياكة الحصر وصيد السمك .

٢ - النظام الجديد

عندما ألقت الحكومة القبض على الشيخ سالم آل خيون كانت الاهداف الأساسية فى سياستها فى الجبايش :

١ - الغاء (مشيخة) بنى أسد واقامة سيطرة حكومية قوية فى القرية .

٢ - الاعتراف بـ (المخاتير) كرؤوس سياسية لحمايلهم ، وتوزيع سلطة وأراضى الشيخ السابق بينهم .

٣ - قلب آل خيون الى مواطنين عاديين ليست لهم امتيازات أو حقوق خاصة .

لقد ظلت قرية الجبايش حتى عام ١٩٢٤ بدون ممثل حكومى[١] ، فلقد كان مركز الناحية فى قرية الحمّار . وحين فر الشيخ سالم من الجبايش احتلتها فصائل قوية من الشرطة وسيطرت على الوضع فيها . ثم بادرت الحكومة ليس الى نقل المركز الادارى من الحمّار الى الجبايش فحسب بل انها قلبته من ناحية الى قضاء وعينت قائممقاما مع عدد من الموظفين . وفى تلك السنة عينها فتحت الحكومة فى القرية مدرسة للبنين ومستوصفا .

وفى العهد الجديد أعيد تعيين رؤساء الحمايل الذين كانوا يسمون (مخاتير) ، وكانوا يعملون وكلاء للشيخ فى تلك الحمايل كـ (سراكيل) ، كل فى حمولته ، بعد أن أفهموا وظائفهم تحت ظل النظام الجديد . وترك لكل (سركال) حق اختيار (مختار) لكل فخذ من أفخاذ حمولته ، ليعاونه فى تنفيذ أوامر الحكومة . ولقد سجلت كافة الاراضى التى كانت مسجلة باسم الشيخ سالم آل خيون باسم (السراكيل) الجدد ، كل أعطى الارض التى كانت تزرعها حمولته فعلا فى ذلك الوقت .

وباستثناء عبدالهادى آل خيون لم يمنح أحد من آل خيون سلطة ولم يمكن من سيطرة[٢] . فلقد حاول غضبان آل خيون ، أخ الشيخ سالم آل

(١) لدراسة مفصلة عن الادارة وتاريخها فى الجبايش راجع الفصل التاسع .

(٢) انظر ما بعده .

خيون ، بعد اطلاق سراحه من السجن ، ان يحصل على قطع من الارض حول الچبايش ولكن جميع محاولاته باءت بالفشل • وعندما لجأ ، نتيجة لعدم استجابة الحكومة لطلباته ، الى الهور كثائر وخارج على القانون فقاد فيه عصابات من آل خيون وخليط من اللصوص وقطاع الطرق انضموا اليه من مختلف العشائر والمناطق ، وسبب الكثير من الاضطرابات والقلق والاخلال بالامن ، أجابت الحكومة على تصرفه ذاك بقوة ، فبطشت بعصاباته وقضت عليها • وأضطر ، كوالده من قبله ، ان يفر الى الحويزة فى ايران • وعاد بعد زمن مقدما خضوعه الى الحكومة فعفت عنه ، ثم أصدرت أمرا بمنعه هو وبعض أفراد آل خيون المخلين بالامن من السكنى فى كافة ارجاء لواء المنتفك • وكوسيلة لتحويل هؤلاء المشاغبين من آل خيون الى مواطنين مسالمين أعطيت لهم قطع من الاراضى فى ألوية العمارة وبغداد ومنحوا هم وقليل من آل خيون الذين سمحت لهم بالاقامة فى الچبايش رواتب شهرية معقولة • والمهم ذكره هنا انه لم ينبر أحد من (بنى أسد) لمساعدة آل خيون بأى شكل من الاشكال فى اعمالهم الثورية ضد الحكومة • وحين نظم غضبان آل خيون عصاباته فى عام ١٩٢٧ لم يلتحق به أحد من (بنى أسد) • ولقد بذل قصارى جهده لاغراء بعض أفراد العشيرة للانضمام اليه فى تلك الحركات ولكن لم يرغب أحد فى ذلك مطلقا • وأخيرا لجأ غضبان الى ارسال رسائل تهديد الى الذين رفضوا الانضمام الى عصاباته ، وحين لم تجد هذه الطريقة نفعا صار يرسل بعض أفراد آل خيون لالقاء القبض على الرجال وجلبهم[1] بالقوة لينظموا لعصاباته •

ولم يفقد الشيخ سالم الآمال فى عودته شيخا لبنى أسد حتى وقت

(١) كان غضبان آل خيون يتخذ (ايشان الگبة) مركزا لحركات عصاباته ، وهى جزيرة صغيرة واقعة فى وسط هور (العبد) قرب (برگة بغداد) •

متأخر • فبعد محاولات عدة[1] نجح فى عام ١٩٤٥ ان يحمل الحكومة على رفع منع دخوله الى الالوية الثلاثة المنتفك والعمارة والبصرة • فعاد الى الچبايش فى شهر مايس عام ١٩٤٥ بعد غياب اجبارى دام احدى وعشرين سنة وبعد ان أخذت الحكومة منه تعهدا بانه لن يطالب أبان اقامته بين (بنى أسد) باراض أو سلطة فى منطقة الچبايش • ولكن ، ما كادت تنصرم شهور ثلاثة حتى زج الشيخ سالم (بنى أسد) ، نتيجة لتحريضه ودعاياته التي نشرها فى القرية ، فى صدام مسلح مع (آل حسن) ، وهى عشيرة مجاورة تقطن منطقة (گرمة بنى سعيد) ، بسبب نزاع حول أرض تدعى (ابو عجاج) • فكان من بين الاجراءات الصارمة التى اتخذتها الحكومة بصدد هذا الحادث اعادة فرض المنع على الشيخ سالم ان يدخل الالوية الجنوبية الثلاثة ، كما أمرته ان يترك الچبايش فى الحال • ولقد نشر الشيخ سالم ، يعاونه في ذلك ولده وعدد قليل من آل خيون ، فى غضون تلك الشهور الثلاثة التى أقام خلالها فى القرية ، دعايات واسعة واشاعات كثيرة موهما أهل القرية ان الحكومة قد غيرت سياستها تجاهه وانه سرعان ما سيستعيد أراضيه وسلطته السابقتين • فذعر السراكيل لتلك الدعايات والاشاعات لانهم كافة ما كانوا مستعدين أن يتنازلوا عن الاراضى التى كانوا يستغلونها لعدد كبير من السنين ، وكانوا يخشون اشد الخشية مما قد يحل بهم لو أن الشيخ سالم يعود لسابق سلطته ومركزه • ولكن تلك الاشاعات والدعايات لم تلق جوا مناسبا • فلقد بادرت الحكومة للايضاح بان سياستها تجاه سالم آل خيون لم تتبدل وانه لن يسمح له بحال من الاحوال ان يمارس أية سلطة مرة أخرى • ولكن رغم هذا كله فان ولده ثعبان آل خيون بذل ما بوسعه منذ ان اتخذ الچبايش مسكنا دائميا له فى عام ١٩٤٥ ، مستعينا ببذل المال الذى كان يمده به أبوه ، ان

(١) من جملة محاولاته تنظيمه وفدا مكونا من سبع وستين وجيها من وجوه الچبايش احضرهم الى بغداد وتكفل بكافة مصاريف سفرهم واقامتهم ليرفعوا التماسا الى البلاط الملكي بالسماح لشيخهم السابق بدخول الچبايش •

يستعيد بعض أراضى والده عن طريق دفع اسعار فاحشة فى اراض يلتزمها أناس معدمون واحياء قطع من الاراضى المجدبة وراء الحافة الجنوبية لهور الحمار • وكان يبذل قصارى جهده لتكوين مركز سياسى لنفسه فى القرية مستندا الى حقيقة كونه ابنا لسالم آل خيون[1] ، ويقاوم بقوة وعناد سياسة عبدالهادى آل خيون ، سركال حمولة آل الشيخ ، الرامية الى التعاون مع الحكومة وتأييدها •

لقد تبين لبنى أسد بعد حادثة (ابو عجاج) ان الشيخ الذى ادعى عودة سريعة لد (مشيخة) والسلطة قد اخرج من القرية وحكم على مروجى الدعايات ومشعلى نار الفتنة بالحبس والغرامات • ولذا فقد ظهر للعشيرة بشكل لا يقبل الشك انه (لا يمكن ان يوجد شيخ فى المكان الذى توجد فيه حكومة) •

ويقوم النظام السياسي الجديد فى القرية على أساس الحكم المباشر بواسطة (السراكيل) • ففى القضايا المدنية والجزائية يستطيع أفراد العشيرة مراجعة الحكومة التى تنظر فى تلك القضايا بموجب قوانين نافذة فى كافة أرجاء المملكة وفى القضايا الكبرى كالقتل أو القضايا التى لها مساس بالتقاليد القبلية ، ك (النهيبة) وما أشبه ذلك ، يستطيع أفراد العشيرة طلب حل القضية بموجب (نظام دعاوى العشائر المدنية والجزائية لسنة ١٩١٨)[2] • وفى مثل هذه الدعاوى تصدر التوصيات بالأحكام من قبل مجالس تحكيمية

(١) انظر ما بعده •

(٢) لقد سن (نظام دعاوى العشائر المدنية والجزائية) فى السابع والعشرين من شهر تموز سنة ١٩١٨ من قبل القائد العام للقوات البريطانية التى احتلت العراق فى الحرب العالمية الاولى ، لـ (حسم المنازعات المدنية والجزائية التى تقع بين افراد العشائر حسما سريعا وفقا لعادات العشائر) • ويقصد بافراد العشائر الذين يطبق عليهم هذا النظام كل (من كان منتسبا الى عشيرة معلومة أو فخذ من عشيرة معلومة من العشائر التى جرت على حسم منازعاتها بواسطة محكمين من اختياريها أو شيوخها بدلا من المحاكم النظامية) •

عشائرية تختار من قبل الطرفين المتنازعين وتصدر الاحكام ذاتها بناءاً على تلك التوصيات من قبل الموظف الادارى المختص الذى هو القائممقام أو المتصرف • ولافراد العشائر الحرية فى أن يحلوا قضاياهم الصغيرة عن طريق السراكيل كما ان لهم دائما الحق فى مراجعة الحكومة فى القرية • ومن جهة أخرى فان (السركال) لا يستطيع ان يحل القضايا الكبيرة كالقتل وما اشبهه دون ان يطلع مدير الناحية على ذلك •

وتسيطر الحكومة فى النظام الجديد على الاراضى والتزامها وزراعتها سيطرة تامة ، وكل مشكلة ناجمة عن تلك الشؤون تحل من قبل الحكومة[1] ولذا فان النظام الجديد لا يعطى السراكيل مجالاً للسيطرة على اتباعهم عن طريق شؤون الاراضى ، وهو لذلك لا يمكنهم من أى استغلال مادى لافراد حمايلهم •

٣ - (السركال) و (المختار)

ان وظيفة السركال هى الوظيفة المهمة الوحيدة من الوظائف السياسية التقليدية فى العشيرة التى أبقى عليها النظام الجديد • و (السركال) يعين ويعزل من قبل متصرف اللواء بناءاً على توصية مدير ناحية الچبايش وموافقة وزير الداخلية •

وفى اختيار (السركال) يلجأ الى مزج عنصرى الوراثة والاختيار • فبناءاً على قاعدة خلافة الابن الاكبر لوالده فى المنصب Rule of Primogeniture المتبعة النافذة فى حياة أهل الچبايش فان الابن الاكبر لد (سركال) هو خليفته الطبيعي • ولكن مدير الناحية لا يوصي بتعيينه دون ان يتحقق من تحليه بصفات شخصية معينة • فيجب ان يكون بالغا مشرفا على الرجولة • وان يكون محبوبا لتمتعه بأخلاق حسنة ورأى صائب •

والاجراءات المتبعة فى تعيين (السركال) هى أن يرفع المرشح عريضة يلتمس فيها تعيينه للمركز الشاغر • ويكتب عدد من عيون الحمولة وشيوخها

(١) سندرس الاراضى وشؤونها فى الفصل العاشر •

(مضبطة) ويوقعونها شارحين فيها رغبتهم فى تأييد المرشح ، وانهم يعتقدون انه خير من يخلف السركال السابق فى مركزه ، ويبينون فيها انه اذا ما عين للمنصب فانهم سيؤيدونه ولا يقاومونه فى العمل • وتملأ ثلاث نسخ من استمارة معينة تبين اسم المرشح واسم حمولته والمنطقة التى تقطنها حمولته ونوع الارض التى تستغلها وعدد الاكواخ التى تشغلها ودرجة قرابة المرشح لد (سركال) المتوفى وغير ذلك من المعلومات • فيدرس مدير الناحية القضية ويرفع بها تقريرا مصحوبا بكافة الاوراق ومتضمنا توصيته التى تعتبر عاملا مقررا فى الموضوع • ويجب على مدير الناحية ان يدقق ويؤيد صحة كافة المعلومات الواردة فى الاستمارة • ويعين متصرف اللواء المرشح بناءاً على توصية مدير الناحية ويرسل الاوراق الى وزارة الداخلية ببغداد للمصادقة النهائية عليها •

ويؤخذ من (السركال) المعين حديثا تعهد بأن يقوم بواجباته باخلاص ويدفع ضرائب الحكومة • ويتعهد (السركال) للحكومة أن يعتبر مسؤولا عن كل عصيان أو اخلال بالامن يقع فى حمولته أو يقوم به شخص فيها وان يخبر الحكومة عن كل جريمة تقع فى منطقته •

وعندما يموت (السركال) تاركا ولدا قاصرا ويرغب مسنو الحمولة وعيونها فى ان يخلف ذلك الابن حين يشب أباه المتوفى لعدم وجود شخص لائق لاشغال المنصب بين مسنى و (أجاويد) الحمولة ، يعين وصى على ابن (السركال) المتوفى حتى يبلغ سن الرشد ، على ان يوافق على هذا الاجراء مدير الناحية • ومن المهم أن نؤكد هنا بان ابن (السركال) سوف لا ينصب أو يثبت رأسا ك (سركال) حال بلوغه السن القانونية ، بل يعاد النظر فى قضيته وفقا للمبادىء المذكورة سابقا • فان وجد غير لائق لعدم توفر كافة الشروط فيه فانه لا يعين • والوصى فى الغالب عم المرشح القاصر أو ابن عم أبيه • فان لم يوجد قريب فيختار (خيّر) من (أجاويد الطايفة) ويعين وصيا •

اذا أساء (السركال) التصرف أو قصّر فى واجباته فان الحكومة تبادر الى عزله • وأهم سبب لطرد (السركال) فشله فى تنفيذ أوامر الحكومة • ويتم العزل على أساس اقتراح مدير الناحية وبنفس الاجراءات السابق ذكرها • واذا استغل (السركال) أفراد حمولته أو أساء معاملتهم فيستطيع عدد من شيوخهم و (أجاويدهم) ان يقدموا عريضة يلتمسون فيها عزله • فيدرس مدير الناحية العريضة ويرفعها مع توصيته الى متصرف اللواء بواسطة قائممقام القضاء • ولقد حدثت أمثلة عدة على هذا الاجراء فى الفترة التى طبق فيها نظام الحكم المباشر • ولكن مثل هذه القضايا تحل عادة بتدخل مدير الناحية ، اذ يدرس الشكوى فان ثبت ان (السركال) قد تجاوز حدوده فعلا فانه يردع وتتخذ الاجراءات الكفيلة بازالة أسباب الخلاف بين (السركال) واتباعه •

ولا تتخذ فى تعيين (المختار) اجراءات لانه فى الواقع ليس له اتصال سياسى مباشر مع الحكومة فيكاد ينحصر دوره السياسى فى تمثيل فخذه لدى (السركال) • ففى أغلب الحالات ، ويكاد يكون الامر بلا استثناء تقريبا ، يصبح أكبر الذكور سنا فى الفخذ (مختار) له ما لم يكن غير محبوب من قبل رجال الفخذ • ويتمتع أكبر رجال الفخذ سنا بحكم كبر سنه وبحكم رئاسته لمجموعة قرابية Kinship group كبيرة فى فخذه بأكبر اعتبار وأعظم سلطة فى الفخذ ، فيرجع (السركال) اليه بصورة طبيعية فى كل قضية تخص فخذه • فاذا مات (المختار) فان الرجل الذى يتمتع بأكبر حظ من الاعتبار والسلطة يعتبر (مختار) مكانه بصورة طبيعية وبدون ما حاجة الى اجراءات •

وواجب (السركال) تجاه الحكومة ان يحافظ على القانون والنظام بين اتباعه بان يحل كافة المنازعات والقضايا البسيطة بنفسه طبقا للقانون العشائرى ويحيل القضايا الكبرى الى الحكومة فى القرية • وعليه ان يدفع

كافة ضرائب الحكومة ورسومها التي تتكون بصورة رئيسية من ضرائب الارض • وعليه أن يقدم وينظم العمل الجماعى الذى قد تطلبه الحكومة من رجال فخذه • وهو مسؤول عن تسليم اللاجئين والفارين من وجه العدالة الذين يلجأون الى حمولته كما يجب عليه ان يخبر عن ويعاون على القاء القبض على أفراد حمولته المتخلفين عن الخدمة العسكرية أو الهاربين وتسليمهم الى الحكومة •

وعلى (السركال) مسؤوليات جسيمة حيال أفراد حمولتـه لانهم يرجعون اليه فى كافة مشاكلهم ومعضلاتهم • فـ (السركال) لا ينظـر اليه كرئيس سياسى للحمولة فحسب بل يعتبر أبا وحاميا لها • فعليه مثلا ان يحل المنازعات التى تحدث فى الحمولة اما بتدخله بصورة شخصية او بواسطة مجلس من (أجاويد) حمولته يرأسه هو ، أو بواسطة الحكومة • وفى كل الحالات يعتبر (السركال) مسؤولا عن تعقيب القضية وملاحقتها حتى تحل بصورة نهائية • وعليه ان يمثل حمولته ويعبر عن وجهة نظر أفرادها ورغباتهم باخلاص لدى الحكومة ، كما أن من واجباته الاساسية ان يحمل السلطات الحكومية على اجابة مطاليب حمولته • ويقوم (السركال) بتمثيل حمولته فى النزاعات التى تقع بينها وبين الحمايل الاخرى فى القرية وواجبه ان يدافع عن حقوقها ومصالحها • وعليه ان يبنى ويتكفل بمضيف يفتح كل صباح لافراد الحمولة حيث يستطيعون ان يجتمعوا فيه ليتبادلوا الاخبار ويتدارسوا شؤونهم الهامة • وينتظر منه ان يكون كريما فى كافة المناسبات وان يقوم بالدور الرئيسى فى احتفالات وولائم الحمولة • وعليه ان يعاون كافة اعضاء حمولته الفقراء عن طريق القروض والهبات بالنقد أو الحبوب وبتجاوزه لهم عن حصته فى المحصول الزراعى كلا أو جزءا •

ولـ (سركال) أيضا بعض الامتيازات والحقوق الاجتماعية والسياسية • فعلى اتباعه ان يحترموه كرئيس وراس سياسيه • فله الحق ان يتدخل فى منازعاتهم ويحلها كما يعتقده صوابا من جهة قانونية وبحسب ما تفرضـــه

التقاليد ويقتضيه القانون العشائرى أو ان يرفعها الى الحكومة • ويحتـرم تدخله لدرجة كبيرة فى الامور الخاصة كالخطوبة والفصل والقضايا المشابهة وتستجاب فى العادة مطاليبه وتلبى رغباته • ومن حقوقه ان له ثلثـا فى محصول الارض التى تحت تصرفه[١] • وله الحق ان يبيع لمنفعته الشخصية حق رعى كافة ما ينمو من عشب على الارض غير المزروعة فى اقليمه[٢] • ويتقاضى بعض (السراكيل) رسوما من صيادى السمك الذين يخرجون الى الهور فرقا صغيرة (بربرة) وعن العمال الذين يهاجرون للعمل بأجرة خارج القرية •

ولا تترتب على (المختار) التزامات خاصة تجاه الحكومة غير التزامات الفرد العادى فى العشيرة • ويتصرف كحلقة وصل بين اعضاء فخذه وبين (السركال) • وعلى (المختار) ان يهتم بشؤون فخذه ويعاون (السركال) فى أية مسألة لها مساس فى تلك الشؤون • وله فى فخذه نفس الامتيازات الاجتماعية التى لـ (سركال) فى حمولته ، باستثناء حق فض المنازعات ، كما انه ليست له أية امتيازات من امتيازات (السركال) الاقتصادية •

ولكل حمولـة (سركال) واحد باستثناء حمولتى (آل غريج) و (الحداديين) وهما الحمولتان الثانية والثالثة فى حجمهما ، اذ ان للاولى اربعة (سراكيل) وللثانية ثلاثة • والسبب فى ذلك ان الحكومة لم تشأ ان تمكن رجلا واحدا من السيطرة على عدد كبير من الاتباع وتترك فى يده مساحات كبيرة من الاراضى الزراعية • ولكن حمولة آل الشيخ ، أكبر حمايل العشيرة ، تركت فى يد رجل واحد هو (السركال) عبدالهادى آل خيون وهو رجل ذو اعتبار اجتماعى كبير للغايـة • وباسـتثناء حمـولة آل

(١) راجع الفصل العاشر •

(٢) هذا الامتياز فى الواقـع خاص باولئك (السـراكيل) الذين يتصرفون بأراض واقعة وراء الحافة الجنوبية لهور الحمار والتى يكسوها العشب فى موسم انحسار الماء ، فيباع حق الرعى فيها ، ويسـمى (شاة مرتع) ، لعشائر البدو الرعاة التى تأتى الى المنطقة كل عام لهذا الغرض •

الشيخ ، فان حمولة آل خاطر هى الحمولة الوحيدة التى يرأسها خيونى هو حبيب آل فارس آل خيون • فلقد كان لهذه الحمولة حتى عام ١٩٤٢ (سركال) يختار حسب الاصول المتبعة من بين أفراد الحمولة ذاتها • وحين توفى (سركالها) كان ولده ، حنون آل يونس ، لم يبلغ السن القانونية بعد لينصب (سركال) مكان أبيه • لذا فقد عين نعمة آل مطشر وصيا عليه • وحبيب آل خيون ، ابن أخ للشيخ سالم وزوج لاحدى بناتـه ومعروف بقدرته على تدبير المؤامرات • ولقد ظل هو وثعبان آل خيون ، ابن الشيخ سالم ، يحاولان عرقلة جهود الحكومة فى فرض النظام والامن فى القرية مؤملان من وراء ذلك اظهار فشل النظام السياسى الجديد وعدم لياقته • ولقد كانت سياسة حبيب وجماعته مركزة دائما فى السيطرة على الموظف الادارى فى القرية لكى يتسنى لهم العبث فيها بحرية • فان كان الموظف الادارى قويا واعيا لا يمكنهم من السيطرة عليه ، فانهم كانوا يلجأون الى خلق الاشاعات الكاذبة وبث الدعاية المناوئة للحكومة واشاعة القلق والاضطراب فى القرية ، يهدفون من وراء ذلك كله الى نقله من القرية • وحدث ان مات الوصى على حمولة آل خاطر قبل ان يبلغ ابن (سركالها) السابق السن القانونية • وكان مدير الناحية آنذاك رجلا ضعيفا وواقعا بالكلية تحت تأثير حبيب آل فارس وجماعته • وكان حبيب دائم التدخـل فى شـؤون حمولة آل خاطر منذ وفاة (سركالها) أولا لان الحمولة (معدان) اصلا وهم لذلك ضعفاء وذوو مركز اجتماعى منحط جدا فى القرية ، وثانيا لان حبيب خيونى ويسكن قريبا من اقليم الحمولة • فأهتبل حبيب هذه الفرصة وحصل بمساعدة مدير الناحية المذكور على (سركلة) هذه الحمولة • والمهم ذكره هنا ان تعيين حبيب آل خيون لهذه (السركلة) غير مكتمل من ناحية الاجراءات القانونية ، فان أمر التعيين لم يرسل الى وزارة الداخلية لتصادق عليه • ولكن رغم هذا فان حبيب آل خيون يتصرف منذ ذلك الوقت كـ (سركال) تام السلطة ومعترف به رسميا فى القرية •

وهناك رجل ذو مركز سياسى غريب فى القرية هو ثعبان آل خيون ، الابن الحي الوحيد للشيخ سالم آل خيون • فلقد أراد والده ان يجعل منه (أفندى) مثقفا ويبعده عن الحياة العشائرية وتقاليدها ، فمكنه من أحسن الفرص الثقافية المتيسرة فى القطر • فأتم دراسته حتى تخرج فى كليـة الحقوق ببغداد • ولكن رغم هذا كله ظل شديد الاتصال بالچبايش وحياتها • ولقد شهد وهو لما يزل بعد صبيا له من العمر أحد عشر عاما فقط تحطيم (مشيخة) أبيه وتوزيع اراضيه وسلطته بين نفر من الناس • ثم شـهد الفصول الاخرى من قصة أبيه كالمحاكمة والسجن والنفى فى السنوات التى تلت ذلك • ولانه الولد الحي الاوحد للشيخ سالم ، فانه ظل يحلم بان يصبح يوما ما شيخا لبنى أسد • ولقد كان منذ أن حل فى الچبايش فاتخذها مسكنا دائميا له فى سنة ١٩٤٥ ، يعمل بعزم وهمة لتحقيق حلمه ذاك • وكانت خطته ، على ما يظهر ، تتلخص فى ان يحصل على النفوذ والسلطة فى القرية أولا فيعمل بعد ذلك على استعادة اراضى والده المفقودة ثم يصل عن ذلك الطريق الى (المشيخة) • ولكى يحقق طموحه ويصل الى اهدافه جرب طرقا عدة • فاعتمد أول الامر لحـد كبير على الاثارة والتشـويش السياسيين • فلما ثبت له عقم ذلك المسلك لجأ الى شراء الاراضى من المحتاجين والى اعمار قطع من ارض ميتة • وكان يبذل قصارى جهده لكسب ود أفراد العشيرة بكل وسيلة ممكنة كالولائم والهدايا ومعاونة ذوى المصالح فى الدوائر الحكومية • ولقد بنى ، كما أشرنا الى ذلك سابقا ، مضيفا واسعا للغاية وحافظ على عادة (الشيوخ) بتقديم القهوة لرواد المضيف كل صباح ، وهو يتدخل فى كل أمر يخص أفراد العشيرة ويلقب نفسه (شيخ ثعبان) •

والواقع ان ثعبان ليس (شيخ) ولا (سركال) • والقطع القليلـة الصغيرة من الاراضى التى نجح حتى الآن فى شرائها أو الاستيلاء عليها لا تضفى عليه مركزا سياسيا • ورغم ان أهل القرية يقدرون عونه فانهم لا ينظرون

له مطلقا كرجل ذى مركز سياسى • وهم يحترمونه لانه ابن الشيخ سالم ، ولكنهم يعرفون حق المعرفة ان عهد (المشيخة) ولى منذ أمد بعيد • ويقف مدير الناحية لثعبان آل خيون دائما بالمرصاد ليحد من فعالياته وتصرفاته • ولقد نجح هو وابن عمه حبيب فى خلق زمرة صغيرة من المؤيدين ، ولكن ما دام كل من أهل الچبايش والحكومة شاعرين بأهداف تلك الزمرة ومقاصدها فان مجهوداتها فاشلة ولا يتوقع ان تؤدى الى شىء ذى بال •

٤ ـ سركال حمولة آل الشيخ

لقد ذكرنا سابقا أن حمولة آل الشيخ كانت شديدة الاتصال بالشيخ وبحمولة آل خيون ، بيت الرئاسة فى القرية • وكانت تلك الحمولة تحكم من قبل الشيخ مباشرة ولذا فلم يكن لها (مختار) كما كان لبقية الحمايل • وحين ثبتت الحكومة المخاتير كـ (سراكيل) فى حمايلهم بعد الغاء (المشيخة) ، واجهت معضلة اختيار (سركال) لتلك الحمولة الواسعة القوية • ولقد ظهر جليا انه ليس عمليا ان يعين أحد أفراد تلك الحمولة (سركال) عليها لانه لم يكن هناك رجل واحد يستطيع ان يحظى باحترام وتأييد كافة أفرادها بشكل يكفى لفرض النظام والامن فيها • ففى تلك الفترة الحرجة الحاسمة من تاريخ العشيرة لا يمكن ضمان خضوع الحمولة وضبطها الا من قبل رجل خيونى • وكان الامر كله يتوقف على اختيار الخيونى اللائق الذى يمكن ان تتوفر فيه صفات تضمن خضوع الحمولة له وفى الوقت عينه تمكن الحكومة من فرض سياستها •

ولم تردد الحكومة فى اختيار عبدالهادى آل خيون ، ابن ابن عم الشيخ سالم آل خيون • فاختير لتسلم السلطة بعد اقصاء شيخ سالم أثر عصيانه وتمرده ضد الحكومة كما أختير چايد آل محمد آل خيون والد عبدالهادى من قبل ، ليحكم العشيرة بعد فرار الشيخ حسن آل خيون ، والد الشيخ سالم بعد اندحاره فى حربه ضد الجيش العثمانى •

ومن الحقائق التى يجب ان يؤكد عليها بقوة هنا انه لولا حكمة وكياسة عبدالهادى آل خيون وحسن نيته لوقعت اضطرابات كثيرة فى القرية ، بل وربما انهار النظام السياسى الجديد كله • فلقد كان عبدالهادى آل خيون بعيدا عن المسرح السياسى حين مثلت فوقه الاضطرابات والقلاقل بين سنتى ١٩١٤ و ١٩٢٤ • وكان معروفا دائما بين (بنى أسد) بانه رجل رحيم محب للسلام • وكان خلافا لبقية آل خيون ، معدما فقيرا لانه لم يستغل أحدا أو يفرض ضريبة أو رسوما • هذا بالاضافة الى انه كان شديد التمسك بتعاليم الدين • وكان يعتبر بين أهل الچبايش أصدق الرواة وأوثقهم فى أخبار العشيرة وتقاليدها و (سوانيها) • ولتحليه بهذه الصفات والمزايا فلقد اجتمع رأى العشيرة والحكومة فيه بانه خير خيونى يمكن ان يولى السلطة على أكبر وأقوى حمايل العشيرة • وكانت الحمولة كلها ، بصورة خاصة ، شديدة الرغبة فى الاجتماع والاتحاد تحت قيادته • فمن وجهة نظر الحكومة كان عبدالهادى الرجل العاقل المتدين المحب للسلام الذى يتمتع باحترام كافة أفراد العشيرة ، ومن وجهة نظر آل الشيخ أنفسهم كان الخيونى الذى لم يؤذ أو يستغل احدا منهم مطلقا • ويطلق عليه أهل الچبايش الآن (الابو) ويصفونه بانه (ابو الكل) ، وهم يقسمون ، كما المعنا سابقا بمضيفه الايمان •

وكان عبدالهادى آل خيون بحكم عقليته وأخلاقه وميوله ضد النظام القديم • فلقد كان يمقت طرق (المشيخة) الاقطاعية القديمة وبصورة خاصة ما سببه آل خيون من مظالم فى سنى حكمهم الاخيرة ويظن ان ما قاموا به لا يتفق وتعاليم الدين مطلقا • ولهذا فقد أيد الحكومة عن اخلاص نية فى سياستها الجديدة • ولقد اعتقد عبدالهادى ان الوسيلة العملية الوحيدة لصيانة العشيرة من التحطيم والتفكك المتسبب عن الاضطرابات والقلاقل المستمرة هى تدعيم النظام الجديد ومساندته • ولهذا فقد كان عبدالهادى أداة فعالة فى اثباط كثير من المحاولات التى بذلها بعض آل خيون لاستعادة

نفوذهم ومركزهم[1] • ولقد اوضح عبدالهادى لاتباعه آل الشيخ بان أول ما يتطلبه منهم الطاعة والاخلاص للحكومة • فلقيت سياسته الموالية للحكومة هذه مقاومة عنيفة من قبل كثير من آل خيون الذين بدأوا حملة دعاية وسلسلة من المؤامرات ضده ، فلم يحصلوا من وراء ذلك غير المزيد من كراهية أهل القرية •

ولقد نجح عبدالهادى آل خيون فى سياسته فى التعاون مع الحكومة ، وسرعان ما أعيد النظام الى نصابه واستتب الامن فى القرية • وأثبت عبدالهادى انه من طراز فريد من آل خيون ، اذ كان يعمل جاهدا لمصلحة اتباعه ولا يعير مصالحه ومنافعه الشخصية اهتماما مطلقا • فصار يكسب لذلك بصورة تدريجية اخلاص وحب العشيرة كلها • فابتدأ (السراكيل) الآخرون فى القرية يسألون رأيه وينشدون مشورته فى الشؤون الهامة ، خاصة تلك التى لها مساس فى أمور خارج نطاق حمايلهم • وبدأت العشيرة بصورة تدريجية تنظر اليه ك (سركال عام) أو ك (رئيس عمومى) للقرية • ولقد وضعت الحكومة فيه ثقة مطلقة وكان يسرها ان ترى العشيرة كلها تلتف حوله • فجمع عبدالهادى آل خيون فى ذاته شخصيتين طالما بدتا متنافرتين يستحيل الجمع بينهما ؛ شخصية الرئيس المخلص للنظام والتقاليد العشائرية ، والرئيس الموالى للحكومة والمؤيد لها •

وكان من مميزات النظام السياسى العشائرى فى أيام (المشيخة) القديمة المجالس العشائرية التى كانت على صنفين : الاول وهو ما كان يسمى (العمرة) وهو المجلس الحربى ويتكون من كافة أفراد العشيرة القادرين

(١) من ذلك مثلا انه كان لا يؤيد حركات غضبان آل خيون حين ثار وخرج الى الهور ، لدرجة اشتد معها الخلاف بينهما لحد كبير وتعاون مع الحكومة للقضاء على تلك الحركات ، كما انه وقف موقفا صارما تجاه المشاغبين من آل خيون فى القرية حين تركها موظفو الحكومة فى ثورة سوق الشيوخ • راجع الفصل التاسع •

على حمل السلاح • وكان مثل هذا المجلس يدعى للانعقاد للتحضير للحرب ولدراسة الخطط العسكرية والمواقف الناجمة من تهديد بغزو أو حرب • والثانى وهو مجلس (أجاويد الطايفه) ويتكون من (الاجاويد) فقط ، وكان يدعى للنظر فى أمور ذات أهمية عامة للعشيرة أو لخلق قاعدة جديدة فى القانون العشائرى •

ولانتفاء وقوع الحروب مع وجود سيطرة الحكومة فان المجالس الحربية لا يمكن ان تعقد الآن • ولكن الحاجة لمجلس (أجاويد الطايفة) تظهر من وقت لآخر • وفى مثل هذه المناسبات تنظر العشيرة كلها دائما الى عبدالهادى آل خيون لانه أقوى شخصية سياسية فى القرية ولانه (السركال) الوحيد الذى يتمتع بثقة العشيرة والحكومة على حد سواء ، زد على هذا كله انه (سركال) حمولة آل الشيخ ، أكبر وأقوى حمولة فى القرية • فاذا ما ظهرت حاجة لعقد مجلس عشائرى من هذا النوع فانه يعقد فى العادة تحت اشرافه وفى مضيفه •

ولا يعتبر مضيف عبدالهادى آل خيون مضيف حمولة آل الشيخ فحسب بل مضيف العشيرة كلها • وفى كل معضل ذى أهمية عامة يتشاور مدير الناحية معه ويطلب نصحه • وهو (السركال) الوحيد فى القرية الذى يحمل ختمين[1] • الاول ختمه بصفته (سركال) حمولة آل الشيخ والثانى الذى كان يطلق عليه عبدالهادى اسم (المهر الچبير) ، محفور عليه جملة (سركال الچبايش) • ففى الامور التى تتعلق بأفراد حمولته يستعمل عبد الهادى ختمه الخاص المحفور عليه (سركال حمولة آل الشيخ) ، اما فى الامور التى يراجعه فيها أفراد من العشيرة من غير حمولة آل الشيخ فيستعمل (المهر الچبير) دائما •

ويجب ان ننوه هنا بانه رغم تمتع عبدالهادى آل خيون بسلطة كبيرة

(١) لكل (سركال) فى القرية ختم (مهر) يحمل اسمه واسم حمولته •

على كافة حمايل القرية فانه لم يتجاوز حدوده ولم يستغل مركزه السياسى القوى • فهو لا يتدخل فى شؤون (السراكيل) الآخرين ، كما انه لم يحاول ان يحقق لنفسه مصالح ومنافع شخصية عن طريق تلك السلطة وذلك المركز كما لم يكن لديه أى طموح ان يصبح (شيخ) أو أن يحكم العشيرة كلها •

الفصل التاسع

الحكومة المركزية والچبايش

١ - تاريخ الادارة فى الچبايش

لم تعرف منطقة الاهوار كلها ادارة فعالة متسلطة طيلة أيام الحكم العثمانى • فلم يتجاوز ما فعله العثمانيون فى هذا الصدد انشاء عدد قليل من مراكز (الجندرمة) أقاموها هنا وهناك فى منطقة الاهوار الواسعة ابتداءاً من الاربعين أو الخمسين سنة الاخيرة من حكمهم ، وبصورة خاصة ما انشىء منها أيام مدحت پاشا الوالى العثمانى المصلح الذى ولى العراق بين سنتى ١٨٦٩ - ١٨٧٢ ، وغير اقامة مراكز ادارية فى المدن والقرى الكبيرة فقط فى المنطقة • وحتى فى تلك المراكز كانت الادارة التركية غير فعالة ولا متنفذة بالمرة • ولقد اعطانا ضابط انگليزى من ضابط الحملة البريطانية التى احتلت العراق فى الحرب العظمى الاولى صورة واضحة عن الادارة العثمانية فى أواخر أيامها فى ذلك الجزء من العراق فقال[١] :

« لقد كان هناك ضبط فى المدن ، وسيطرة ضعيفة على القبائل المحيطة بها ، ورقابة واهية متلاشية سرعان ما تختفى بالمرة فى مناطق الاهوار البعيدة • فالمنطقة التى عينت للعمل فيها بعد نهاية الحرب مباشرة فى الغراف الاوسط (لگش القديمة) الواقعة فى منتصف المسافة بين نهرى دجلة والفرات ظلت بدون ادارة طيلة السنوات العشر التى سبقت الحرب ، لعجز رجال الادارة العثمانيين عن جمع رسوم الحكومة ، وان ثلاثة من اسلافى من رجال الادارة العثمانيين قد قتلوا لتشددهم فى جباية الضرائب » •

وكبقية اجزاء منطقة الاهوار ، ظلت منطقة الچبايش مقطوعة عن العالم

(1) Bertram Thomas, The Arabs, London, 1937, p. 287.

الخارجي أبان القرون الاربعة للاحتلال العثماني • فلم يكن في القرية موظف اداري حتى عام ١٨٩٣ • وترتب على هذا ان كانت السلطة الوحيدة المعترف بها في كافة ارجاء المنطقة هي سلطة الشيخ • وحتى عام ١٨٧٠ كان أقرب مركزين للشرطة العثمانية الى القرية في الناصرية والقرنة اللتين تبعدان خمسا وخمسين ميلا وعشرين ميلا غرب وشرق الجبايش على التوالي •

وابتدأ العثمانيون يولون منطقة الجبايش اهتماما متزايدا اعتبارا من عام ١٨٦٥ • فلقد انشيء عدد قليل من مراكز (الجندرمة) فيها ؛ واحد منها في سوق الشيوخ ، المركز الذي قلب الى قضاء فيما بعد • ولكن حتى بعد أن قلبت البصرة ، التي كانت ترتبط الجبايش بها اداريا ، الى ولاية مستقلة ، وحتى بعد ان انشىء عدد قليل من مراكز (الجندرمة) ، فلقد كان الامن أبعد من ان يوصف بالاستتباب • فلقد كانت الزوارق تسرق دائما في هور الجبايش ، ولا يستطيع المارون اجتياز ذلك الهور بدون حماية الشيخ • وحتى ضباط الجيش العثماني وموظفو الادارة كانوا يجتازون المنطقة تحت حماية رجال الشيخ ، كما كانوا ينقلون من نقطة حراسة تركية لاخرى ويسلمون فيها لقاء وصولات موقعة من الضباط القائمين على تلك النقاط[1] •

وابتدأ الاتراك ، اعتبارا من عام ١٨٦٥ سياسة جديدة قائمة على أساس تفكيك النظام العشائري عن طريق توطين العشائر بصورة اجبارية Forcible detribalization • فكانت العشائر تشجع على الاستقرار والزراعة أحيانا وتجبر على ذلك أحيانا أخرى • وكان الشيوخ يوظفون في الادارة العثمانية • وكجزء من هذه السياسة عيّن الاتراك بعض الشيوخ الاقوياء موظفين

(١) اطلعني السيد قيس آل خيون على وصل من هذا القبيل ، مؤرخ ٢٩ ربيع الاول عام ١٣١٤ هجرية ومعنون الى « الشيخ » جناح آل محى آل خيون ، وكيل الشيخ جايد آل محمد آل خيون الذى كان غائبا وقتئذ ببغداد • ويعترف موقع الوصل بوصول (يوزباشى) فى الجيش العثمانى سالما الى نقطة (الجندرمة) العثمانية فى (حمار بنى حطيط) •

اداريين • ففي حكم مدحت پاشا ، والى بغداد (١٨٦٩ – ١٨٧٢) ، أصبح ناصر پاشا آل سعدون ، الشيخ العام Paramount Shaikh لاتحاد عشائر آل سعدون في منطقة الناصرية « الآلة الطيعة المختارة لترويض عشائر المنتفك »[1] • ثم عيّن ناصر پاشا متصرفا للواء البصرة والشيخ محي آل خيون قائممقاما لقضاء سوق الشيوخ • وكانت هذه السياسة الرامية الى « نسف سلطة الشيوخ وتقويضها قد أدت ، في المناطق التى تيسر فيها نجاحها ، الى حالة من الاضطراب والقلق ، كما سببت في المناطق التي لم يتوصل الى تطبيقها أو بلوغ مراميها بشكل تام عداء ومناوأة زعماء القبائل الذين كانوا أقوى أو أبعد من أن يسيطر عليهم »[2] •

وكان محي آل خيون أول شيخ من شيوخ آل خيون تعاون مع العثمانيين في حوالى عام ١٨٦٥ • وتعاون بعده أخوه الشيخ حسن آل خيون مع ناصر پاشا آل سعدون ، متصرف لواء البصرة في ذلك الوقت ، في ادارة العشائر في منطقة الجبايش • فأدى هذا التعاون بين الزعيمين العشائريين الى تحقيق أحد المشاريع النافعة جدا في المنطقة ، « سدة ناصر پاشا » ، وهو سد واق من الفيضان أقيم على طول ضفة الفرات اليمنى من سوق الشيوخ حتى القرنة ، فأصبح من الميسور بواسطته صيانة كافة الاراضي الواقعة جنوب النهر بين تلك المدينتين من الغرق وزراعتها بمحاصيل شتوية وصيفية كل عام • ولقد بنى هذا السد تحت اشراف الشيخ حسن آل خيون بتسخير الآلاف من رجال العشائر[3] •

(1) Longrigg, H.S. op. cit., p. 308.

(2) Review of the Civil Administration of Occupied Territories of Al 'Iraq, 1914-1918, Baghdad, Government Press, 1918.

(٣) حين ساءت العلاقة بين الشيخ حسن آل خيون وناصر پاشا آل سعدون خرب الشيخ حسن نفسه ذلك السد العظيم فعرض للغرق آلافا من المشارات من الارض التى تزرع محاصيل شتوية كل عام ، ولم يستفد من تلك الاراضى منذ ذلك العهد حتى الآن •

وبعد أن دحر الجيش العثمانى الشيخ حسن آل خيون عام ١٨٩٣ انشأ الوالى فى قرية الچبايش نقطة (جندرمة) ودائرة برق تستخدم للاغراض الحكومية فقط ، كما انشأ قوة صغيرة من الشرطة المحلية (شبانه) • وعين الشيخ چايد آل خيون ، الذى نصب من قبل العثمانيين شيخا على (بنى أسد) بعد فرار الشيخ حسن آل خيون الى الحويزة ، ضابطا لل(شبانه) وأعطى قيادة (شبانة) القرية • وفى هذه الفترة كان المركز الادارى العثمانى فى قرية الحمار ، فقلب ذلك المركز بعد حوادث الشيخ حسن آل خيون الى قضاء • ويبدو ان الادارة العثمانية فى هذه الفترة استطاعت ان تستقر وتتركز بحيث حين ألقى القبض على الشيخ چايد آل خيون وسجن بعد حادث مقتل الضابط العثمانى وعائلته فى الهور عام ١٨٩٦، لم ير الوالى العثمانى ضرورة حكم المنطقة عن طريق شيخ • فأدخل لاول مرة فى تاريخ القرية نوعا من الادارة اليها حين عين لها الوالى مديرا مقيما يديرها بمعاونة (المختارين) •

وفى عام ١٩٠٤ عين سالم آل خيون شيخا على العشيرة • فألغى المركز الادارى فى الچبايش ، كما انزل المركز الادارى فى الحمار من قضاء الى ناحية • ومن عام ١٩٠٤ — ١٩١٤ اتبع الشيخ سالم آل خيون سياسة موالية للعثمانيين لحد مفرط ، واستطاع بشخصيته القوية ونشاطه ان يفرض النظام والامن • وظل على صلاته الحسنة مع الموظفين الاداريين فى الحمار ، ولكنه كان مسيطرا عليهم تمام السيطرة • زد على ذلك انه عين ضابطا لل(شبانه) التى كانت تعمل تحت قيادته فى الچبايش •

وفى كانون الثانى عام ١٩١٥ عين ماجد آل حمود آل خيون شيخا على (بنى اسد) تحت الادارة البريطانية العسكرية ، وظل يشغل هذا المنصب حوالى اربع سنوات • ولكنه « أثبت عدم لياقة »[1] وبعد فترة

(1) Report of Administration for 1918 of Divisions and Districts of Occupied Territories in Mesopotamia, Baghdad, 1918.

« ارتؤى أن من الضرورى تنحيته »[1] • ولقد فشل الشيخ ماجد فى تنفيذ رغبات الادارة البريطانية العسكرية ، كما انه أثار حفيظة العشيرة بضعفه وفساد حكمه • ولم تنجح السلطات البريطانية فى ايجاد خلف لائق فلجأت الى الحكم المباشر • فعينت رجلا بارزا من أهل (الهوير)[2] اسمه سيد عبدالحسن كمدير للچبايش • ولكنه « لم يتصرف بمهارة كافية فى معاملاته مع سكان القرية وكان قد اتهم بأخذ الرشوة من عدة أناس ولهذا فقد أثار سخط أهل الچبايش وهيجهم ضده فترتب على ذلك وجوب اقصائه »[3] •

فتقرر عندئذ تنصيب فالح آل حسن آل خيون ، الاخ الاصغر للشيخ سالم آل خيون نائبا للشيخ Vice-Shaikh لحين عودة الشيخ سالم من منفاه فى الهند • وبما ان فالح آل خيون كان ولدا قاصرا فى ذلك الوقت فلقد بذلت السلطات البريطانية جهدا فى ايجاد «مستشار» له • فوقع اختيارها على شخص يدعى صالح آل حجاج ، أحد أعيان البصرة وممن كانوا على صلة وثيقة بالچبايش • فهو « سداوى » بالمولد وكان يعتبر دائما وكيلا للشيوخ ولآل خيون فى مدينة البصرة يقضى لهم أشغالهم فيها ويزودهم منها بما يحتاجون اليه • ولقد تحسنت الاوضاع السياسية فى القرية لان صالح آل حجاج أظهر « مقدرة فى عمله ، وكياسة فى معاملاته مع أهل الچبايش ، وسيطرة فى تصرفاته مع نائب الشيخ القاصر الصغير »[4] •

وعاد الشيخ سالم من الهند فى شهر آب ١٩١٩ وكانت الادارة فى ذلك الوقت قد رست جذورها وتركزت تحت ظل الحكم العسكرى ، خاصة فى الاقسام الجنوبية من القطر التى كانت قد مرت عليها فترة تقرب من

(١) نفس المرجع •
(٢) قرية تقع فى منتصف المسافة تقريبا بين المدينة والقرنة على رافد صغير يسمى بنفس الاسم يجرى من الهور الى الضفة اليسرى من نهر الفرات •
(٣) نفس المرجع •
(٤) نفس المرجع •

خمسة أعوام من الاحتلال العسكرى • وكان الهدف الاساسى لسلطات الاحتلال فى حكمها تلك المنطقة ان تحدد مسؤولية الشيوخ عن طريق جمع وتوحيد العشائر التى سمح لها بل وشجعت من قبل الاتراك على التفكك والانحلال • أى أن تلك السلطات سارت على سياسة معاكسة تماما لسياسة الاتراك التى اتبعوها فى سنى حكمهم الاخيرة • فكانت سياستهم تلك ، بقدر ما يتعلق الامر بمصالحهم ، ناجحة • واستطاع الشيوخ ان يحكموا عشائرهم بنصح ومعاونة الضباط السياسيين الانكليز الذين عينوا فى المدن والقرى الكبيرة • وأعيد الشيخ سالم الى « مشيخته » حال وصوله الچبايش بعد رجوعه من منفاه فى الهند واستعاد سلطته ونفوذه فى المنطقة •

وكانت الچبايش بين سنتى ١٩١٤ – ١٩١٨ ملحقة اداريا بمنطقة القرنة التابعة لقسم البصرة • ولكن ارتباطها بالقرنة فك فى عام ١٩١٩ والحقت بمنطقة سوق الشيوخ ، قسم الناصرية • وبعين الوقت « الحقت عشائر الچبايش وبنى حطيط وعبادة وبنى مشرّف وآل حسن بمنطقة سوق الشيوخ ووضعت تحت ادارة (Mudirship) الشيخ سالم آل خيون »[(١)]• ولقد جاء فى تقرير الضابط السياسى لتلك المنطقة انه « لم تحدث مشكلة واحدة فى الادارة تستحق التسجيل »[(٢)] •

وفى عام ١٩٢١ تشكلت الحكومة الوطنية العراقية فدخلت منطقة الچبايش تحت الادارة العراقية الجديدة • فجعلت المنتفك لواءاً وسوق الشيوخ قضاءاً والحمار التى الحقت بها قرية الچبايش ناحية • وبعد تمرد الشيخ سالم على الحكومة العراقية والقاء القبض عليه عام ١٩٢٤ نقل المركز الادارى من الحمار الى الچبايش وقلب الى قضاء كذلك • ولقد كان هذا اجراءا ضروريا وسديدا لمواجهة الحالة الجديدة الناجمة عن الغاء المشيخة • فلقد كانت

(1) Administrative Report of the Muntafiq Division for the year 1919. Appendix M.

(٢) نفس المرجع •

المنطقة تحتاج فى تلك الفترة الى مركز ادارى أقوى وأكفأ • وحين استتب الامن وثبتت قواعد النظام الجديد فى القرية ، قلبت الچبايش مرة أخرى عام ١٩٢٩ الى ناحية والحقت بقضاء سوق الشيوخ • ويبين الجدول رقم (١٠) تاريخ الادارة فى الچبايش •

جدول رقم (١٠)

تاريخ الادارة فى الچبايش

مرحلة رقم	شكل الادارة	السلطة الادارية	التاريخ	التشكيلات الادارية	السلطة العليا
١	مشيخة ١٨٠٠ – ١٨٩٣	شيخ خيون آل جناح	١٨٠٠ – ١٨٤٠		المشيخة العمومية لآل سعدون
		شيخ محيى آل خيون	١٨٤٠ – ١٨٦٥		
		شيخ حسن آل خيون	١٨٦٥ – ١٨٩٣		
٢	ادارة عثمانية ١٨٩٣ – ١٩١٤	شيخ جايد آل خيون	١٨٩٣ – ١٨٩٦	(جندرمة) تركية وقوة شرطة محلية (شبانة) ، ودائرة برق	مركز ادارى عثمانى (قضاء) في قرية الحمار
		مدير ناحية تركى يعاونه (مخاتير) القرية	١٨٩٦ – ١٩٠٤		
		شيخ سالم آل خيون	١٩٠٤ – ١٩١٤		

تكملة جدول رقم (١٠)

مرحلة رقم	شكل الادارة	السلطة الادارية	التاريخ	التشكيلات الادارية	السلطة العليا
٣	ادارة بريطانية ١٩١٤ - ١٩٢١	شيخ ماجد آل خيون	١٩١٥ - ١٩١٨	قوة شرطة محلية (شبانة) ودائرة برق	ضابط سياسى بريطانى فى القرنة (قسم البصرة) حتى عام ١٩١٩ ثم فى سوق الشيوخ (قسم الناصرية) حتى عام ١٩٢١
		مدير	١٩١٨		
		نائب شيخ (فالح آل خيون) يعاونه مستشار	١٩١٨ - ١٩١٩		
		شيخ سالم آل خيون	١٩١٩ - ١٩٢١		
٤	ادارة عراقية ١٩٢١ حتى الوقت الحاضر	شيخ سالم آل خيون	١٩٢١ - ١٩٢٤		مدير ناحية فى قرية الحمار
		قائممقام	١٩٢٤ - ١٩٢٩	قائممقامية مع قوة شرطة ومدرسة للبنين ومستوصف ودائرة بريد ٠	متصرف لواء المنتفك
		مدير ناحية	١٩٢٩ - حتى الوقت الحاضر	مدير ناحية مع قوة شرطة ومدرسة للبنين ومستوصف ودائرة بريد ٠٠ الخ	قائممقام قضاء سوق الشيوخ

٢ ـ حكومة الچبايش اليوم

الچبايش اليوم مديرية ناحية ٠ وهى ، كوحدة ادارية ، تضم بالاضافة الى قرية الچبايش قرى (الحمار) و (الفهود) ومجتمعات هورية كثيرة أهمها (الجرباسى) و (الجلعة) و (الشاطى) و (الشويعرية) و (عبادة) و (بنى مشرف) و (العويدية) و (ابو سيباية) وكثيرا غير ذلك ٠ وتقع حدود الناحية من (الخرفية) شرقا الى (آل سماعيل) فى الغرب ومن (العبد) فى الشمال الى خط السكة الحديدية وراء الحافة الجنوبية لهور الحمار فى الجنوب ٠ ويبلغ سكان ناحية الچبايش حسب تعداد النفوس

الذى جرى عام ١٩٤٧ (٢٩١٠٠) نسمة[1] وأهم العشائر التى تعيش فى الناحية هى (بنى أسد) و (آل فرطوس) و (الدبّات) و (البو عايش) و (البو شامة) و (بنى حطيط) و (العمايرة) و (آل حول) و (ال سماعيل) و (عبادة) و (بنى مشرّف) و (الفهود) ٠ وتتكون حكومة القرية من الدوائر الآتية :

١ ـ مديرية الناحية : وهى دائرة رئيس الوحدة الادارية ، مدير الناحية ٠ وتتكون من مدير الناحية وكاتب ، وهى الدائرة المسؤولة عن الاشراف على كافة دوائر الحكومة فى القرية وتوجيهها ٠ والمسؤولية الاساسية لمدير الناحية هى فرض النظام والامن وحسم المنازعات التى تقع فى دائرة اختصاصه وسلطاته واحالة التى لا يستطيع حسمها الى الدائرة الحكومية المختصة وهى عادة قائممقامية القضاء ٠ ويجمع مدير الناحيةضرائب الحكومة عن الارض ورسوم البلدية ٠ وعليه ان يحافظ على السدود ويبنى ما تقتضيه حالة الفيضان منها ليقى قرى الناحية ومزارعها من الغرق ٠ وبما انه رئيس البلدية فى القرية فهو مسؤول عن كافة أعمال وواجبات البلدية فيها من نظافة وتنوير وردم وتشجير وما يشبه ذلك ٠ وكافة موظفى الناحية مسؤولون تجاهه بصورة مباشرة ، وعليه ان يفتش دوائرهم ويراقب أعمالهم ويرى أنهم قائمون بواجباتهم كما يجب ٠ ويعد كاتب الناحية الاوراق والتقارير الخاصة بالمعاملات الرسمية التى يبت فيها مدير الناحية ويحفظها فى سجلاتها ٠ ويعمل الكاتب كسكرتير لمدير الناحية وينوب عنه فى بعض الحالات ٠

٢ ـ الشرطة : وتتكون من معاون ومفوض وستة عشر شرطيا ٠ وأعمال الشرطة تنفيذ أوامر مدير الناحية فيما يتعلق فى المحافظة على النظام والامن كالقاء القبض على الاشخاص وتوقيفهم وارسال المكلفين بالخدمة العسكرية

(١) احصاء النفوس العام لسنة ١٩٤٧ ٠ وزارة الشؤون الاجتماعية بغداد ١٩٥٤ ٠

والمتخلفين عنها وأى أفراد آخرين تطلبهم القائممقامية الى مركز القضاء ، كما تنظر هذه الدائرة فى كافة الشكاوى التى يرفعها أهل القرية اليها •

٣ ـ المستوصف : ويدار من قبل مضمد فقط • وهو مزود بكميات كافية من الادوية اللازمة لمتطلبات التداوى البسيط الذى يحتاجه أهل القرية • ويستفيد سكان القرية من الخدمات الطبية فى المستوصف ، خاصة أولئك الذين يعيشون قريبين منه • فلقد راجع المسنوصف فى عام ١٩٥١ ، (١٤٩٣٢) مريضا ؛ منهم (٩٧٥٧) ذكرا و (٥١٧٥) انثى[١] بمعدل شهرى يبلغ (١٢٤٤) مريضا ؛ (٨١٣) منهم ذكور و (٤٣١) أناث • وفى عام ١٩٥٢ بلغ عدد المرضى الذين راجعوا المستوصف (١٩٣٣٥) مريضا ، كان منهم (١٥٠٨٩) ذكرا و (٤٢٤٦) انثى • ونستطيع القول بان عدد المرضى الذين يراجعون المستوصف قليل اذا ما قيس بعدد سكان القرية وانتشار الامراض فيها •

ويمتنع كثير من أهل الجبايش عن مراجعة المستوصف لعدة أسباب • فهم بصورة عامة يؤمنون ايمانا قويا بالطب العشائرى المحلى القائم بصورة اساسية على (الدگ) بالابرة والكى وشرب أدوية مستخرجة من بعض الاعشاب الى جانب (الخرز) والتمائم وما أشبه ذلك • والبعد بين المستوصف وبين مساكن أهل القرية ، وهى مسافة تبلغ الميلين فى حالة بعضهم ، كثيرا ما يمنع بعض المرضى من مراجعة المستوصف • وأغلب النسوة يعتقدن أن من العيب مراجعة المستوصف وهن لذلك يعتمدن بصورة أساسية على الطب المحلى • ولقد وجدت أن أكثر من ٨٠٪ من الاناث المريضات اللواتى راجعن المستوصف فى عام ١٩٥٢ كن أما بنات صغيرات أو عجائز مسنات •

(١) تمتنع كثير من نسوة القرية عن مراجعة المستوصف حيث يفحصن ويداوين من قبل رجل • فلقد كانت نسبة الذكور الى الاناث فى المعدل الشهرى لعدد المرضى الذين راجعوا المستوصف فى سنة ١٩٥١ : ٣ر٦٥٪ ذكور و ٧ر٣٤٪ اناث • ولو وجدت فى مستوصف القرية دكتورة أو ممرضة لازداد عدد الاناث المراجعات للمستوصف زيادة كبيرة •

٤ ـ المدرسة : لقد أسست مدرسة للبنين فى القرية عام ١٩٢٤ بعد الغاء (المشيخة) • وبدأت المدرسة عملها أول الامر فى عدد من أكواخ قصبية • وهى الآن تشغل بناية من الآجر مكونة من ثمانى غرف • والمدرسة مفتوحة للاولاد والبنات على حد سواء ولكن عدد البنات فيها عادة قليل جدا • فلقد كان فيها فى العام الدراسى ١٩٥٢ ـ ١٩٥٣ خمس فتيات فقط من بين عدد طلابها البالغ (١٨٣) وفى العام الدراسى ١٩٥١ ـ ١٩٥٢ كانت فيها طالبة واحدة فقط من بين طلاب المدرسة البالغ عددهم (١٦٧) ، وكانت هى أول فتاة تدخل المدرسة فى الچبايش • وتتكون المدرسة الآن من ستة صفوف كان عدد طلابها وطالباتها المسجلين للسنوات الدراسية الثلاث الماضية كما هو مبين فى الجدول رقم (١١) •

جدول رقم (١١)

عدد طلاب وطالبات مدرسة القرية للسنوات (١٩٥٠ ـ ١٩٥٣)

(الارقام المحصورة بين أقواس تشير الى عدد الطالبات في الصف)

الصف	١٩٥٠ـ١٩٥١	١٩٥١ـ١٩٥٢	١٩٥٢ـ١٩٥٣
الاول	٦٠	٣٥ (١)	٤٧ (٣)
الثانى	٣١	٣٠	٢٦ (١)
الثالث	٢٤	٣٠	٢٢ (١)
الرابع	٢٨	٢٤	٣٦
الخامس	٣٠	٢٨	٢٧
السادس	١٢	٢٠	٢٥
المجموع	١٨٥	١٦٧	١٨٣

ولقد اتم اثنان وتسعون طالبا دراستهم فى مدرسة القرية منذ افتتاحها فى عام ١٩٢٤ حتى نهاية العام الدراسى ١٩٥٢ -١٩٥٣ • ولكن قسما صغيرا من هؤلاء الطلبة استطاعوا ان يواصلوا دراساتهم فى المدارس المتوسطة والثانوية ودور المعلمين • ويبين الجدول رقم (١٢) الاعمال التى يزاولها ست وثمانون من اولئك الطلبة المتخرجين من مدرسة القرية كما كانوا فى نهاية عام ١٩٥٣ •

ولقد عمل اربعون (٤٦٫٣٪) من هؤلاء الطلبة المتخرجين فى خدمة الحكومة كمعلمين وموظفين ومستخدمين وجنود وضباط فى الجيش • وتخلف واحد وثلاثون متخرجا (٣٦٪) فى القرية ولم يستطيعوا مواصلة دراستهم بعد الابتدائية • ولقد كان انعدام الامكانيات المادية ، فى أغلب الحالات ، هو السبب الوحيد الذى منع أولئك الواحد والثلاثين طالبا من مواصلة دراستهم اذ انهم يحتاجون الى أجور دراسية وأجور اقامة ومصاريف أخرى لعدة سنوات فى مركز اللواء أو فى بغداد •

ولقد كانت الهيئة التدريسية للمدرسة مكونة فى عام ١٩٥٢ - ١٩٥٣ من مدير وخمسة معلمين كلهم متخرجون من دار المعلمين الابتدائية أو مدرسة الزراعة • وكانت أغلبية الطلبة فقراء ؛ يأتون المدرسة بـ (الدشاديش) ، وحوالى عشرة منهم فقط يلبسون الاحذية بصورة مستمرة وقرابة اربعين فقط يلبسونها بصورة عرضية أو فى المناسبات • وكان قرابة مائة منهم ، ومجموعهم ١٨٣ طالبا ، يستخدمون (المشاحيف) للوصول الى المدرسة طيلة السنة ، وكلهم تقريبا يضطر على استعمالها لنفس الغرض فى موسم ارتفاع الماء ، وأمده اربعة شهور تقريبا • وتطول ببعضهم ، خاصة الطلاب الذين يقطنون منطقة آل غريج ، الرحلة بين البيت والمدرسة حتى تصبح ساعة أو تزيد •

٥ - البلدية : تكون بلدية القرية من مجلس مكون من ستة من

الجدول رقم (١٢)

خريجو مدرسة القرية للسنوات من ١٩٣٦ - ١٩٣٧ الى ١٩٥٢ - ١٩٥٣ والاعمال التي يزاولونها(١)

السنة الدراسية	معلم	موظف	تاجر او صاحب دكان	فلاح	جندي	ضابط جيش او شرطة	صانع ماهر	تلميذ في مدرسة بعد الابتدائية	بطال	متوفي	غير معروف	المجموع
١٩٣٦_٣٧	٣	١	١									٥
١٩٣٧_٣٨	٢	١	١	١	١							٦
١٩٣٨_٣٩	١	٣			١	١					١	٧
١٩٣٩_٤٠		٢	١	٢	٢						١	٨
١٩٤٠_٤١	١	١	٣	١	١		٢			١		١٠
١٩٤١_٤٢					١		١					٢
١٩٤٢_٤٣	٢		٢		٢		٢					٨
١٩٤٣_٤٤												
١٩٤٤_٤٥		١					١					٢
١٩٤٥_٤٦			١				١					٢
١٩٤٦_٤٧					٢							٢
١٩٤٧_٤٨				٢	١			١	١			٥
١٩٤٨_٤٩		١	١		٣		٢					٧
١٩٤٩_٥٠			١		٤			٣				٨
١٩٥٠_٥١								٢	٢			٤
١٩٥١_٥٢			١	١	١			٣				٦
١٩٥٢_٥٣					١			٣				٤
المجموع	٩	١٠	١٢	٧	٢٠	١	٩	١٢	٣	١	٢	٨٦

(١) لم استطع الحصول على معلومات عن الطلبة الذين تخرجوا من المدرسة بين عامى ١٩٣٠ و ١٩٣٦ فى مديرية معارف لواء المنتفك • ولكن المعروف ان ستة طلاب فقط تخرجوا فى تلك الفترة من المدرسة وكلهم يعمل فى القرية أو خارجها بالتجارة أو الزراعة •

أعيان من القرية ينتخبون[1] لمدة اربع سنوات ، ويستبدل نصف الاعضاء كل سنتين • ويجتمع المجلس الذى يرأسه مدير الناحية حسب الحاجة وبشكل غير منتظم ، ليبت فى كافة الشؤون البلدية ويتوصل الى قراراته عن طريق التصويت • وتضم البلدية بالاضافة الى المجلس كاتبين وستة مستخدمين • والبلدية مسؤولة عن تنظيف وتنوير القرية كما تستخدم ثلاثة حراس ليليين لحراسة سوق القرية ودوائر الحكومة والبيوت المبنية فى قسم (الناحية) منها •

ومن بين واجبات البلدية تثبيت أسعار بعض المأكولات التى تباع فى القرية كالفواكه والسمك والخضر وما يشبه ذلك وتعيين أجور النقل فى الوسائط المائية • وتوزع البلدية مساعدات مالية محدودة على المحتاجين فى بعض المناسبات كما تدفع رواتب شهرية بسيطة الى خمسة عشر فقيرا فى القرية • وكانت أهم المشاريع التى حققتها البلدية فى القرية حتى عام ١٩٥٣ هى بناء رصيف من طابوق على حافة النهر وعلى طول قسم (الناحية) وبناء عدة بيوت عصرية لسكنى بعض موظفى القرية وانشاء قنطرتين حجريتين فى نهايتى الرصيف •

٦ ـ مأمور الاستهلاك ، يعاونه عدد من السعاة فى جمع ضريبة الاستهلاك عن الحبوب واصناف أخرى من المواد الغذائية التى تباع فى القرية • وترتبط هذه الدائرة فى وزارة المالية ولكن موظفيها يعملون تحت رقابة مدير الناحية •

---

(١) من المهم ان نؤكد هنا حقيقتين ؛ الاولى ان الانتخاب لا يمكن ان يقع عمليا بل ان المجلس يختار ويعين من قبل مدير الناحية وذلك لجهل اهل القرية من جهة ولعدم اهتمامهم فى هذا الامر من جهة أخرى • والحقيقة الثانية هى ان الاختيار لا يراعى فيه تمثيل كافة الطبقات الاجتماعية ولا مبدأ الاعتبار الاجتماعى النافذ فى القرية (اجاويد الطايفة) • فخمسة من الاعضاء الستة أثرياء وتجار واصحاب دكاكين وواحد منهم صاحب اراض •

٧ ـ البريد : ويدار من قبل موظف واحد هو كاتب البريد ؛ يوزع الرسائل ويحزم البريد ويقوم ببيع الطوابع وتسجيل الرسائل والرزم وكافة الاعمال البريدية الاخرى • وينقل البريد بين الجبايش وسوق الشيوخ مرتين فى الاسبوع فقط • فيترك القرية فى (مشحوف)[1] كل يوم أحد واربعاء صباحا ويصل سوق الشيوخ مساء كل يوم اثنين وخميس ، ويعود للجبايش مساء كل يوم ثلاثاء وجمعة بعد ان يقضي نوبتة (المشحوف) ليلة في احدى القرى الواقعة على طريق الرحلة في الذهاب واخرى في العودة • وحين كانت الجبايش قضاءا كانت فيها مصلحة للتلفون تربطها بالقرنة ، ولكن أعمال البريد قلصت حين قلبت الجبايش الى ناحية فألغيت مصلحة التلفون وأعمال بريدية أخرى مثل الحوالات •

ولا يستعمل أهل القرية دائرة البريد كثيرا وأغلب أعمالها تتوقف على دوائر الحكومة • ويزيد عدد الرسائل والرزم الواردة للقرية عادة على عدد الصادرة منها وهذا مسبب عن صعوبة ايجاد اشخاص يستطيعون كتابة الرسائل ولفقر أهل القرية • ويبين الجدول رقم (١٣) أعداد الرسائل والرزم الصادرة والواردة فى السنوات العشر الاخيرة •

٨ ـ النفوس : تدار من قبل كاتب فقط مسؤول عن تعداد النفوس وتسجيل الولادات والوفيات واعطاء دفاتر النفوس وشهادات الزواج وما الى ذلك من الاعمال • واحدى أعمال كاتب النفوس الهامة تحضير قيد وكشوف المكلفين بالخدمة العسكرية الذين يدعون للخدمة •

٩ ـ البيطرة : وتدار من قبل مضمد بيطرة ، وهى مزودة بأدوية كافية لتداوى الحيوانات بشكل بسيط وعلى نطاق محدود كما انها مزودة بأدوية الوقاية ضد بعض الامراض الكثيرة الانتشار بين حيوانات المنطقة •

---

(١) تملكه دائرة بريد القرية ويسيره بالتعاون ساعيا بريد من اهل الجبايش • ويمر (مشحوف) البريد فى طريقه علي قرى الحمار والفهود وينهى رحلته فى كرمة بنى سعيد • ومن هناك ينقل البريد الى سوق الشيوخ بالسيارة •

جـدول رقم (١٣)

الرسائل والرزم الصادرة والواردة من والى دائرة بريد القرية خلال السنوات من ١٩٤٤ الى ١٩٥٣

السنة	الرسائل		الرزم	
	صادرة	واردة	صادرة	واردة
١٩٤٤	٢٢٣	٣٣١	١	١
١٩٤٥	٢٢٤	٣٩٢	٦	٢
١٩٤٦	٣٤١	٤٥٣	٢	٣
١٩٤٧	٣٥٠	٦١٥	٢	٤
١٩٤٨	٢٨٢	٥٦٣	٤	٢
١٩٤٩	٣١٣	٣٩٢	—	١
١٩٥٠	٣٦٧	٢٨٣	—	—
١٩٥١	٣٠٩	٣٧٦	—	—
١٩٥٢	٣٨٧	٤٣٧	—	١
١٩٥٣	٥٠٦	١٠٠٩	٢	٦

واحدى الوظائف الرئيسية لهذه الدائرة السيطرة على الاوبئة بين الحيوانات، خاصة الجاموس والماشية ، ولذا فالمركز يحتوي على كمية من بعض الامصال الواقية • ولكن أهل الچبايش يجدون صعوبة كبرى فى التصـديق بان الحيوانات يمكن ويجب ان تداوى وتطبب • وهم لا يعرفون فى هذا الصدد غير طرق قليلة بسيطة محلية لتداوى الحيوانات فى حالة اصابتها بأمراض معينة أغلبها أمراض الماشية • وتكاد تنحصر تلك الطرق بالكى • لكل هذا فان دائرة البيطرة ذات فعاليات محـدودة وتسـتطيع فى الوقت الحاضر ان تؤدى لاهل القرية خدمات محدودة للغاية •

٣ ـ سلطة الحكومة واعتبارها

لقد ذكرنا سابقا أن أهل الچبايش كانوا راغبين أشد الرغبـة فى التخلص من ظلم آل خيون وقساوتهم • فلما اصبحوا تحت السيطرة المباشرة للحكومة رحبوا كثيرا بالنظام الجديد لانه أفعم نفوسهم بأمل الخلاص من الاستبداد والتمتع بالعدل والطمأنينة فى ظل الحكم الجديد • لقد ترتب على حكم آل خيون (لبنى اسد) زمنا طويلا بلغ عدة قرون ان اعتـادت العشيرة الطاعة العمياء ، وهى أول صفة تتطلبها الدولة من مواطنيها • ولقد ثبت أن (بنى أسد) محبون للسلام بالاضافة لكونهم مطيعين للنظام • وسرعان ما تبين لاهل العشيرة أن السيد الجديد ، الحكومة ، يهب كثيرا جدا ولا يأخذ الا النزر اليسير ، على النقيض مما ألفوه من اسيادهم السابقين ، آل خيون • ومن جهة أخرى فلقد اتضح للعشيرة ان الحكومة التى استطاعت ان تقضى على سلطة الشيخ سالم آل خيون وتهدم وتحرق قلاعه ومضيفه وتسجنه ، والتى تمكنت من خنق حركة غضبان آل خيون وعصاباته واقصاء كافة مسببى الاضطرابات والمخلين بالقانون من آل خيون خارج القرية ، لابد وان تكون حكومة قوية جدا • ولذا فان أهل القرية رحبوا بالحكومة ورهبوا جانبها بعين الوقت • ولقد هيأ هذا الوضع جوا مثاليا وملائما للغاية لاقامة النظام الجديد •

لقد تعاون (السراكيل) لحد كبير مع الحكومة • فلقد كانت لديهم ، بالاضافة الى الاسباب العامة التى جعلت أهل الچبايش يرحبون بالنظـام الجديد ، أسباب خاصة حملتهم على التعاون الفعال مع الحكومة لتثبيت النظام الجديد وضمان دوامه • فلقد خلق لهم ذلك النظام اعتبارا اجتماعيا واضفى عليهم قوة لانه صنع منهم رؤساء لحمايلهم • ومنح كل واحد منهم حق التصرف بالاراضى التى كانت تزرعها حمولته • فكانت مصلحتهم ليس فى

الابقاء على ذلك النظام فحسب ، بل وفى تقويته ونجاحه • فلو تقوض النظام الجديد فانهم سيضيعون الاراضى التى كانوا يستغلونها والسلطة التى كانوا يتمتعون بها • ولقد كان هذا التعاون أحد العوامل فى نجاح الادارة الحكومية فى الچبايش • ففى الازمات الكثيرة التى مرت بها الادارة العراقية الحديثة العهد فى القرية كثورة سوق الشيوخ[1] وفى الاضطرابات الطويلة التى سببها غضبان آل خيون وبعد ذلك ابان الشهور الثلاثة التى أقام خلالها الشيخ سالم آل خيون فى القرية عام ١٩٤٥ ، وفى أزمات أخرى مشابهة ، لم يقف (السراكيل) الى جانب الحكومة فحسب بل انهم ساندوها مساندة فعالة • وكان أحد الامثلة الرائعة على هذا التعاون ما حدث فى ثورة سوق الشيوخ • ففى تلك الفترة الحرجة أراد بعض آل خيون ان يستغلوا غياب الحكومة من القرية فيستولوا عليها ويعيثوا فيها فسادا • ولكن عبدالهادى آل خيون ، (سركال) حمولة آل الشيخ ، كان لهم بالمرصاد فأفسد عليهم خطتهم • فاستولى على دار الحكومة وحال دون ايقاع أى تلف أو تخريب فيها كما حافظ على الاسلحة التى خلفتها الشرطة وراءها وعلى بقية محتويات دار الحكومة • ولقد هدد بعض آل خيون عبدالهادى وحاولوا الاستيلاء على دار الحكومة بالقوة ، ولكنه وآخرين من (السراكيل) الذين ادركوا ان الحكومة لابد عائدة سريعا صمدوا وحرسوا دار الحكومة وحافظوا عليها ببسالة • وحين استولى الجيش على سوق الشيوخ وارسلت مفارز قوية من الشرطة الى الچبايش فاحتلتها ، سلم عبدالهادى آل خيون دار الحكومة بكافة

(١) ثارت عشائر منطقة سوق الشيوخ فى اوائل شهر مايس عام ١٩٣٥ ضد الحكومة فاحتلت مراكز الشرطة ودوائر الحكومة وقتلت حوالي خمسين شرطيا • والى ان وصل الجيش قبيل نهاية الشهر نفسه فاعاد النظام الى نصابه وفرض سيطرة الحكومة مرة أخرى حكمت العشائر الثائرة مدينة السوق • فانتشر السلب والنهب وشاعت الاضطرابات حتى شملت اجزاء كثيرة من القضاء بما في ذلك الچبايش حيث هرب موظفو القرية ورجال الشرطة فيها تاركين مراكزهم واسلحتهم خوفا من أن يفتك بهم رجال العشائر •

محتوياتها لقائد الشرطة • فلولا مساندة (السراكيل) وعلى رأسهم عبد الهادى آل خيون للحكومة ، تلك المساندة المبنية على بعد النظر ، لتعرضت القرية لكثير من القلاقل والاضطرابات • وفى حركات غضبان آل خيون فى الهور وقف السراكيل ضده وأيدوا الحكومة فى مجهوداتها لقمع ثورته• فمنعوا افراد حمايلهم من الالتحاق به وحالوا دون ارسال الطعام والاسلحة اليـه •

وعندما حققت الحكومة أكثر مما كان أهل القرية يتوقعون منها اكتسبت اعتبارا عظيما • لقد كانت الوحدة الادارية فى السنوات الخمس الاولى من الادارة الحكومية فى القرية قضاءا • ولقد قام الموظفون بواجباتهم ، مستلهمين روح الانشاء التى سادت كافة موظفى القطر بصورة عامة فى السنوات العشر الاولى من الحكم الوطنى العراقى ، باخلاص وبدون استغلال لمراكزهم • ولقد حققت الحكومة كثيرا فى هذه الفترة فى مجال اقامة سلطة واعتبار لها ، وحمل أهل القرية على التعلق بالنظام الجديد • فنشر السلام والامن والعدالة وفرض القانون فى ارجاء المنطقة واقامة الخدمات الحكومية العامة مثل المدرسة والمستوصف والبلدية والبيطرة فى القرية ، كل هـذا ازاد اعتبار الحكومة • وسرعان ما أصبح أهل الچبايش شديدى الثقة فى هذه الحكومة التى تحمى حقوق اتباعها وتقدم لهم خدمات جلى • فصاروا يصفونها بانها (رب ثانى) ، وهو وصف يجمع بين تصويرهم لقوتها العليا وسلطتها الكبيرة وبين انها مصدر الخير والبركات •

ولكن كثيرا من هذا الاعتبار تبدد فى العشرين سنة الماضية من حياة الادارة فى القرية خاصة فى سنوات الحرب العالمية الثانية والسنوات التى تلتها • ولم يقف الامر فى السنوات القليلة الماضية عند حد انعدام اعتبار الحكومة فحسب بل كان فى القرية تذمر قوى من تصرفات الحكومة

ومثليها • وأسباب ذلك التذمر كثيرة ولكنها يمكن ان تجمع كلها فى : عدم كفاية الجهاز الحكومى وفساد موظفى القرية • وسنقدم فيما يلى أمثلة قليلة تصور المدى الذى يؤثر فيه كل من هذين العاملين على اعتبار الادارة وهيبتها ويخلق رد فعل عنيف ضدها • ولنأخذ الشرطة أولا :

كانت شرطة القرية مثلا من أمثلة الفساد الذى أشرنا اليه • وهذا الفساد ، بقدر ما يتعلق الامر باعتبار الحكومة وسلطتها ، ذو نتائج خطيرة للغاية لان اتصال أهل القرية بالشرطة أكثر من اتصالهم بأى فرع آخر من فروع حكومة القرية • فكانت الشرطة تتهم دائما بأخذ الرشوة ، وأحيانا بشكل مكشوف جدا • ولقد كان أهل القرية متألمين ومستائين لدرجة انهم كانوا يصرحون بوضوح وفى كل مناسبة بان (اليوم كل شى يمشى بالحكومة بالبرطيل مخصوص ويه الشرطة) • ولم يقف الاثر السيىء لاخذ الرشوة عند حد تأثيره على استعداد الاهالي لتنفيذ أوامر الحكومة ، ولكنه أثار فى كثير من الحالات احتقارهم • فلقد كان الشائع فى القرية ان المكلفين فى الجندية يرشون سلطات الشرطة ليتجنبوا الخدمة العسكرية • وطبيعى ان النظام الاقتصادى فى القرية ، وهو قائم بصورة اساسية على حياكة الحصر ، لايسمح بتجريد العوائل من اعضاء عاملين كالشباب المشمولين بالخدمة العسكرية • فحياكة الحصر فعالية اقتصادية يستهلك ثمن الانتاج اليومى فيها ، وهو غالبا أقل من كفاية المنتج ، يوما بيوم ، وهو ما يُسمى Hand to mouth economy فكانت الشرطة ، على ما يقال فى القرية ، تأخذ الرشوة من (السراكيل) وتسمح لهم بالتظاهر بان المطلوبين للخدمة العسكرية فارين من القرية ولا تعرف أماكن اقامتهم • ولقد نشرت الشرطة قوائم المكلفين بالخدمة مرارا وكانت فى كل مرة تحمل (السراكيل) على دفع الرشوة عن نفس الاسماء • وكان (السراكيل) بدورهم يجبون من رؤوس العوائل المختصة ما يدعون انه المبلغ الذى فرض عليهم من قبل الشرطة • ولقد جاء مرة شرطى الى

مضيف حمولة آل الشيخ يحمل قائمة قديمة من أسماء المكلفين بالخدمة العسكرية قيل فى حينه ان الرشوة دفعت عنها مرات عدة ، وطلب من ابن (السركال) ان يبادر بارسال الاشخاص المثبتة اسماؤهم فى القائمة الى مركز الشرطة • فاستشاط الجالسون فى المضيف غضبا وامتعضوا أشد الامتعاض لانهم سبق وان دفعوا عن تلك الاسماء رشاوى عدة مرات وان القائمة قديمة جدا • فانبرى أحدهم يسخر من الشرطى والحكومة كلها قائلا (لموله عشر فلوس عن كل اسم) •

وفى حادثة وقعت فى سوق القرية أهين أحد افراد الشرطة وصفع على وجهه اثناء قيامه بواجباته الرسمية من قبل صاحب حانوت • ولقد توقع الكل ان تتخذ الشرطة اجراءات فعالة صارمة ضد الذين أهانوا الشرطى وخاصة ضد صاحب الحانوت الذى صفعه ، ولكن شيئا من ذلك لم يحدث • ثم أدعى بعد فترة ان معاون الشرطة استلم مبلغا مناسبا من المال كـ «حشم» ، ردا لاعتبار الحكومة المهدور وشرفها الذى أهين •

ورغم ان واجب الشرطة منع القمار فى القرية وبصورة خاصة فى مقاهيها ، فلقد كان انشط مركز للعب القمار فى القرية بيت مفوض الشرطة • فكان معاون الشرطة يترأس فى ذلك البيت حلقة قمار يومية ويبعث فى طلب مقامرى القرية ، يجمعهم ويحثهم على ان يلعبوا معه • وكنتيجة طبيعية لهذا السلوك لم يكن معاون الشرطة فى مركز يخوله منع القمار فى القرية • فكان يلعب فى المقاهى علنا وفى المدرسة وفى بيت مديرها وغير ذلك من الاماكن • ومن المهم ان نذكر هنا بان القمار ، بالاضافة الى كونه محرما بموجب أحكام الدين الاسلامى فانه عمل بغيض ومنكر للغاية فى أعين أهل القرية •

ومدرسة القرية هى مثلنا الثانى على سوء الادارة وتردى اخلاق

الموظفين • فأهل الجبايش يقدرون مزايا التعليم ويريدون لاولادهم ثقافة تمكنهم من شق طريقهم فى المستقبل بشكل أفضل مما تسمح به بيئتهم الضيقة وحياتهم الحاضرة • ولا تعتبر الثقافة فى الجبايش من البدع التى تتنافى وتقاليد العشيرة • ولكن لان ارسال الاولاد الى المدرسة له علاقة بالوضع الاقتصادى ، اذ لا تستطيع كافة العوائل ان تستغنى عن مساهمة أولادها فى كسب عيشها كجرد القصب وحياكة الحصر وغير ذلك ، فان عدد العوائل التى تسمح بارسال كل أو بعض أولادها الى المدرسة قليل جدا ، اذ يقتصر ذلك على ذوى الكفاية الاقتصادية أو على من لهم عدد كبير من الاولاد فيستطيعون الاستغناء عن خدمات واحد أو اثنين منهم • فالمرفهين اقتصاديا كالتجار واصحاب الاراضى والدكاكين وآل خيون كلهم يرسلون أولادهم الى المدرسة ليتعلموا • هذا بالاضافة الى وجود الدافع الاقتصادى فى فتح مجال للعمل أمام الأولاد المتعلمين خاصة فى وظائف الحكومة كمعلمين وموظفين •

ويبدو أن وضع المدرسة أخذ يسوء بصورة تدريجية بعد بضع سنوات من تأسيسها حتى وصل أفظع مراحله فى السنوات الاخيرة • يضاف الى ذلك وجود هوة واسعة بين مدير المدرسة ومعلميها من جهة ومدير الناحية من جهة أخرى • فبالاضافة الى عدم التعاون التقليدى بين هذين الفرعين من حكومة القرية فلقد كانت فى عام ١٩٥٢ — ١٩٥٣ علاقات غير ودية مطلقا بينهما • فكان مدير الناحية يتجاهل المدرسة ومديرها ومعلميها الى أقصى حد وكان فى الواقع لا يقابلهم ولا يتحدث اليهم • ولم يزر مدير الناحية المدرسة مرة واحدة خلال سنة كاملة فيتعرف على مشاكلها وحاجاتها ، فكانت المدرسة مهملة تماما من قبل رأس الادارة ، وهو الشخص المسؤول عنها وعن تيسير ادائها لرسالتها •

الى جانب هذا الاهمال من قبل الادارة فى القرية فان المدرسة كانت مهملة من قبل مديرية معارف اللواء • فلم يزرها مفتش معارف اللواء غير مرة واحدة فقط خلال عام دراسى كامل • وكانت الزيارة قصيرة للغاية بل وخاطفة ، لم يفهم المفتش فيها عن المدرسة الا قليلا ، بل انه ما فهم عنها الا ما اراد له مديرها ان يفهم •

وكان مدير المدرسة ومعلموها أسوأ مثل لموظفى الحكومة • فصفات الخمول وعدم الشعور بالمسؤولية بارزة واضحة فى تصرفاتهم وطريقة أدائهم لواجباتهم • وباستثناء معلمين اثنين فقط ، كانت هيئة المدرسة كلها تقامر كل يوم فى المقاهى وفى المدرسة ذاتها ، مع أناس منحطين فى مستواهم الاجتماعى فى القرية لدرجة لا تليق ، من وجهة نظر العرف المحلى فى القرية ، بمعلم ان يتصل بهم أو يجالسهم • وبما ان حلقات قمار المدير والمعلمين تمتد اعتياديا حتى الساعات المبكرة من الصباح ، فان صفوف المدرسة الستة كانت تدار فى كثير من الايام من قبل المعلمين اللذين لا يقامران فقط حتى الساعة العاشرة أو الحادية عشرة صباحا(١) لان المعلمين المقامرين لا يستطيعون الحضور الى المدرسة مبكرين • ولم تفتح صفوف مسائية لمكافحة الامية بين البالغين فى القرية لان تلك الصفوف تتضارب فى أوقاتها مع أوقات لعب القمار رغم ان اسبابا أخرى ادعيت لعدم فتح تلك الصفوف • ولقد ترتب على ذلك الانغماس فى القمار ان اصبح كافة المعلمين المقامرين مدينين بديون ثقيلة لاصحاب الحوانيت • ويستنجد بعض المعلمين عند الحاجة بأصحاب الحوانيت بتذاكر يرسلونها بيد فراش المدرسة يحاولون بها استقراض مبالغ تافهة تصل فى بعض الاحيان الى بضعة دراهم • فكانت تلك التذاكر ترد مع كثير من التعليقات المزرية وتتخذ وسيلة للسخرية بالمعلمين والمدرسة حين يدور بها الفراش من حانوت لآخر • وكان مدير

(١) يبدأ الدوام فى مدرسة القرية فى الساعة الثامنة والنصف صباحا •

المدرسة مدينا بقرابة مائة دينار بينما ما كان يتجاوز مجموع راتبه الشهرى بما فى ذلك مخصصات غـلاء المعيشة والمخصصات المحلية الاثنين وعشرين دينارا • وحين نقل ذلك المدير من الچبايش فى نهاية العام الدراسى ١٩٥٢ – ١٩٥٣ جاء القرية خلسة فى ليلة من الليالى فشحن ما يملك من آثاث ولوازم بيتية فى زورق وهرب سرا دون ان يدع أحدا يشعر به خوفا من الذين لهم عليه ديون • وحين شعروا بذلك لحق أحدهم به حتى مدينة الناصرية ليستعيد دراهمه منه • واقترف أحد المعلمين جريمة الزنى بفتاة فى القرية ، وحين شعر انه معرض للقتل ترك القرية سرا وهرب تاركا مكانه فى المدرسة فارغا أكثر من شهرين حتى نهاية العام الدراسى • ولقد تركت فعلة المعلم تلك أثرا سيئا فى نفوس أهل القرية •

لم تكن فى القرية فى عام ١٩٥٣ مساكن للمعلمين • فلقد كان اربعة منهم يعيشون فى غرفة واحدة من غرف المدرسة فى ظروف غير صحية بالمرة ، وواحد منهم فى كوخ قصبى خلف المدرسة ، وكان المدير وحده يعيش فى بيت صغير مبنى من آجر • ولم تكن فى مدرسة القرية مرافق صحية كما انها لم تكن محمية من الفيضان والغرق • ورغم فقر التلاميذ المدقع الواضح لم يفعل لامدير المدرسة ولامدير الناحية شيئا بصدد تزويدهم بالقرطاسية والاقلام • ولقد علمت ان أغلب تلاميذ الصفين الخامس والسادس كانوا لا يستطيعون عمل وظائفهم المدرسية البيتية لعـدم استطاعتهم شـراء القرطاسية والاقلام • ولا مجال للتفكير طبعا بوجبات غذائية مجانية وملابس توزع على الطلاب رغم ان توزيع الملابس ممكن جدا خاصة وان بلديـة الچبايش غنية وكان لديها فائض من المال ولها ديون تبلغ عشرة آلاف دينار على بلديات أخرى فى اللواء • فثلاثمائة دينار كل عام تساهم فى تدبيرها وزارة المعارف وبلدية القرية تكفى لتزويد كل واحد من تلاميذ المدرسـة بـ (دشداشتين) واحدة صيفية وأخرى شتوية ، وبزوجى (نعال) كل عام ،

وبكل ما يحتاج اليه من قرطاسية وأقلام طيلة السنة الدراسية[١] •

وكنتيجة لهذه الظروف والاحوال كانت المدرسة فاشلة فى تأدية رسالتها تمام الفشل • فلم ينجح فى الامتحانات العامة للدراسة الابتدائية عام ١٩٥٢ – ١٩٥٣ من طلاب الصف السادس البالغ عددهم خمسة وعشرون تلميذا غير أربعة ، فتكون نسبة النجاح المئوية ١٦ فقط • ولم ينجح فى بقية صفوف المدرسة ، رغم ان الامتحانات كانت صورية ، غير عدد قليل من التلاميذ • وكان تأثير سلوك مدير المدرسة ومعلميها أوضح من أن يشرح أو يعلق عليه • لقد شعر أهل القرية بخيبة أمل شديدة تجاه المدرسة وكانوا مستعدين نفسيا لتقبل نتائج امتحانات أولادهم وفشلهم فى الدراسة • ولقد أثير هذا الموضوع مرات عـدة فى مضايف القرية ، فكان الآبـاء يرددون بمرارة (هذوله المعلمين ما يعلمون ولدنه ، هذوله يفسدوهم • كون بيهم خير چا علموا ارواحهم)[٢] •

وكان سلوك أغلب موظفى القرية الآخرين غير مرض • فكان الموظف الصحى يستغل المرضى فى طرق عدة احداها بيع أدوية الحكومة باعتبارها ملكه • ويوهم كل مريض يتوسم فيه قدرة على الدفع ان مرضه مهما كان نوعه ، يحتاج الى (أبر) يحقنه بها لو رضى أن يدفع ثمنها ، والا فان عليه ان يذهب الى مكان آخر كالبصرة وغيرها للعلاج • وكان أحد كتاب الناحية المرتشين يستخدم ولده الصغير فى جمع الرشوة له ويمتنع ، حين ناب عن مدير الناحية زمنا ، عن توقيع أى كتاب دون ان يتقاضى أجرة عنه • وكان

(١) اننى أقدر معدل حاجة التلميذ الواحد فى مدرسة القرية من هذه الضروريات كما يلي : أ – ١٥٠ فلسا للقرطاسية والاقلام ب – (دشداشتين) واحدة شتوية كلفتها ٧٥٠ فلسا واخرى صيفية كلفتها ٥٠٠ فلسا ج – زوجا (نعال) بـ ٣٠٠ فلس • فيكون مجموع كلفة التلميذ الواحد ١/٧٠٠ دينارا • وتكفى الثلثمائة دينار على هذا الاساس ١٧٦ تلميـذا وهو عدد مقارب جدا لمعدل عدد تلاميذ المدرسة المسجلين فى السنوات الثلاث الاخيرة •

(٢) يشيرون بذلك الى السلوك الشخصى وليس الى العلم •

قليل من موظفى الناحية يتقيدون بالدوام الرسمى ؛ يذهبون الى دوائرهم متى يشاءون ويتركونها متى يشاءون • ويأتى كثير منهم دار الحكومة فى أغلب الاوقات للعمل وهم يرتدون (الدشاديش) ويلبسون (النعل) •

وبالاضافة الى ما كان يسببه هذان العاملان المهمان ، وهما عدم كفاية الجهاز الحكومي وفساد موظفى القرية ، من التأثير على اعتبار الحكومة وهيبتها ، فهناك عامل آخر يجب ان يؤخذ بنظر الاعتبار ، وهو اهمال الحكومة لبعض المشاريع والاصلاحات الضرورية للغاية والتى يجب ان تعطى اسبقية وتعار أهمية كبيرتين ، والتى لو نفذت لساعدت كثيرا على رفع مستوى المعيشة لاهل القرية ولزادت من اعتبار الحكومة • ولا يكف أهل القرية عن التذمر والشكوى من هذا الاهمال لانهم يعتقدون اعتقادا راسخا بان (الحكومة تگدر كلشى تسوى) ، ولذا فانهم لا يستطيعون ان يجدوا لهذا الاهمال تبريرا اسلم ولا تفسيرا أصح غير ان (الحكومة ماتريد خيرنه)• وأقل ما يوصف به رد الفعل الحاصل عند أهل الچبايش نتيجة لهذا الاعتقاد بأنه خيبة أمل مريرة • ولنأخذ أمثلة بسيطة على ذلك •

فأول وأهم شيء فى حياة هؤلاء الناس هو الفيضان المقرون دائما بالغرق وتعذر الزراعة وبالتالى الجوع • لقد بينّا سابقا[1] كيف ان مياه الفيضان تغرق كافة المنطقة كل عام فتتعذر الزراعة الشتوية بالمرة وتمتنع الزراعة الصيفية أيضا فى كثير من الاعوام • وحين تصبح الزراعة الصيفية ممكنة فانها تحدث، لعدم انحسار الماء في وقت مناسب، متأخرة فتكون بصورة حتمية غير مربحة بالمرة لقلة واردها الـ (أفلي) • فاذا ما اقترنت هذه الحقائق بوجوب شراء شتلات البذور من مناطق أخرى لتعذر بذر البذور فى الچبايش بسبب الفيضان أيضا ، واذا ما أدخلنا فى حسابنا الربى الفاحش الذى يضطر الفلاح على دفعه لمرابى القرية بسبب اقتراضه مبلغا من المال لشراء هذه

(١) فى الفصل الثالث • يراجع كذلك الفصل الحادى عشر •

الشتلات من خارج الچبايش ، واذا ما أخذنا بنظر الاعتبار تعرض الزراعة المتأخرة الـ (أفلى) دائما الى البرد والى آفات أخرى تقلل من واردها ، اذا تدبرنا هذا كله قدرنا ان الزراعة ليست مطلقا مصدر ربح وهى لا يمكن ان تعتبر لكل ذلك فعالية أساسية فى اقتصاديات أهل القرية[1] • ومن الواضح انه لولا الفيضان لامكن زرع محاصيل شتوية وصيفية ولتغير الوضع الاقتصادى تغيرا كليا • فلو قامت الحكومة بمشروعين بسيطين أولهما (مشروع الحفار) وثانيهما (مشروع ناظم گرمة حسن) لقل تأثير الفيضان فى منطقة الچبايش كثيرا • وكلا المشروعين يسير سهل التنفيذ ولا يحتاج الى الكثير من المال والجهد • و(الحفار) بالذات ، ليس هاما من وجهة نظر الفيضان والزراعة فحسب ، اذ ان تحقيقه يصيّر زراعة آلاف من (المشارات) ممكنا فى المنطقة المحيطة به ، بل هو بالغ الاهمية من ناحية المواصلات أيضا • فهو ارتفاع فى قعر الهور فى منطقة تقع بين (الحمار) و (گرمة بنى سعيد) يتعذر على كافة وسائط النقل المائية اجتيازه لمدة اربعة اشهر من السنة ، الا المشاحيف الصغيرة فقط اذا سحبت باليد فوق قعر الهور الضحل جدا[2] • والمواصلات بين الچبايش وبين (گرمة بنى سعيد) و (سوق الشيوخ) وغيرها من القرى غير ممكنة بالمرة لكافة وسائط النقل الكبيرة طيلة السنة الا فى الشهور الاربعة التى يرتفع فيها الماء فى موسم الفيضان ، وهى ممكنة للوسائط المتوسطة الحجم فقط فى اربعة شهور أخرى ومتعذرة تماما فيما بقى من السنة من موسم انحسار الماء • وبقدر ما يتعلق الامر بفتح طرق المواصلات بين الچبايش وبين بقية المدن الواقعة على النهر ، الامر الذى تحتاجه القرية حاجة ماسة للغاية لانعاش اقتصادياتها ولربطها بالعالم الخارجي ، فان المشروع لا يحتاج غير حفر مسافة قليلة لا تعدو الثلاثين ياردة طولا والخمس عشرة ياردة عرضا • وهو عمل يمكن ان

(١) يراجع الفصل الحادى عشر •
(٢) لذا تسمى المنطقة (المزلك) لان المشاحيف (تزلك) فوق قعر الهور •

تكلف بالقيام به العشائر القريبة من (المزلگ) مثل (آل سماعيل) و (بنى مشرّف) و (بنى حطيط) و (البو شامة) وغيرها ويمكن ان ينجز بايام معدودة • وبسبب بساطته المتناهية ولان أهل المنطقة طلبوا انجازه مرات عديدة وبطرق شتى ، فان أهل الچبايش وغيرهم من العشائر التى يهمها الامر لا يجدون تفسيرا أو تعليلا لهذا الامتناع عن تنفيذ هذا المشروع البسيط غير ان الحكومة ، لاسباب تعرفها هى وحدها ، تتعمد اهمال المشروع •

ومثل آخر هو بلدية القرية • لقد المعنا سابقا ان بلديه القرية ثرية تملك مالا فائضا غير مستوظف يقرب من عشرة آلاف دينار • وواضح ان البلدية تستطيع ان تحقق بهذا المبلغ كثيرا من المشاريع النافعة • فتستطيع مثلا ان تبنى عددا من الدور للمعلمين ولبقية موظفى القرية • وتستطيع ان تقيم عددا من القناطر والجسور الصغيرة فوق العدد الكبير من الترع والقنوات المائية ، كما تستطيع بسد بعض القنوات والمجارى المائية واتباع خطة منظمة فى الردم على نطاق واسع ان تستحدث قطعا من الارض حول قسم (الناحيـة) فتوسعه • ولماذا لا تستفيد بلدية الچبايش من العشـرة آلاف دينار التى تملكها بدلا من ان تقرضها الى بلديات أخرى فى اللواء ؟ بل وما الذى يمنع من التوسع فى الاصلاحات بحيث تنقلب بلدية الچبايش الى مدينة بدلا من ان تكون دائبة لتحقيق الكثير من المشاريع التى تحتاجها القرية بصورة مستعجلة للغاية ؟ ففى كل من المدرسة والبريد والمستوصف وفى الواقع كل فرع من فروع الحكومة فى القرية مجال واسع وامكانيات كبيرة لمشاريع نافعة يمكن ان تؤدى الى اسعاد أهل القرية وتزيد كثيرا فى اعتبار الحكومة •

ومهما يكن من أمر ، ورغما عن كثرة المعايب التى المعنا الى بعضها ، فلقد كان تأثير الاتصال بين الحكومة وبين أهل الچبايش كبيرا فى أكثر من ناحية واحدة من حياة أهل العشيرة • ومن المهم ان نؤكد انه لم يتسن لهذا الاتصال ان يكون قويا مجديا لولا الغاء (المشيخة) ذلك الالغاء الذى

هز الحياة العشائرية من جذورها وزلزل قواعدها • ويمكننا ان نشير هنا ، من باب المعارضة ، الى سكان أهوار العمارة الذين لم يكن الاتصال بينهم وبين الحكومة المركزية قويا مطلقا ولم يكن بشكل من الاشكال مثمرا بسبب قوة الشيوخ هناك وتسلطهم ورسوخ النظام الاقطاعى الذى يفرضه وجودهم •

لقد حققت الحكومة فى الچبايش فى مجـال القانون والنظام كثيرا من الاصلاحات • فوضعت حدا للثأر بمبادرتها لاخذ تعهدات ملزمة من الجهة المعتدى عليها بوجوب الامتناع عن الثـأر ولزوم اللجوء الى التقاضى لدى الحكومة أو بموجب الطرق العشائرية التى تقرها الحـكومة • ولا تدفع النساء كغرامات عن الجرائم فى القضايا التى تحل عن طريق الحكومة ، ومعنى هذا انها تدفع فى جرائم محدودة • وحتى فى هذه الحالات لا يمكن اجبار عائلة المعتدى على تقديم امرأة أو اكثر كـ (فصل) اذ بمقدور تلك العائلة مراجعة الحكومة التى تفرض على مستحق (الفصل) قبول المال فقط • ولذا فقد أصبح اعطاء النساء فى الفصول اختياريا بحتا رغم ما المعنا اليه سابقا من اصرار المعتدى عليهم على أخذ نساء (فصليات) فى جرائم معينة كـ (النهيبة) • وكثير من العادات العشائرية الاخرى مثل (النهوة)[1] و (الدگة)[2] ، التى كانت تسبب كثيرا من الازعاج والمشاكل منعت من قبل الحكومة وصار مقترفها يعاقب بشدة •

وبسبب هذا الاتصال بالحكومة المركزية صار شعور أهل الچبايش بوجود الحكومة اشد بكثير من شعورهم بعشيرتهم • فلا شيخ فى القرية اليوم يرجع اليه كرئيس سياسى وكأب وقائد للعشيرة • و (السراكيل) لا يختلفون من حيث علاقتهم بالحكومة وبأفراد العشـيرة ، عن الموظفـين الا قليلا • ولا توجد حروب عشائرية تذكى شعور أفراد العشيرة بنظمهم وتقاليدهم وروحهم الجماعية Esprit de corps • ومن جهة أخرى يذهب أولاد القرية كل يوم الى مدرسة الحكومة كما يستفيد أهل العشيرة من

(١) يراجع الفصل الرابع •
(٢) يراجع الفصل الخامس •

القسم الرابع

النظـــام الاقتصـــادى

THE ECONOMY

مستوصف الحكومة كلما احتاجوا أو ارادوا ذلك • ويستطيع الواحد منهم ان يرفع الشكوى فى دار الحكومة ضد من يسىء اليه من أفـراد القرية حتى لو كان ذلك المسىء (سركال) حمولته •

ولم يكن الاتصال بين الحكومة وأهل القرية أقل تأثيرا فى النواحى الاخرى من حياة أهل العشيرة • ففى النواحى الاقتصادية ، كان لاستتباب الامن وفتح طرق المواصلات أبلغ الاثر فى زيادة الاتصال بالعالم الخارجى وخلق طبقات اقتصادية جديدة ، كالتجار واصحاب المخازن الذين جازفوا بخرق النظم الاقتصادية القديمة والخروج عليها واتباع آخرى حديثة لا عهد للعشيرة بها من قبل• ولقد شجعت التجارة نفسها الاتصال بالمدن المجاورة فأدت الى ادخال كثير من معالم الحياة الحضرية الى القرية • وقد خلق ادخال التعليم الى القرية ، رغم انه ابتدائى وفيه كثير من المعايب والنواقص ، طبقة تعرف القراءة والكتابة وشجع كثيرا على الانخراط فى خدمة الحكومة وجعل اولئك الذين يحرمون فرصة العمل فى الحكومة فيضطرون على البقاء فى القرية يميلون دائما الى اتباع اساليب حديثة فى كسب معاشهم هى فى أكثر الحالات التجـارة أو ادارة الدكاكين عوضا عن تمسـكهم بالاساليب الاقتصادية القديمة للعشيرة كحياكة الحصر والزراعة وما الى ذلك •

ان الظروف التى تهيأت للاتصال بين الحكومة المركزية والچبايش ظروف مثالية للحصول على أطيب الثمرات من اتصال حكومة حديثة بمجتمع عشائرى ، ولذا فكان المتوقع ان يؤدى ذلك الاتصال الى نتائج خطيرة فعالة فى ميدان التطور الحضارى • فعدم وجود شيخ فى القرية ، وتعرض أفراد العشيرة الى الظلم وتعودهم على الخضوع لمدة طويلة أيـام حكم الشـيوخ الاقطاعيين ، والفقر والعوز الاقتصاديين التى كانت العشيرة تعيش فيهما فى السنين الاخيرة لـ (مشيخة) نتيجة للحروب والجلاءات العسكرية وعدم الاستقرار ، كل هذه هيأت ظروفا طيبة لاتصال حضارى كان يمكن أن يساهم كثيرا فى تحسين أحوال العشيرة • ولكن الكثير من آثار هذا الاتصال ضاع وتبدد نتيجة لعدم كفاية ولفساد الجهاز الحكومى فى القرية •

الفصل العاشر

الأراضي

١ ـ لمحة تاريخية

حتى وقت متأخر فى القرن التاسع عشر ، كانت كافة الاراضى الزراعية فى منطقة المنتفك ، بما فى ذلك منطقة الجبايش والحمار ، ملكا عشائريا تتصرف بها عشائر عدة ، سواء أكانت تلك الاراضى صالحة أو غير صالحة للزراعة . وقبيل نهاية القرن السادس عشر جاء هذه المنطقة من مكة (آل سعدون) ، وهى عائلة تنتسب لاحد أشراف مكة ، فمكنهم نسبهم الرفيع وبراعتهم فى التحكيم فى المنازعات العشائرية ومهارتهم فى فنون الحرب والقتال من السيطرة على عشيرة (بنى مالك) وانتزاع قيادتها ، وهى العشيرة التى لجأوا اليها وعاشوا فى حمايتها . ثم حصلوا بعدئذ على زعامة عشيرة (الاجود) واخيرا عشيرة (بنى سعيد) . فشكلت هذه العشائر الثلاث تحت زعامة (آل سعدون) اتحادا عشائريا قويا عرف بـ (اتحاد عشائر المنتفك) . ولقد قنع (آل سعدون) من اتباعهم فى بداية عهد مشيختهم بتقديم الاتاوة والخدمة العسكرية والاعتراف بسلطتهم وافضليتهم . وكان (آل سعدون) بحكم كونهم شيوخا يملكون كافة الاراضى التى يحتلها اتحاد عشائر المنتفك .

وفى عام ١٨٦٩ عين المصلح الكبير مدحة باشا واليا على بغداد . فرأى بثاقب بصره أن عدم الاستقرار السياسى هو أساس بلية العراق ، وان عشائره تحتاج فى استغلالها الارض الى ضمانات . كما رأى أن ليس هناك من العوامل ما يشجع تلك العشائر الرحل على زراعة الارض والاستقرار فيها . ولذا ، فقد اتخذ سياسة ترمى الى الاستقرار ، سياسة كانت « من ناحية

جديدة تلك هى الارض نفسها »[1] . فأدخل مدحة باشا نظام الطابو الذى باع بواسطته « لحاملى الفرمانات[2] والبويوريلدات[3] التى حصلوا عليها فى عهود سابقة ، وللقرويين الذين فتحوا قنوات أو زرعوا بساتين ، وأهم من كل ما تقدم لشيوخ العشائر فى مناطقهم العشائرية ، بأثمان ضئيلة بخسة قطعا صغيرة أو كبيرة من اراضي الحكومة بشروط تمنح ضمانات تامة فى الارض المشتراة رغم انها لا تمنح ملكيتها الفعلية »[4] . ولكن افراد العشائر فى العراق عامة وفى منطقة المنتفك بصورة خاصة لم يحاولوا الاستفادة من هذه التسهيلات لانهم كانوا ينظرون للاتراك واصلاحاتهم دائما نظرة شك وريبة . وفوق هذا « فان افراد العشائر كانوا يرون فى الاستقرار تعريضهم بشكل اسهل لدفع الضرائب الحكومية وانزال العقاب بالجناة »[5] بالاضافة الى الخدمة العسكرية التى تفرضها الدولة .

وفى عام ١٨٨٠ ، أى بعد حوالى عشر سنوات من ادخال سياسة مدحة باشا الجديدة الى العراق ، وحين بدأت الحكومة التركية تفرض سيطرة فعالة على منطقة المنتفك ، أعلنت تلك الحكومة ان كافة الاراضى التى تستغلها العشائر تعتبر اراضى حكومية ، وأصرت على وجوب مبادرة كافة (آل سعدون) والشيوخ الآخرين لشراء الاراضى التي يستغلها افراد عشائرهم من دوائر الطابو ان ارادوا ان تعتبر تلك الاراضى ملكا لهم . فأسرع شيوخ (آل سعدون) لشراء سندات الطابو لاراض ومقاطعات غير واضحة الحدود تقع فى مناطقهم العشائرية بأسعار اسمية . وبهذا انقلب الشيوخ اصحاب

(1) Longrigg, H.S., op. cit., p. 306.

(٢) الفرمان كلمة فارسية معناها ارادة ملكية أو سلطانية بتعيين فى مركز أو هبة مال أو أرض .

(٣) البويوريلدى كلمة تركية معناها الوثيقة التى يهبها الوالى عند منح امتياز أو تعيين فى وظيفة .

(٤) نفس المرجع ، صفحة ٣٠٦ .

(٥) نفس المرجع ، صفحة ٣٠٦ .

اراض Landlords فى حين تغير وضع افراد العشائر من اصحاب الارض الفعليين الى مجرد مستأجرين Tenants لها . وبعد زمن بدأ بعض كبار مشايخ (آل سعدون) يبيعون حقوق ملكيتهم للارض فى أغلب الحالات لاشخاص من غير أفراد العشائر . فاشترى كثير من أعيان المدن الاثرياء فى بغداد والبصرة سندات طابو تخولهم ملكية قطع أرض واسعة فى المناطق العشائرية . وبما أن اولئك الاعيان ظلوا يعيشون بعيدا عن الارض التى يملكونها Absentee landlords فلم يستطيعوا بسبب ذلك أن يجمعوا أية ايجارات أو عوائد من أراضيهم ، فانهم اكتفوا بتأجير حقوقهم فى الارض الى رجال آخرين من أهل المدن كانت لهم فرص أحسن وظروف أنسب لجمع الايجارات والعوائد من أهل العشائر . ولذا فان أراضى العشائر فى منطقة المنتفك قسمت بين الدولة وشيوخ (آل سعدون) وأفراد آخرين .

وما ان تسلح (آل سعدون) بسندات الطابو حتى بدأوا يرهقون أفراد العشائر الذين يزرعون فى الاراضى التى يملكونها بما يفرضون عليهم من ضرائب وعوائد . فلقد كان (آل سعدون) قبل ذلك لا يتقاضون الا حصة ثابتة مما تنتجه الارض من غلة ، كما يفعل بقية الشيوخ . ولكنهم بعد أن ملكوا الارض بالطابو صاروا يفرضون على مستغليها ايجارات ثابتة بغض النظر عن منتوجها وغلتها . فرفض أفراد العشائر تلبية المطالب الجائرة . وكنتيجة لضعف الحكومة العثمانية فى تلك الفترة لم تستطع هى ولا شيوخ (آل سعدون) أو غيرهم من مالكى الاراضى جباية غير جزء يسير من حصتهم أو ايجاراتهم من أفراد العشائر . فنشأت عن هذه الوضعية منازعات حادة « فلقد كان المزارعون من أفراد العشائر ينظرون لمالكى الارض كدخلاء يفرضون عليهم وهم أصحاب الارض الشرعيون ، مطالب جائرة »[6] .

(6) The Admiralty and War Office, Handbook of Mesopotamia, Vol. I, p. 194, London, 1918.

فثار رجال العشائر واستطاعوا فى بعض الحالات أن يبعدوا ، بعد المصادمات والقتال ، أغلب مالكى الارض من (آل سعدون) وغيرهم من الارض التى كانوا يملكون • وعندئذ ظهر لكل قطعة ارض شخصان كل يدعى الحق فى ملكيتها : الفلاح العشائرى الذى كان منذ عهود واجيال يشغلها ويعيش عليها ، ومالكها الذى يحمل سند الطابو ويعيش بعيدا عنها فى احدى الحواضر •

ولم يكن من المستطاع تسوية هذه المنازعات حول الارض وملكيتها بصورة نهائية ابان الاحتلال الانجليزى (١٩١٥ – ١٩٢٠)• فلجأت السلطات البريطانية الى حل عملي موقت ، اذ اعترفت بحقوق مالكى الاراضى فى أراضيهم وصارت تجمع عنهم ضريبة مقدارها ٧٫٥٪ من ثمن المحصول الذى تغله ارضهم وتحفظها فى خزينة الحكومة لتدفع لهم بعد الوصول الى تسوية نهائية فى حقوق ملكية اراضيهم تلك •

ولقد حاولت الحكومة العراقية أيضا حل معضل ملكية الارض فى منطقة المنتفك • فسنت لهذا الغرض « قانون حسم النزاع فى اراضى المنتفك رقم ٢٣ الصادر فى اليوم الرابع من شهر نيسان عام ١٩٢٩ » ، ولكن ذلك القانون ظل حبرا على ورق وظل معضل الاراضى فى المنتفك غير محلول حتى عام ١٩٥٢ ، حيث أصدرت الحكومة فى ذلك العام قانونا جديدا هو « قانون حسم النزاع فى الاراضى الاميرية المفوضة بالطابو فى لواء المنتفك رقم ٤٠ سنة ١٩٥٢ »(٧) • وبموجب هذا القانون الجديد تصبح كافة الاراضى الاميرية المفوضة بالطابو فى اللواء المذكور التى كان يتصرف بها فعلا أفراد غيرالذين يحملون سندات الطابو الخاصة بملكيتها ملكا للحكومة ، وتعوض الحكومة حملة سندات الطابو نقدا أو بقطع من أرض أميرية • ويمنح الاشخاص الذين كانوا يتصرفون بالارض حق اللزمة فيها بعد أن يدفعوا للحكومة نصف البدل الذى تحدده لارضهم بواسطة لجنة من خبراء

(٧) الوقائع العراقية ، العدد رقم ٣٠٩٦ الصادر فى الثامن من شهر مايس عام ١٩٥٢ •

حكوميين ومحليين • ويدفع لحملة سندات الطابو بعد الوصول الى التسوية النهائية كافة ما جمعته الادارة البريطانية والحكومة العراقية من ضريبة الـ ٧٫٥٪ من ثمن محصول الارض منذ عام ١٩١٥ بعد خصم ١٠٪ منها • ولقد منع هذا القانون الادارة والمحاكم من النظر فى أية قضية تتعلق بملكية الاراضى أو استغلالها فى لواء المنتفك قبل أن يحل المعضل كله بصورة نهائية(٨) ورغم هذا كله فانه لم تتخذ الى الآن الاجراءات اللازمة لتنفيذ هذا القانون باستثناء جزء يسير من المرحلة الاولى التحضيرية وهى تعيين ثمن الارض لغرض تعويض حملة سندات الطابو •

كانت كافة الاراضى الزراعية فى ظل المشيخة الاقطاعية ، في الچبايش وفى غيرها من المناطق القبلية ، ملكا صرفا للشيخ • وعلى هذا ، فتعيين الارض للفلاحين لاستغلالها وزرعها كان محصورا بيده بصورة مطلقة • وكان من عادة الشيخ أن يعين لكل حمولة قطعا من الارض تكفى حاجة أفرادها • فتوزع الحمولة الارض بين أفخاذها تحت رقابة الشيخ وبموافقته • وباستثناء حقوق الافراد فى ملكية جزر السكنى التى يقطنونها ، لم تكن هناك حقوق ملكية فردية فى أى نوع من أنواع الاراضى لاى شخص غير الشيخ نفسه •

وكثير من الاراضى الزراعية التى يستغلها أهل الچبايش الآن مثل (شط البخاترة) و (بحران) و (ابو الرميل) و (الطينة) كانت سابقا مفوضة بالطابو لعائلة (آل سعدون) • ونادرا ما دفع الشيوخ (الخيونيون) الذين حكموا أهل الچبايش ايجارا عن الاراضى التى كانوا يستغلونها طيلة الفترة التى كان فيها (آل سعدون) يحاولون جمع ضرائب (ملاكية) بصفتهم اصحاب الارض ومالكيها • وكان ذلك الامتناع عن دفع (الملاكية) سبب كثير من الحروب التى وقعت بين الطرفين • ولكن اعتبارا من عام ١٩١٥ حملت السلطات البريطانية (آل خيون) على الدفع • وفى السنوات الاخيرة تقلصت مساحة الاراضى القابلة للزراعة لحد كبير بسبب الفيضانات • هذا

(٨) القانون المذكور •

بالاضافة الى ان كثيرا من حملة سندات الطابو تجاوزوا عن حقوقهم في اراضيهم لاسباب مختلفة • فلم يبق فى الچبايش ، لتلك الاسباب ، من الاراضى التى تزرع الآن والتى كانت اصلا مفوضة بالطابو لـ (آل سعدون) أو لغيرهم غير قطع قليلة جدا • وأغلب أمثال هذه الاراضى لا يدفع مستغلوها ضريبة (الملاكية) لحاملى سندات الطابو • ففى عام ١٩٥٢[٩] كانت في الچبايش قطعة واحدة فقط ، هى (شط البخاترة) دفع مستغلوها ضريبة الـ ٧٫٥٪ للحكومة • اما القطع الثلاث الاخرى ، وهى (الطينة) و (ابو الرميل) و (بحران) فرغم كونها اصلا اراض مفوضة بالطابو فان مستغليها يدفعون عنها للحكومة ضرائب كما لو كانت تلك القطع اراضى أميرية •

ولقد كانت كافة الاراضى التى يستغلها (بنى اسد) أيام المشيخة الاقطاعية مأخوذة بالقوة من عشائر أخرى أو أراض أميرية احتلتها تلك العشيرة بصورة كيفية • ويبين تاريخ (بنى اسد) فى منطقة الچبايش انهم زرعوا أراضى اعدائهم فى مناطق (المجرة) و (العمارة) و (الحويزة) لمدد مختلفة • وقبيل نهاية القرن الماضى ، وبعد اندحار الشيخ (حسن آل خيون) فى معركته مع الجيش العثمانى ، اتخذت عشيرة (بنى أسد) الچبايش موطنا دائميا لها • ومنذ ذلك الحين تركت أراضى واسعة وغنية مثل (ابو عجاج) و (العبد) و (الهميلة) و (العويدية) وغيرها من الاراضى التى كانت العشيرة تزرعها ، كما بدأت تستغل قطعا جديدة لم يسبق ان زرعت من قبل ، تقع أغلبها جوار الچبايش أو حولها • وفي هذه الظروف الجديدة التى انتفت فيها زراعة المحاصيل الشتوية واصبحت الزراعة الصيفية عرضية وغير مربحة بسبب الفيضانات المتلاحقة ، اتخذت حياكة الحصر وسيلة لكسب العيش واضحت الزراعة بصورة حتمية أقل أثرا وأهمية في اقتصاديات أهل الچبايش •

(٩) لم يزرع اهل الچبايش عام ١٩٥٣ ، العام الذى امضيته فى القرية لدراستها ، بسبب الفيضان • راجع الفصل الحادى عشر •

٢ – الوضع الراهن فى التصرف بالاراضى

توجد اليوم اربعة اصناف من الارض فى الچبايش هى :

أ – الجزر المستعملة للسكنى (ديران) •

ب – قطعة أرض مُشيّدة عليها دكاكين ودور مبنية بالآجر (الناحية) •

ج – الاراضى غير الصالحة للزراعة (خراب) •

د – الاراضى الصالحة للزراعة (عمار) ، والتى يمكن تقسيمها الى أراض تستثمر (تزرع) وأخرى يغطيها الماء (غامرة) •

ان من المعتاد حين تصنف الارض فى العراق أن تعتبر مكونة من أراض صالحة للزراعة Cultivable واراض غير صالحة للزراعة Uncultivable . وتصنف الاراضى الصالحة للزراعة الى أراض مزروعة Cultivated واراض غير مزروعة Uncultivated • وتقسم الاولى ، المزروعة ، الى مستثمرة Cropped ومتروكة[١٠] Fallow بسبب مزاولة الزراعة المتنقلة[١١] Shifting cultivation • وسنتبع هذا التقسيم وهذه الاصطلاحات هنا مع تغيير واحد • ففى الچبايش لا تترك ارض صالحة للزراعة دون أن تستغل ، كما لا تترك ارض مزروعة على أساس الزراعة المتنقلة (نير ونير) • فبسبب الفيضان تغرق أغلب الارض الصالحة للزراعة ، وحين تظهر أية قطعة من الارض بعد انحسار الماء عنها فى وقت يجعل زراعتها ممكنة فانها تستغل • وعلى هذا فيستحسن فى رأينا ان تقسم الاراضى الصالحة للزراعة فى الچبايش الى مستثمرة Cropped ومغمورة بالمياه Flooded .

(١٠) راجع مثلا :
Warriner, D., Land and Poverty in the Middle East, London, 1948, pp. 99—102.

(١١) لاسباب عدة منها زيادة الارض عن الحاجة وقلة الايدى العاملة أو البذور واعتقاد الفلاحين بوجوب اراحة الارض لتأتي بمحصول أجود ، قد يزرع الفلاح نصف أرضه ويترك نصفها الآخر (بور) وهى الطريقة التى تسمى محليا (نير ونير) •

الجزر المستعملة للسكنى :

ان كافة الجزر التى يسكنها أهل الچبايش والتى يقرب عددها من الف وستمائة جزيرة يملكها بصورة خاصة قاطنوها • وكانت هذه الجزر كلها مستحدثة اصلا برفع مستوى الارض في مواسم الفيضان الواطىء بفرش طبقات من البردى والقصب والتراب • وقليل من هذه الجزر التى تكثر فيها أشجار النخيل قد صيرت بساتين نخل ، وواحدة أو اثنتين من الجزر الواسعة غير المسكونة تؤجر الى اناس خارجين ، يطلق عليهم (حساوية) ، ليزرعوها (مخضرات)[12] •

ورغم أن هذه الجزر يمكن بيعها وتأجيرها ورهنها ، فان قليلا من هذا يحدث في القرية • فالبيع والشراء نادر لان كل عائلة تسكن جزيرتها الخاصة بها ويستثنى من هذا الحالات التى تترك فيها احدى العوائل الچبايش بصورة نهائية لتقطن في مكان آخر ، وهذه حالات نادرة الحدوث ، والحالات التى تنقسم فيها العائلة نتيجة حدوث نزاع بين بعض أفرادها أو عند زواج بعضهم ورغبتهم في تكوين عوائل مستقلة مع زوجاتهم • واستئجار الجزر نادر جدا كذلك • ولا يمكن حدوثه الا عند غياب صاحب الجزيرة موقتا • فلقد كان بمقدورى أنا مثلا استئجار جزيرة يملكها شخص كان فى السابق عبدا من عبيد الشيخ (سالم آل خيون) • فلما انفصمت العلاقة بينه وبين سيده بعد الغاء المشيخة هجر الچبايش الى البصرة طلبا للرزق ، فصار يؤجر جزيرته الخاليه فى القرية • ولقد سكنها قبلى مدير المدرسة • ولقد استطعت أن احصى عددا قليلا آخر من حالات مشابهة • ويحدث الرهن على نطاق واسع نسبيا بسبب الحاجة الى مبالغ كبيرة من المال • فصاحب الجزيرة المحتاج يرهن جزيرته بمبلغ أقل من ثمنها الحقيقى لعدد معين من السنين • ويحق للذى ترهن الجزيرة لديه أن يستعمل الجزيرة طيلة فترة الرهن بأى شكل يشاء وأن يستثمر نخيلها • فان لم يفك رهن الجزيرة قبل نهاية المدة المتفق عليها تصبح ملكا

(١٢) راجع الفصل الحادى عشر •

للذى كانت مرهونة لديه • وشأن بساتين النخيل كشأن جزر السكنى فى البيع والاستئجار والرهن •

الدكاكين والدور المبنية بالآجر :

يوجد فى القرية خمسة وستون دكانا واربع وعشرون دارا للسكنى مبنية فى قسم الناحية[13] من القرية • ولان هذا القسم يقع فى حدود بلدية القرية فان كافة الاراضى فيه تعتبر ملكا للحكومة ما لم تستملك بصورة خاصة • وكانت كافة هذه الدكاكين وعشرون من الدور قد بنيت واشغلت من قبل أهل الچبايش فى أوقات مختلفة بعد عام ١٩٢٤ • فلم تشتر الارض التى بنيت عليها تلك الدور والدكاكين من الحكومة ، كما لم يدفع اصحابها ايجارا للحكومة طيلة هذه المدة • فالذين بنوا الدكاكين اشتروا مواقعها من (النگاشة)[14] الذين كانوا يشغلون تلك الاراضى زمنا فتكونت لهم بذلك الاشغال حقوق مكتسبة فيها • فبنوا عليها دورا ودكاكين وصاروا يؤجرونها للمستأجرين أو يشغلونها هم أنفسهم • ولا تقيد الحكومة حركة البناء هذه رغم انها تجرى على أرض لا يملكها البانى ؛ ولكن الحكومة ستشكل فى السنين القليلة القادمة لجنة لتثمين الارض وسيطلب من شاغلى تلك الاراضى دفع اثمانها الى الحكومة • وستزودهم الحكومة بسندات طابو لتلك الارض تثبت ملكيتهم التامة لها • فان ثبت لدى اللجنة بان تكليف البناء المقام على قطعة أرض ما أقل من السعر الذى قدرته اللجنة لها ، فان الحكومة تهدم البناء وتعود الارض ثانية لها •

الارض غير الصالحة للزراعة (الخراب) :

توجد مساحات شاسعة من الاراضى حول الچبايش وجنوب نهر الفرات

(١٣) راجع الفصل الثالث •

(١٤) (النگاش) والجمع (نگاشه) صاحب الحق المكتسب في ملكية الارض نتيجة لاشغاله هو أو اشغال ابيه من قبله لها مدة من الزمن • انظر ما بعده •

وعلى الحافة الجنوبية لهور الحمار لا تتيسر زراعتها بسبب الفيضان ، وهذه الاراضى أما أميرية واما تحت تصرف (السراكيل) • وينبت فى أغلب هذه الاراضى البردى والقصب فى مساحات تمتد عدة أميال • كما تنبت أمثال هذه الاراضى التى تبرز وسط الهور فى موسم هبوط الماء ، والاراضى التى تقع وراء الحافة الجنوبية لهور الحمار مراعى غنية من العشب •

ولكى نعطى فكرة عن نسبة الاراضى غير الصالحة للزراعة للاراضى الصالحة للزراعة ندرج فى الجدول التالى مساحات واصناف الاراضى التى يتصرف بها (عبدالهادى آل خيون) (سركال) حمولة (آل الشيخ) •

جدول رقم (١٤)

الاراضى الصالحة للزراعة وغير الصالحة للزراعة التى تحت تصرف (عبدالهادى آل خيون) سركال حمولة (آل الشيخ)

	اسم القطعة	المساحة الكلية للقطعة بالحبل(١٥)	مساحةالصالح منها للزراعة (عمار)	مساحةغيرالصالح منها للزراعة (خراب)	نسبة الارض غير الصالحة للزراعة الىالمساحةالكلية
١	الصباغية	١٢٠٠	٤٠٠	٨٠٠	٦٦ر٧٪
٢	ابو سيباية	٢٢٠	٢٠	٢٠٠	٩٠ر٩٪
٣	سجير عباس	١٢٠	٢٠	١٠٠	٨٣ر٣٪
٤	حسجة	١٠٥	٥	١٠٠	٩٤ر٨٪
٥	الجديدة	١٠٨	٨	١٠٠	٩٢ر٦٪
٦	لغميجة	٧٥٠	١٥٠	٦٠٠	٨٠٪
٧	بريجة	٢٠٠	٥٠	١٥٠	٧٥٪
٨	الطينة	٢٣٠٠	٣٠٠	٢٠٠٠	٨٧٪
٩	الجرباسى	١٢٠٠	٢٠٠	١٠٠٠	٨٣ر٣٪
١٠	الجزرة	١٥٠٠	١٠٠	١٤٠٠	٩٣ر٣٪
١١	مجيول	٢٠٠٠	—	٢٠٠٠	١٠٠٪
١٢	النبى ابراهيم	٢٠٠٠	—	٢٠٠٠	١٠٠٪
١٣	الساجية	٧٠٠	٢٠٠	٥٠٠	٧١ر٤٪
		١٢٤٠٣	١٤٥٣	١٠٩٥٠	٨٨ر٣٪

(١٥) الحبل هو المقياس المحلى للمساحات ويساوى ٦٢٥ر٠ من الاكر •

ولاهل الچبايش حرية تامة فى ان يجمعوا القصب أو البردى وان يحشوا الحشيش فى الاراضى الاميرية • أما فى الاراضى التى تحت تصرف السراكيل فان جمع القصب والبردى فقط مسموح بهما[١٦] • فاذا كانت الارض التى تحت تصرف السركال تنبت عشبا ، كالقطع الواقعة على الحافة الجنوبية لهور الحمار مثل (الچرباسى) و (الجزرة) ، فان حق رعى ذلك العشب ، ويدعى (شاة مرتع) أو (شاة مرعى) يباع من قبل (السركال) لرعاة الغنم البدو (الشاوية) الذين يفدون الى المنطقة فى موسم معين من كل عام • فلقد بيع حق رعى عشب نصف قطعة (الجزرة) من قبل (عبدالهادى آل خيون) لموسم ١٩٥٢ بخمسين دينارا وخمسين رأس غنم (ذبيحة) • وتوجد فى منطقة الچبايش ثلاث قطع من هذا النوع ؛ اثنتان منها ملتزمتان شراكة بين (عبدالهادى آل خيون) سركال حمولة (آل الشيخ) و (فيصل آل ياسر) سركال حمولة (آل ونيس) والثالثة تحت تصرف (ثعبان آل خيون) ابن شيخ العشيرة السابق •

الارض الصالحة للزراعة (العمار) :

توجد ثلاثة أصناف من الاراضى الصالحة للزراعة فى الچبايش ؛ الاول (الاراضى الاميرية الصرفة) التى كان أهل الچبايش يستغلونها منذ وقت طويل دون أن يحصلوا على الحق القانونى الذى يخولهم ذلك • ويدعى مثل هذا الاستغلال (زراعة فضولية) • ولان الحكومة تنتظر الان حلا نهائيا لمشكلة الاراضى فى اللواء كله فانها لا تعترض على هذا الاستغلال غير القانونى، غير انها تتقاضى عن الاراضى المستغلة بهذه الطريقة ضريبة مضاعفة،

(١٦) هناك استثناء واحد لهذه القاعدة هو مقاطعة (الصباغية) التى يباع البردى الذى ينبت فيها لاصحاب مفاخر الآجر (الكور) فى مناطق العمارة والبصرة • فيرسل هؤلاء عمالا الى (الصباغية) ليجمعوا البردى ويحزموه على هيئة اكلاك تسمى (كارات) ثم تطوف فى النهر مع التيار الى القرنة فتنقل من هناك بوسائط أخرى • ولقد بيع بردى (الصباغية) عام ١٩٥٣ باثنى عشر دينارا •

أى ٣٠٪ من ثمن المحصول الكلى Gross produce للارض ٠

والصنف الثانى هو أراض أميرية ايضا ولكن مستغلى هذه الاراضى دفعوا ، بموجب قانون خاص نفذ بين سنتى ١٩٣٨ – ١٩٤٧ ، ضريبة خاصة لمدة عشر سنوات ٠ ولقد احتسبت تلك الضريبة على أساس انتاج الارض للسنوات الثلاث التى سبقت تطبيق القانون ٠ وستصبح كل أرض دفع مستغلها الضريبة المذكورة لمدة عشر سنوات ، بعد التسوية النهائية ملكا (طابو) لمستغلها ، وتسمى مثل هذه الارض (مطفيه) ٠

اما الصنف الثالث من هذه الاراضى الصالحة للزراعة فهى الاراضى التى يملكها (آل سعدون) أو غيرهم من مالكى الاراضى ، وتدعى أراضى (مملوكة) أو (طابو) ٠ وكما أشرنا سابقا ، توجد فى الجبايش قطعة أرض واحدة من هذا الصنف وأن الحكومة تجبى ٥ر٧٪ من حاصلها كضريبة اضافية فوق الضريبة الاعتيادية البالغة ١٥٪ ٠

ان أى صنف من هذه الاصناف الثلاثة من الارض الصالحة للزراعة يمكن ان تستغل من قبل الفلاحين باحدى الطرق الآتية :

١ – الفلاحة : يعطى صاحب الارض قطعة منها لفلاح أو لعدد من الفلاحين ليزرعها موسما زراعيا واحدا على أساس مبدأ اقتسام الحاصل Crop-sharing الذى يتقاضى صاحب الارض بموجبه ثلث الحاصل الصافى Net crop ويترك للفلاح الباقى[١٧] ويكتب (مقاولة) كل سنة قبيل بدء موسم الزراعة ، فان لم يجدد الفلاح (المقاولة) فلا حق له فى زراعة الارض مرة أخرى ٠ وفيما يلى نص حرفى لواحدة من هذه المقاولات التى يكتب عدد كبير منها بين الفلاحين واصحاب الاراضى قبيل كل موسم زراعى ٠

(١٧) ان كانت الارض جيدة فالقسمة نصف للفلاح ونصف لصاحب الارض ، وحين تكون عكس ذلك فان صاحبها يحاول جذب الفلاحين لزراعتها بأن يجعل القسمة ربع له وثلاثة ارباع للفلاحين ٠

ورقة مزارعة

اننا الموقعين ادناه كل من موسى الحاجم وحيال الحسين من عشيرة[١٨] آل الشيخ لقد التزمنا من يد السركال عبدالهادى فلاحة حبلين لكل واحد منا فى أراضى أم التمن ملزومين بالتعمير[١٩] والهراك[٢٠] والزرع واذا خالفنا شرط واحد من هذه الشروط فله الحق فى اظهارنا[٢١] من الارض واعطاءها لمن يشاء وليس لنا حق الادعاء والقسامية[٢٢] هى ثلث الحاصلات للسركال عبدالهادى ولهذا أعطينا هذه الورقة على أنفسنا /٢٨–٤–١٩٤٨ ٠

عن اقرار موسى الحاجم   عن اقرار حيال الحسين

شاهد ماهود الطاهر

ويعم نظام الفلاحة هذا فى الاراضى (المطفية) ويكون هو النظام السائد حين يكون الفلاحون من غير حمولة صاحب الارض ٠

٢ – النكشة : حين يستمر الفلاح على زراعة قطعة ارض لعدد من السنين ، وخاصة اذا خلف والده فى زراعة تلك الارض ، فانه يحصل على حقوق مكتسبة فى اشغال تلك الارض ٠ ويسمى مثل هذا الشاغل للارض (نكاش) ، ولا يستطيع صاحب الارض ان يخرجه منها ما لم يمتنع (النكاش) ، دون ما سبب مقبول ، عن زراعتها ودفع حصة صاحبها ٠ وتراعى فى حالة استغلال الارض (بالنكشة) عين مقاييس قسمة الحاصلات النافذة فى طريقة (الفلاحة) ٠ كما يستطيع (النكاش) ان يبيع حق (النكشة)

(١٨) المقصود حمولة ، فقد يطلق على الحمولة اسم عشيرة مبالغة وتعظيما ٠ راجع ص ١٧٥ ، الفصل الخامس ٠
(١٩) التعمير معناه الحراثة بالمسحاة ٠
(٢٠) الهراك هو قطع البردى والنباتات المائية الاخرى التى تنمو عادة على الارض التى يغمرها الماء طويلا ٠
(٢١) اظهارنا بمعنى اخراجنا ٠
(٢٢) القسامية أى مبدأ قسمة الحاصلات ٠

فيحق لمن يشتريها ان يتمتع بنفس امتيازات (النگاش) • ورهن (حگ النگشة) اجراء كثير الحدوث ولقد استطعت أن اسجل عدة أمثلة عليه فى القرية • فان شاء (نگاش) أن يتغيب عن القرية أو لم يكن بمقدوره أن يزرع ارضه فى سنة من السنين فانه يستطيع أن يرهنها أو ، وهذا أعم ، ان يجد فلاحا محتاجا فيعاونه بالبذور أو بالنقود ليزرع له أرضه على أساس قسمة فى المحاصيل يتفق عليها بينهما •

٣ – وفى حالة اراضى حمولة واحدة فقط ، هى حمولة (الحداديين) فان الارض تستغل بموجب نظام خاص • فرغم ان كافة الاراضى التى تستغلها الحمولة مسجلة باسم سراكيلها الثلاثة فقط فان تلك الاراضى فى الواقع موزعة بين جميع فلاحى الحمولة ، كل له قطعته الخاصة به • وللسراكيل قطع بسعة قطع الفلاحين تماما • ولتثبيت حقوق الفلاحين فى الارض يربط السركال بفلاحيه بتعهدات خطية (مقاولات) ينص فى كل (مقاولة) على سعة ومكان الارض التى يستغلها الفلاح • على ان للسراكيل الثلاثة امتيازا خاصا هو عدم دفعهم حصة من الضريبة عن القطع التى يستغلونها ، اذ تدفع تلك الضريبة بصورة جماعية من قبل كافة فلاحى الحمولة على اساس عدد الحبال التى يزرعها كل فلاح • ويسمى هذا الامتياز (طليعة) • وللفلاحين فى حمولة (الحداديين) حق بيع أو رهن أو تأجير قطعهم من الارض بصورة داخلية دون أن يؤثر ذلك على اتفاقية استغلال الارض النافذة بين الحكومة والسراكيل •

وتستوفى كافة ضرائب الارض على اساس تقديرى يدعى (خرص) • فحين يكون المحصول ناضجا وعلى وشك ان يحصد ، تخرج لجنة مؤلفة من موظفين اثنين وخبير محلى فتجوب الحقول وتقدر المحصول الكلي لكل حقل وقطعة ارض • ثم تقدر الحكومة اسعار الحاصلات وتحتسب ضريبة الارض على اساس هذه الاسعار •

ان الارض الصالحة للزراعة فى الجبايش اكثر كثيرا من حاجة

الفلاحين • ولكن الزراعة كما سنبين فيما بعد[٢٣] غير مضمونة ولا مربحة مطلقا • فبسبب الفيضانات المتكررة التى حدثت فى السنين الاخيرة فان قطع الارض المرتفعة جدا التى لا يغمرها الماء فى موسم الفيضان ، أو القطع المرتفعة التى ينحسر الماء عنها قبل غيرها عند بدء هبوط مستواه ، هى وحدها التى يرغب الفلاحون فى زراعتها ويقبلون عليها • ومن جهة أخرى فان الارض التى يتكرر انغمارها بالماء كل عام تنمو فيها كميات كبيرة من البردى فيقتضى تنظيفها واعدادها للزراعة مجهودا ضخما • هذا بالاضافة الى انها لا ينحسر عنها الماء فى وقت يجعل زراعتها مربحة اذ ان الزراعة كلما تأخرت قل حاصلها فتضاءل الربح منها • ولذا فان القطع المرتفعة تستغل عادة من قبل (نگاشة) منذ زمن طويل • ولذا فلا يكاد يوجد موضوع التزام أو توزيع لمثل هذه الاراضى اذ ان كل (نگاش) يستغل أرضه ، التى تكون عادة بحكم صعوبة الحصول على المبالغ اللازمة لتوفير البذور صغيرة المساحة لا تكفى لاكثر من سد حاجة الاستهلاك العائلى لمستغلها • ولكن قد يحدث فى بعض الاحيان ان يحال بين (النگاش) وبين زراعة ارضه فيخرجه بناء على ذلك صاحب الارض منها ويفسخ (نگشته) • وفى مثل هذه الحالة يستطيع صاحب الارض أن يعطيها لاىشخص يشاء •ولكنه رغم تمتعه بحرية الاختيار فان التقاليد العشائرية تفرض عليه ان يأخذ بنظر الاعتبار وجوب تفضيل الافراد المعوزين أو ربما فضل هو (فلح تواعيب) أى الفلاحين المعروفين بالجد والمثابرة فى فلاحتهم •

فتوزيع الارض على الفلاحين لزرعها Land allotment ممكن فى الاراضى غير المرغوبة كثيرا والتى تستغل دائما على اساس مبدأ الفلاحة او فى الاراضى المغمورة فى المياه • ويوجد في الجبايش احتياطى ضخم من الاراضى المغمورة فى المياه والتى هى صالحة للزراعة • والواقع ان السراكيل

(٢٣) راجع الفصل الحادى عشر •

يبذلون كل ما فى وسعهم لترغيب الفلاحين فى استغلال قطع من مثل هذه الاراضى • وبسبب نمو البردى الكثيف فى مثل هذه الاراضى فانها لا تعطي حاصلا جيدا فى السنتين الاولى والثانية • ولذا فان وسيلة الترغيب الاعتيادية هى ان تعطى قطعة الارض التى من هذا النوع للفلاح بدون مقابل للسنة الاولى أو للسنتين الاولى والثانية ، او ان تكون (القسامية) ربع لصاحب الارض وثلاثة أرباع لمستغلها عوضا عن ثلث وثلثين • وهناك طريقة اخرى يلجأ اليها لتشجيع الفلاحين على استغلال امثال هذه الاراضى وهى ان تعطى الارض لهم (نكشة) منذ البداية ، فيدفع شعور الفلاحين بان هذه الاراضى ستظل تحت تصرفهم بصورة مستمرة الى ان يعمروها ويحسنوها • ولكن كل وسائل الترغيب هذه لا تلقى فى نفوس الفلاحين الا هوى ضعيفا ولا يستجيبون اليها الا نادرا • فالذين يزرعون على طريقة (الفلاحة) لا يفضلون الانتظار طويلا حتى ينحسر الماء عن ارض فقدت الكثير من خصبها وقوتها بسبب نمو البردى الكثيف على سطحها • فهم يترددون بصورة طبيعة فى القيام بزراعة منعبة شاقة ليجنوا فى النهاية حاصلا هزيلا • فأغلبية الفلاحين الذين لا يستغلون اراض على طريقة (النكشة) يفضلون ان يزرعوا خارج الچبايش وبصورة خاصة فى منطقة (المجرة) و (العمارة) حيث الزراعة المبكرة ممكنة والمحصول ضعفا أو ثلاثة اضعاف ما يمكن الحصول عليه فى الچبايش • ولا توجد اراض يتعمد **تركها غير مستغلة** لتوزع عند اقتضاء الضرورة على الافراد الذين لا أرض لهم • ولكن الارض المستغلة بـ (النكشة) التى تنتزع من (النكاشة) المخلين بشروط الالتزام يعاد توزيعها من قبل السراكيل •

لذا ، فان صاحب الارض فى نظام الاراضى المتبع فى الچبايش يمكن ان يكون :

١ ـ السركال ، او فى حالات قليلة عين او ثرى من أهل القرية •
٢ ـ (النكاش) •

٣ ـ الحمولة كلها فى حالة حمولة (الحداديين) فقط ، حيث الارض موزعة كـ (نكشات) بين افراد الحمولة •

ان الوحدة الزراعية فى الچبايش هى العائلة عادة • وقد تتحد فى بعض الاحيان عدة عوائل ، تكون فى العادة من فخذ واحد ، فتزرع مشتركة • فان حدث ذلك فيتفق رجال الفخذ فى الغالب على نظام معين فى القسمة يراعى فيه عدد الحبال التى تزرعها كل عائلة والمبلغ الذى تشارك به والحاصل الذى ينتج • وتميل الحمايل الى استغلال قطع متجاورة من الارض تكون فى العادة قريبة من الجزر التى تقطنها الحمولة • وكانت الافخاذ فى ايام المشيخة الاقطاعية تمنح اراضى من قبل الشيخ بصورة مباشرة • ولا شك ان روح التماسك التعاونية التى تتميز بها الافخاذ مسببة عن هذا الاجراء بقدر ما هى مسببة عن عوامل أخرى • واليوم لا تملك الافخاذ او الحمايل ، الا واحدا ، حقوقا مشتركة فى الارض • والارث بحكم الدين الاسلامى فردى من الاب الى اولاده •

والحدود بين قطع الارض هى فى العادة السواقى أو الجداول الصغيرة أو الآبار • ويقيم الفلاحون فى بعض الحالات قضبانا من حديد أو يحفرون سواقى صغيرة ليعينوا بها حدود قطعهم • وفى موسم الزراعة يقيس كل فلاح ارضه ويعين حدودها بحفر صغيرة يحفرها حول تلك الحدود • وفى حالة نشوب خلاف حول حدود الاراضى يلجأ فى العادة الى مسنى الحمولة المعروفين فى خبرتهم وصدق احكامهم فى مشاكل الاراضى •

وينظر السركال فى المنازعات التى تقوم حول حدود الاراضى أو حول حقوق استغلالها ان كان كلا الطرفين المتنازعين من أفراد حمولته • وعليه فى مثل هذه الحالة ان يرجع الى (أجاويد) حمولته لمشورتهم والاستئناس بآرائهم • فان كان النزاع بين أفراد حمولتين مختلفتين أو بين سركالين فان الحكومة هى التى تفضه • والطريقة الاعتيادية فى فض مثل هذا النزاع هى تعيين خبير محلى أو أكثر ليحكم فيه • وفيما يلى خلاصة نزاع حول ارض

يمكن ان يعتبر نموذجا لكثير اشباهه :

قضية اراضي (ام الجذوع)(٢٤)

فى شهر آب من عام ١٩٤٨ نشأ خلاف بين السيد (جار الله السيد حسين) سركال حمولة (آل لمعبر) و (ثعبان آل خيون) ، ابن شيخ العشيرة السابق • فرفع (السيد جار الله) عريضة الى مديرية ناحية الچبايش يدعى فيها أن بعض فلاحى (ثعبان آل خيون) قد زرعوا فى أراضى أم (الجذوع) التى هى تحت تصرفه ، رغم منعه اياهم • فبادرت ادارة الناحية لاخذ تعهدات من الطرفين بوجوب عدم التصرف بالارض والتزام الهدوء لحين فض النزاع بالطرق الرسمية • وبنفس الوقت قدم الاخوان (أطويش ومهلهل آل صيهود) عريضة يدعيان فيها أن (أم الجذوع) هى « اراضيهم ونكَشتهم » وانه « الان أوان الزرع وانهم هم سراكيلها من قديم الزمان ويطالبون بها » • ثم قدم (مهلهل آل صيهود) منفردا عريضة أخرى يطالب فيها بالارض وحده مدعيا أن لديه مستمسكات رسمية تثبت حقه فيها • ثم احالت مديرية الناحية الاوراق الى قائممقامية القضاء ، ومثل (السيد جار الله السيد حسين) ووكيل عن (ثعبان آل خيون) أمام القائممقام • وادعى الاخير ان الارض التى زرعها فلاحو (ثعبان) هى (المربعة) المجاورة لـ (أم الجذوع) وليس (أم الجذوع) نفسها • فاتفق الطرفان بانه اذا ظهر أن الزراعة جرت فى أراضى (أم الجذوع) فان الزرع يسلم الى (السيد جار الله) بدون عوض ، وان ثبت العكس فان «السيد جار الله يستحق العقاب القانونى من الحكومة» • واختار الطرفان بموافقة القائممقامية ، (جاسم محمد آل غياض) من حمولة (بنى عسچرى) محكما وخولاه تحديد الحدود فى الارضين المشمولتين بالنزاع • ولكن المحكم رفض اصدار حكم فى القضية • فأجرى مدير الناحية الكشف على الارض بنفسه ووجد ان فلاحى (ثعبان آل خيون) قد زرعوا في أرض

(٢٤) ان كافة المعلومات الخاصة بهذه القضية نقلت من ملف محفوظ فى مديرية ناحية الچبايش •

(أم الجذوع) التابعة للـ (سيد جارالله السيد حسين) ، وحاول بناءاً على أوامر القائممقامية حل النزاع رضائيا بين الطرفين فلم يوفق ، فاحاله الى القضاء مرة أخرى • فحسم القائممقام النزاع بموجب (قانون دعاوى العشائر) بان شكل مجلسا تحكيميا درس الموضوع وأطلع على الوثائق واستمع الى شهادات الشهود ثم اصدر توصيته التى بعد أن رآها القائممقام صائبة وتفض النزاع أقرها وأصدر حكما فى القضية بموجبها • وفيما يلى نص الحكم :

تاريخ رفع الدعوى : ٢١-٨-١٩٤٨
تاريخ الحكم : ٢٧-٤-١٩٤٩
محل صدور الحكم : قضاء سوق الشيوخ

بناءاً على انتساب طرفي الدعوى الى العشائر وتوفر شروط المادة الاولى من قانون تعديل نظام دعاوى العشائر قررنا النظر فى هذه الدعوى وفق النظام المذكور واحلناها الى المجلس التحكيمى المؤلف من (ريسان الگاصد) و (زاير عنيد الچولان) وفقا للمادة ٤٥ من قانون تعديل نظام دعاوى العشائر • وبعد الاستماع الى أقوال ذوى العلاقة ومناقشتهم ظهر لنا ما يلى : ان (السيد جار الله السيد حسين) كان قد أعطيت له أراضى (أم الجذوع) منذ ثلاثين سنة وقد قام بتسقامها(٢٥) وتعميرها خلال المدة وجعلها صالحة للزراعة ودفع عنها ضرائب للحكومة واصبحت لزمته • الا ان (ثعبان آل خيون) عندما قام بزرع اراضى (المربعة) الواقعة فى بزايز(٢٦) نهر (ابو سوباط) وحصل النزاع بينه وبين (جاسم آل محمد) حولها فجعل الحد الفاصل بين أراضيها نهر (المربعة) أخذ المرقوم (ثعبان) يتوسع بزراعته بالتجاوز على أراضى (السيد جار الله) الامر الذى دعاه الى اقامة الدعوى ضده طالبا رفع تجاوزه • وقد سبق أن ارتضى وكيل (ثعبان آل خيون) و (السيد جار الله) على

(٢٥) تسقامها يعنى اعمارها وتحسينها •
(٢٦) البزايز فى النهر اطرافه ونهايته •

الخبير (جاسم المحمد الغياض) فرفض الخبير المذكور • وحيث ان الاراضى المتنازع عليها تعود الى (السيد جار الله السيد حسين) ولا علاقة لـ (نعبان آل خيون) بها وفضلا عن ذلك فان ما أفاد به نعبان أن الارض غامرة وقد قام بزراعتها منذ ١٩٤٧ دون ان يثبت تصرفه السابق أو علاقته فيها ، ولما كانت هذه الاراضى أميرية مغمورة بمياه الهور وحبا فى توسع الطرفين بالزراعة وعدم حصول التجاوز والنزاع أوصى المجلس بما يلى :

١ – ان اراضى (ام الجذوع) بحدودها الحالية تعتبر الى (السيد جار الله السيد حسين) ولا يحق لـ (نعبان) التجاوز بزرعها •

٢ – يكون الحد الفاصل بين أراضى (ام الجذوع) وأراضى (نعبان آل خيون) من البزايز نهر (المربعة) الذى اعتبر حدا فاصلا بينه وبين (جاسم المحمد الغياض) ولا يحق له العبور الى الضفة الثانية من نهر (المربعة) التى هى من متممات أراضى (السيد جار الله) التى تحت لزمته •

الحكم : بناء على ما ذكر أعلاه قررنا المصادقة على توصيات المحكمين كونها جاءت مطابقة للحقيقة وللسوانى[٢٧] العشائرية المتبعة وتنفيذها حرفيا استنادا للفقرة ١٠/د من المادة ٨ من قانون دعاوى العشائر حكما وجاهيا قابلا للتمييز على ان يقترن بمصادقة السلطات المختصة •

قائممقام قضاء سوق الشيوخ

يلجأ لرهن الاراضى الزراعية ، كما ذكرنا سابقا ، عندما يحتاج السركال أو (النگاش) بشكل اضطرارى الى مبالغ كبيرة من المال • وفى الچبايش ثلاث طرق تستعمل كثيرا فى هذا النوع من الرهن[٢٨] •

ففى الطريقة الاولى يتنازل الراهن عن ثلث أو ربع حصته الصافية من محصول ارضه المرهونة الى الذى يرهنها لديه كفائدة أو فائض حتى يفك

---

(٢٧) السوانى القانونى العشائرى • راجع الفصل الخامس ، ص١٤١ •
(٢٨) يمكن اللجوء الى طرق أخرى فى رهن الاراضى الزراعية باتفاقات تقوم على أسس خاصة •

رهنها • وعلى المرهونة الارض لديه أن يدفع من ضريبة الحكومة على الارض حصة تعادل الحصة التى يأخذها من غلتها • فيدفع ربع الضريبة ان كان يأخذ ربع غلتها أو ثلثها ان كان يتقاضى الثلث • فمقاطعة (بحران) مثلا التى هى تحت تصرف (صالح آل زاير صخر) سركال حمولة (آل عنيسى) مرهونة لدى بيت (السيد جاسم السيد خلف) لقاء اربعمائة دينار بفائدة قدرها ربع حاصلها على أن يدفع البيت المذكور ربع الضريبة التى يدفعها السركال (صالح آل زاير صخر) عن تلك الارض للحكومة •

وفى الطريقة الثانية من الرهن يقدم الراهن للمرهونة لديه الارض كل حصته من انتاج ارضه لموسم او موسمين زراعيين كفائدة خالصة وبعد ذلك ثلث او ربع حصته من كل موسم كقسط لسداد المبلغ المرهونة الارض لقاءه • وتدفع ضريبة الحكومة على نفس المبدأ المار الذكر ، أى أن المرهونة لديه الارض يدفع ثلث أو ربع الضريبة بنسبة ما يستلم من حاصل الارض •

والطريقة الثالثة فى الرهن هى (رهن النگاشة) ، وبموجب هذه الطريقة يستولى المرهونة لديه ارض (النگاش) على كل حصته من غلة أرضه ، على ان يدفع كل ضريبتها الى الحكومة عوضا عن (النگاش) ، الى حين فك رهن الارض • ويلجأ (النگاشة) المعوزون الى رهن اراضيهم الصغيرة المساحة ليسدوا حاجة ملحة لمبالغ كبيرة من المال • ويعوض امثال هؤلاء (النگاشة) المعوزين خسارتهم فى غلة أرضهم بان يزرعوا قطعا من الارض خارج الچبايش حيث تكون الزراعة أكثر ربحا • وهكذا تظل أرض (النگاش) تستغل من قبل من ترهن لديه حتى يستطيع وفاء كافة الدين الذى بذمته • وقطعة الارض التى سعتها حبل واحد والتى تعطى فى الظروف الجيدة غلة تقرب من طغار واحد من الذرة قيمته حوالى ثلاثين دينارا ، ترهن فى العادة لقاء مبلغ يتراوح بين عشرة دنانير واربعين دينارا بحسب أحوال الفيضان وموقع الارض واعتبارات أخرى •

٣ – اراضي وحمايل الچبايش

كانت كافة اراضي الچبايش في وقت من الاوقات ، كما مر بنا سابقا ، تحت تصرف الشيخ (سالم آل خيون) آخر شيوخ عشيرة (بني أسد) ، ثم انتزعتها الحكومة منه مؤخرا ووضعتها كلها تحت تصرف عدد من السراكيل • ولكن حدثت في الثلاثين سنة الاخيرة بعض التبدلات في التصرف في أراضي الچبايش • فلقد ظهر من احصائية قمت بها لاراضي الچبايش واصحابها في عام ١٩٥٣ ان احدى واربعين قطعة فقط من ثمان وخمسين ، أي (٧ر٧٠٪) من مجموع القطع ، لا زالت تحت تصرف السراكيل • اما البقية وهي سبع عشرة قطعة ، أي (٣ر٢٩٪) من مجموع القطع ، كانت تحت تصرف ثمانية رجال ليسوا (سراكيل) بل هم في الغالب تجار • ولقد حصل اولئك الرجال الثمانية على تلك القطع السبع عشرة بطرق شتى هي :

١ – الزراعة الفضولية : فبعض هؤلاء الرجال يستغلون اراضي أميرية صرفة بدون موافقة الحكومة ويدفعون عنها ضريبة مضاعفة • ويستغل (ثعبان آل خيون) و (مهلهل آل صيهود) و (عبودة آل سلمان) قطعا من الارض بهذه الطريقة •

٢ – الرهن : فلقد رهنت بعض القطع التي تحت تصرف السراكيل عند بعض أثرياء القرية فلم يستطع اصحابها فك رهنها • وهذا ما حدث للارض التي اصبحت تحت تصرف (السيد ملك السيد طاهر) و (السيد باقر السيد علي) •

٣ – اخراج صاحب الارض من أرضه : فـ (ثعبان آل خيون) و (حسين آل علي آل خيون) مثلا استوليا على قطع بهذه الطريقة • فحين كان (سالم آل خيون) شيخا كان قد وضع (عبدالكريم آل چايد آل خيون) وكيلا عنه في مقاطعة (الچرباسي)• وفي عام ١٩٤٥ أخرج (ثعبان آل خيون) ابن الشيخ (سالم) ، (عبدالكريم آل خيون) من (الچرباسي) واستولى

عليها • وحصل (علي آل خيون) على قطعة صغيرة بعين الطريقة •

٤ – الطابو : لقد المعنا في مفتتح هذا الفصل الى وضع الاراضي المملوكة بالطابو • فالقطعة الوحيدة في منطقة الچبايش التي من هذا القبيل ، (شط البخاترة) يستغلها (ناصر آل حسين) ويدفع بالاضافة الى ضريبتها الاعتيادية ضريبة الـ ٥ر٧٪ الى الحكومة تعويضا لمالكها •

٥ – شراء (حگ النگشة) من (النگاشة) طريقة أخرى في الحصول على الارض • فلقد دفع (ثعبان آل خيون) مثلا ثمنا مغريا (لنگاشة) قطعة (الساجية) كما انزل لهم حصته بعد البيع الى الربع عوضا عن الثلث ليغريهم في البقاء فيها كفلاحين •

يمكننا ان نعتبر الارض التي يزرعها أهل الچبايش مكونة من ثلاث مجموعات :

المجموعة الاولى ، وتتكون من :

١ – عدد من القطع تمتد بين حزام جزر السكني وبين الهور الواقع شمال القرية ، وتدعى (النزل) • وتتراوح مساحتها بين عشرة حبال وستين حبلا بحسب حالة الفيضان والمساحات التي يمكن تنظيفها من البردي • وتمتد هذه الاراضي على طول القرية من طرفها الشرقي الى طرفها الغربي • ويطلق عليها اسماء مختلفة في أجزاء مختلفة منها مثل (الزيادية) و (العبرة) و (السباهية) و (ابو الرميل) و (ابو الشويعر) و (بحران) • وتستغل هذه الاراضي من قبل حمايل (آل الشيخ) و (الحداديين) و (آل عنيسي) و (آل غريج) ؛ كل حمولة تستغل قطعة تقع بصورة تقريبية أمام مجموعة الجزر التي تسكنها في القرية •

٢ – قطع تقع في الطرف الشرقي للقرية وتمتد بين الضفة اليسرى من نهر الفرات والهور باتجاه شمالي • وهذه القطع هي :

أ – (بريج) و (السحاگي) ومساحتها تقرب من ثلاثين حبلا وهي

تحت تصرف (حبيب آل خيون) سركال حمولة (آل خاطر) ويزرعها فلاحون من حمايل (آل خاطر) و (بنى عسجرى) و (الحداديين) •

ب – (ابو سوباط) ومساحتها حوالى عشرة حبال وتقع على جانبي ترعة (ابو سوباط) وهى تحت تصرف بيت (محمد آل غياض) وهى عائلة موسرة من حمولة (بنى عسجرى) ويزرعها فلاحون من حمولة (بنى عسجرى) ذاتها • وفى نهاية هذه القطعة الى الشمال تقع قطعة لا تزيد مساحتها على ثلاثة حبال ، تدعى (المنشر) تحت تصرف (ثعبان آل خيون) وتزرعها بضع عوائل من حمولة (آل الشيخ) •

ج – (ابو النرسى) وهى قطعة تقرب مساحتها من عشرة حبال يتصرف بها (ثعبان آل خيون) وتستغلها بعض عوائل حمولة (الحداديين) على اساس (نگشات) •

المجموعة الثانية : وتتكون من قرابة مائة وثمانين حبلا تمتد على طول الضفة اليمنى لنهر الفرات بمواجهة القرية • وتستغل هذه الاراضى خمس حمايل كل لها جزء يقع بصورة تقريبية أمام الجزر التى تسكنها فى القرية • وهذه الحبال المائة والثمانون مقسمة بين الحمايل الخمس على الوجه الآتى :

(آل خاطر وبنى عسجرى)	٣٠	حبلا
(آل الشيخ)	٦٦	حبلا
(الحداديين)	٢٠	حبلا
(آل غريج)	٦٤	حبلا
المجموع	١٨٠	

المجموعة الثالثة : وتتكون من خمس قطع من الارض منتشرة في هور (الحمار) ؛ الاولى وتدعى (الطينة) وتقع على بعد حوالى عشرة أميال غرب الچبايش • وتمتد (الطينة) على طول ترعة (الحميدى) الى مسافة

ثلاثين حبلا ولكن عرضها (نزالها) يختلف متراوحا بين الثلاثين والستين حبلا بالنسبة لوضع الماء • وهذه القطعة تحت تصرف (عبدالهادى آل خيون) سركال حمولة (آل الشيخ) ويزرعها رجال من حمولته • وقبل عام ١٩٣٥ ، حين كانت الفيضانات أقل علوا وطغيانا كانت (الطينة) مقسمة على كل فلاحى حمولة (آل الشيخ) فكان يزرعها ما يقرب من ثلثمائة رجل ذرة فى اجزاء يستغلونها على أساس (النگشات) • وبعد عام ١٩٣٥ صارت اجزاء صغيرة فقط من (الطينة) تظهر من تحت الماء كل عام بسبب الفيضانات الطاغية • وبناءاً على هذا صار الفلاحون يفضلون زراعة الرز فيها عوضا عن الذرة والغى بسبب هذا الوضع نظام (النگشات) ولم يبق منها الآن غير جزء صغير قرب ترعة (الحميدى) • ففى كل عام يقسم (عبدالهادى آل خيون) ما قد يظهر من ارض (الطينة) من تحت الماء على الفلاحين الراغبين فى الزراعة بحسب قابليتهم على الزراعة •

والقطعة الثانية هى (الجرن) ومساحتها تقرب من ستين حبلا وهى تحت تصرف سراكيل حمولة (آل غريج) ويزرعها فلاحون من تلك الحمولة •

والقطعة الثالثة هى (ابو غزيلات) وتتكون من اربعين حبلا وهى تحت تصرف سراكيل حمولة (آل غريج) ويزرعها فلاحون من حمولة (آل الشيخ) وبعض أفراد من عشيرة (الصيامر) يؤمون الچبايش فى موسم الزراعة •

والقطعة الرابعة هى (التاجية) وتتكون من عشرين حبلا وهى تحت تصرف سراكيل حمولة (آل غريج) ويزرعها فلاحون من حمولة (آل الشيخ) وعشيرة (الصيامر) •

والقطعة الخامسة هى (الطربگة) التى لا تزيد مساحتها على ستة حبال وهى تحت تصرف سراكيل حمولة (آل غريج) ويستغلها على نظام (النگشة) رجل واحد من حمولة (آل الشيخ) هو (زناد آل زاير علي) •

سنبين فى الفصل القادم أن معدل سعة الارض التى تستغلها العائلة الواحدة صغير جدا يقرب من (مشارة) واحدة ، وانه لاسباب عديدة لا يستطيع الفلاحون الزراعة أو لا يرغبون فيها حتى حين يستطيعون[٢٩] .
ومن جهة أخرى فان الزراعة يمكن ان تكون مربحة للسراكيل ولاصحاب الاراضى فقط ، وان من الطبيعى ان يبذل أمثال هؤلاء الرجال كل ما فى وسعهم لتشجيع الفلاحين وحث أكبر عدد منهم على الزراعة فى أراضيهم .
ويترتب على هذا ان يضطر السركال أو صاحب الارض على معاملة الفلاحين وخاصة من كان معروفا منهم بانهم (فلح تواعيب) بعناية وسخاء كبيرين .
وهذه الظروف تجعل فلاح الچبايش اليوم فى وضع أفضل كثيرا مما كان فيه من سبقه فيها فى عهود المشيخة الاقطاعية ، كما تجعل وضعه مغايرا تماما لوضع زملائه فى بقية اجزاء منطقة الاهوار . ففى هذا الجزء من منطقة الاهوار فقط ، أعنى الچبايش ، ينجو الفلاح من سوء معاملة اصحاب الاراضى واستغلالهم الاقتصادى .

(٢٩) راجع الفصل الحادى عشر .

الفصل الحادى عشر

الزراعة

١ – الارض والماء

تغطى مياه الفيضان المرتفع كافة الاراضى الصالحة للزراعة فى منطقة الچبايش اعتبارا من شهر مارت الى شهر آب ، الا فى بعض السنوات الشاذة حين تكون الفيضانات واطئة فينحسر الماء عن الاراضى الزراعية فى وقت مبكر ، أى فى شهر تموز . فزراعة المحاصيل الشتوية ، ومنها الحنطة والشعير وهما المحصولان اللذان يدران ربحا وفيرا على زراعهما ، متعذرة فى هذه المنطقة لان مياه الفيضان تغرق كافة الاراضى الزراعية فى الوقت الذى تكون فيه تلك المحاصيل مكتملة النضوج وقابلة للحصاد .

فالزراعة الممكنة اذا هى زراعة المحاصيل الصيفية فقط . وحتى هذه الزراعة فانها لا تتوفر الا فى السنوات ذات الفيضانات المعتدلة . وفوق هذا فانه فى حالة الفيضان المعتدل لا ينحسر الماء عن الاراضى الزراعية ، كما نوهنا أعلاه ، الا فى شهر آب . فاذا ما بذر الفلاحون بذورهم فى ذلك الوقت المتأخر فان الحاصل لا ينضج لان برد الخريف المبكر يداهمه فيقتله . فان قدر له ان ينجو من هذه الآفة فهو عادة ضئيل تافه لانه محصول متأخر (أفلى) . فدرءاً لخطر ضياع المحصول كله ومحاولة لضمان محصول وافر يلجأ أهل الچبايش الى زراعة (الشتلات) Seedlings عوضا عن البذور Seeds . فيجلبون من مناطق خارج الچبايش تكون الزراعة الصيفية المبكرة فيها ممكنة ، كمنطقة (المجرة) ، (شتلات) الرز والذرة التى

يتراوح عمرها عادة بين ثلاثين وخمسة واربعين يوما ويعيدون زراعتها فى الجبايش حال انحسار الماء عن اراضيهم ٠

لقد بدأ الفيضان يؤثر على منطقة الجبايش لحد كبير في النصف الثانى من القرن الماضى ٠ فبنى (ناصر باشا آل سعدون) متصرف الناصرية حوالى عام ١٨٧٠ سدا على طول الضفة اليمنى لنهر الفرات من (سوق الشيوخ) حتى (القرنة) صان من الفيضان منطقة شاسعة تنحدر من تلك الضفة الى هور (الحمار) ٠ وفى الفترة التى ظل فيها السد قائما وهى تقرب من عشرة أعوام كانت تلك المنطقة تزرع حنطة وشعيرا فى الشتاء وذرة ورزا فى الصيف ٠ وبعد ان هدم ذلك السد[1] لم تجر محاولة ما لصيانة تلك المنطقة من الغرق فصار الماء يغمرها بصورة متصلة ونبت على سطحها البردى والقصب الكثيف بمساحات شاسعة ٠

لم تكن الزراعة السنوية المنتظمة ممكنة فى السنوات الاخيرة في منطقة الجبايش ٠ فلم تجر مثلا أية زراعة بالمرة لمدة خمس سنوات متصلة بين ١٩٣٤ و ١٩٣٨ ٠ وزرع أهل الجبايش زراعة متأخرة وعلى نطاق محدود جدا فى عام ١٩٤٠ ٠ ولم تحدث أية زراعة فى السنوات ١٩٤١ و ١٩٤٥ و ١٩٤٦ و ١٩٥٠ و ١٩٥٣ ٠ وعلى هذا فتكون الزراعة قد جرت فى عشرة أعوام فقط خلال السنوات العشرين الاخيرة ٠

وما دامت الزراعة تعتمد اعتمادا كليا على انحسار الماء فهى غير مضمونة مطلقا ، وبما انها مقتصرة على زراعة محاصيل صيفية متأخرة تعطى انتاجا ضئيلا فهى اذا غير مربحة كذلك ٠ ولذا فان أهل الجبايش يقولون انهم لا يزرعون طلبا للربح بل لانهم جياع ٠ ولهذا فقد تركت كثير من العوائل الزراعة ومتاعبها وربحها غير المضمون ولجأت الى جمع القصب وحياكة الحصر لانه مضمون الربح رغم انه سبيل شاق للعيش ٠ كما بدأ بعض أهل

(١) الفصل التاسع ، ص ٢٣١ ٠

الجبايش فى السنوات الاخيرة يهاجرون الى مناطق كـ (العمارة) و (المجرة) فى مواسم الزراعة الصيفية ليزرعوا فيها ٠ فأصبحوا بحكم الاحتياج ، مستعدين ان يذهبوا ليزرعوا فى أرض غير أرضهم وبين قوم غير أولاد عمومتهم من أجل العودة بشىء من الغلة يسدون بها رمق عوائلهم لبضعة أشهر من العام ٠ ولكن مثل هذه الهجرة ليست واسعة الانتشار ٠ فلقد قدرت أن عدد العوائل التى قامت بها فى عام ١٩٥٣ لم يزد عن خمسين عائلة ٠

وحين يتأخر انحسار ماء الفيضان كثيرا عن الاراضى الزراعية يصدف كل الفلاحين ، بما فيهم اولئك الذين اعتادوا الزراعة كل عام ، عن المجازفة فى تحمل المشاق والخسارة المادية ، لان الزراعة في مثل هذه الاحوال تكون فى العادة غير مربحة قطعا ولا تعود على الفلاح حتى بثمن (الشتلات) لاسباب أهمها البرد وضآلة المحصول كما اسلفنا سابقا ٠

ففى الموسم الزراعى لعام ١٩٥٢ لم تزرع خمسون عائلة من بين المائة وعشرين عائلة المدروسة (٧ر٤١٪)٠ واعتمدت السبعون عائلة الباقية (٣ر٥٨٪) فى مكسبها على الزراعة وحدها أو مع مصادر أخرى ٠ وتسع عوائل فقط (٥ر٧٪) اعتمدت فى عيشها على الزراعة وحدها ٠ وكان بين المائة وعشرين عائلة اربعون عائلة (٣ر٣٣٪) اعتمدت على الزراعة وحياكة الحصر فى حين أن احدى وعشرين عائلة (٥ر١٧٪) اعتمدت على الزراعة ومهن أخرى غير حياكة الحصر ٠ ولم يكن ميسورا للعوائل التسع ان تعتمد في كسب عيشها على الزراعة وحدها لو انها زاولتها فى الجبايش ذاتها ٠ فكل تلك العوائل زرعت زراعة مبكرة في مناطق خارج القرية فعادت عليها بحاصل وفير ٠ وتظهر هذه الاحصائية بجلاء أن الزراعة بصورة عامة لا يعتمد عليها وحدها فى كسب العيش فى الجبايش ٠

ولو تستصلح الارض المغمورة بالماء لحصل فى الجبايش فائض كبير

منها يزيد عن حاجة الفلاحين • ولكن الزراعة غير مضمونة لدرجة لا توجد معها أية محاولات لاستصلاح الاراضى الزراعية رغم ان اصحابها يقدمون تسهيلات وامتيازات في استغلالها وقسمة حاصلاتها للذين يقدمون على استصلاح وزراعة هذا النوع من الاراضى[2] •

فى الموسم الزراعى لعام ١٩٥٢ كان عدد الحبال التي زرعتها السبعون عائلة مائة وثلاثة عشر حبلا موزعة كما هو مبين فى الجدول رقم (١٥) •

جدول رقم (١٥)

عدد الحبال المزروعة

من قبل سبعين عائلة

فى الموسم الزراعى لعام ١٩٥٢

عدد العوائل	نسبتها المئوية للسبعين عائلة	عدد الحبال المزروعة من قبل كل عائلة	مجموع عدد الحبال المزروعة
٢	٢ر٨	١/٣	٢/٣
٤	٥ر٧	١/٢	٢
٢	٢ر٨	٢/٣	١ ١/٣
٢٩	٤١ر٤	١	٢٩
١١	١٥ر٧	١ ١/٢	١٦ ١/٢
١٦	٢٢ر٩	٢	٣٢
١	١ر٤	٢ ١/٢	٢ ١/٢
٣	٤ر٣	٣	٩
٢	٢ر٨	١٠	٢٠
٧٠			١١٣

(٢) راجع الفصل السابق •

وكان معدل مساحة الارض المزروعة من قبل العائلة الواحدة (١ر٦) حبلا ، أى ما يعادل أكرا واحدا تقريبا • وصغر هذه المساحة ، كما نوهنا سابقا ، ليس بسبب انعدام الارض الصالحة للزراعة فى الچبايش بل لاسباب عدة غير ذلك • أولها ان مساحة محدودة جدا من الارض المرتفعة تبرز من تحت ماء الفيضان فى وقت يسمح بزراعتها • ومثل هذه الاراضى التى هى فى أغلب الاحيان الاراضى الوحيدة التى يزرعها أهل الچبايش ، مرغوبة جدا ، ولذا فانها توزع بين عدد كبير من العوائل فتصغر بذلك بصورة طبيعية مساحة القطعة التي تزرعها كل عائلة • وثانى تلك الاسباب وجود صعوبات فى الحصول على المال اللازم لشراء (شتلات) الذرة أوالرزاللازمة للزراعة • ولان الاغلبية الساحقة من فلاحى الچبايش لا يستطيعون ادخار المال اللازم لشراء هذه (الشتلات) فانهم يلجأون الى العدد القليل من اثرياء القرية للاستدانة منهم • وكنتيجة لهذه الاستدانة الموسمية تنشأ نظام (الاخضر)[3] الذى قد يؤدى الى افلاس المستدين وارباك وضعه الاقتصادى • ففى هذا النظام يدفع المستدين ربحا قدره (١٠٠٪) وغالبا ما يدفع (٢٠٠٪) ، ويزداد هذا الربح كلما زاد المبلغ المستقرض • كما أن هناك دائما احتمال ضياع المحصول أو ضآلته وتعذر الدفع • وكل دين لا يدفع بعد انتهاء الموسم الزراعى يتضاعف مرتين أو ثلاث مرات بصورة تلقائية بموجب هذا النظام •

٢ ــ المحاصيل واساليب الزراعة

ان المحاصيل الوحيدة التى تزرع فى الچبايش هى الرز (الشلب)

(٣) (الاخضر) نظام للاقتراض يستلم المستدين بموجبه دراهم من الدائن ويردها له فى موسم الحصاد محاصيل ، عادة ذره ، بربح فاحش جدا • سندرس نظام (الاخضر) والديون والربى بصورة مفصلة فى الفصل الخامس عشر •

(Paddy Rice) (Oryza sativa) والذرة (الاذرة) (Sorghum vulgare) (Great Millet) ولكن لا توجد لدينا معلومات يوثق بها بصدد نسبة أحد المحصولين للآخر فى انتاج أهل القرية الزراعى. ولكن يبدو ان كمية الرز لا تتعدى نصف كمية الذرة. فزراعة الرز أصعب من زراعة الذرة اذ تحتاج الى ارواء وعناية خاصة. و (شتلات) الرز أغلى ثمنا من (شتلات) الذرة. لكل هذه الاسباب فالرز يزرع على نطاق أضيق من الذرة. وبينما يستهلك كافة المحصول من الرز فى القرية ذاتها فان حوالى نصف ما تنتجه من الذرة يصدر الى الخارج ، خاصة الى البصرة . وبما ان الفلاحين مضطرون على دفع ديونهم عينا بالحاصل ، وبما ان أغلبهم مدينون فان قسما كبيرا من الحاصل المنتج يتجمع فى ايدى العدد القليل من الاثرياء المرابين الذين يتعاملون بالاقراض على نظام (الاخضر) ، ولذا فهم يصدرونه . هذا بالاضافة الى ان بعض الفلاحين يبيعون كل أو بعض حصتهم من المحصول بسبب حاجتهم الملحة الى مبالغ من المال . ولقد كانت المقادير المصدرة من الذرة فى المواسم الزراعية الثلاثة الاخيرة كالآتى :

١٩٤٩	٢٤٠	طنا
١٩٥١	٢٢٠	طنا
١٩٥٢	١٢٠	طنا

ولا توجد احصائيات رسمية بصدد الاستهلاك المحلى للحاصلين . ويقدر التجار المحليون ان بين مائة ومائة وخمسين طنا من الرز وبين مائتين ومائتين وخمسين طنا من الذرة تستهلك كل عام فى الچبايش .

ان كلا من هذين المحصولين غذاء اساسى Staple food لاهل القرية ولكن الذرة ارخص واوفر ولذا فهى تستهلك على نطاق اوسع من الرز . وتتغير اسعار كل من المحصولين ابان السنة فى مختلف المواسم ففى عام ١٩٥٢ كانت الاسعار لد (من) الواحد كالآتى :

	اثناء موسم الحصاد	بعد ستة اشهر	قبل الموسم الجديد
الرز	٢ر٠٠٠ دينارا	٢ر٥٠٠ دينارا	٣ر٢٥٠ دينارا
الذرة	١ر٨٠٠ دينارا	٢ر٢٥٠ دينارا	٢ر٥٠٠ دينارا

وتزرع في الچبايش ثلاثة أنواع من الذرة :

١ ـ الذرة العادية وتكون ما يقرب من ٩٠٪ من محصول الذرة كلها .

٢ ـ (اذرة ساعدى) وتتميز بحبة أكبر ومحصول أوفر وتحتاج الى وقت اطول للنضج . ورغم ان (الاذرة الساعدى) تباع بسعر أعلى بمقدار ربع دينار لد (من) الواحد من اسعار الذرة العادية ، فان الفلاحين لا يفضلون زراعة هذا النوع من الذرة بسبب الوقت الطويل الذى تحتاجه للنضج والذى بسببه لا يمكن زرعها ما لم ينحسر ماء الفيضان مبكرا بصورة غير اعتيادية . ويباع هذا النوع من الذرة غير مخلوط بالذرة العادية .

٣ ـ (ذيل السبع) وهو نوع ردىء من الذرة ذو لون يميل الى الحمرة وله اشواك فى الكوز تحول دون مهاجمة الطير له واكل حبه . ولانه لا يباع منفردا فانه يخلط دائما بالذرة العادية .

وتزرع فى الچبايش ثلاثة أنواع من الرز ايضا هى :

١ ـ (نعيمة) وهو اما (گريطة) أو (ربيشة) . والاول أشد بياضا من الثانى ويعطى محصولا أوفر ولذا فهو أغلى منه بحوالى مائتين وخمسين فلسا الى ثلثمائة فلس فى (المن) الواحد . اما الثانى فيميل لونه الى الحمرة .

٢ ـ (غريبة) وهو المفضل بعد (النعيمة) ويأتى بعده فى غلاء السعر ويتميز ببياض حبته .

٣ ـ (بصرى) وله حبة طويلة كبيرة ولون يميل الى الاحمرار . ورغم انه أقل جودة من النوعين السابقين فانه يزرع فى بعض الاحيان لان كلا من الطيور والخنازير البرية ، وهما آفتان تفتكان بالحاصل ، لا ترغب فيه بل تتجنب أكله .

ويكاد يكون (٧٠٪) من مجموع الرز المزروع فى الجبايش من نوع الـ (نعيمة) و (٢٠٪) منه (غريبة) والباقى (بصرى) .

أساليب الزراعة :

التربة فى الجبايش بصورة عامة تربة غرينية شديدة الخصب وهى هشة مثقبة ولا تحتوى لحد كبير على الاملاح . ووجود كميات كبيرة من الجبر فيها يجعل من السهل حرثها واعمارها . وتحتوى التربة كذلك على كميات كبيرة من الرمل الناعم الذى يكون عاملا مساعدا على صرف الماء وتخليصها من املاحها .

واغلب الاراضى فى الجبايش مغطاة بنمو كثيف من البردى حين تكون مغمورة بالمياه . وهذا البردى وغيره من الاعشاب والنباتات المائية يجب ان تزال قبل زراعة الارض ، بعملية تسمى الـ (هراگ) . وتجرى هذه العملية عادة فى شهر نيسان قبل ان يشتد علو الماء أو فى شهر حزيران عندما يبدأ مستوى الماء بالهبوط . ويطلق على هذين الموسمين اسم (لفة العگيدة) ويكون البردى فيهما رخوا جدا وقطعه يسيرا . فيقطع على بعد يقرب من نصف قدم تحت سطح الماء ، فتتعفن جذوره ويموت وحين ينحسر الماء عنه يزال ما بقى منه من وجه الارض هو وما يتواجد معه من اعشاب وحشائش باليد وتعرض التربة لنور الشمس .

ورغم ان الفلاحين فى الجبايش يقدرون قيمة الحراثة فانهم نادرا ما يزاولونها . فهى تكلف ما يقرب من ستمائة فلس للحبل الواحد والزراعة كما رأينا ليست مربحة لدرجة تسمح بمثل هذه النفقات . ونسبة ما يحرث من الارض الى التى تزرع بلا حراثة واطئة جدا ، ربما لا تتجاوز الـ ٥٪ والقطع التى تحرث في سنة ما تترك عدة سنوات قبل ان تحرث مرة أخرى .

والحراثة وتسمى (كراب) ، تجرى بمحراث بدائى محلى يدعى (فدان) تسحبه الثيران او البقر او الرجال . وقد يكتفى بعض الاحيان بشق

التربة وقلبها فى خطوط مستقيمة بالـ (مسحاة) وهو ما يسمى بالـ (عمار) . ويجب ان يتم الـ (كراب) أو الـ (عمار) بعد الحصاد مباشرة لسببين : أولهما ان التربة اذا حرثت او قلبت قبل ان يغمرها الماء فانها تتحسن كثيرا ويزداد خصبها ، وثانيهما ان الوقت اثمن من ان يضيع بالـ (كراب) او الـ (عمار) بعد انحسار الماء عن الارض وهو كما رأينا يحدث متأخرا جدا فى أغلب السنين .

والمباذر Seedbeds نادرة فى الجبايش ، لانه فى السنين ذات الماء الواطىء بشكل غير اعتيادى فقط تظهر بعض القطع المرتفعة من الارض من تحت الماء فى وقت يمكن زراعتها مباذر للحصول على (شتلات) . ولا تزرع فى الجبايش غير مباذر الذرة لان الوقت عادة متأخر جدا بالنسبة لبذر مباذر الرز التى تحتاج الى وقت أطول . وتنتقى البذور من المحصول بعد الحصاد مباشرة ويحتفظ بها على حدة . ثم (تكرب) الارض او (تعمر) بعناية تامة[٤] . وتنقع البذور فى الماء يوما او اثنين حتى تنبت لها جذور بيضاء صغيرة . وبعد ذلك تنثر البذور وترش بالماء وتغطى بطبقة خفيفة من التراب . ثم تغطى قطعة المبذر كله بالبردى لحفظ الحبوب من الطيور . ويجب رش المبذر بالماء كل يوم حتى تظهر (الشتلات) التى تقلع بعد ثلاثين الى خمسة واربعين يوما ثم تنظف جيدا وتنقع بالماء وتربط على شكل حزم صغيرة(مياسر) كل منها تحتوى بين اثنتى عشرة وخمس عشرة (شتلة) . وكلما طال مكث الـ (شتلات) فى الارض ازدادت قوتها وقابلية المحصول على مقاومة البرد والصقيع المبكر الذى يتعرض له المحصول قبيل حصاده . ولابد ان تقلع (الشتلات) مع جذورها لضمان نموها حين تزرع مرة أخرى . وهذا غير ممكن ما لم تكن الارض التى تبذر فيها بذور الـ (شتلات) قد حرثت او قلبت بعناية وبصورة متقنة . ويجب اعادة زرع الـ (شتلات) فى حدود

(٤) فى حالة بذر البذور للحصول على (الشتلات) لابد من الـ (كراب) أو الـ (عمار) قبل البذر .

اسبوع من تاريخ قلعها والا ماتت .

ان اغلب ما يحتاجه فلاحو الجبايش من (شتلات) يجلب من منطقة (المجرة) أي من (آل حسن) وقرية (الحمار) و (آل جويبر) وهذه كلها مجتمعات هورية تقع بين الجبايش وسوق الشيوخ . ونسبة (شتلات) الذرة التي تزرع في الجبايش نفسها في سني الماء الواطيء صغيرة جدا ربما لا تتعدى الـ (١٠٪) من مجموع الـ (شتلات) التي يحتاج اليها فلاحو القرية .

وتباع الـ (شتلات) محزومة (مياسر) . ولقد كان سعرها في آخر موسم زراعي (١٩٥٢) يتراوح بين مائتي وثلثمائة فلس لكل مائة (ميسر) رز وبين مائة وخمسين ومائتي فلس لكل مائة (ميسر) ذرة .

ويضطر بعض الفلاحين الذين لا يستطيعون ايجاد المال اللازم لشراء الـ (شتلات) ان يزرعوها بأنفسهم في منطقة (المجرة) . فيستأجرون قطعا من الارض في تلك المنطقة ليبذروا فيها رزا أو ذرة . والايجار عادة ثلث (الشتلات) التي يحصل عليها الفلاح لصاحب الارض والبقية للفلاح نفسه . وهذه طريقة ارخص واحسن للحصول على (الشتلات) ولكنها تقتضي هجرة لمدة شهر ونصف او شهرين لمنطقة (المجرة) واقامة كوخ موقت هناك .

ويعرف كل فلاح بالتجربة كمية البذور التي يحتاج اليها لانتاج (الشتلات) اللازمة لارضه . ولكن معدل ما يحتاجه (الحبل) الواحد بين خمس وست (وجيات)[٥] من البذور ، أي بين ١٨ر٧٥٠ كغم و ٢٢ر٥٠٠ كغم . وهي تكلف بين (٣٧٥) فلسا و (٤٥٠) فلسا للذرة وبين (٤١٢) فلسا و (٤٩٥) فلسا للرز ، بحساب معدل الاسعار وقت الحصاد وهو الوقت الذي تحتجز فيه البذور اللازمة للموسم القادم . وحين تشترى هذه البذور من الخارج تكلف مبلغا اكبر بالقياس لاسعار انتاجها محليا ، وخاصة في حالة

(٥) الوجيه تساوى $\frac{١}{٢٤}$ من (المن) أو ٣ر٧٥٠ كغم و ٨ر٢٧ باونا .

الرز . فالحبل الواحد من الرز يحتاج بين (١٢٠٠) و (١٤٠٠) (ميسر) من الـ (شتلات) تكلف بين (٢/٤٠٠) دينارا و (٤/٢٠٠) دينارا على حساب (٢٠٠) فلس و (٣٠٠) فلس لكل مائة (ميسر) . ونفس المساحة تحتاج الى (٣٠٠) الى (٤٠٠) (ميسر) من الذرة تكلف بين (٤٥٠) فلسا و (٨٠٠) فلس بحساب (١٥٠) فلسا و (٢٠٠) فلس لكل مائة (ميسر) .

وحين يزرع الفلاحون الـ (الشتلات) لا يقيمون في الحقول التي هي خارج القرية ، ولكن بعد مرور قرابة شهر ، عندما يعلو الزرع ويكبر ، ينتقل الفلاحون الى حقولهم ويمكثون هناك حوالي شهرين حتى يتم الحصاد وتقسيم المحصول . والفلاحون الذين يزرعون في مناطق قريبة من القصب يستصحبون كافة افراد عوائلهم ويستمرون أثناء اقامتهم الموقتة في الحقول على حياكة الحصر في اوقات فراغهم من اعمال الحقل . ويقل العمل في حياكة الحصر كلما كبر المحصول فاحتاج الى المزيد من العناية . اما الذين يزرعون في مناطق بعيدة عن القصب فانهم يتركون في بعض الحالات بعض نسائهم في بيوتهم ليداومن على حياكة الحصر . ولكن الذين يفعلون ذلك اقلية اذ ان اغلب الفلاحين يستصحبون كافة ماشيتهم وحوائجهم وكل افراد عوائلهم . فتأخذ العائلة عدداً من الـ (شباب) الجاهزة الصنع ، في العادة ثلاثة أزواج ، لتقيم كوخا موقتا . وقد يخزن الفلاح بعض لوازمه البيتية التي لا يريد أخذها معه في كوخ صديق أو قريب . وتشاد الاكواخ الموقتة في الحقول من ثلاث الى خمس (شباب) وبردي يحصل الفلاحون عليه من المنطقة التي يزرعون فيها ، ومن حصر كبيرة تحوكها العائلة وتعدها قبل الرحيل الى الحقل .

ويمكن زرع الرز أما بقلع (شتلاته) واعادة زرعها Transplantation ويدعى (شتال) ، او ببذر بذوره Sowing ويدعى (بذار) وهي طريقة يكون حاصلها أقل من حاصل الطريقة الاولى . ويجوز زرع الذرة بكلتا الطريقتين ولكن حاصل الذرة المزروعة بطريقة (البذار) يكون قليلا وغير مربح .

وتزرع الذرة (شتلة) فـ (شتلة) بفواصل يتراوح طولها من (شبر) واحد (تسعة انجات) الى (ذراع) واحد (ثمانية عشر انجا) • فيضع الفلاح حزمة من الـ (شتلات) تحت ابطه ويحنى جسمه ويأخذ بغرس الـ (شتلات) واحدة بعد واحدة فى الارض الرطبة (بخطوط) مستقيمة وهو يمشى منحنى الظهر • ويزرع الرز بنفس الطريقة مع فارق واحد وهو ان الـ (شتلات) تغرس بمجاميع كل واحدة تقرب من عشرين (شتلة) وكلما كبرت المسافة المتروكة بين (شتلة) وأخرى زاد حاصل الزرع •

ويحتاج كل من الرز والذرة الى حوالى مائة وعشرين يوما من بذره الى حصاده • وتطلق على المحصولين اسماء مختلفة فى فترات نموها المختلفة • ويبين الجدول رقم (١٦) تلك المراحل ومددها لكل واحد من المحصولين •

السـقى :

لا تحتاج الذرة فى الچبايش الى سقى • فكلما جفت ارضها زاد محصولها • اما الرز فانه يزرع على شواطىء الانهار (الشواطى) أو الترع الكبيرة (الصدور) فقط ، اذ لايمكن زرعه على (الذنايب) وهى الارض التى يقل فيها الغرين لبعدها عن مجارى الانهار والترع • وبما ان مد نهر شط العرب يصل الى منطقة الچبايش فان زراعة الرز فيها تعتمد على المد والجزر للرى (ريع) والصرف (نشاف) • فيقيم الفلاحون سدا من طين فى الجهة التى يتدفق الماء منها (الصدور) وآخر فى الجهة التى يتصرف الماء فيها (الذنايب) • فان كان الحقل بحاجة الى رى فانهم يفتحون فتحة فى سد (الصدور) وقت المد ليسمحوا للماء بالتدفق الى الحقل وارواء الزرع • وعندما تدخل الحقل كمية كافية من الماء تسد فتحة (الصدور) • وحين يريد الفلاح صرف الماء الفائض يفتح فتحة فى سد (الذنايب) وقت الجزر فيتسرب الماء منها حاملا معه الاملاح • فاذا كانت بعض القطع الصغيرة لا تحصل على الماء الكافى لها استعملت فى اروائها طريقة الـ (نزاح) • فيرفع الماء الى الحقل

الجدول رقم (١٦)

مراحل نمو الرز والذرة

الرز: اسم مرحلة النمو	الرز: مدتها (أيام)	الذرة: اسم مرحلة النمو	الذرة: مدتها (أيام)
خافور	٤٥ (فى المباذر)	بزر	١٠ (فى المباذر)
شلاع		خافور	١٠
كلاب	٥	مستشلع	١٠
كريم	٣٠	گلاب	٥
بخنك	١٠	گريم	٢٠
نفاض	١٠	لف	١٠
دلاوة	١٠	بخنك	٢٠
يبوس	١٠	نفاض	
		وردة	
		شويط	١٠
		فديغ	١٠
		طعام	١٥
	١٢٠		١٢٠

بواسطة (نازوحة) وهى سلة صغيرة قليلة الغور مربوطة بحبال من جهتين ، يمسكها رجلان يقفان متقابلين ويرفعان بها الماء من النهر او الترعة بغطسها فى الماء ورفعها الى الشاطىء ثم قلبها لينسكب الماء منها ، بحركات سريعة رتيبة • ومثل هذا الرى الميكانيكى لا يحتاج اليه الا مرة واحدة فى الاسبوع لمدة اربعة او خمسة اسابيع •

ويتعرض المحصول فى فترة نموه ونضجه فى الحقول الى مخاطر من

الجو ومن الآفات التى تصيبه ومن الطير والحيوانات • فالبرد المبكر والصقيع شديدا الخطورة على المحاصيل الصيفية المتأخرة (الافلية) • ففى موسم عام ١٩٥١ مثلا دمر الصقيع المفاجىء حوالى (٨٠٪) من محصول الذرة ، الذى اصابه قبل ان يحصد بأيام قليلة • وقد يصيب المحصول ما يسمى الـ (عّوير) وهو آفة تسبب العفن لكوز الذرة ، أو (الكاصوص) الذى يصيب الرز فيكسر سيقانه فيسقط ويموت • ولكن كلا من هاتين الآفتين قليلتا الحدوث جدا • ورغم ان الفلاحين لا يعرفون أية اجراءات وقائية يتخذونها ضدهما ، فانهم لا يعتبرونهما آفتين خطرتين •

وتسبب الطيور والحيوانات اشد القلق للفلاحين • وتتحول بعض فترات موسم الزرع الى صراع دائم بين الفلاحين وهذه الحيوانات والطيور التى لا تنفك تهاجم المحصول وتأتى على مقادير كبيرة منه • فالخنازير البرية تدوس الزرع فتكسر سيقانه وتلتهم حبوبه • ويبدأ الفلاحون فى حراسة محصولهم منها ، خاصة أثناء الليل ، حالما يبلغ علو الزرع حوالى قدم واحد • ويبعدالفلاحون الخنازير وينفرونها اما بالضرب بالعصيّ على صفائح فارغة أو انهم يطلقون النار عليها • فان كان الحقل قريبا من الهور حيث تكثر الخنازير يقيم الفلاحون سياجا بسيطا من البردى ليمنعوا تلك الحيوانات من دخول حقولهم • وبما أن الخنازير تفتح لها عادة فتحة فى السياج تدعى (عرّة) ، فان الفلاحين يحفرون حفرة كبيرة تحت تلك الفتحة (طامورة) لتقع فيها الخنازير الداخلة فيسهل قتلها ، اما بالضرب بالعصي أو باطلاق النار عليها •

ويهاجم الجاموس الحقول ليلا فيسببضررا جسيما •ويحاول الفلاحون ان يمسكوا بالجاموس المتجول ولا يطلقونه ما لم يحضر اصحابه فيعتذروا • فاذا ما احدثت تلك الحيوانات ضررا فان للفلاح ان يطلب تعويضا • وان تكرر الضرر من جاموسةبعينها فان الفلاحيهدد بقطعذيلها وله أن يفعلذلك•

ويحق لصاحب الارض ، بصورة نظرية ان يطالب بحصة فى التعويضات التى يستلمها الفلاح عما يتلف له من المحصول بنسبة ماله من غلة تلك الارض • ولكن اصحاب الاراضى فى الواقع يتركون التعويض كله للفلاح • وقد يلجأ فى بعض الحالات الى محكمين من حقول مجاورة لتقدير الضرر ومقدار العويض الواجب الدفع •

وتسبب الطيور ضررا فى مرحلتين : الاولى بعد بذر البذور مباشرة والثانية حين ينضج المحصول • فالبط والبش و (دياى الماى) وطيور مائية أخرى تأكل الحب فى المرحلة الاولى ، فى حين أن العصافير ذات أثر مخرب فى المرحلة الثانية • وتفضل الطيور الذرة على الرز لان للاولى حبوبا ناعمة رخوة ، كما يستطيع الساق الواحد من نبتة الذرة ان يتحمل من عشرة الى خمسة عشر عصفوا دون ان ينحنى ، فى حين ان لحبوب الرز أغلفة خشنة ويميل ساق نبتته حتى من ثقل عصفور واحد • وتبدأ العملية الشاقة فى طرد الطيور حال تكوين السنابل و (العرانيص) ولا تنتهى الا بنقل المحاصيل من الحقول • فيبنى الفلاحون سررا قصبية عالية (عرازيل) يبلغ ارتفاع الواحدة منها حوالى خمسة أقدام ، ويقام منها واحدة فى كل حبل من الارض بصورة تقريبية • ويتناوب الاولاد والبنات وحتى النساء فى افزاع الطيور وابعادها بالصياح والصراخ او برميها بكرات صغيرة من طين (دوّام) تقذف بمقلاع (معچال) • ويكثر الطير خاصة بين شروق الشمس وقبيل الظهر وفى ساعة او اثنتين قبيل الغروب •

الحصاد :

يجنى الرز بالـ (منجل) وتسمى العملية (حصاد) • فتقطع الساق على بعد ثلاثة الى اربعة انجات من وجه الارض فيترك ذلك حوالى ثمانية عشر انجا منه مع السنبلة • ويجمع حصاد كل عشرين الى ثلاثين ذراعا مربعا (عشرة الى خمس عشرة ياردة مربعة) ويربط على شكل حزمة (كارة) •

وتحصد الذرة باليد وتسمى العملية (گطاف) • وتقطع (العرانيص) وتجمع اما فى عباءة الفلاح التى تربط بشكل يكّون ما يشبه الكيس (گطافية) ، أو فى سلال من قصب تسمى الواحدة (گعيدة) •

وتجلب سنابل الرز و (عرانيص) الذرة الى مكان يدعى (المحلة) للدياسة والتذرية • وتوضع سنابل الرز بشكل كومات تسمى (بيادر) ارتفاع الواحدة منها يقرب من تسعة اقدام• ويصف كل بيدر على شكل دائرة تكون السنابل فى مركزها مع فتحة فى المركز لضمان تعريض السنابل للهواء • اما الذرة ، فتنظف لها قطعة ارض وتسوى وتدق بحيث تصبح منبسطة وتنشر فوقها (العرانيص) فى الهواء •

وتداس الذرة بالدق بالعصى او بالدياسة بواسطة الحيوانات • وتفضل الطريقة الاولى لان الحبوب تفصل عن (العرنوص) بشكل انظف • وتجرى هـذه الدياسـة باستعمال عصى طويلة تستحصل من جريد سعف النخيل • ويجلس الفلاحون متقابلين بمجموعات صغيرة مكونة من اثنين او ثلاثة ويدقون الذرة حتى ينفصل الحب عن (العرنوص) فيصبح الاخـير (عرمش) • ويتقاضى من يقوم بهذا العمل اجورا عينية مقدارها (وجيـة) واحدة فى (المن) ، أى ١/٢٤ من المحصول الذى يداس • والدياسة بالحيوانات أسهل بالسبة للفلاحين ، ولكن لا يداس من محصول الذرة بهذه الطريقة أكثر من عشرين بالمائة • وتستعمل فى هذه الطريقة الماشية والحمير التى تستأجر فى بعض الاحيان من خارج القرية ومن بعض الرعاة الذين قد يحدث ان يكونوا قريبين من الحقول • والاجرة المعتادة للدياسة بالحيوانات هى ٥٪ من المحصول المديوس • اما الرز فانه يداس بالحيوانات فقط • فتلقى على الارض طبقة خفيفة من سنابل الرز وسيقانها (هام) وتساق فوقها الحيوانات وافواهها مكمومة • وحين يداس الـ (هام) تعزل السيقان ويلقى بـ (هام) آخر •

وتتم تذرية الرز عادة بواسطة النساء • والطريقة المتبعة هى القاء خليط

الحب والتبن الناتج من الدياسة من سلال ترفع فوق الرأس ، فتذرو الريح التبن ويتساقط الحب أمام المرأة التى تذري • وقد يستعمل للتذرية رمح ذو كف خشبية مكونة من خمسة أصابع يدعى (المرواح) أو يستعاض عنه بـ (غرّافة) الزورق العادية اذا قام بالتذرية الرجال • ويستطيع الفلاح أن يقوم بالتذرية بنفسه او يستوظف احدا آخر وفى كلتا الحالتين تؤخذ اجرة هذا العمل من (المبرك) أى من المحصول قبل قسمته بين الفلاح وصاحب الارض •

وبعـد ان تقسم الحاصـلات ينقل الفـلاح وصاحب الأرض حصتهم بالزوارق الى مساكنهم • وليس من واجب الفلاح ان ينقل حصة صاحب الارض الى القرية ولكنه عادة يقوم بهذا العمل عن طيب خاطر ان طلب منه ذلك • ولكل فلاح زورقه الذى يعود به الى القرية بكوخه الموقت وما قد يتبقى لديه من محصول من حصته فى الارض •

ويظل كل من دائن (الاخضر) والتجار المحليون على اتصال وثيق بالفلاح فى مراحل الزراعة الاخيرة ، ليضمنوا وفاءه لديونه او ليشتروا من الفلاحين المعوزين محصولهم حين تكون الاسعار منخفضة •

٣ – قسمة المحاصيل

حين تتم دياسة وتذرية المحصول ، يكوم الرز على شكل اكوام طويلة تمتد من الشرق الى الغرب • ويغرز فى الرأس الغربية من الكومة ، وهو الرأس الذى يواجه القبلة ، خنجر[٦] أو توضع فوقه (تربة)[٧] • ويعتقد

(٦) يرمز الخنجر لسيف الامام العباس وهو رمز دينى عند اهـل الچبايش •

(٧) (التربة) قطعة صغيرة مدورة أو مستطيلة أو مربعة من طين جاف المفروض انها مصنوعة من طين البقعة التى قتل فوقها الامام الحسـين فى معركة كربلاء يسجد عليها الشيعة فى الصلاة ، وهى اداة مقدسة عندهم •

أهل الچبايش ان هذا الاجراء يزيد (البركة) فى المحصول « بقدرة الله » • ولان الذرة لا يمكن أن تكوم بهذا الشكل فلا مجال لاستعمال الخنجر او (التربة) فيها •

ويحافظ صاحب الارض على حصته من المحصول بعدة طرق • فهو عادة يستدعى الفلاحين الذين يزرعون فى أرضه ويطلب منهم ان يقسموا يمينا يكون نصه فى الغالب كالآتى : «بينى وبينك العباس انى لاابوگ ولاأضم» • ومعنى هذا ان الامام العباس ، الذى يعتقد بان « راسه حار » وشديد الانتقام، سيحمل الفلاح على أن يكون شريفا وان الخوف من انتقام العباس يمنع الفلاح من سرقة أو اخفاء شىء من المحصول ، قبل القسمة • ويعتقد الفلاحون اعتقادا جازما بقوة هذا القسم • وقد يتردد بعض الفلاحين فى اداء مثل هذا اليمين، ولهم الحرية فى أن يمتنعوا عن ذلك • وفى مثل هذه الحالات يعين الفلاح وصاحب الارض مخمنا (خاروص) • فان اتفقا على خاروص واحد ، فانه يجب ان يختاره صاحب الارض ، وان اتفقا على تعيين اثنين فكل يعين واحدا • فيجرى (الخاروص) الكشف على الارض ويقدر انتاجها قبل ان ينضج المحصول وتحسب حصة صاحب الارض بناء على تقديره • فان لم يوافق الفلاح على اداء اليمين ولا على تعيين (خاروص) ، فلصاحب الارض الحق فى تعيين رقيب (شحنة) يقيم فى الحقل ويراقب المحصول فى الفترة التى يصبح فيها قابلا للاستهلاك حتى يقسم وتسلم حصة صاحب الارض • وعلى الفلاح فى هذه الحالة ان يدفع لـ (شحنة) اجوره كما ان على صاحب الارض أن يقدم له هدية من حصته عند انتهاء مهمته • ونادرا ما يلجأ الى نظام الـ (شحنة) فى الچبايش لان قليلا جدا من الفلاحين يرفض اداء اليمين السالف الذكر • وهناك أدلة كثيرة على أن الاغلبية الساحقة من الفلاحين لا يحاولون سرقة او اخفاء شىء من المحصول •

وحين يصبح المحصول جاهزا للقسمة يأتى صاحب الارض أو من يمثله

الى المكان الذى جمع فيه وتجرى القسمة اما فى سلة صغيرة (مغطة) تسع عادة (وجيتين) (٧½كغم) أو بالميزان • وفى الحالة الاولى يستخدم (چايول) يجلس مواجها (الجبلة) ويكيل بالـ (مغطة) • ويفرغ المحصول برمية من فوق كتفه الى الوراء فيرمى على جهة (مغطة) واحدة لصاحب الارض وعلى الاخرى اثنتين للفلاح • ويتسلم (الچايول) اجرة قدرها (مغطة) واحدة عن كل كومة (صبّة) يقسمها من المحصول ، بغض النظر عن سعة او وزن كل منهما • وحين يقسم المحصول بالوزن يستخدم (وزّان) يتقاضى (رفعة) واحدة عن كل (صبّة) • وتزن (الرفعة) (وجيتين) • وتفضل القسمة بالميزان حين يكون هناك بيع فى الحقل بحيث يمكن قسمة المحصول ووزنه فى عملية واحدة •

وهناك كميات تؤخذ من المحصول الكلى للارض قبل القسمة النهائية وأثناءها ، هى :

اولا — يستطيع الفلاح وكافة افراد عائلته الذين يعيشون بصورة فعلية فى الحقل ان يستهلكوا أية كمية من المحصول • هذا بالاضافة الى ان الفلاح يستطيع مقايضة جزء من المحصول بالسمك والتمر ومنتجات الالبان وحتى السكر والشاى والتبغ ان وجد دكان قريب فى المنطقة • ويستعمل الفلاح ما يحصل عليه بالمقايضة لاستهلاكه الفردى ولاستهلاك عائلته ، ولكنه لا يستطيع ان يقايض المحصول بغير المواد الغذائية الاستهلاكية ، اى الطعام والسكر والشاى والتبغ • ويستمر هذا من الوقت الذى يصبح فيه المحصول قابلا للأكل حتى يقسم • ورغم ان هذا الامتياز غير معترف به بشكل صريح فان كافة الفلاحين يزاولونه وكل اصحاب الاراضى يشعرون بتصرفات الفلاحين • ولكن الفلاح لا يستطيع أن يفى ديونه من المحصول حتى يقسم •

ثانيا – يستخرج ٥٪ من المحصول كأجور للتذرية يأخذها الفلاح نفسه إن كان هو الذى قام بتلك العملية •

ثالثا – أجور قسمة المحصول التى فُصّلت سابقا ويتقاضاها (الجايول) أو (الوزان) •

رابعا – تستخرج (مغطة) او (جيلة) واحدة تسمى (جيلة الأسم الله)(٨) وتوضع على جانب لتعطى لسيد محتاج او لفقير • ويفعل ذلك طلبا للبركة وظنا بان ذلك يزيد المحصول •

ولا تقع على الفلاح مسؤولية سرقة المحصول من قبل افراد خارجيين ولكن صاحب الارض قد يقوم بتحقيق واستعلامات ، فان قام دليل على أن الفلاح نفسه أو احد اقربائه قد اشترك فى السرقة فان صاحب الارض يضطر الفلاح لاعادة دفع المحصول المسروق • واذا ما قدم الفلاح كمية قليلة من المحصول لحد غير معقول باعتبارها كل انتاج الارض ، فلصاحب الارض ان يطلب منه اداء يمين بانه لم يسرق شيئا من المحصول ، كما انه فى الغالب يمتنع عن اعطائه قطعة من ارضه ليزرعها فى السنين القادمة اذا توافرت له الادلة بان ذلك الفلاح يخفى جزءا من المحصول •

وللفلاح الحق أن يأخذ أية كمية من سيقان الذرة (جل) بعد الحصاد علفا لحيواناته كما يستطيع ان يعطى شيئا منها الى اقربائه واصدقائه الذين لم يزرعوا • اما الباقى فيباع من قبل صاحب الارض ، الى المعدان اصحاب الجاموس الذين يؤمون المنطقة عادة كل شتاء • ويسمى (الجل) الذى يباع بهذه الطريقة (مرجة) ومعدل سعره دينار واحد (للحبل) الواحد من الارض • اما سيقان الرز (بوه) فانها لا تباع فى الچبايش والعادة ان يأخذ الفلاح الكمية التى يريدها منها ويرسل بعضا منها لصاحب الارض ويترك ما يتبقى فى الحقل •

---

(٨) حين تكال هذه (الجيلة) يقول (الجايول) « بسم الله الرحمن الرحيم » تيمنا وطلبا للـ (بركة) ، ولذا تسمى (جيلة الاسم الله) •

والمفروض فى صاحب الارض ان يترك حصته كلها لبعض الافراد الذين يزرعون ارضه وان يأخذ جزءا منها فقط من اخرين • ولكننا يجب ان نؤكد هنا عدم وجود قواعد ثابتة تضبط سلوك صاحب الارض فى هذا الصدد ، بل ان عوامل كثيرة تقرر ذلك السلوك • فالسراكيل الذين يأخذون حصصا فى المحصول عن زراعة ارضهم هم سراكيل حمايل (آل الشيخ) و (آل غريج) و (آل عنيسى) و (آل خاطر) • اما بقية الحمايل فهى اما انها لا تملك ارضا خاصة بها وهى لذلك تزرع اراضى حمايل اخرى أو انها تدفع ضرائب للحكومة بصورة مباشرة • وهناك حمولة واحدة ، كما مر بنا ، هى حمولة (الحداديين) تتصرف بارضها على نظام (النكشة) الذى يدفع فيه كل فلاح حصة معينة من ضريبة الحكومة(٩) •

فحمولة (آل الشيخ) تطمع دائما فى رعاية ومعاملة خاصة من سركالها الذى هو ابرز شخصية فى حمولة (آل خيون) ، لان الحمولتين كانتا على صلات وثيقة فى مراحل طويلة من تاريخ العشيرة • ولاجل هذا السبب فان سركال حمولة (آل الشيخ) يعفى بعض الجماعات والافراد فى حمولته ، (كالسادة) ، (واجاويد الطايفة) ، واولاد اخوته وافراد آخرين من حمولة (آل خيون) ، والفلاحين الفقراء او الضعفاء الذين لا يستطيعون ان ينتجوا محصولا وفيرا ، من دفع حصتهم كلها او جزء منها •

و (رزيج آل سعيد) ، سركال حمولة (آل غريج) ، معروف بتساهله فى قسمة المحاصيل • ولانه صاحب اراض واسعة فانه ليس من مصلحته ان يثبط من همة الفلاحين فى الزراعة فى ارضه • هذا بالاضافة الى ان اكثر ارضه يزرعها فلاحون من حمولة (آل الشيخ) وهى تعود اصلا قبل الغاء المشيخة وتقسيم اراضى الشيخ (سالم آل خيون) على السراكيل لحمولة (آل الشيخ) وليس لحمولة (آل غريج) • كما أن حمولة (آل الشيخ)

---

(٩) راجع الفصل العاشر •

بحسب تقاليد العشيرة تعتبر أعظم الحمايل قدرا واعلاها مقاما فى حين ان حمولة (آل غريج) من احط الحمايل منزلة فيها • ولذا فلابد من معاملة فلاحى حمولة (آل الشيخ) بسخاء وعناية • واذا لم يُشجع فلاحو حمولة (آل الشيخ) على الزراعة فى اراضى حمولة (آل غريج) بالتسامح والتساهل فان سركال حمولة (آل غريج) قد لا يستطيع ان يجد من بين أفراد حمولته، التى اغلب افرادها عمال اجراء يهاجرون من القرية فى اغلب فصول السنة للعمل خارجها ، عددا يكفى من الفلاحين ليحلوا محلهم •

اما سركال حمولة (آل عنيسى) ، (صالح آل زاير صخر) فان مركزه حيال رؤساء افخاذ حمولته ضعيف جدا لانهم هم الذين حصلوا له على الارض وهو لذلك لا يتقاضى حصته من أى واحد من رؤساء الافخاذ فى حمولته •

وسركال حمولة (آل خاطر) هو (حبيب آل فارس آل خيون) من اعضاء حمولة (آل خيون) ، بيت الرئاسة فى القرية والحمولة صاحبة المقام الاجتماعى الاعلى • كما ان حمولة (آل خاطر) ذات احط مركز اجتماعى بين حمايل القرية لانهم (معدان) اصلا • ولذا فان (حبيب ال خيون) لا يتساهل معهم مطلقا بل انه يستغلهم كثيرا •

كل هذا يوضح انه رغم ان المفروض فى قسمة المحاصيل ان تتبع اسسا معينة فانها فى الواقع تختلف بحسب نوعية العلاقة بين السركال وافراد الحمولة الذين يزرعون فى أرضه وبسبب عوامل شخصية أخرى •

٤ ـ زراعة الخضر

تعتبر زراعة الخضر فى الچبايش مهنة محتقرة[١٠] ولذا فهى لا تزاول مطلقا • وكافة ما تستهلكه القرية من خضر اما ان يجلب من البصرة او يزرعه

(١٠) راجع الفصل السادس عشر •

فى القرية او فى الاراضى المحيطة بها اشخاص غرباء يسمون (حساوية) • فقليل من عوائل (الحساوية) تأتى الچبايش كل عام بعد هبوط ماء الفيضان مباشرة وتستأجر بضع جزر غير مسكونة ، أو قطع ارض زراعية صغيرة لموسم يمتد من شهر ايلول حتى شهر تشرين الثانى • ففى هذه الشهور الثلاثة يزرع (الحساوية) انواعا كثيرة من الخضر مثل الجزر والخس والطماطة والخيار وغيرها لبيعها فى سوق القرية • ففى عام ١٩٥٣ كانت ست عوائل من (الحساوية) فى (الحمراوية) وهى أرض تبعد بضعة اميال من النهاية الغربية للقرية وعائلتان فى الچبايش ذاتها • ومثل هذه الزراعة تسد جزءا من حاجة عوائل الموظفين والقليل من العوائل الموسرة من اهل الچبايش من الخضر • ويشجع موظفو القرية (الحساوية) على المجىء اليها وزراعة الخضر فيها •

ولا يزرع بهذه الطريقة من الخضر الا كميات قليلة بسبب قلة عدد عوائل (الحساوية) التى تأتى للقرية كل موسم وبسبب ندرة الارض الصالحة لمثل هذه الزراعة فى القرية • كما أن الرى يكوّن صعوبة اخرى فى الموضوع • فالرى بالرفع Lift irrigation ضرورى لزراعة الخضر التى تزرع فى موسم هبوط الماء • ويستعمل (الحساوية) منزفة (شادوف) وتسمى (منزح) لرفع الماء من الترع الى ارض البساتين التى يزرعونها •

٥ ـ النخيل[١١]

بناء على ما جاء فى احصاء جمعية التمور العراقية لسنة ١٩٥١ ، توجد فى الچبايش (١٥٠٤٧) نخلة تنتج كلها ٢٧٤٣٤٦ كيلوغراما من التمر وهذه النخيل من الانواع التالية :

(11) Phoenix dactylifera Linn.

النوع	عدد النخيل
ساير	٨٧٥
خضراوى	٣١٠٣
زهدى	٢٢٥
دگل	٩٢٢٩
فحل	٣٠٢
فسيل	١٣١٣
المجموع	١٥٠٤٧

ويتناقص عدد النخيل فى الجبايش بسبب الفيضانات المتكررة وطغيان الماء الذى يدمر عددا اكبر مما يستطيع اهل القرية زراعته كل عام • ولقد اكد لى كثير من اهل الجبايش انه كان فيها فى الماضى نخيل اكثر مما كان موجودا فيها فى السنوات العشر الماضية • وليس من الميسور طبعا معرفة عدد النخيل فى تلك الفترة ولا فيما قبلها • وقد يتبادر هذا السؤال الى الذهن : كيف عاش حتى هذا العدد القليل من النخيل فى الجبايش ما دامت مياه الفيضان تسبب سقوطه الان ؟ ويعتقد اهل القرية الذين سألتهم هذا السؤال ان زراعة هذا النخيل وبقاءه كان ممكنا بسبب فيضانات واطئة جدا حلت بالقرية فى سنوات متتابعة قبل عام ١٩٣٥ • فحين بلغت النخيل خمس او ست سنوات من العمر اصبحت قوية عميقة الجذور ولا تستطيع مياه الفيضان المرتفعة العاتية ان تقلعها او تقضى عليها • ولقد شهدت فى فيضان سنة (١٩٥٣) عددا كبيرا من النخيل اسقطته المياه • وكأجراء احتياطى يبنى اهل الجبايش فى موسم الماء الواطىء حول النخيل الصغيرة او الضعيفة قواعد واطئة من الطين تحيطها الحصر يبلغ قطر الواحدة منها بين الستة

والثمانية اقدام لتحفظها من المياه القوية التى لولا تلك القواعد لاسقطتها وجرفتها •

ويكاد يملك كافة النخيل الموجودة فى الجبايش اصحاب الجزر التى تنبت تلك النخيل فوق سطحها • ولكن هناك استثنائين ؛ فبعض العوائل تملك نخيلا على جزر غير مأهولة تسمى (بساتين) ، كما تملك بعض العوائل نخيلا على جزر تسكنها عوائل اخرى • ان معدل عدد النخيل التى تملكها العائلة الواحدة فى الجبايش هو (٣٨ر٩) نخلة • ولقد ظهر ان من بين المائة وعشرين عائلة (٩٨) عائلة (٧ر٨١٪) تملك نخيلا و (٢٢) عائلة (٣ر١٨٪) لا تملك نخيلا • ولقد كان مجموع النخيل التى ملكتها الـ (٩٨) عائلة (٨٥٨) نخلة ومعدل ملكية العائلة الواحدة (١٥ر٧) نخلة • وكان بين الـ (٩٨) عائلة التى تملك نخيلا (٦٩) عائلة (٤ر٧٠٪) تملك بين ١ ــ ١٠ نخلات و (٢٥) عائلة (٥ر٢٥٪) بين ١١ ــ ٢٠ نخلة و (٣) عائلات (١ر٣٪) بين ٢١ ــ ٣٠ نخلة وعائلة واحدة فقط (٢ر١٪) بين ٣١ ــ ٤٠ نخلة •

ولا يستنبت النخيل من البذور (فصم) ولكنه عادة يستنبت من (فروخ) أو (فسايل) • ولا يحتاج شجر النخيل الى كثير عناية غير حمايته من مياه الفيضان حين يكون حديث الزرع أو صغيرا • ويبدأ النخيل فى الحمل حين يكون عمره بين اربعة وستة اعوام ويبلغ نموه بين عشرة وعشرين ويبدأ فى الضعف من ثلاثين الى اربعين عاما ولكن النخلة قد تعيش الى مائة عام •

وتلقح النخيل باليد • ففى شهر نيسان يقطع الرجال (الطلع) من النخيل الذكور قبل أن يسقط اللقح ويقسم (الطلع) الى فروع كالخيوط فيتسلق الرجال كل نخلة انثى ويلقحونها • وكان فى القرية عدة رجال يقومون بهذه العملية لقاء أجرة مقطوعة قدرها عشرة فلوس عن كل نخلة •

وتتكون الثمرة بعد الاخصاب بحوالى شهر واحد وتنضج جزئيا فى شهر آب ويتم نضجها فى شهر ايلول •

وفى الفترة التى يبدأ فيها التمر بالنضج حتى يصبح جاهزا للجنى وامدها شهر واحد تقريبا ، يحرس الاولاد والبنات الصغار النخيل من الطيور بطردها بالصراخ وقذف الحجارة عليها •

وفى عام ١٩٥٣ بدأ أهل الچبايش يجنون تمر نخيلهم فى الثلث الاخير من شهر آب • وعند نهاية الاسبوع الاول من شهر ايلول تم جمع تمر كافة نخيل القرية • وحين يكون التمر غير تام النضج ، اى (خلال) تصعد النخيل بين آن وآخر ويجمع منها بعض (الخلال) للاستعمال العائلى • وتستمر عملية الجمع الجزئى غير المنتظم حتى يتم نضج كافة النخيل فيجمع تمرها كله مرة واحدة • ويجرى جنى التمر بقطع العذوق بالمنجل • فيتسلق الرجل النخلة التى قد يتراوح طولها بين ١٥ ـ ٣٠ قدما بمعاونة حزام حول وسطه وجذع النخلة يدعى (فرود) • ويتراوح عدد العذوق بين ثلاثة وثمانية ، وهى عادة ستة او سبعة ويزن الواحد منها حوالى (٢٥) رطلا • وتنزل الى الارض بواسطة حبل قوى •

وتغل النخلة الواحدة بين السبعين والمائة وعشرين رطلا من التمر فى العام • وما يتبقى من انتاج النخلة بعد ما يستهلك منه رطبا وما تأكله الطير يحفظ بطريقتين ليؤكل أو يباع فيما بعد أبان السنة • فبعض انواع التمر مثل (الچبچاب) و (البريم) و (الدگل) تغلى بالماء وتجفف فى الشمس من ثمانية الى عشرة ايام • وبعض هذه الانواع ، كالاول ، ، لا يمكن اكله قبل الغلى • والقسم الاكبر من هذا التمر المغلى (خلال مطبوخ) يباع للتجار المحليين • اما الانواع الاخرى كـ (الخضراوى) و (الساير) و (اسطه عمران) و (الديرى) فانها تترك بين عشرة ايام وعشرين يوما فى الشمس لتجف ، ثم يحفظ هذا التمر بطريقة (الچبس) فى سلال

خاصة تحاك من لباب سعف النخل (خصاف) فيرش التمر نصف الجاف بقليل من الماء وتفرش السلة بطبقات منه ، وتكبس كل طبقة بالقدمين ، ويبلغ عمق السلة حوالى ثمانية عشر انجا ومحيطها اربعة اقدام وتزن بين خمسين وخمس وستين رطلا • ويشترط فى الكبس أن يكبس كل نوع من التمور على حدة وان يكون الكبس بالقدم متقنا والا تعرض التمر للتعفن والفساد •

ويكاد كافة انتاج الچبايش من التمر ان يستهلك فى القرية ذاتها • وتقوم كل عائلة بجنى وتجفيف وطبخ وكبس تمرها بنفسها ، وتبيعه مكبوسا فى السلال (حلان) أو مطبوخا (خلال مطبوخ) لتجار القرية الذين يبيعونه فى دكاكينها • وكانت اسعار السوق للتمر المطبوخ عام ١٩٥٣ بين (٢/٢٥٠) دينارا و (٣/٠٠٠) دنانير (للمن) الواحد • وكان سعر (الحلانة) الواحدة بين (٥٠٠) و (٧٥٠) فلسا تبعا لنوع التمر • ولقد لاحظت قليلا من الحالات التى يباع فيها التمر قبل نضجه وقطعه اى عندما يكون رطبا على النخلة • ففى مثل هذه الحالة يباع انتاج النخلة كله بمبلغ يتراوح بين (٢٠٠) و (٣٥٠) فلسا ، ويكون للمشترى الحق فى ان يأتى النخلة فى اى وقت ليصعدها ويجنى منها •

ويستعمل اهل الچبايش منتجات النخيل الاخرى فى طرق عدة : فتستعمل الجذوع جسورا فوق القنوات والترع المائية ودعامات فى بناء المضايف والاكواخ ، كما تستعمل احيانا حطبا لنار القهوة • ويستخدم السعف والكرب حطبا فى الطبخ والخبز ، والخوص فى حياكة سلال التمر والمراوح اليدوية (مهاف) • والنخيل فى الچبايش اثمن من ان يقطع عمدا ليستخدم فى اى من هذه الاغراض ، ولكن جذوع النخل المتساقط بفعل مياه الفيضان تباع لاستخدامها في الاغراض المنوه عنها اعلاه ، كما ان الكرب والسعف يقطع كل عام بعد جنى الرطب •

الفصل الثاني عشر

القصب والحصر

١ ـ القصب ، منابته ونموه وادامته

من أبرز خصائص الهور النمو الكثيف من القصب الذى يغطى مساحات شاسعة من سطحه ٠ فمن (سوق الشيوخ) غربا الى (القرنة) شرقا ومن نهر (دجلة) فى الشمال الى الاجزاء العميقة من هور (الحمار) فى الجنوب ، يغطى القصب والبردى كافة الاجزاء من الهور على شكل احزمة ضخمة طويلة تمتد عدة أميال ٠ واعظم هذه الاحزمه فى منطقة الچبايش هو الحزام الذى يمتد شمال القرية بين (ابو سوباط) و (الكبيبة) ٠ ويحيط القصب بالچبايش لمسافة عدة اميال من كافة الجهات الا الجنوب طبعا حيث يجرى الفرات ٠ فالحزام الكثيف من القصب الذى يقع الى الشمال والشمال الشرقى من القرية والذى يمتد من الچبايش الى (الكبيبة) و (الصيكل) ومنها الى (ابو سوباط) وشمالا الى (زچرى) و (العگر) والى اجزاء اخرى من أهوار العمارة لا يقل عرضه عن عشرين ميلا من الشمال الى الجنوب وربما تجاوز ذلك فى بعض المناطق ، وعن خمسة وثلاثين ميلا طولا من الشرق الى الغرب ٠ ويتجاوز هذا الحزام حدود القرية ويصل الى النهر فى بعض المناطق ، كما يحتوى على بضع بقع من الماء الذى لا تغطى سطحه نباتات القصب أو البردى ، وبعض البرك العميقة ، وتقطعه عدد من المجارى المائية (گواهين) التى رغم انها لا تتعدى البضع ياردات عرضا فانها عميقة وصالحة لملاحة الزوارق ٠ ووراء مجرى النهر مباشرة تبتدأ منابت القصب والبردى بالظهور والانتشار فى قطع متناثرة رغم انها ليست كثيفة كأحزمة القصب المتصلة الممتدة شمال القرية الا انها تغطى كافة

الاجزاء الضحلة من الهور الذى يفصل بين مجرى النهر وبين القسم العميق من هور (الحمار) ٠

والقصب Phragmites karka Trin نبات مائى طويل ينبت بكثافة كبيرة ٠ ففى المنابت النائية فى الهور كـ (الحمارة) و (ابو جنة) ينمو القصب الى علو (١٦) ذراعا[1] (٢٤ قدما) فوق سطح الماء ٠ ولقد وجد فى أماكن معينة من الهور قصب طوله فوق سطح الماء (٢٠) ذراعا (٣٠ قدما)٠ ولكن معدل طول القصب بين (١٣ و ١٤) ذراعا (حوالى ٢٠ قدما) ٠ ويتراوح معدل محيط القصبة بين (٣٫٥ و ٤) انجات ٠ وينبت القصب فى بعض منابته بكثافة يتعذر معها على الرجل أو على زورق صغير ان يشق له طريقا فى تلك المنابت ٠

ويبدأ نمو القصب فى شهر كانون الثانى بظهور نبتاته الصغيرة الخضراء التى تشبه العشب ، وتسمى محليا (حشيش) ٠ ثم حين تنمو قليلا ، فى حوالى شهر نيسان ، يسمى القصب (عنگر) ويكون فى هاتين المرحلتين علفا جيدا للماشية والجاموس لمدة تبلغ حوالى ستة اشهر ٠ ثم حين ينمو القصب فيقوى ويعلو ولكنه لا يزال أخضر وطريا ، يبتدأ اهل الچبايش بقطعه وحياكته حصرا ، خاصة حين يصبح قصب الموسم السابق المكتمل النمو والذى يبلغ من العمر عاما بعيدا يصعب الوصول الى منابته نتيجة لقطعه المستمر ٠ ويدعى القصب فى هذه المرحلة (عگة) ويكون عمره بين الثمانية اشهر والاحد عشر شهرا ٠ وحين يبلغ القصب السنة من عمره يصبح قويا واصفر ويابسا ٠ ويدعى اعتبارا من بلوغه هذه المرحلة فصاعدا (جنيبه) وهو احسن القصب لحياكة الحصر ٠ ورغم ان القصب يعيش سنتين اخريين أو ثلاثا ، فانه لا يقطع لغرض حياكة الحصر بعد بلوغه السنة ونصف لعدم

(١) الذراع مقياس محلى يبلغ طوله حوالى (١٨) انجا وهو من طرف الاصبع الوسطى الى المرفق ٠

صلاحيته لذلك الغرض • وحين يتجاوز هذا العمر يدعى (رباخ) ولا يقطع الا لغرض استعماله وقودا • وبعد ذلك يبدأ بالجفاف والضمور ويتكسر بفعل الرياح فيتساقط ويموت فى عمر يقرب من أربعة أعوام •

ولكى يحصل (المعدان) على علف أجود لجاموسهم يحرقون القصب القديم كل عام فى حوالى شهر كانون الثانى لكى يفسح المجال لقصب جديد يافع غيره • وهذا الحرق يفيد حياكة الحصر ايضا لانه يؤدى الى نمو قصب جديد قوى مكان القديم الضعيف • ولكن بما ان الحرق يجرى كيفما اتفق بلا تعيين وبدون محاولة للسيطرة على النيران أو ايقاف سريانها ، فانها غالبا ما تأتى على كميات كبيرة من قصب (الجنيبة) القوى وتسبب فى بعض الاحيان ندرة موقتة فيه فى مناطق معينة •

٢ ـ طرق جمع القصب

حين يكون القصب فى مرحلة الحشيش الاخضر يكثر وجوده ليس فى اطراف القرية وحولها فحسب بل حتى فى مجاريها المائية • ويفضل أهل الچبايش أن يحشوا ذلك الحشيش علفا لماشيتهم مبتدئين بأقربه الى منازلهم • فتختفى تلك الحشائش التى تنبت فى مجارى وطرق القرية المائية وفى الترع الصغيرة المجاورة لها والمحيطة بها بسرعة حالما تظهر • ويظل اهل الچبايش يلاحقون القصب اليافع فى مرحلتيه (العنگر) و (العگة) من شهر شباط الى شهر آب ، يقطعون أقربه اليهم علفا لماشيتهم • ثم يبدأون يبحثون عن قصب (العگة) القوى الذى يصلح فى هذه المرحلة من السنة لحياكة الحصر • ومن منتصف شهر آب حتى نهاية العام يجدّ جماعو القصب من أهل الچبايش فى طلبه فيلاحقونه الى منابته منتشرين حول القرية بدوائر تتسع كلما تأخر الوقت وقلت كمية القصب القوى المكتمل النضج •

وحين ينتهى موسم (العگة) يصبح القصب الصالح لحياكة الحصر بعيدا عن القرية • فمن شهر كانون الثانى حتى شهر مارت يوجد عادة

نوعان من القصب يقطعان لغرضين مختلفين : الاول القصب الحشيش يجمع من الاماكن القريبة للقرية علفا للحيوانات ، والثانى القصب (الجنيبة) الذى لايتوفر الا في اماكن بعيدة في الهور ، لحياكة الحصر • وفي هذا الموسم بالذات يهاجر بعض أهل الچبايش كما سنبين[٢] الى جزيرة نائية في قلب الهور ليصبحوا قريبين من منابت القصب فيوفروا بتلك الهجرة السفرات اليومية الطويلة التى يجب ان يقوموا بها فى هذا الفصل من السنة الى منابت القصب البعيدة • وفى شهرى تموز و آب يزداد بعد القصب (الجنيبه) عن القرية وبعين الوقت يبدأ القصب اليافع (العگة) بالنضج • فيترك أهل الچبايش بصورة تدريجية السفرات اليومية المرهقة الى منابت القصب (الجنيبة) • واعتبارا من منتصف شهر آب يعتمد حاكة الحصر اعتمادا كليا على القصب الجديد (العگة) • ويستمر اهل الچبايش على حياكة القصب (العگة) من شهر آب الى شهر تشرين الثانى • وعلى هذا فالسفرات الى منابت القصب تختلف بحسب المسافة التى يبعد بها القصب عن القرية وهى على ثلاثة أنواع •

١ ـ حين يكون القصب قريبا يقوم أهل الچبايش برحلات تستغرق بين ست ساعات واثنتى عشرة ساعة بما فى ذلك الزمن اللازم لقطع القصب • ويدعى القائمون بمثل هذه الرحلات (غوّارة) • فتخرج زوارقهم عند الفجر حوالى الساعة الثالثة صباحا فى الصيف والخامسة فى الشتاء • ويسيّر الزورق الواحد عادة شخصان ؛ رجل يعاونه ولد صغير أو بنت أو امرأة • وقد يخرج به فى بعض الاحيان ولدان أو فتاتان أو امرأة مع ولدها أو ابنتها • ويشرب جماعو القصب قبل ان يتركوا أكواخهم الشاى ويخبزوا الخبز الذى يأخذونه معهم ليأكلوه اثناء رحلتهم • وعندما يصلون الى المواضع التى يرغبون فى جمع القصب منها يستريحون قليلا ويأكلون خبزهم قبل

(٢) راجع الفصل الثالث عشر •

البدء بجمع القصب • وقد يمضى جماعو القصب مدة يبحثون فى الهور عن قطعة ملائمة للقطع • ويحتاج قطع (جرد) حمل زورق من القصب ، وهو يقرب من خمس عشرة باقة محيط الواحدة منها ذراع ونصف[٣] الى حوالى اربع ساعات • فان كان القصب قريبا فان الرحلة قد تستغرق حوالى ست ساعات وان كان فى منابت تبعد ثلاث الى اربع ساعات عن القرية فان الرحلة تستغرق بين عشر الى اثنتى عشرة ساعة •

٢ ـ وحين يستلزم الامر أكثر من اربع ساعات لوصول منابت القصب يقضى جماعو القصب ليلة في المواضع التى يجمعون منها قصبهم في الهور • ويطلق على من يقوم بمثل هذه الرحلات (بياتة) • فيتركون القرية عند الظهر فى زوارق أكبر فى العادة من تلك التى تستعمل للرحلات اليومية ، لان هذه الرحلات لا يقام بها الا بين يوم وآخر ولذا فلابد ان يكون القصب المجموع ضعف الكمية الاعتيادية • ويصطحب (البياتة) معهم حصرا ولحفا لينامو فوقها ويتغطوا بها ، وطحينا وسكرا وشايا لطعامهم • وحالما يصلون الى المكان المطلوب يدأبون على قطع القصب حتى غروب الشمس • ثم يقضون ليلتهم فى (مشاحيفهم) وقد يصطحبون معهم فى بعض الحالات ناموسيات ينصبونها فوق (مشاحيفهم) ان كانت المنطقة كثيرة البعوض ، وأغلب مناطق الهور كذلك ، شريطة ان تستطيع عوائلهم الاستغناء عنها • وعند الفجر يتم (البياتة) قطع القصب ويحملون (مشاحيفهم) ويعودون الى القرية فيصلونها عادة عند الظهر أو بعده قليلا •

٣ ـ والنوع الثالث من رحلات جمع القصب رحلات طويلة نسبيا يقوم بها بعض أهل القرية ممن يملكون (بلام) شراعية كبيرة • فتأخذ تلك الزوارق الكبيرة مع (المشاحيف) الى مناطق فى الهور • ويقوم بهذه الرحلات الرجال

(٣) يقاس مقدار القصب فى القرية عادة بالباقات واحجامها • وتختلف كمية القصب فى الباقة باختلاف سعة محيطها الذى يتراوح بين نصف ذراع وذراعين •

دون النساء • فتترك (البلام) الكبيرة فى (كواهين) الهور العريضة ويتوغل الرجال بزوارقهم الصغيرة فى الممرات الضيقة • و (يجردون) القصب فيملأون به (مشاحيفهم) ثم يأخذونها لتفرغ فى (البلام) الكبيرة • ويمضى الرجال قرابة شهر فى هذه الرحلة ، ينامون ويحضرون طعامهم فى (البلام) دون ان يقيموا أكواخا • ويعتمد طول الرحلة طبعا على حجم (البلم) الذى لا يعاد الى القرية الا بعد ان يملأ تماما • وبعض اصحاب أمثال هذه الزوارق الشراعية الكبيرة يقومون برحلة ثانية بعد ان يرتاحوا فى القرية يومين أو ثلاثة من رحلتهم الاولى •

ويتم (الجرد) بواسطة المنجل • فيلبس جماع القصب فى العادة (دشداشة) و (چفية) قديمتين أو يعمل فى الموسم الحار عاريا • وحين يجد قطعة ارض يابسة فى موسم هبوط الماء فانه يكسر بعض القصب فوقها ويقف عليها اثناء (الجرد) • اما اذا كان الماء عاليا فان جماع القصب يعمل واقفا فى زورقه • وطريقة الجرد هى أن يلف (الجارود) ذراعه حول عدد من القصبات ثم يقطعها بمنجله بحركات سريعة قوية ثم يضعها جانبا ويحيط بذراعه مجموعة أخرى من القصب ثم يقطعها وهكذا • ويعمل جماع القصب فى العادة مصطبة صغيرة (چباشة) من القصب بان يحنى مقدارا من القصب بعضه فوق بعض من علو ذراع أو ذراعين فوق سطح الماء أو الارض مكونا سطحا منبسطا مرتفعا من القصب ، يكوم فوقه ما يقطعه ويجمعه • واذا كان القصب يجمع لغرض حياكة الحصر ، ويسمى (گصب صنعه) فان جمّاع القصب يقيس قصبة بطول ستة أذرع (٩ أقدام) ويضعها جانبا ، وحين يقطع ما يعتقد انه مساو لباقة فانه يصفف قواعد القصب المقطوع ثم يقيسه بتلك القصبة ويقص القسم الزائد من اطرافه الرفيعة • وتحتوى القصبة عادة فى اقسامها العليا التى تقطع على أوراق صغيرة خضراء يأخذها جماع القصب معه علفا لبقراته • ثم يربط (الباگة) برباط من قصب (بنده) يُحضر بدق قصبة وليّها بحيث تصبح كالحبل • وحين يتم حزم (الباگة) يبدأ الجماع

بقطع حزمة اخرى • وتترك عند قطع قصب (الصنعة) مسافة بين سطح الارض أو الماء ومكان القطع لان الاجزاء السفلى من القصبة ، وخاصة ما هو قريب جدا منها لوجه الارض أو الماء تحتوى على الياف تجعلها قوية يصعب دقها لغرض حياكة الحصر •

ان معدل الوقت اللازم لقطع وحزم باقة من القصب هو خمس عشرة دقيقة • ومعظم جماعى القصب يخرجون للعمل أزواجا ؛ احدهم (يجرد) والاخر يقيس ويحزم ويحمّل فى الزورق • ومعدل حمولة زورق يخرج به رجل ومساعد له كولد أو فتاة أو امرأة ، خمس عشرة أو ست عشرة باقة تستلزم وقتا يقرب من ساعتين • ولكن اذا خرج رجلان أو رجل وامرأة تستطيع ان تشارك في (الجرد) ذاته في زورق كبير فان معدل مايجلب من القصب بين اربع وعشرين وثلاثين باقة • ويضطر بعض الرجال الى الخروج منفردين بزوارقهم ، وفي مثل هذه الحالة يكون معدل حمولة الزورق بين ثماني وعشر باقات ، خاصة اذا كان القصب بعيدا عن القرية •

وفيما يلى سجل لرحلة من رحلات جمع القصب التى شاركت انا فيها ندرجه ادناه لتوضيح الوقت الذى صرف ومقدار القصب الذى جمع :

فى الساعة الثانية والنصف من صباح يوم من أيام شهر ايلول ١٩٥٣ استيقظ (طارش آل حسان) من نومه وبعد ان حضر وشرب شايا ترك جزيرته فى (ديوان) فخذ (آل حجى سارى) فى (حمولة آل الشيخ) مستصحبا معه ولده (ثجيل) البالغ من العمر ست سنوات فى (مشحوفه) فى الساعة الثالثة صباحا • ولقد التقيت به فى طرف القرية وهو يتركها الى (برگة بغداد) ، وهى بركة كبيرة من ماء الهور العميق يحيط بها نمو كثيف جدا من القصب • فبلغنا ذلك المكان فى الساعة الخامسة والدقيقة الاربعين بعد دفع وتجذيف حثيثين مستمرين • وقبل ان نبلغ البركة بحوالى خمسين ياردة عرج (طارش آل حسان) على ممر مائى ضيق يوصل الى مكان يسمى (السودة) • وفى الساعة الخامسة والدقيقة الخامسة والاربعين وصلنا

ذلك المكان الذى قرر (طارش) أن (يجرد) فيه قصبه • وبدأ (الجرد) بعد ان استراح خمس دقائق ، وظل (يجرد) باتصال حتى الساعة التاسعة والدقيقة الخامسة والاربعين • وكان مجموع ما قطعه خمس عشرة باقة كل واحدة تحتوى على مائة قصبة تقريبا ، ويقرب محيطها من ذراع واحد • ولقد عمل (طارش) مدة (٢٣٥) دقيقة فكان معدل ما صرفه على قطع الباقة الواحدة يقرب من ست عشرة دقيقة • ثم امضى قرابة خمس عشرة دقيقة أخرى فى ربط وترتيب ما فشل ولده الصغير فى اتمامه من هذه العمليات التى كانت من واجباته • وفى تمام الساعة العاشرة بدأنا نعود الى القرية • وبمعاونة تيار الماء استطعنا ان نبلغها فى حوالى ساعتين والى أن وصلنا كوخ (طارش آل حسان) وأتم انزال حمل زورقه كانت الساعة الثانية عشرة والدقيقة الخامسة والعشرين بعد الظهر • فيكون مجموع الوقت الذى استغرقته الرحلة كلها تسع ساعات وخمس وعشرون دقيقة ، ومعدل الزمن الذى اقتضاه قطع وربط وتحميل ونقل الباقة الواحدة من القصب حوالى ثمان وثلاثين دقيقة •

و (يجرد) أهل الچبايش القصب لاغراض مختلفة ، فهو :

١ — (گصب صنعة) لحياكة الحصر • وهو يختار من بين القصب السميك القوى • ويترك الذى (يجرد) هذا القصب مسافة قدمين الى ثلاثة أقدام بين وجه الماء أو الارض ومكان القطع ان كان طول القصبة يسمح بذلك ، لان القسم الاسفل من القصبة ، كما اسلفنا ، غير صالح لحياكة الحصر • اما من القسم الاعلى فان القصبة تقص بحسب الطول المطلوب الذى هو فى العادة ستة أذرع (تسعة اقدام) •

٢ — (تبارة) ويستعمل لاقامة الحواجز والسياجات والجدران القصبية ، وكذلك لعمل الـ (هطر) اللازمة لاقامة المضايف والاكواخ • ومثل هذا القصب يقطع من وجه الماء أو الارض تماما ولا يقص من أعلى القصبة غير الاوراق الخضراء التى فى نهايتها •

٣ – (شباب) وهو القصب الذى يستعمل فى صنع اعمدة المضايف أو البيوت (شباب) ، وهو كالنوع السابق يقطع من وجه الارض أو الماء ولكن نهاية القصبة لا تقص ولا تزال منها حتى الاوراق الخضراء •

ويحق لكل فرد من سكان الچبايش ، بدون قيود ، ان يذهب اينما يشاء فى الهور لقطع وجمع القصب • فليس للـ (سراكيل) حق أو ضريبة فى القصب ، وأغلبه ينبت فى أرض اميرية صرفة • على ان هنـاك بعض القواعد التى يراعيها جماعو القصب فيما بينهم :

فللرجل أو للعدد من الرجال الذين يدخلون (مشش) من القصب ، وهو ممر وسط منابت القصب ، مطلق الحرية أن يستغلوا ذلك الـ (مشش) طيلة اليوم دون أن يشاركهم أو ينافسهم فيه أحد آخر • وفي أبان موسم (الجنيبة) فقط يجوز لعدد من جماعى القصب ، هم فى العادة أفراد عائلة أو فخذ واحد ، أن يعينوا منطقة من القصب بقطع شىء منه حولها بشكل دائرة وعندئذ يحق لهم وحدهم ان يستغلوا كافة قصب تلك المنطقة التى عينوها • ومن القواعد الهامة عند أهل الچبايش انه لا يجور لاحدهم أن يأخذ قصبا قطعه وحزمه غيره ، حتى لو ظل متروكا فى الهور عدة أيام • فالباقات التى تترك فى الهور لوقت ما يجب الا يأخذها الا اصحابها • ولاهل الچبايش قابلية عجيبة على معرفة اصحاب القصب من طريقة قطعه وحزمه ، كما ان الواحد منهم يعرف على وجه التأكيد القصب الذى قطعه بنفسه بيسر دون أن يخطأ • وبناءاً على كثرة القصب ووفرته فى الچبايش وحولها فان جماعى القصب لا يخرجون على هذه القواعد ولا تحصل منازعات حول القصب مطلقا •

٣ ـ استعمال القصب

يستعمل القصب لاغراض كثيرة مختلفة • واهم هذه الاغراض طبعا حياكة الحصر ويستنزف فيها القسم الاعظم من القصب الذى يجمعه أهل

القرية • ويستعمل القصب أيضا فى بناء البيوت والمضايف ، التى تبنى كلها من القصب والحصر ليس غير • والى جانب هذا فان القصب يستعمل لاقامة السياج (حوش) الذى يحيط بالجزيرة وفى (التچبيش) ، وهو رفع مستوى سطح الجزيرة ايام الفيضان كما مر بنا سابقا[٤] •

ويصنع الاثاث وبعض اللوازم البيتية فى الغالب من القصب ؛ فمثلا السرير الذى ينام فوقه وهو عبارة عن منصة من قصب ارتفاعها حوالى ثلاثة أقدام وعرضها ستة أقدام وطولها بعرض الكوخ الذى تقام فيه وهو عادة بين تسعة أقدام وأحد عشر قدما • كما تصنع من القصب (السـوابيط) ، و (السوباط) منصة طولها يتراوح بين احد عشر وتسعة عشر قدما وعرضها بين احد عشر واربعة عشر قدما وارتفاعها بين ستة وتسعة أقدام • وتقام هذه المنصة لينام عليها أفراد العائلة أبان موسم الفيضان • وبالاضافة الى هذا فان القصب يستعمل لصنع عدد من الادوات المنزلية مثل السـلال وسرر الاطفال والـ (مرادى) المستعملة فى دفع الزوارق وغير ذلك •

ويستعمل أهل الچبايش نوعين من الوقود ؛ القصب وروث الحيوانات المجفف فى الشمس (مطال) • والقصب طبعا أكثر استعمالا من روث الحيوانات لوفرته وسهولة الحصول عليه • والقصب المستعمل وقودا اما فضلة المستعمل فى حياكة الحصر كالقشور والنهايات والقصب الردىء ، او القصب المسمى (رباخ) وهو الذى يقطع ويجلب خصيصا لا لحياكة الحصر ولا لبناء الاكواخ والمضايف ، بل للوقود •

ويباع القصب بالدراهم او يستبدل بالمقايضة داخل الچبايش وخارجها• ففى داخل القرية يباع أو يقايض فى حوالى خمسـين دكانا منتشـرة فى (النزل) • والذى يباع او يقايض منه بهذه الطريقة يحزم باقات محيطاتها نصف ذراع أو ذراع أو ذراعين ، ويكون اما مقصوص النهايات ، قصيرا

---

(٤) راجع الفصل الثانى ، ص ٢٤ والفصل الثالث ص ٥١ •

أو عكس ذلك ، طويلا . ولقد كانت الاسعار الجارية للقصب فى الچبايش عام ١٩٥٣ كالآتى :

	الطويل		المقصوص	
	فلس	دينار	فلس	دينار
١٠٠ باقة ذات محيط نصف ذراع	٧٥٠		٥٠٠	
١٠٠ باقة ذات محيط ذراع واحد	٥٠٠	١	٠٠٠	١
١٠٠ باقة ذات محيط ذراعين	٠٠٠	٣	٠٠٠	٢

اما المواد التى يقايض القصب بها فى هذه الدكاكين فهى القماش والطحين والسكر والشاى والتبغ . وتجرى المقايضة بالدراهم كأساس لتعيين الكميات المتبادلة بالمقايضة ، ولكن الدراهم نفسها لا تتداول الا نادرا .

اما خارج الچبايش فان القصب يأخذ الى ثلاث مناطق هى (الغراف) و (المجرة) و (العمارة)[٥] . ففى موسم الحصاد الشتوى تسافر ما لا يقل عن مائتى عائلة من الچبايش الى منطقة (الغراف) مصطحبة معها كميات من القصب للمقايضة . ويكون بعض هذا القصب مفشقا ومدقوقا ويسمى (ليط) وبعضه مربوط بحزم ويدعى (شباب) . والذين يأخذون القصب معهم (ليط) يحوكونه حصرا عند وصولهم الى المنطقة التى يريدون مقايضته فيها ويحصلون به على شعير وحنطة . وعين الشىء يحدث فى منطقة (العمارة) و (المجرة) اذ يقايض القصب والحصر بالرز والذرة . ويشتد اقبال اهل الچبايش على مثل هذه الرحلات فى السنوات التى لا تحدث فيها زراعة فى

(٥) من المهم أن نوضح هنا باننا نستعمل كلمة (العمـــارة) ليس بمعناها العام الذى يعنى اللواء المعروف بل بالمعنى الذى يقصده اهل الچبايش حين يستعملونها وهو المناطق الهورية القريبة لقريتهم من ذلك اللواء مثـــل المجتمعات الهورية المنتشرة على انهر (الطويل) و (البتيرة) و (المجر الكبير) و (المجر الصغير) والمجتمعات التى تقع بين هذه الانهار ونهر دجلـــة فى اهوار لواء العمارة .

القرية . والذين لا يزرعون من اهل الچبايش يذهبون كل عام فى بعض او كل هذه الرحلات للمقايضة .

٤ ـ حياكة الحصر

لم تكن عشيرة (بنى اسد) قبل ستين سنة تعرف حياكة الحصر او تزاولها . فلقـــد كانت العشيرة تعيش على الزراعة وتربية الماشـــية وتحتقر حياكة الحصر . ولم يبدأ أهل الچبايش مزاولة هذه المهنة الا تحت ضغط اقتصادى شديد مصحوب فى بعض مراحله ، كما سنبين فيما بعد ، بضغط عسكرى ايضا . والسبب فى امتناعهم عن حياكة الحصر انهم كانوا يعتقدون ان هـــذه المهنة تلائم (المعدان) من سكان الاهوار وهى لا تتفق وتقاليد عشيرتهم . ولذا فانهم تعلموا الحياكة بصورة تدريجية وبطيئة . ومن المهم تأكيده هنا ان التحول فى اقتصاديات العشيرة من الزراعة الى حياكة الحصر بدأ أولا فى محيط العشيرة الخارجى واطرافها فظل قلب العشيرة ، أى الحمايل والافخاذ الاصلية ذات الاعتبار العالى ، يمانع فى مزاولة تلك المهنة حتى وقت متأخر جدا . فقبل بداية هذا القرن كان بعض (المعدان) مثل (البو شبيب)و (العواچى)[٦] الذين عاشوا مدة طويلة مع (بنى اسد) ثم انضموا اليهم عن طريق الكتبة ، قد تعلموا حياكةالحصر ابان اقامتهم الطويلة فى الهور . ثم تعلم هذه الصناعـــة بعض افراد العشـــيرة الذين كانوا اصلا (معدان) ولكنهم اندمجوا فيها (مثل فصائل معينة من حمولتى الحداديين وآل ونيس) وبدأوا يحوكون الحصر . وفى أواخر ايام الشيخ (حسن آل خيون) ، حوالى عام ١٨٩٠ ، ابتدأ (بنى اسد) انفسهم يتعلمون الحياكة ويزاولونها . وفى اثناء مشيخة الشيخ (چايد آل خيون) (١٨٩٣ – ١٨٩٦) ازداد الاقبال على حياكة الحصر حين اصبحت الزراعة غير مربحة . فبدأ

(٦) هما الآن فخذان من حمولة (آل الشيخ) فى عشيرة (بنى اسد) ذاتها يسكنان فى الهور قريبا من الچبايش . راجع الجدول رقم (٨) ص ١٣٦ .

عدد من يزاولها من (بنى اسد) يزداد بسرعة • وفى اثناء الحرب العالمية الاولى (١٩١٤–١٩١٨) ارتفعت اسعار الحصر لان الطلب عليها اشتد كثيرا من قبل السلطات العسكرية البريطانية التى اضطرت عند عدم الحصول على كفايتها منها أن تجبر سكان الاهوار الذين كانوا يزاولون حياكتها على زيادة انتاجهم منها • فلقد فرضت فى منطقة الچبايش على كل عشيرة أو جماعة ممن يحوكون الحصر وجوب تقديم عدد معين منها بصورة اجباريه • وتحت تأثير هذين العاملين ؛ الاغراء بالربح نتيجة لارتفاع الاسعار وضغط السلطات البريطانية ، اللذين عملا فى وقت واحد ، اقبلت (بنى اسد) كلها بحماس على حياكة الحصر • وكانت الحمولة التى امتنعت اطول مدة عن مزاولة هذه المهنة والتى زاولتها آخر الحمايل كلها هى حمولة (آل الشيخ) • فلم تبدأ حياكة الحصر الا بعد نهاية الحرب المذكورة • وحين انتهى الطلب من السلطات العسكرية البريطانية على الحصر ، كان اهل الچبايش قد تعلموا حياكتها وتدربوا عليها ووجدوا تجارتها مربحة • ولم تتعلم حياكة الحصر بعض افخاذ من حمايـل (آل الشيخ) و (آل عنيسى) و (آل ويس) و (بنى عسچرى) حتى بداية العقد الرابع من هذا القرن • وكانت الافخاذ او الحمايل التى قاومت هذا التطور الاقتصادى تقوّم دخلها الضئيل من الزراعة بالهجرات الموسمية للعمل خارج القرية ، ثم بدأت تلك الحمايل والافخاذ تشعر بان هـذا الاقتصاد المزدوج القائم على الزراعة والهجرات الموسمية لايكفى لسد عوزهم ولايضمن لهم العيش ولذا فانهم بدأوا يزاولون حياكة الحصر كمهنة اساسية •

ويمقت اهل الچبايش حياكة الحصر اشد المقت رغم انهم يشعرون تماما انها المورد الاساسى فى دخلهم ما دامت الزراعة، وهى الدعامة الرئيسية الاخرى فى اقتصادياتهم قد اصبحت غير مضمونة ولا مربحة • فهم يشتكون بصورة متصلة من ان حياكة الحصر عمل شاق للغاية واشق ما فيه واشده ثقلا على نفوسهم جمع القصب وجلبه من منابته البعيدة الى مساكنهم فى

القرية • انهم يعتقدون ان حياكة الحصر تسبب الاصابة بالجذام ، ولكن حين يسألون كم واحد من هذه الآلاف من أهل الچبايش الذين كانوا من عشرات السنين وما زالوا يزاولون حياكة الحصر قد اصيب بهذا المرض ، فانهم يستطيعون أن يذكروا اسما او اسمين فقط ! ورغم عدم وجود علاقة بين الجذام وحياكة الحصر بأى شكل من الاشكال ، فان ظروف العمل فى هذه المهنة قد تنتج عللا جسمية نتيجة العمل الشاق المرهق لسنين طويلة • واحدى الخرافات الشهيرة عند اهل الچبايش عن الحصر وحياكتها آن ابليس هو الذى ابتدع وابتدأ حياكة الحصيرة الاولى ثم اتلفها بعد اتمامها ولكن الانسان وجد جزءا من تلك الحصيرة وتعلم منه حياكتها • وهذا هو السبب ، كما يقول أهل الچبايش ، فى أن حياكة الحصر « ما بيها بركة » ، وان الذين يحوكون حصرا لا يكسبون ولا يجمعون ثروة •

وتحاك الحصر كلها فى الچبايش على نموذج عام واحد وتستعمل فيها طريقة واحدة يتبعها كل (الصوانيع) • يستثنى من ذلك فخـذ واحـد من حمولة (آل الشـيخ) هم (البو مسـعود) اشـتهروا بفنهم المتقن ومهارتهم الكبيرة فى حياكة الحصر التى بدأوا يزاولونها منذ أمد طويل • فحاكة (البو مسعود) يعتنون عناية فائقة فى اختيار القصب لحصرهم ولهم صبر عجيب على تفشيقه الى انصاف متساوية العرض ، كما يحرصون على آن يكون كل ما يستعمل منه فى حياكة الحصيرة الواحدة من سمك واحد بحيث اذا ما فشق ودق اصبحت كافة السـفائف بعرض واحـد • كما انهم لا يستخدمون قصب (الصنعة) الغليظ الذى يستخدمه غيرهم • هذا بالاضافة الى انهم متخصصون فى حياكة الحصر ذات الحواشى المحوكة من جهاتها الاربع[7] وفى حياكة الحصر ذات الاحجام الكبيرة التى تستعمل فى فرش الاكواخ والمضايف • وهناك دائما زيادة تقرب من دينارين فى سعر كل

(٧) سنوضح فيما بعد فى هذا الفصل ان للحصر العادية حاشـيتين محوكتين واخريين مطويتين •

الف حصيرة يحوكها فخذ (البو مسعود) عن سعر الحصر التي يحوكها الآخرون •

وتتكون حياكة الحصيرة من اربع عمليات غير جمع القصب :

الاولى تقشير القصب (التكشير) • فالقصب مغطى بقشرة يجب ان تزال قبل حياكة الحصر • ويتم ذلك بطريقة بسيطة وهى أن تمسك القصبة بيد وتفرك بالاخرى بحيث تنفصم العقد التى تربط القشر بالقصبة فيقلع من مكانه ويسقط • ويجب اعادة عملية الفرك هذه بين كل عقدتين فى القصبة وهى مسافة تقرب من تسعة انجات ، اثنتى عشرة الى خمس عشرة مرة فى القصبة الواحدة التى يبلغ طولها حوالى تسعة اقدام • ويحتوى القصب فى بعض الاحيان على نتوءات صغيرة (خروص) يجب ان تزال بالمنجل • ويقوم بعملية التقشير كافة افراد العائلة بما فى ذلك الاولاد والبنات الصغار •

والعملية الثانية هى التفشيق (التفشيج) ؛ فالقصب المقشر يفشق ؛ كل قصبة الى نصفين باداة صغيرة تشبه المنجل ولكنها أصغر منه حجما كثيرا ولا يد خشبية لها تسمى (المشگة) • فتمسك القصبة في اليد اليسرى و (المشگة) في اليمنى • وتغرز (المشگة) في نهاية القصبة بضربة قوية تشقها الى مسافة تقرب من مكان اليد القابضة عليها ، وهى مسافة تقرب من ثمانية عشر انجا • ثم تنقل اليد اليسرى القابضة على القصبة بحركة سريعة الى النهاية التى بدأ التفشيق منها • ثم يتم فشق القصبة بان تدفع (المشگة) باليد اليمنى الى النهاية الثانية للقصبة بحركات رتيبة ومسافات متساوية تقريبا فى حين تتبع ذلك اليد اليسرى بسحب القصبة فى اتجاه معاكس لاتجاه سير (المشگة) فى فترات ومسافات متساوية • ويقوم بتفشيق القصب عادة الرجال فقط لانه عمل يحتاج الى المهارة والسرعة •

والعملية الثالثة هى الدق (الدگ) • بعد ان يتم تقشير وتفشيق القصب يدق باداة تسمى (مدگة) وهى مطرقة خشبية كبيرة لها يد طويلة تشبه بشكلها (ميجنة الجاون) ، تزن فى العادة حوالى ثمانية كيلو غرامات

وطول يدها حوالى خمسة اقدام • ويوضع القصب المقشر المفشق المراد دقه على قطعة ارض نظيفة مستوية السطح • والعادة ان تقوم النساء بالدق وهو عمل شاق مرهق ، ولكن قد تعاونهن أو يقمن مقامهن البنات الكبيرات ونادرا ما يضطر الرجال على المشاركة فيه • وتنتقل المرأة اثناء الدق فوق القصب من نهاية الى اخرى بخطوات رتيبة متساوية السعة • فحالما ترفع مطرقتها من فوق القصب تتحرك الى الامام خطوة بحيث تهوى المطرقة على جزء غير مدقوق • والقوة ضرورية للقيام بهذه العملية ، ولكن يبدو ان السبب الذى جعل هذا العمل من اختصاص النساء دون الرجال هو شبهه بـ (هبش) الطعام بـ (الجاون) وهو عمل نسائى بحت لا يزاوله الرجال مطلقا •

والعملية الرابعة هى الحياكة (السفافة) : فالقصب المعد للحياكة يجب أن يكون اولا رخوا بحيث اذا كان شديد اليبوسة فيجب اما أن ينقع فى الماء لفترة من الزمن أو أن يرش بالماء ليحاك فى صباح اليوم التالى • ويبدأ الحائك هذه المرحلة الختامية فى حياكة الحصيرة بان يصف على الارض عشر سفائف[٨] (أ ، ب ، ج ، د) جنبا الى جنب هى السدى وتدعى (السدة) ثم يحوك عليها بزاوية قائمة ثلاث سفائف (هـ ، و ، ز ، ح) مكونا ما يشبه الصليب المتساوى الاذرع • وتدعى هذه (البدوة) • ثم يجلس الحائك على نقطة تقاطع أذرع الصليب ويأخذ بالسفافة ، مبتدأ من الجهة اليمنى ومتجها الى الاعلى ، أى من (ز) الى (ب) • ويستعمل الحائك الاسلوب الذى يدعى Twilled والذى تعبر فيه كل سفيفة من اللحمة Weft تحت ثم فوق ثلاث سفائف من السدى Warps[٩] • وحين يمضى الحائك فى

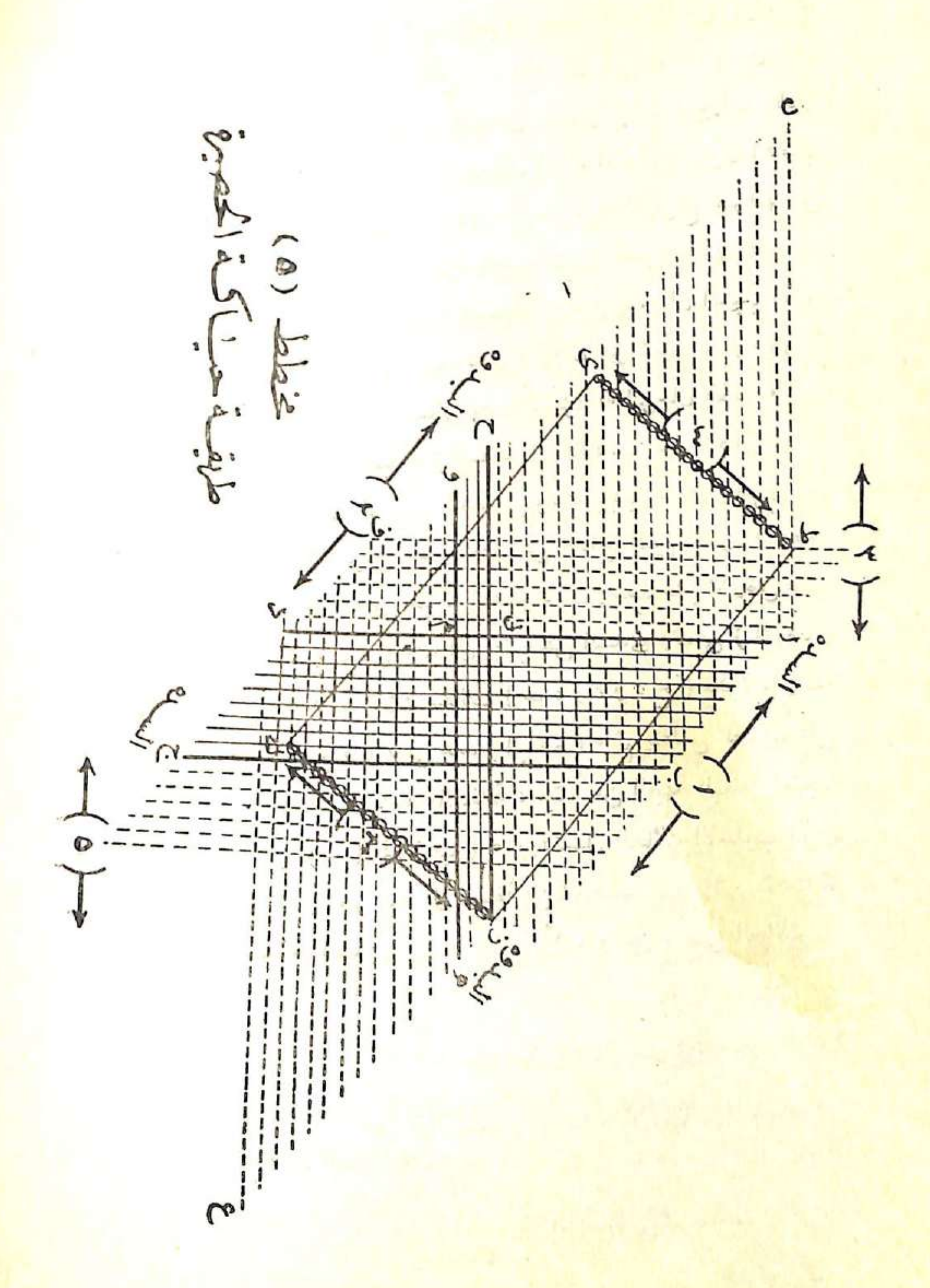
(٨) انظر المخطط رقم (٥) •

(٩) تستعمل فى حياكة الحصر وعمل السلال فى الشعوب المتأخرة أساليب مختلفة منها :

أ – Check وهو مرور سفيفة واحدة من اللحمة فوق واحدة من السدى وتحت أخرى •

ب – Twilled وهو المبين أعلاه •

ج – Wrapped وهو أن تلف السفيفة الواحدة من اللحمة حول كل =



حياكته من (ز) الى (ب) يجعل كل سفيفة ، باستثناء الخمس او الست الاولى ، داخلة الى جهة اليسار بمقدار انج واحد عن التي تسبقها ، حتى اذا ما وصل الى النقطة (ب) تكون النهاية التي الى جهة اليد اليمنى للسفيفة فى اللحمة منطبقة على النهاية العليا لاول سفيفة على الجهة اليمنى من سفائف السدى العشر • ثم يستدير الحائك الى الجهة المعاكسة دون ان يغير موضع جلوسه على نقطة تقاطع اذرع الصليب • وهنا يبدأ بالمرحلة الثانية من السفافة من (و) الى (د) متبعا عين الطريقة السابقة الذكر تماما • وبعد ان يتم ذلك يبدأ بالمرحلة الثالثة وهى اضافة سفائف سدى على طول (أ ، ل ، م ، د) حتى يصل الى (ط ، ف) • وهنا تبدأ المرحلة الرابعة اذ يبدأ من (ط) بلىّ السفائف اللحمة الكائنة فى المثلث الذى رؤوسه النقاط (ط ، ن ، ى) وحياكتها كسفائف سدى وليس لحمة ، الى أن يتم حياكة المثلث مكونا حاشية مظفورة اثناء سفافته بين النقطتين (ط) و (ى) • والمرحلة الخامسة اعادة للمرحلة الثالثة والسادسة عين الرابعة • وحين يتم الحائك المرحلة السادسة يطوى الحاشيتين الطوليتين (ط ، ز) و (ى ، ك) بان يقلب الحصيرة على وجهها فوق الارض ويحضر حبلين قصيرين من قصب ملوى • ثم يقلب الحاشية ويدوسها بقدمه حتى يتكسر القصب ، ويفعل ذلك بحيث يترك الحصيرة بالعرض المطلوب ، ثم يلفها ويشدها بالحبلين •

ان معدل حجم الحصيرة التى تحاك فى القرية للاغراض التجارية بين تسعة اقدام وتسعة اقدام وستة انجات طولا وبين خمسة اقدام وخمسة اقدام وستة انجات عرضا ، وتسمى مثل هذه الحصيرة (أسبعيّة) اى (ذات السبعة)

= سفيفة من السدى •

د ــ Twined وفيه تظفر سفيفتان من اللحمة حول كل واحدة من السدى •

وهناك أساليب أخرى معقدة منها

Wrapped-twined, Lattice-twined, Hexagonal.

والمقصود بالتسمية انها ذات سبعة اذرع (عشرة اقدام وستة انجات) طولا وهو الطول الاصلي لهذه الحصيرة ، ولكن يندر ان تحاك الحصيرة بهذا الحجم • وهناك حجم آخر للحصر يسمى (اثمينية) اى (ذات الثمانية) (اثنا عشر قدما) طولا ، ولكن هذا الحجم وغيره من الاحجام الكبيرة يمكن الحصول عليه حين يوصى على حياكته بصورة خاصة فقط •

ويتوقف الوقت الذى يصرف على انتاج الحصر لحد كبير على الوقت اللازم للوصول الى منابت القصب • فلقد اوضحنا ان هذا يختلف باختلاف الرحلات التى قد تقصر حتى لا تستغرق اكثر من ساعتين وقد تطول حتى تمتد الى عشر ساعات • ولقد اظهرت الاحصائيات التي اجريتها للمدد المختلفة التى يقتضيها تقشير وتفشيق ودق وحياكة القصب اللازم لحصيرة واحدة ان معدل تلك المدد كالآتى :

العمليات	الوقت اللازم (بالدقائق)
التقشير	١٥ – ٢٠
التفشيق	١٣ – ١٥
الدق	٥ – ١٠
الحياكة (بما فى ذلك اللف والربط)	٧٥ – ٨٥
	١٠٨ – ١٣٠

ويتوقف الاختلاف فى طول الزمن اللازم للقيام بهذه العمليات ليس على طبيعة الحائك فحسب بل على القصب نفسه • فبعض الحاكة يتوقفون اثناء العمل ليدخنوا سيجارة • ولكن يظهر ان معدل الزمن اللازم لاتمام حياكة حصيرة ساعتان •

ولقد قدرت ان معدل انتاج العائلة المكونة من اربعة اشخاص (زوج وزوجة وولد وبنت صغيران) يسير وفق المنهج الآتى بيانه :

يقتضى جمع القصب عشر ساعات تستغرق يوما كاملا • تكون ثمرتها

خمس عشرة باقة ذات محيط ذراع واحد ، يقوم بجمعها الوالد وولده • وتكفى الخمس عشرة باقة لحياكة عشر حصر تستلزم عملا امده عشرون ساعة • وتقسم هذه الساعات العشرون على يومين بمعدل عشر ساعات من العمل لكل واحد من الزوجين • وحين يكون الوالد وولده فى الهور يجمعان القصب تستطيع الام وابنتها حياكة خمس حصر بعملهما مجتمعتين عشر ساعات • وتباع الخمس عشرة حصيرة بسعر ثلاثين فلسا للواحدة فيكون المجموع اربعمائة وخمسون فلسا ، ومعدل الدخل اليومى للعائلة مائة وخمسون فلسا •

ولقد حصلت على المعلومات التالية بصدد حياكة الحصر عن المائة وعشرين عائلة التي اجريت عليها احصائيي : لقد كان عدد العوائل التى تزاول حياكة الحصر (٧٥) عائلة ، اى (٦٢ر٥٪) ، كان منها (٢٧) عائلة (٣٦٪) تعتمد فى كسب عيشها على حياكة الحصر فقط و (٤٨) عائلة (٦٤٪) تعتمد على الحياكة كمورد رئيسي للدخل يسند ويقوّم اما بالزراعة وحدها أو بها وبمصادر للعيش اخرى • وكان مجموع جماعى القصب فى ال (٧٥) عائلة (١٣١) شخصا يجمعون قصبا معدله (٩٥٠) باقة ذات محيط ذراع واحد فى اليوم الواحد ، فيكون معدل ما يجمعه الشخص الواحد فى اليوم الواحد (٧ر٢٥) باقة • وكان المعدل اليومى لعدد الحصر التى تحوكها هذه العوائل كما هو مبين فى الجدول رقم (١٧) •

وكان مجموع معدل الحصر المحوكة من قبل ال (٧٥) عائلة فى اليوم الواحد (٤٥٦) حصيرة بمعدل (٦ر١) حصيرة لكل عائلة • وكان بين هذه ال (٤٥٦) حصيرة (١٧١) واحدة حيكت من قبل ال (٢٧) عائلة التى تعتمد كليا على حياكة الحصر لكسب عيشها فيكون معدل ما تحوكه العائلة الواحدة منها (٦ر٣) حصيرة و (٢٨٥) حصيرة حاكتها ال (٤٨) عائلة الباقية التى لا تعتمد على حياكة الحصر وحدها فى كسب عيشها فيكون معدل عدد الحصر التى حاكتها كل عائلة منها (٥ر٩) حصيرة • وكان

جدول رقم (١٧)

معدل عدد الحصر التي تحوكها خمس وسبعون عائلة

عدد العوائل	عدد الاشخاص الذين تتكون منهم كل عائلة	عدد الحصر المحوكة	معدل عدد الحصر لكل عائلة
٣	٢	١٢	٤
٨	٣	٣٠ر٥	٣ر٨
١٤	٤	٧٢	٥ر١
١٢	٥	٩١	٧ر٦
١٢	٦	٧٤	٦ر٢
٩	٧	٦٥ر٥	٧ر٣
٩	٨	٦١	٦ر٨
٢	٩	١٦	٨
٤	١٠	٢٦ر٥	٦ر٦
٢	أكثر من عشرة اشخاص	١٧ر٥	٨ر٨

مجموع الدخل اليومي من حياكة الحصر لـ (١٢١) شخصا الذين يكونون ال (٢٧) عائلة التي تعتمد على حياكة الحصر وحدها لكسب عيشها (١/٢٦٩) دينارا بمعدل (٤٧) فلسا للفرد الواحد ، بينما كان مجموع الدخل اليومي من حياكة الحصر لـ (٣١٤) شخصا الذين يكونون ال (٤٨) عائلة التي لا تعتمد في كسب عيشها على حياكة الحصر وحدها (١/٤٦٣) دينارا بمعدل (٣٠) فلسا للشخص الواحد •

٥ ـ استعمال الحصر وتجارتها

ابان السنة المالية المبتدئة بشهر نيسان عام ١٩٥٢ استلم (طارق آل خيون) متعهد ضرائب الحصر مبلغ (٠٠٠/١٢٠٠) دينار عن (٨٠٠٠٠٠) حصيرة صدرت من الجبايش ، على اساس (٥٠٠/١) دينار عن كل

(١٠٠٠) حصيرة • ولكي نقدر العدد التقريبي للحصر التي حيكت في الجبايش في تلك السنة يجب ان نضيف لهذا العدد ما استعمل من الحصر محليا وهي التي لا تدفع عنها ضريبة ، وكذلك الحصر التي يصدرها بعض الافراد بصورة خاصة وبكميات قليلة فيعفى اصحابها من الضريبة أو يتهربون هم من دفعها • ففي القرية حوالي (٢٠٠٠) كوخ و (٦٠٠) مضيف • فلو قدرنا ان كل كوخ يحتاج (١٥) حصيرة في السنة كفراش وللاحتياجات البيتية الاخرى ، و (٥) حصر للبناء على فرض ان الكوخ العادي يحتاج الى (٢٥) حصيرة كلما يعاد بناؤه كل خمس سنوات مرة ، فان مجموع ذلك يكون (٤٠٠٠٠) حصيرة • ويحتاج كل مضيف الى معدل (١٥٠) حصيرة كلما يعاد بناؤه في كل (١٥) سنة مرة ، اى الى (١٠) حصر في السنة ، والى (١٠) أخرى في العام كفراش ، فيكون المجموع (١٢٠٠٠) حصيرة • ولقد قدر (طارق آل خيون) عدد الحصر التي تصدر من القرية بدون أن تدفع الضريبة بـ (١٠٠٠٠) حصيرة ، فيكون المجموع التقريبي للحصر التي انتجتها الجبايش ذلك العام (٨٦٢٠٠٠) حصيرة •

وتستعمل الحصر في القرية بصورة اساسية في بناء الاكواخ والمضايف • فالمضايف الكبيرة تحتاج الى (٤٠٠) حصيرة لكل واحد في حين أن الاكواخ العادية تحتاج الى ما يقرب من (٢٥) حصيرة • ويغطى سطح الارض في الاكواخ والمضايف بالحصر كفراش ، كما تفرش بها (السوابيط) • ويحتفظ في كل كوخ بحصيرة أو أكثر للاستعمال وقت الحاجة كفراش خارج الكوخ وقت الاكل أو الراحة • وتستعمل الحصر في موسم الزراعة غطاءاً للمحاصيل ومخازن له (بواري) Granaries في الحقول وفي الاكواخ •

هناك ثلاثة أصناف من الاشخاص لهم علاقة بتجارة الحصر وهم : الحائك (الصانوع) والساعي والتاجر • ويعمل الصنف الاول

(الصوانيع) على أساس عائلى فى حين يعمل الصنفان الآخران بصورة فردية • ويوجد فى الجبايش ما يقرب من الف عائلة من حاكة الحصر تتعاطى الصناعة وتصرف انتاجها اما بواسطة السعاة ان كانت تلك العوائل تبيع حصرها لتجار الحصر فى القرية نقدا واما فى دكاكين (النزل) ان كانت تفضل مقايضتها بالمواد الاستهلاكية والبضائع • ولكل ساع عدد من العوائل ، يقرب من ثلاثين ، تدعى فى هذا المجال (مصانع) ، يتعامل معها كوسيط بينها وبين التاجر الذى يعمل هو له • فتستلم العائلة من الساعى مقدما مبلغا من المال يكون فى العادة مساويا لثمن انتاجها لمدة ثلاثة أو اربعة ايام • ويأتى الساعى كل يوم بزورقه ليأخذ منها ما انتجته من الحصر • وبما أن الطرفين لا يعرفون القراءة والكتابة فان الساعى يحفظ حساباته مع العوائل التى يتعامل معها عن ظهر قلب ويذكر كل عائلة بما لها وما عليها كلما جاءها ليجمع الحصر او ليعطيها (العربون) • وكثيرا ما تتردد فى ممرات القرية المائية وعلى شواطىء جزرها الصغيرة امثال هذه الجملة (اطيتك امس دينار ، وصلنى منك عشرين بارية وبعد ثلتعش) • وواضح ان (الصوانيع) لا علاقة لهم بتجار الحصر الا عن طريق السعاة •

وعدد سعاة الحصر فى الجبايش بصورة اعتيادية (٣٠) ساعيا ولكن يزداد عددهم فى فصل اشتداد حركة تجارة الحصر اذ يصبح حوالى (٣٥) ساعيا وينقص فى فصل الركود فى تلك التجارة الى (٢٠) ساعيا فقط • ويعمل السعاة للتجار على اساس عمولة ثابتة قدرها (٢/٥٠٠) دينارا عن كل الف حصيرة يجمعونها • فيستلم الساعى من التاجر كل يوم مبلغا من المال ليوزعه بين العوائل التى تحوك الحصر له • وحين يجمع الحصر يخزنها فى اماكن خاصة يملكها التاجر تدعى (علاوى) • ويكون الساعى مسؤولا عن الحصر حتى تشحن فى الوسائط المائية التى تنقلها من القرية • ويسوى الساعى والتاجر حسابهما من وقت لآخر ، خاصة فى الفترات التى تتغير فيها اسعار الحصر ، فيستلم الساعى من التاجر ماله من عمولة •

ولا يرتبط حاكة الحصر بالسعاة الذين يعملون لهم باواشج القرابة ، أو بصلة عضوية الفخذ أو الحمولة بصورة حتمية ، وليس بينهم وبين تجار الحصر مثل تلك الصلات • ولكن من البديهى أن يتيسر عمل الساعى فى حمولته أو فخذه • ولأن هذا فى الواقع حقيقة معروفة فى القرية فان تجار الحصر يفضلون ان يكون السعاة الذين يعملون لهم من بين حمايل العوائل التى تعمل لاولئك السعاة • ومن ناحية اخرى فان التجار و (الصوانيع) معا يفضلون ان يتعاملوا مع سعاة ذوى سمعة طيبة ومعروفين بنزاهتهم فى المعاملة ولهذا فان بعض العوائل تواصل العمل مع ساع بعينه تضع فيه ثقتها كاملة بغض النظر عن كل الاعتبارات الاخرى • والجوار عامل ثالث فى تقرير هذا الامر • فلقد رأينا ان القرية تمتد الى مسافة تزيد على الثلاثة اميال طولا ، ومن الطبيعى بناءاً على هذا ان يفضل الساعى الذى يعيش فى طرف القرية مثلا أن يتعامل مع عوائل تقطن فى ذلك الطرف •

وفى حين ان اواشج القربى والجوار بين السعاة و (الصوانيع) تعتبر مزايا وعوامل مساعدة فى العمل حيث يتعاونون ويتساندون ، فان الامر عكس ذلك تماما بالنسبة للتجار • فلو كان التجار يصغون لمطالب أقاربهم المعوزين فيسمحون بتأخير سداد الديون أو بتسوية تلك الديون على اسس تضمن مصالح (الصوانيع) بحسب فصول تجارة الحصر المختلفة وتغير الاسعار فيها ، فان فرصهم فى الكسب تقل وربحهم يتضاءل • واذا ، فان من المهم والطريف بعين الوقت ان نلاحظ ان اربعة من تجار الحصر التسعة فى الجبايش هم (سادة) يسيطرون على اكثر من (٨٠٪) من تجارة تصدير الحصر خارج القرية • فحقيقة كونهم (سادة) لا صلة قربى او انتساب لفخذ أو حمولة بينهم وبين (الصوانيع) او السعاة تكون مزية عظمى فى اندفاعهم وراء الكسب فى هذه التجارة • وكما سنرى فى الفصل الختامى من هذا الجزء ان هؤلاء (السادة) التجار يستغلون مراكزهم الدينية السامية لاغراض النفع المادى والربح الحرام •

ويشحن التجار حصرهم انحدارا فى النهر الى البصرة أو الى بغداد عن طريق القرنة او تصعيدا[١٠] فيه الى مدن مختلفة مثل الناصرية والسماوة والديوانية والشامية والرميثة والحلة وغماس والكوفة وغيرها •

وتشحن الحصر بالاسلوب التالى : يأمر التاجر اولا سعاته بان يهيئوا الحصر للشحن وذلك بفرشها وبسطها • فالحصر تخزن فى (العلاوى) ملفوفة • وفى القرية اخصّائيون فى بسط الحصر (بواصيط) يتقاضون من التاجر أجرة قدرها ستون فلساً عن بسط كل مائة حصيرة • وحين تبسط الحصر ترتب فى ازواج يفرش بعضها فوق بعض على هيئة كومات تسمى (بنادير) • وتجلب الواسطة المائية التى ستشحن الحصر فيها الى (علوة) التاجر فينقل (البواسيط) انفسهم الحصر الى الواسطة لقاء ستين فلسا اخرى عن كل مائة حصيرة • والوسائط المائية هى اما (بلام) شراعية كبيرة أو (دوب) تسحبها (ماطورات) • ويملك هذه وتلك اما تجار (البوارى) التسعة من اهل الجبايش انفسهم او التجار الخارجيون المستوردون •

وحين تنقل الحصر الى الواسطة المائية يعدها التاجر وربان الواسطة او صاحبها الذى يكون مسؤولا عنها حتى يتسلمها التاجر المستورد • وقد يجرى هذا العد بالتسجيل على الورق ولكن هذا نادر الحدوث لان الطرفين فى الغالب أميون • ويستعاض عن الورق والقلم بسبحة ذات مائة حبة • فيسقط الحاسب حبة عن كل زوج من الحصر يمر الى السفينة • فاذا ما انتهت الحبات المائة رسم علامة ضرب على ورقة ثم اعاد اسقاط حبات السبحة مجددا فاذا ما انتهى نقل الحصر عد علامات الضرب ، كل خمسة بألف حصيرة • وتستعمل فى العد طرق أخرى • ففى احداها يعقد الربان أو التاجر عقدة فى حبل عن كل خمسين زوج من الحصر ، وفى الاخرى ، وهى تستعمل

(١٠) اننا نستعمل كلمتى (انحدارا) و (تصعيدا) بمعنى (حدار) و (تغريب) •

بكثرة جدا حين تشحن (الدوب) الكبيرة ، يجلس التاجر والربان وجها لوجه وفى حضن احدهما خمسون قطعة من النقد أو نوى التمر • فحين يمر كل حمال يحمل زوجا من الحصر تنقل قطعة واحدة من النقود أو نواة من حضن احدهما الى حضن صاحبه • وحين يتم نقل القطع أو النوى كلها تعقد عقدة فى حبل ثم يبدأ الرجل الذى تجمعت القطع او النوى فى حضنه بتكرار عملية النقل ذاتها مرة اخرى •

ويجب ان تصفف الحصر فى (البلم) او (الدوبة) بشكل خاص يضمن سلامة السير فى النهر وعدم ميل الواسطة المائية • ويقوم بهذه العملية اخصائيون يسمى واحدهم (صاطور) ، ويوجد منهم فى القرية كلها خمسة فقط • ويتقاضون اجرة قدرها خمسون فلسا عن تصفيف كل مائة حصيرة • فيأمر (الصاطور) الحمالين بوضع الحصر فى الامكنة التى ينسبها بحسب ما تقتضيه ضرورة حفظ توازن الواسطة المائية وبشكل يضمن تحميلها اقصى ما تتسع له من الحصر • ويقوم ربابنة (البلام) الشراعية البصرية الكبيرة بعملية الترتيب بانفسهم ويتقاضون بناء على ذلك الاجور المقررة •

ولتجارة الحصر اربعة مواسم تقررها حالة النقل المائى من القرية واليها وقرب او بعد القصب فى مراحل نموه المختلفة ونوعية ذلك القصب • فموسم نشاط تلك التجارة هو اشهر مارت ونيسان ومايس وحزيران حين يكون الماء مرتفعا والمواصلات المائية مفتوحة ومتصلة وشحن الحصر فى اوجه وعلى شدته • فتغادر الجبايش كل يوم فى هذا الموسم اعداد من الزوارق الشراعية و (الدوب) الكبيرة التى تسحبها الزوارق البخارية ووسائط مائية اخرى تصعيدا فى نهر الفرات الى مدن مختلفة • ويشحن اعظم جزء من انتاج الجبايش من الحصر فى هذه الشهور الاربعة • وهذا الموسم الذى تتوفر فيه كل امكانيات النقل المائى مع كافة الجهات ينطبق

مع موسم (الجنبية) الذى يكون فيه القصب البعيد كامل النمو والجفاف فتكون الحصر التى تحاك منه اغلى ثمنا ويكون الطلب عليها شديدا • ويحدث اغلب الشحن فى هذا الموسم تصعيدا فى النهر حتى مدينة الفلوجة •

ويعتبر شهر تموز والنصف الاول من شهر آب مرحلة انتقال من موسم القصب الجيد الجاف (الجنبية) الى موسم القصب الاقل جودة لعدم اكتمال نموه وجفافه (العكّة)• وفي هذا الموسم القصير تشحن الحصر (العكّة) و (الجنبية) معا جنوبا الى البصرة والقرنة لان انتهاء موسم الفيضان يسبب قطع المواصلات المائية مع المدن الواقعة غرب وشمال الچبايش على النهر •

ومن منتصف شهر آب الى نهاية شهر تشرين الثانى يحل موسم (العكّة) حيث لا تأتى الحصر بسعر عال وبنفس الوقت تكون المواصلات بين الچبايش وبين اعالى النهر لا تزال مقطوعة بسبب هبوط مستوى الماء • فتشحن كافة الحصر انحدارا في النهر حيث تشتد الحاجة اليها فى هذا الموسم فى البصرة لمكابس التمور حيث تشاد كافة الاكواخ التى يسكنها عمال تلك المكابس فى موسم الكبس من الحصر والقصب[11] • ويشحن قليل منها الى بغداد عن طريق القرنة تصعيدا فى نهر دجلة •

اما اشهر كانون الاول وكانون الثاني وشباط فهى موسم الركود فى تجارة الحصر • فالنهر فى هذا الموسم غير صالح لسير الوسائل المائية عدا الصغيرة منها جدا• ومن جهة اخرى فان الطلب من خارج القرية على الحصر (العكّة) قليل لان تكاليف الشحن تصبح باهضة لثقل وزن الحصر (العكّة) غير الجافة الذي يخفض عدد الحصر التي تتحملها الواسطة المائية فيقلل من الربح المطلوب • وترسل كافة الحصر المصدرة فى هذا الموسم الى البصرة ، ولكن (دوبة) أو اثنتين فقط تسفر الى بغداد عن طريق القرنة

(١١) راجع الفصل الثالث عشر •

طيلة هذه الشهور الثلاثة • ويحد التجار فى هذا الموسم من نشاطهم وينقصوا عدد سعاتهم فيقل تبعا لذلك الضغط على (الصوانيع) من قبل السعاة • وتستغل كثير من العوائل هذا الظرف فتقوم برحلات لمقايضة الحصير والقصب بالحبوب في مناطق (العمارة) و (المجرة) ويخزن التجار كميات قليلة من الحصر فى هذا الموسم استعدادا لموسم (الجنبية) القادم الذى يبدأ فى شهر مارت •

وتصدر الحصر من الچبايش فى انواع مختلفة من الوسائط المائية هى :

١ – (المشاحيف) وتتسع لخمسين الى ستين حصيرة ويأخذها عادة اصحابها لمقايضة الحصر بالحبوب فى مناطق قريبة فى (المجرة) •

٢ – (كعود) وهى زوارق كبيرة ذات أشرعة (وبلام) شراعية صغيرة • وتتسع هذه لعدد من الحصر يتراوح بين مائة وسبعمائة • ويأخذ هذه الوسائط مجموعات من الرجال يسافرون بها الى مناطق بعيدة فى اهوار (العمارة) لمقايضتها ب (الطعام) •

٣ – (بلام) شراعية كبيرة يملكها تجار الحصر المحليون ويسع الواحد منها بين الف والفى حصيرة ، وتستعمل هذه لتصدير الحصر الى المدن القريبة فى مناطق (الغراف) والناصرية والبصرة •

٤ – (ماطورات) كبيرة او (بلام) كبيرة تجرها زوارق بخارية يستطيع الواحد منها شحن ثلاثة آلاف الى خمسة آلاف حصيرة ويملكها عادة التجار المستوردون من اهالي المدن المختلفة التي تقع بين الناصرية والحلة•

٥ – (البلام البصراوية) الشراعية التي تسع بين ثلاثة آلاف الى ستة آلاف حصيرة ، وتتميز بربط احزمة ضخمة من القصب على جانبى كل (بلم) بطريقة تزيد من عرضه وارتفاعه وتزيد بالتالى قابليته على استيعاب

عدد اكبر من الحصر[١٢] • وتستعمل هذه (البلام) لشحن الحصر الى البصرة فقط •

٦ – واخيرا هناك (دوب) ضخمة تسحبها الزوارق البخارية وتسع الواحدة منها بين عشرة آلاف وعشرين الف حصيرة وهذه تنقل الحصر الى بغداد فقط •

ويحصل تجار الحصر التسعة فى الچبايش وخاصة التجار الاربعة (السادة) ارباحا طائلة من تجارتهم • فكلفة (١٠٠٠) حصيرة (جنيبة) على التاجر المحلى فى الچبايش هى :

فلس	دينار	
٠٠٠	٣٠	الثمن الذى يدفع لـ (صوانيع)
٥٠٠	٢	عمولة الساعى
٦٠٠	٠٠	اجرة (البواصيط)
٦٠٠	٠٠	اجرة (الحماميل)
٥٠٠	٠٠	اجرة (الصاطور)
٥٠٠	١	ضريبة البلدية
٤٠٠	٠٠	ضريبة الـ (أرضية) للبلدية
١٠٠	٣٦	

ويحسب التاجر المحلي هذه الـ(١٠٠٠) حصيرة على التاجرالمستورد بثمن يتراوح بين (٤٥/٠٠٠) دينارا و (٥٠/٠٠٠) دينارا • فيكون ربحه بين (٨/٩٠٠) دينارا و (١٣/٩٠٠) دينارا • ومن المهم ان نذكر أن ربح التاجر الخارجى اعلى كثيرا من ربح التاجر المحلى • ولكى نوضح هذه الحقيقة

(١٢) هذه طريقة مألوفة فى الزوارق البدائية وتستعمل بكثرة فى الزوارق المحفورة من جذوع الاشجار Dug-out canoes فى مناطق المحيط الهادى • وتسمى الالواح التى تضاف الى جوانب الزورق لزيادة عرضه وارتفاعه Wash-strakes •

نورد أدناه قائمة حساب شحن (٢٠٠٠٠) حصيرة من الچبايش الى بغداد أستقيت ارقامها من التاجر المحلي الذي صدّرها •

فلس	دينار	
٠٠٠	١٠٠٠	ثمن الـ (٢٠٠٠٠) حصيرة على حساب (٥٠/٠٠٠) دينار للالف ويدخل فى ذلك السعاية والفراش والنقل والترتيب فى (الدوبة) •
٠٠٠	٣٤٠	اجور نقل من الچبايش الى بغداد على اساس (١٧/٠٠٠) دينارا لكل الف حصيرة •
٠٠٠	٠٢٠	اجور تفريغ الحصر من (الدوبة) الى (العلوة) في بغداد •
٠٠٠	١٣٦٠	

وكان سعر الحصر فى بغداد (١٠٠/٠٠٠) دينار للالف فيكون سعر بيع الـ (٢٠٠٠٠) حصيرة (٢٠٠٠/٠٠٠) دينار ويكون الربح الصافي للتاجر المستورد (٦٤٠/٠٠٠) دينارا • وكان التاجر المحلى الذى باع لتاجر بغداد بسعر (٥٠/٠٠٠) دينارا للالف قد دفع فيها (٣٦/١٠٠) دينارا حسب التفصيل السالف الذكر ويكون قد ربح (١٣/٩٠٠) دينارا فى كل الف حصيرة او (٢٧٨/٠٠٠) دينارا فى الـ (٢٠٠٠٠) • اى ان ربحه فى هذه الحالة يساوي (٤٣ر٤٪) من ربح التاجر المستورد او اكثر قليلا من خمسيه •

ان طبيعة الاتجار فى الحصر واساليب تلك التجارة تشجع كثيرا على الاستدانة • فهى كما رأينا قائمة على اساس تقديم مبالغ من المال مقدما (عربون) من التاجر الى الحائك بواسطة الساعى • ويحاول (الصوانيع) حياكة عدد كاف من الحصر ليوفوا فيه تلك الديون • ولكنهم فى الواقع نادرا ما يبلغون ذلك الهدف • كما انه من جهة اخرى ليس من مصلحة

تاجر الحصر نفسه أن يوفي الحائك دينه فبقاء الاخير مدينا للاول يحتم عليه الارتباط به وقبول ما يمليه عليه من شروط .

ويستفيد تجار الحصر من تغير الموسم من (الجنيبة) الى (العگة) والعكس ، فيعمدون الى تبديل اسعار الحصر أو عددها بحسب ما تقتضيه مصلحتهم ، ويضاعفون بذلك ما لهم بذمة (الصوانيع) من مبالغ ، فيربحون بطريقة غير مشروعة مبالغ كبيرة . وهذا التغيير في عدد الحصر او اسعارها يسمى (گلاب) . فمثلا اذا استدان (صانوع) من تاجر مبلغ (٣/٠٠٠) دنانير ابان موسم (الجنيبة) كسلفة على الحصر التي سيحوكها له ، وهو مبلغ يوازي ثمن (١٠٠) حصيرة بسعر الواحدة (٣٠) فلسا ، وتعذر على ذلك الحائك ان يسلم شيئا من هذه الحصر الـ (١٠٠) خلال موسم (الجنيبة) فان دينه سينقلب الى حصر (عگة) وليس (جنيبة) . وبما ان سعر الحصيرة (العگة) (٢٠) فلسا ، فان عدد الحصر المدين بها الحائك يرتفع الى (١٥٠) حصيرة عوضا عن (١٠٠) . فاذا ما تعذر عليه مرة أخرى أن يفي بدينه ابان موسم (العگة) ، فان ذلك الدين سينقلب حال حلول موسم (الجنيبة) الى حصر (جنيبة) ويقلب في المرة سعر الحصر وليس عددها . فيحسب عليه الدين باعتباره (١٥٠) حصيرة (جنيبة) سعر الواحدة (٣٠) فلسا . وبذا يرتفع الدين البالغ (٣/٠٠٠) دنانير الى (٤/٥٠٠) دنانير في ظرف سنة واحدة .

وفي بعض حالات قليلة يطالب التاجر (الصانوع) الذي لم يسدد له السلفة بالخسائر التي يعتبرها التاجر قد لحقت به نتيجة لعدم تمكنه من شحن تلك الحصر التي تأخر (الصانوع) عن تسديدها اليه لحساب التجار المستوردين . وعلى هذا الاساس فانه يقلب الدين الذي له على الحائك على اساس اسعار التصدير . وفي مثل هذه الحالات يلزم (الصانوع) دفع (٤/٥٠٠) دنانير أو (٥/٠٠٠) دنانير عن كل (١٠٠) حصيرة سعرها في القرية (٣/٠٠٠) دنانير . فان لم تدفع الحصر حتى حلول الموسم

القادم فان التاجر يحسب الدين بسعر الحصر (العگة) الواطيء فيقلب الدين الى (٢٢٥) أو (٢٥٠) حصيرة باعتبار سعر الحصيرة الواحدة (٢٠) فلسا . فان لم تدفع هذه الحصر حتى يحين موسم الشحن التالي ، وهو موسم (الجنيبة) ، فان الدين يرتفع الى (٦/٧٥٠) دينارا أو (٧/٥٠٠) دينارا باعتبار تلك الحصر الـ (٢٢٥) أو الـ (٢٥٠) حصرا (جنيبة) سعر الواحدة منها (٣٠) فلسا . ومعنى هذا ان السلفة الاصلية يجب ان تدفع بربح قدره (٥٠٪) او (٦٦ر٧٪) في النصف الاول من السنة و (١٢٥٪) أو (١٥٠٪) في النصف الثاني منها . وهذه طبعا حالة شاذة ما دامت لا تحدث الا قليلا فلا يصح اعتبارها مثلا عاما . ولقد استطعت ان اسجل عددا كبيرا من حالات (الگلاب) في دين الحصر التي يمكن ان تعتبر الحالة التالية نموذجا لها :
كان الدين الاصلي (١٠٠) حصيرة (جنيبة) سعرها (٣/٠٠٠) دنانير . دفع المدين منها (٥٠) حصيرة ابان موسم (الجنيبة) وبقيت بذمته (٥٠) حصيرة ثمنها (١/٥٠٠) دينارا . فاعتبر هذا المبلغ في موسم (العگة) ثمنا لـ (٧٥) حصيرة على اعتبار سعر الواحدة (٢٠) فلسا . فدفع المدين منها (٥٠) حصيرة في موسم (العگة) وبقيت في ذمته (٢٥) حصيرة . فلما حل موسم (الجنيبة) اعتبرت ودفعت حصرا (جنيبة) سعرها (٧٥٠) فلسا . وعلى هذا فان الدين كله دفع في عام واحد على ثلاثة اقساط مجموعها (١٢٥) حصيرة عوضا عن (١٠٠) و (٣/٢٥٠) دينارا سددت بدلا من (٣/٠٠٠) دنانير . وواضح انه كلما تأخر ايفاء الدين كلما ازداد مقداره وتضاعف .

وفي الـ (١٢٠) عائلة المدروسة ، وجدت أن بين الـ (٧٥) عائلة التي زاولت حياكة الحصر (٣٩) عائلة أي (٥٢٪) منها مدينة ، كانت (١٣) عائلة أي (١٧ر٣ ٪) منها من العوائل التي تعتمد في كسب عيشها على حياكة الحصر وحدها و (٢٦) أي (٣٤ر٧٪) من تلك العوائل لا تعتمد على الحياكة وحدها . ولقد

رأينا أن هذه العوائل الـ (٧٥) تقسم قسمان ؛ (٢٧) عائلة منها تعتمد فى كسب عيشها على حياكة الحصر وحدها و (٤٨) عائلة لا تعتمد على الحياكة وحدها[١٣] • ولقد وجدت ان نسبة الدين بين الفئة الاولى تبلغ (١ر٤٨٪) بينما هى بين الفئة الثانية (٢ر٥٤٪) •

٦ ـ مقايضة الحصر

كنتيجة طبيعية للعجز فى الانتاج بالقياس الى المبالغ الكبيرة نسبيا التى يقدمها التجار لحاكة الحصر كسلف ، يتجمع الدين على (الصوانيع) ويتراكم وقد ينتج عن ذلك امتناع سعاة (البوارى) عن تقديم مبالغ كبيرة مقدما ، او قد يمتنعون فى حالة تضخم الدين عن تقديم اية مبالغ بالمرة • وفى مثل هذه الحالات وعند اقتضاء الضرورة للحصول على مبالغ من المال لتلافى الحاجات اليومية او لاصلاح (مشحوف) العائلة او شراء بعض الملابس الضرورية او غير ذلك ، يلجأ (الصوانيع) الى بيع أو مقايضة بعض الحصر التى ينتجون داخل القرية أو خارجها وبدون علم الساعى الذى يتعاملون معه ، منتحلين له اعذارا تبرر عدم تمكنهم من حياكة الحصر كالمرض أو بعد القصب أو غير ذلك •

وهناك حوالى (٥٠) دكانا فى (النزل) تقايض الحصر بالمواد الاستهلاكية والقماش • واسعار الحاجيات والبضائع التى تباع فى هذه الدكاكين اعلى بما يقرب من (١٠٪) من اسعار دكاكين سوق القرية فى قسم (الناحية) ، التى لا يبيع اصحابها بضائعهم الا بالنقود • ولان اصحاب دكاكين (النزل) يقايضون الحصر ويشترونها بالنقود ولان هذه الدكاكين منتشرة بشكل يكاد أن يكون منتظما بين جزر السكنى ، فان أهل الچبايش يفضلون التعامل مع تلك الدكاكين على التعامل مع دكاكين السوق • هذا بالاضافة الى ان اصحاب دكاكين (النزل) لا يحتاجون الى توظيف سعاة لجمع

(١٣) راجع الصفحة ٣٣٣ من هذا الفصل •

الحصر ، ولذا فأنهم يتجاوزون للـ (صوانيع) عن عمولة السعاية وهى (٢٥٠) فلسا فى كل (١٠٠) حصيرة ، وهذا يرفع اسعار الحصر الى (٣/٢٥٠) دينارا و(٢/٢٥٠) دينارا عوضا عن الـ (٣/٠٠٠) دنانير و(٢/٠٠٠) دينارين لكل (١٠٠) حصيرة • ولذا فتفضل العوائل المدينة للسعاة ان تقايض حصرها فى دكاكين (النزل) بالمواد الاستهلاكية وغيرها من الحاجيات مستغلة ارتفاع الثمن الذى يدفع لها فى الحصر كبائعة وغير آخذة بنظر الاعتبار الاسعار العالية التى تفرض عليها فى البضائع التى تتسلمها كمشترية او مقايضة • والذى يحصل فى الواقع أن كافة المزايا التى تحصل عليها هذه العوائل من مقايضتها حصرها فى دكاكين (النزل) كارتفاع اسعار الحصر واستلام تلك الاسعار نقدا وغير ذلك تضيع لان العوائل التى تمارس المقايضة بهذا الشكل تهمل ايفاء ديونها لتجار الحصر فيترتب على هذا الاهمال خسارة كبيرة تنجم عن تضخم الديون عن طريق (الگلاب) ، هى فى الواقع اكبر مما تربحه تلك العوائل من المقايضة فى تلك الدكاكين •

ويلجأ اصحاب دكاكين (النزل) الى نفس طريقة التغيير الموسمى فى عدد الحصر واسعارها (الگلاب) فى معاملتهم لاصحاب الحصر • وكما يلجأ تجار الحصر الى اعطاء مبالغ مقدما كسلف لحاكتها ويحاولون ابقاءهم مرتبطين بهم عن طريق الدين الدائم التجديد ، يحاول اصحاب دكاكين (النزل) ، بنفس الدافع ، ان يغروا (الصوانيع) الذين يقايضون حصرهم لديهم بأخذ كميات من البضائع والمواد الاستهلاكية يكون ثمنها اعلى مما تسع قدرتهم الانتاجية فى الحصر لسداده ، لان اصحاب هذه الدكاكين ، كالتجار ، يربحون كثيرا بجر عملائهم الى هاوية الدين • فاذا ما واظب العميل على تسليم الحصر بصورة منتظمة فان صاحب الحانوت يضمن كميات متصلة من الحصر تدر عليه ربحا طيبا والا فانه يضمن عن طريق (الگلاب) ربحا وفيرا • ولقد لاحظت أن اغلب اصحاب الدكاكين فى (النزل) بارعون فى اغراء اهل القرية بالشراء بحيث يبقون عملاءهم دائما مرتبطين بهم عن

طريق الدين •

وتبيع دكاكين (النزل) وتقايض السكر والشاى والتبغ وورق السجائر والطحين وعلب الكبريت والنفط • وتجرى المقايضة دائما على اسس التسعير بالدراهم • فالرجل الذى يجلب عشر حصر مثلا يكون له الحق فى الحصول على بضائع ومواد بسعر يساوى تلك الحصر العشر اى (٣٠٠) فلس ان كانت الحصر (جنية) و (٢٠٠) فلس ان كانت (عكة) • ولصاحب الحصر الخيار فى أن يأخذ بكل ثمنها بضائع ومواد استهلاكية او أن يأخذ بجزء من الثمن ويستلم الباقى نقدا أو ان يتركه كله ليقيد له على حسابه ، فاما أن ينزل من دينه ان كان مدينا أو يحفظ له كرصيد للمستقبل ويتوقف الامر كله على كون العميل مدينا او غير مدين لصاحب الدكان وعلى مقدار الدين ونسبته لمقدرته الانتاجية •

ولقد لاحظت ان اصحاب الحصر لا يحفلون بالحصر بقدر ما يحفلون بثمنها من الدراهم • فهم يسلمون بيسر واستعداد كبيرين عشر حصر مثلا ليتسلموا لقاءها بعض البضائع والمواد ولكنهم اذا ما قبضوا على (٣٠٠) فلس، ثمن عشر حصر ، فانهم يترددون كثيرا فى صرفها ولا يفعلون ذلك الا بعد تمنع كبير • واغلب اصحاب الدكاكين شاعرون بهذه الحقيقة ولذا فهم يبذلون قصارى جهدهم الا يسلموا صاحب الحصر ثمنها نقدا • وخير طريقة لتفادى اعطاء (الصانوع) النقد هى ابقاؤه مدينا عن طريق السماح له دائما بسحب مبالغ معقولة مقدما • ويشبه سلوك (الصوانيع) وذهنيتهم فى اخفائهم بعض ما ينتجون من حصر عن السعاة حين يكونون مدينين لهم بمبالغ من المال لغرض مقايضتها او بيعها سرا فى دكاكين (النزل) سلوك وذهنية التاجر او رجل الاعمال المدين الذى يعجز عن تسيير أموره التجارية بشكل يضمن سداد ديونه[١٤] فتعين الدولة عليه قيما[١٥] يتسلم وارداته

(١٤) يدعى مثل هذا الشخص Undischarged bankrupt

(١٥) يطلق عليه Official Receiver

فيتصرف بها لحين سداد ديون ذلك التاجر المدين • فمثل هذا التاجر يميل بصورة حتمية الى تصريف جزء من انتاجه عن طريق المقايضة او البيع السرى باسعار أوطأ من اسعار السوق الجارية بدلا من أن يترك انتاجه وارباحه كلها للقيم لوفاء ديون ذلك التاجر •

وتقايض الحصر خارج الچبايش فى ثلاث مناطق عادة ابان شهور كانون الاول وكانون الثانى وشباط حين تركد حركة شحنها فى القرية • فتؤخذ الحصر فى الغالب بكميات صغيرة الى منطقة (المجرة) • فان تيسرت واسطة نقل كبيرة كالـ (كعدة) فان الحصر تؤخذ اما الى (العمارة) أو (الغراف) • وتقايض الحصر التى تؤخذ فى هذه السفرات بالحبوب خاصة الرز • فاسعار الحصر فى مناطق (العمارة) و (المجرة) تقرب من ضعف اسعارها فى الچبايش • وبما أن اسعار الحبوب فى تلك المناطق ارخص من اسعارها فى الچبايش فان الربح من امثال هذه المقايضات كبير • والظروف فى منطقة (الغراف) احسن واكثر ملائمة لان القصب نادر والاقبال على الحصر شديد • ولكن السفرة الى تلك المنطقة طويلة والرز هناك اغلى ثمنا منه فى منطقتى (العمارة) و (المجرة) •

وأكثر الحصر التى تقايض فى المناطق المذكورة تؤخذ اليها غير تامة الصنع ، توفيرا للمكان فى الوسائط المائية • فيقشر القصب ويفشق ويدق فى الچبايش ولكنه لا يحاك الا فى المكان الذى يقايض فيه •

لم استطع أن احصل على ارقام تقريبية لعدد الرجال الذين يقومون برحلات المقايضة هذه ولكنني أقدر أن (٢٠٠) عائلة على الاقل ترسل واحدا أو أكثر من رجالها فى زورق صغير أو (كعدة) لاحد هذه المناطق الثلاث كل عام • وكانت المقايضة تجرى فى عدد كبير من الحالات على اساس (وجية) واحدة من الرز مقابل حصيرة واحدة • ففلاحو المناطق التى تقايض فيها الحصر مستعدون ان يشتروا الحصيرة الواحدة بـ (٦٠) فلسا

ولكنهم لا يمانعون فى دفع (وجية) واحدة من الرز ، قيمتها فى السوق (٨٠) فلسا لتلك الحصيرة • وسعر هذه (الوجية) ذاتها في سوق الچبايش (١٢٠) فلسا ويحصل عليها (الصانوع) بالمقايضة فى دكاكين (النزل) بأربع حصر • وعلى هذا فيكون الربح عظيما هو فى الواقع اربعة اضعاف •

ان هذا الربح الوفير يغرى الكثير من اهل الچبايش بجمع واعداد اكبر كمية من القصب للسفر بها الى تلك المناطق للمقايضة • فيتسرب بذلك جزء كبير من انتاج الحصر فى القرية الى غير تجار الحصر المحليين الذينهم دائنون للاغلبية الساحقة من حاكتها • فيؤدى هذا الجرى وراء الربح بصورة طبيعية الى ازدياد الاقبال على مقايضة الحصر فى المناطق المار ذكرها خارج القرية ، وفى دكاكين (النزل) داخلها • كما يؤخر سداد ديون (الصوانيع) الى التجار المحليين فينتج عن ذلك بصورة تلقائيـــة زيادة تلك الديون ، بل ومضاعفتها • ولو لم تكن تلك الديون التى تربط حاكة الحصر بتجارها وبأصحاب الدكاكين لقام عدد كبير من اهل الچبايش بسفرات المقايضة المربحة المار ذكرها • ولكن سعاة الحصر يراقبون (الصوانيع) ولا يسمحون للمدينين منهم بتوفير أو اخفاء كميات من القصب أو الحصر لتستعمل فى المقايضة • هذا بالاضافة الى ان من غير الممكن عمليا للعوائل المدينة للتجار أن توفـر حصرا او قصبا لان السعاة يمتنعون حالا عن دفع السلف ما لم تقم العوائل المرتبطة بهم بتقديم الحصر بصورة متصلة ومنتظمة • وعلى هذا فان اغلب الرجال الذين يقومون بسفرات المقايضة الى خارج الچبايش هم من غـير المدينين لسعاة الحصر وتجارها داخلها •

الفصل الثالث عشر

هجرات العمل الموسمية

١ — الهجرات والرحلات من اجل العمل

كثيرا ما كنت اسمع أهل الچبايش يرددون هذه الفكرة : « لولا هذا القصب لهجر سكان الچبايش قريتهم » وكان يشتد ترديد هذه الفكرة بصورة خاصة اذا حال الفيضان وغرق الاراضى الزراعية دون زراعتها ، فأصبحت الحصر وحياكتها وسيلة الكسب الوحيدة لهم • وهذه الفكرة صحيحة لحد كبير اذ لولا الانتفاع بالقصب لما استطاع اهل الچبايش أن يكسبوا عيشهم فهم باقون فى الچبايش رغم الصعاب الكثيرة التى تواجههم فيها لانها تحوى هذا الاحتياطى الضخم الثمين من القصب الذى يستطيع سكانها الاعتماد عليه دائما • ورغم ان قرية الچبايش لا تملك شيئا يغرى اهلها بالبقاء فيها ، فانهم لا يحبون فكرة الهجرة والعيش خارجها كغرباء • فالزراعة لا تحدث فى القرية ، كما رأينـا ، الا عرضـا وفى موسم الصيف فقط ، وهى فى اغلب الحالات متأخرة وغير مربحة • وليس فى الچبايش أو حولها مراع تمكن سكان القرية من تربية المواشى • والفيضان ، كما مر بنا ، يصيّر الحياة فى اربعة شهور من السنة غير صحية وقاسية لا تطاق • ولقد هجر بعض سكان الاهوار الذين كانوا يعيشون فى غير منطقة الچبايش فى ظروف اقتصادية وبيئية أحسن من تلك التى يعيش فيها اهل الچبايش اهوارهم ، الى مناطق اخرى باعداد كبيرة[1] • اما اهل الچبايش فلم يعرف عنهم انهم قاموا بهجرة باعداد كبيرة من قريتهم •

(١) راجع الفصل الاول ، ص ٣٨ و ٣٩ •

اما السبب الذى يجعل اهل الچبايش يتمسكون بالسكنى فى قريتهم رغم هذه الصعاب العديدة التى المعت اليها فهو بلا ريب شعورهم القبلى • فالتماسك القبلى القوى الذى كان يشعر به (بنى اسد) حتى وقت قريب كان نتيجة اتحاد طويل الامد تحت الزعامة العسكرية لـ (آل خيـون) • فأهل الچبايش يعتقدون بشكل جازم انهم سيتعرضون للامتهان والاذى لو انهم عاشوا خارج قريتهم كمهاجرين بمجموعات صغيرة بين عشائر وفى مجتمعات غريبة • فلو سألت أحدهم لِمَ لَمْ يهاجر من قريته ويطلب الكسب والعيش المربح خارج الچبايش لاجاب مندهشا مستغربا « شلون أكدر أترك أخوتى وعمامى واروح اعيش غريب ؟ والله ما أبدل كصبة من كصب الچبايش بولاية بحالها » • وحين منحت الحكومة الشيخ (سالم آل خيون) اراضى فى لواء ديالى بعد ان صدر العفو عنه[٢] ، حاول مرارا أن يغرى بعض اتباعه السابقين من اهل الچبايش بترك قريتهم والسكنى معه والزراعة فى (مقاطعته) الجديدة ، فلم يستجب لطلبه أحد رغم انه أغراهم باعطاء كل فلاح قطعة ارض واسعة ومبلغا من المال مقدما ، ورغم ان الزراعة فى (مقاطعته) صيفية وشتوية ومربحة للغاية لجودة اراضيها • ولقد حدث في الواقع ان هاجرت بعض العوائل من الچبايش الى (المجرة) ولكنها آثرت العودة بعد ثلاث سنوات رغم انها كانت تزرع هناك بنجاح وقد كسبت من تلك الزراعة كسبا طيبا •

رغم هذا كله ، فلقد اضطرت الظروف الاقتصادية الراهنة فى القرية بعض اهلها على القيام بهجرات موسمية موقتة ورحلات طويلة من اجل العمل بأجرة ولمقايضة القصب والحصـر وغيرها • ونحن نميز بين الهجرات Migrations والرحلات Expeditions على اسـاس ان الهجـرات

(٢) راجع الفصل الثامن ، ص ٢١١ •

تستمر فى العادة بين شهرين واربعة وتشمل العائلة كلها اذ تهاجر مصطحبة معها بعض الادوات واللوازم المنزلية الضرورية • وتضطر العائلة المهاجرة أن تقيم كوخا موقتا ، هذا بالاضافة الى أن كافة افرادها رجالا ونساء يشاركون فى العمل • اما الرحلات فانها اقصر أمدا اذ لا تمتد الواحدة منها لأكثر من اسبوعين أو ثلاثة ، باستثناء رحلة صيد السمك التى تستمر ثلاثة اشهر ، ولا يشارك الاناث فيها ، بل تقتصر على الذكور من افراد العائلة فقط • كما انه ليس من الضرورى ان يساهم كافة الذكور من العائلة فى الرحلة ، بل قد ينوب واحد أو اكثر عن العائلة كلها • ولا يقيم الافراد المشاركون فى الرحلات لانفسهم اكواخا خاصة بهم بل ينامون فى (مشاحيفهم) •

ويقـوم أهل الچبايش بثلاث هجرات وثلاث رحلات موسمية طلبا للكسب والعمل • فالهجرات هى :

١ ـ هجرة القصب الى (ليشان) من شهر كانون الاول الى شهر مارت •

٢ ـ الهجرة لمنطقة الغراف من شهر نيسان الى شهر حزيران أو آب للعمل فى الحصاد •

٣ ـ الهجرة لمكابس التمـور فى البصرة فى شهرى ايلول وتشرين الاول •

أما الرحلات فهى :

١ ـ الرحلة لمنطقة هور (العبد) لصيد السمك ويقوم بها ما يقرب من (١٥٠) عائلة من حمولتى (آل غريج) و (آل عنيسى) فقط وتمتد ثلاثة شهور من شهر شباط الى نيسان[٣] •

٢ ـ رحلات مقايضة القصب والحصر الى مناطق (العمارة) يقوم بها

(٣) سندرس هذه الرحلة بتفصيل فى الفصل القادم حين نبحث صيد السمك كأحد الموارد الاقتصادية الثانوية لأهل القرية •

رجال من حمولتى (بنى عسچرى) و (آل خاطر) فى شهرى تشرين الاول وتشرين الثانى ٠

٣ ـ رحلات مقايضة الحصر بالرز والذرة لمنطقة (المجرة) يقوم بها رجال من كافة (حمايل بنى اسد) خلال شهرى تشرين الاول وتشرين الثانى(٤) ٠

ورغم ان الهجرات الموسمية موقتة فانها هى ورحلة صيد السمك لا تعتبر طرقا مشرفة أو محترمة لكسب العيش ، ويقوم بها افراد اما من حمايل ذات منزلة اجتماعية واطئة او من عوائل فقيرة جدا من الحمايل الاخرى ٠ فـ (آل غريج) مثلا وهى أحط الحمايل مكانة اجتماعية يشترك افرادها فى كافة الهجرات والرحلات ولا يبقى منهم فى القرية طيلة سبعة شهور فى السنة اكثر من (٣٠) عائلة من (٢١٠) عوائل تتكون منهم الحمولة ٠ فمثل هذه الحمولة لا تتقيد كثيرا فى مزاولة الاعمال «غير المحترمة» فى عرف اهل القرية لانها بصرف النظر عن مزاولة تلك الاعمال ذات منزلة اجتماعية واطئة وتعتبر غريبة عن القرية بالمرة(٥) ٠ ومن جهة اخرى فان افراد حمولة (آل الشيخ) ، وهى اكبر الحمايل واسماها منزلة اجتماعية فى القرية يعتبرون المشاركة فى رحلة صيد السمك خزيا ، كما لا يشارك من عوائل هذه الحمولة الكبيرة البالغة زهاء سبعمائة وخمسين عائلة فى الهجرة لمكابس التمور غير عشر عوائل فقط ، ومن يهاجر من عوائل هذه الحمولة الى الغراف لا يعملون فى الحصاد ذاته بل يقايضون حصرهم وقصبهم ويؤجرون زوارقهم ووسائطهم المائية الاخرى لنقل الحصاد فى تلك المنطقة فقط ٠ وكافة عوائل حمولة (آل غريج) ، بأستثناء ثلاثين عائلة تقريبا تهاجر الى الغراف عند بدء موسم الحصاد فى شهر نيسان وتعود الى القرية فى بداية شهر آب ، فان

(٤) لقد مر بنا تفصيل رحلات مقايضة القصب والحصر فى الفصل الثانى عشر ٠

(٥) عن أصل الحمايل يراجع الفصل الخامس ، ص ١٣١ ـ ١٣٣ ٠

كان الماء واطئا والزراعة فى الچبايش ممكنة فان بعضهم يغرس شتلات الذرة ويهاجر بعد الفراغ من ذلك مباشرة للعمل فى مكابس التمور فى البصرة حيث يستمر العمل هناك قرابة شهرين ٠ ويترك كل فخذ من هذه الحمولة فردا أو اثنين فى الحقول ليعتنوا بالزرع ٠ وحين يعودون من هجرتهم الى مكابس التمور يكون زرعهم قد تم نموه ونضجه فيبدأون حصاده فى بداية شهر تشرين الثانى ٠ وتبقى أغلبية عوائل هذه الحمولة فى مساكنها فى الچبايش من شهر تشرين الثانى حتى مطلع شباط حين تبدأ رحلة صيد السمك فى منطقة هور (العبد) ٠ وبينما يكون الرجال المشاركون فى هذه الرحلة يعملون فى الهور ، يدأب بقية رجال الحمولة وكافة نسائها على اعداد انفسهم لهجرة الحصاد الى الغراف فى شهر نيسان المقبل بجمع القصب وحياكة السلال التى يقايضونها فى تلك المنطقة ٠ ويلتحق الرجال المشاركون فى رحلة صيد السمك ببقية المهاجرين من افراد الحمولة الى الغراف رأسا من هور (العبد) دون أن يستقروا فى القرية طويلا ، وعلى هذا فيكون قد امضوا ما يقرب من تسعة شهور من السنة خارج منازلهم التى لا يسكنونها الا لمدة ثلاثة أشهر بين شهرى تشرين الثانى وكانون الثانى ، اما بقية الاغلبية الساحقة من الحمولة فانها لا تستقر فى القرية غير خمسة شهور من شهر تشرين الثانى الى نهاية شهر آذار ٠

٢ ـ هجرة القصب الى (ليشان)(٦)

(ليشان) جزيرة كبيرة يبلغ طولها ما يقرب من مائتين وخمسين ياردة وعرضها حوالى مائة ياردة ٠ وهى تقع الى الشمال الشرقى من الچبايش وتبعد عنها مسافة ثلاث ساعات بـ (المشحوف) او ما يقرب من خمسة عشر ميلا

(٦) (ليشان) اسم عام لكل تل أو ارض مرتفعة فى الهور تحتوي على آثار ظاهرة أو مطمورة ٠ وهذا (ليشان) بالذات كثيرا ما يدعى (الگبة) ، والكلمة تحريف للفظة العربية (القبة) ، لنتوئه وارتفاعه ٠ ويتخذ سكان الاهوار (الاشن) مساكن لهم ٠ راجع الفصل الاول ص٢٣ ٠

وسط الحـزام القصبى الكثيف الضخم الذى يحيط بـ (بركـة بغداد) •
وتسع هذه الجزيرة لمائتى بيت أو اكثر وهى مرتفعة لدرجة انه حتى فى مواسم الفيضان الطاغى تظل بعض اجزاء منها ظاهرة فوق سطح الماء • ويبدو أن هذه الجزيرة كانت موقعا لمدينة اثرية قديمة لانها تحتوى على تلال واطئة وحجارة مطمورة ويعثر قاطنوها من وقت لآخر على قطع فخار وخرز وبقايا أثرية مختلفة فى بطنها •

وهناك أدلة على أن اهل الچبايش كانوا يستعملون هذه الجزيرة منذ أمد طويل • فمنذ القرن التاسع عشر كانت تستخدم من قبل شيوخ (بنى اسد) كنقطة ارتكاز عسكرية فى الهور وكمسكن لبعض فصائل العشيرة كذلك • ولانها فى موقع استراتيجى ممتاز فى الهور اذ انها محاطة ومستورة بالقصب، ولانها قريبة من طرق المواصلات المائية التى تربط منطقتى الچبايش والعمارة، فلقد كانت جزيرة (ليشان) تستعمل كمقر توجه منه الغارات والحروب • فحين ثار (غضبان آل خيون) اخ الشيخ (سالم آل خيون) على الحكومة بعد الغاء مشيخة أخيه فى الچبايش عام ١٩٢٤ اتخذ جزيرة (ليشان) مسكنا ومقرا لعصابته وقام منها بحملات غزو وسلب على المجتمعات الهورية القريبة وعلى طرق المواصلات فى الهور حول الجزيرة •

وحين قضى على حركات (غضبان آل خيون) تبين لبعض الرجال الذين عاشوا معه زمنا ايام حركاته ولغيرهم ممن ابتدأوا بعد أن اعيد السلام والامن لتلك الاجزاء من الهور بالتوغل فيه بعيدا حتى تلك الجزيرة طلبا للقصب الجيد ، المزايا العديدة فى الاقامة فى تلك الجزيرة ذاتها فى أوقات معينة من السنة من اجل انتاج حصر اكثـر • ولكن حـين انتهت حركات (غضبان آل خيون) واصلت عصابات من (معدان) منطقة العمارة السلب والنهب فى منطقة (ليشان) فظلت هذه الجزيرة لا تستعمل مسكنا حتى أواخر العقد الرابع من هذا القرن ولم تتخذ مسكنا بصورة مستمرة الا قبل اربع أو خمس سنوات •

لقد ذكرنا فى الفصل السابق أن القصب غير موفور فى كل مكان في الهور ابان موسم (الجنيبة) ، وهو بصـورة خاصة بعيد عن القرية ، وان العوائل المثقلة بديون الحصر تفضـل أن تذهب لتعيش فى (ليشان) وسط حزام القصب متحملة شظف العيش والصعاب فى تلك المنطقة لكى توفـر على نفسها الرحلات المستمرة الى منابت القصب ولتنتج بالتالى حصرا اكثر[٧] •
ولقد دأبت فى السنوات الاربع او الخمس الاخيرة ما يقارب من مائتى عائلة على الهجرة الى (ليشان) لمدة تقرب من اربعة اشهر من كانون الاول الى مارت كل عام • وفى شتاء عام ١٩٥٣ كان فى الجزيرة (٢٠٨) عوائل • وبما ان عدد العوائل التى ترغب فى الهجرة الى تلك الجزيرة والعمل فيها اكثر مما تتسع له مساحتها فأن كثيرا من العوائل تبكر اليها لتضمن الحصول على مكان فيها ولتستطيع بناء اكواخها على الاجزاء المرتفعة منها • ولا ينظر اهل الچبايش لهذه الهجرة نظرة احتقار أو يعتبرونها عملا غير محترم لانها تتصل بسبيل حياتهم الرئيسى وهو حياكة الحصر ، ولانها لا تقتضى استخدام القائمين بها لاداء اعمال لا ناس خارجيين لقاء اجرة كما هو الحال فى هجرة الحصاد وهجرة مكابس التمور • واغلب اهل الچبايش يعتبرون الهجرة الى (ليشان) كحياكة الحصر الاعتيادية • ولـذا فـان اغلب المهاجـرين لتلك الجزيرة من حمولة (آل الشيخ) وهى الحمولة ذات الاعتبار الاسمى فى القرية •

فى شتاء عام ١٩٥٣ كانت العوائل التى تقطن (ليشان) مكونة من :

١٢٣	عائلة من حمولة (آل الشيخ)
٧٣	عائلة من حمولة (الحداديين)
١٢	عائلة من حمولة (بنى عسچرى)
٢٠٨	

(٧) راجع الفصل الثاني عشر ، ص ٣١٧ •

ويبنى المهاجرون اكواخا صغيرة موقتة ذات ثلاث (سباب) وتقام حواجزها وجدرانها من البردى والقصب لضمان الدفء . وتشاد الاكواخ قريبة من بعضها البعض لضمان استيعاب الجزيرة لاكبر عدد ممكن منها مع ترك ممر عريض واحد يخترق الجزيرة طولا من نهاية الى أخرى يقسمها قسمين متساويين تقريبا . ويقيم المهاجرون اكواخهم مبتدأين من وسط الجزيرة ، وهو أكثر اجزائها ارتفاعا ، بغض النظر عن انتساب العوائل الى افخاذ وحمايل معينة فيلغى نظام الاقامة هذا التجمع على اساس الافخاذ والحمايل ، وهو الطراز الاعتيادى للسكن فى القرية . ولا يوجد فى الجزيرة رئيس (للطايفة) ، ويراجع المهاجرون (سراكيلهم) او دوائر الحكومة فى القرية فى كافة شؤونهم ومشاكلهم وما قد يحدث فى الجزيرة من منازعات .

كان فى (ليشان) فى موسم عام ١٩٥٣ اربعة دكاكين موقتة تدار من قبل اربعة من المهاجرين انفسهم . وتبيع تلك الدكاكين أو تقايض الطحين والسكر والشاى والتبغ وورق السجائر والنفط وحاجيات اخرى اقل اهمية مثل الابر والخيوط وفناجين الشاى وعلب الكبريت وما يشبه ذلك . وبما أن المقايضة تدر على اصحاب الحوانيت ربحا اوفر من البيع بالنقود فانهم ، كأصحاب دكاكين النزل ، يفضلون ان يقايضوا بضائعهم وحاجياتهم بحصر يتقبلونها باسعار أوطأ من اسعارها فى القرية ويقدمون لحاكتها عوضا عنها بضائع وحاجيات اقل جودة واغلى ثمنا مما هو موجود فى سوق القرية . ويعمل اصحاب هذه الدكاكين الاربعة تجارا للحصر وليس سعاة ، ويجنون من وراء ذلك ارباحا طائلة فى غضون الشهور الاربعة لهذه الهجرة . وهم يتبعون عين اساليب وسياسة اصحاب دكاكين (النزل) ويبيعون الحصر التى يجمعونها من المهاجرين الى تجار الحصر فى الجبايش .

ان الحصر التى تنتج فى (ليشان) ، غير التى تقايض فى دكاكين

الجزيرة الاربعة ، تصرف اما عن طريق السعاة ، ويوجد منهم فيها ثلاثة ، أو يأخذها اصحابها انفسهم الى الجبايش لتسلم للدائنين او لتقايض او تباع لتجار الحصر أو لاصحاب دكاكين (النزل) . ولكن اغلب العوائل المهاجرة الى (ليشان) تحتاج الى نقود لشراء بعض الحاجيات الضرورية كالطحين والسكر والشاى والتبغ وغير ذلك ، اما من الجزيرة نفسها أو من الجبايش وبما أن تجار الحصر فى الجبايش لا يشترون الحصر من الحاكة رأسا الا اذا كانت بكميات كبيرة ، كأن تكون مائة حصيرة فما فوق ، فان اغلب المهاجرين الى (ليشان) لا يملكون طريقة يحصلون بها على ما يحتاجون اليه من نقود غير ان يتعاملوا مع سعاة الحصر الثلاثة فى الجزيرة . ويتبع السعاة الثلاثة الطرق والاساليب المعتادة فى تجارة الحصر بما فى ذلك تغيير الاسعار واعداد الحصر (الگلاب) . وبما أن اعداد الحصر المنتجة كبير من جهة ، ومن جهة اخرى لا يستطيع المهاجرون السفر الى القرية كلما احتاجوا الى الدراهم ، فان كلا من سعاة الحصر واصحاب الدكاكين فى (ليشان) ينزلون اسعار الحصر الى اقل من اسعارها الجارية فيالجبايش . وكثيرا مايخفضونها الى (٢٥) فلسا للحصيرة (الجنيبة) بدلا من (٣٠) فلسا .

ان الجزيرة محاطة بالقصب من كل جهاتها ولا يحتاج جماع القصب ان يبتعد اكثر من عشر الى خمس عشرة دقيقة فى مشحوفة . ولا توجد فى (ليشان) مضايف يرتادها الرجال فيقضون فيها كل يوم ساعات طويلة بشرب القهوة وتبادل الاحاديث ، ولذا فهم متفرغون تماما لتخصيص كل اوقاتهم وجهدهم لحياكة الحصر . والعمل الوحيد الذى يمكن أن يزاوله المهاجرون الى جانب حياكة الحصر هو صيد السمك الذى يتم فى اغلب الاحيان فى الليل فلا يتعارض مع حياكة الحصر التى لا تزاول الا فى ضوء النهار .

ويحس المهاجرون احساسا قويا بانهم انما هجروا بيوتهم فى القرية وجاءوا هذه الجزيرة النائية ليعيشوا فى ظروف معاشية قاسية املا فى انتاج اعداد اكبر من الحصر . ولذا فان عليهم ان يعملوا بجد متواصل والا فلا

جدوى ولا نفع فى هجرتهم تلك • وهذا الشعور ، مضافا اليه عوامل اخرى كقرب القصب ووفرته والظروف المعاشية التى تسمح بل تلجىء الى تركيز الجهد والوقت على حياكة الحصر وحدها ، ترفع الانتاج الى اكثر من ضعفه بالقياس الى معدل انتاجه فى الچبايش • فالعائلة المكونة من اربعة اشخاص ؛ زوج وزوجة وولد وبنت ، يستطيعون ان ينتجوا كل يوم معدل (١٢) حصيرة اذا اشتغل كل واحد من الزوجين معدل عشر ساعات وكل من الولد والبنت معدل خمس ساعات فى اليوم •

ولا تباع من المواد الغذائية فى الجزيرة غير الطحين والسكر والشاى • وعلى هذا فان المهاجرين مضطرون اما أن يعيشوا على الخبز والشاى أو أن يصطادوا سمكا يأكلونه مع خبزهم • وهكذا يضطر المهاجرون أن يوفروا فى الشهور الاربعة التى يقيمونها فى الجزيرة ما كانوا سيصرفونه خلالها على (الغموس)[٨] الذى يأكلون به خبزهم لو أمضوا تلك المدة فى الچبايش هذا بالاضافة الى أن صيد السمك يكون موردا للدخل لقسم من المهاجرين الذين يبيعون شيئا مما يصطادونه الى تجار السمك (الصوافيط) الذين يعملون فى الهور قريبا من الـ (ليشان)[٩] •

ان الظروف المعيشية فى جزيرة (ليشان) اشق من تلك التى فى الچبايش ، وهذا هو السبب الذى يمنع كثيرا من العوائل من الهجرة اليها فى موسم القصب • فبالاضافة الى ان الجزيرة بعيدة ومنعزلة ومفصولة عن الچبايش ببركة يصبح عبورها خطرا جدا عند هبوب الريح[١٠] ، فانها

---

(٨) (الغموس) لفظ عام يطلق فى الچبايش على كل ما يؤكل مع الخبز ، وهو الغذاء الرئيسى للاغلبية الساحقة ، مثل السمك واللبن الرائب والتمر والبصل وما يشبه ذلك •

(٩) راجع الفصل الرابع عشر ، ص ٣٨٩ – ٣٩٧ •

(١٠) يروى اهل الچبايش قصصا كثيرة عن ارواح واموال ضاعت في هذه البركة •

موبوءة بالبق و (الحرمس) ، والذباب فيها كثير ويوجد نوع كبير ازرق منه يؤذى الماشية فى لدغه ايذاءا شديدا • وسبب آخر يزهد اهل الچبايش فى الهجرة الى هذه الجزيرة وهو ملوحة الماء المحيط بها ، اذ من الصعب جدا الحصول على ماء عذب • وباستثناء فترة الفيضان وارتفاع الماء فان ماء الـ (ليشان) لا يشرب مطلقا • ولذا فان العوائل المضطرة فقط والتى تملك اسبابا قوية جدا تدفعها الى الهجرة تجازف بذلك • ولقد وجدت ان الاغلبية من العوائل الـ (٢٠٨) التى كانت قد هاجرت فى موسم ١٩٥٣ كانت مدينة لتجار الحصر وكانت قد هاجرت لا بدافع الكسب بل على أمل انها ستستطيع بعد عمل شاق يستمر مدة اربعة اشهر أن توفى ديونها • ولقد وجدت ان كافة العوائل المدينة التى هاجرت الى (ليشان) استطاعت فعلا ان تسدد كل أو بعض ديونها فى حين استطاع العدد القليل من العوائل المهاجرة غير المدينة أن يوفر بعض المبالغ •

٣ ـ الهجرة لمنطقة الغراف

تقع منطقة (الغراف) على جانبى نهر الغراف الذى يجرى من الكوت الى الهور قرب (البو صالح) • وهى منطقة كبيرة غنية تنتج المحاصيل الشتوية بمقادير ضخمة ، بحيث اذا ما حل موسم الحصاد احتاج اصحاب الاراضى فى تلك المنطقة الى عدد كبير جدا من العمال ليعاونوا فى انجاز عمليات الحصاد التى يجب أن تتم بأقصر وقت مستطاع • فتهاجر مئات من العوائل الفقيرة من كافة المناطق المجاورة ليعملوا فى مزارع منطقة (الغراف) كعمال اجراء • ورغم ان الچبايش بعيدة عن منطقة (الغراف) ، اذ لا تقل المسافة بين النهاية الجنوبية للمنطقة وبين الچبايش عن خمسين ميلا وبينها وبين نهايتها الشمالية عن مائة وخمسة وعشرين ميلا ، فان الفقر والحاجة تدفعان عددا كبيرا من أهل الچبايش ان يتجشموا مشاق الرحلة الطويلة وان يقيموا مهاجرين لمدة تتراوح بين ثلاثة واربعة اشهر كل عام •

فيترك المهاجرون القرية فى بداية شهر نيسان حيث يبدأ الحصاد فى

مطلع ذلك الشهر ويقيمون فى المنطقة لمدد تختلف بين شـهرين واربعة اشهر بحسب المهام التى يقوم بها المهاجرون • وأغلب مهاجرى الچبايش من حمولة (آل غريج) • ففى موسم عام ١٩٥٣ كان من بين مجموع عوائل الچبايش المهاجرة للغراف والتى قدرتها بـ (٢٥٠) عائلة ، (١٠٨) عوائل من حمولة (آل غريج) ، وبقية العوائل من حمايل (آل عنيسى) و (آل ويس) • ومن المهم ذكره هنا أن اعضـاء (حمايل بنى اسد) الاخـرى لا يهاجرون مستصحبين عوائلهم لمدة شهور بل يسافر الرجال منهم فقط فى زوارقهم الى المنطقة عدة مرات اثناء موسم الحصاد ليقايضوا الحصر والقصب ويؤجروا (مشاحيفهم) و (كعودهم) لاصحاب المزارع لنقل الحصاد • وكلما كان اعتبار الحمولة عاليا كلما كانت مشاركتها فى هذه الهجرة أقل • ففكرة العمل بالاجرة لاناس آخرين لا تتفق مع الروح والتقاليد القبلية • كما ان تعريض النساء والاطفال ، نتيجة الهجرة والاقامة فى أرض غريبـة ، لظروف وحالات تتنافى ومقاييس الغيرة والشرف فى المفاهيم العشائرية ، هى بعض الموانع التى تحول بين تلك الحمايل وبين المشـاركة فى هـذه الهجرة[١١] •

ويستعد المهاجرون قبل حلول موعد الهجرة بوقت طويل • فهم أولا يستدينون مبالغ من المال ليشتروا بها كميات من السكر والشاى والطحين ، ويحاول الرجال جمع وتوفير باقات القصب • ولان أغلب المهاجرين من حمولتى (آل غريج) و (آل عنيسى) مع عدد قليل من العوائل من حمولة (آل ويس) فانهم لا يأخذون معهم حصرا لان كافة حمولة (آل غريج)

(١١) يبدو أن في الامر ، بالاضافة الى ما تقدم ، عاملا نفسيا • فحياة الفرد مع عائلته واطفاله فى بيوت موقتة غريبا عن موطنه ومتنقلا من حقل لحقل ومن قرية لاخرى جريا وراء العمل فيه شبه شديد لحياة (الجلاء) الذى يعقب الاندحار العسكرى وهو ما يمجه (بنى أسد) ويعتبرونه مهينا خاصة وانهم ذاقوا مرارته اكثر من مرة فى تاريخهم الحربى الحديث •

وأغلب حمولة (آل عنيسى) لا يزاولون حياكتها • فيؤخذ القصب الى منطقة (الغراف) ليس للمقايضة فحسب بل لاقامة أكواخ المهاجرين انفسهم فى المزارع التى يعملون فيها • وتحوك نساء (آل غريج) بكميات كبيرة نوعا خاصا من السلال تدعى (چباسى) لتباع فى (الغراف) حيث تشتد الحاجة اليها لاستعمالها فى قسمة المحاصيل •

ويترك المهاجرون اكواخهم كما هى ويسافرون فى (مشاحيفهم) وفى وسائط اخرى كـ (الكعود) يستأجرونها لهذا الغرض • وبما أن هؤلاء المهاجرين الفقراء لا يملكون ماشية ولا اثاثا سـوى بعض الأوانى المعدنية والفخارية والاغطية البسيطة فانهم يستصحبون معهم كافة ما يملكون لانه كله من الزم الضروريات لحياتهم البدائية • ولا يذهب المهاجرون الى منطقة معينة بل انهم ينتشرون فى كافة ارجاء (الغراف) من (الحى) الى (البو صالح) • وينتشر قسم منهم على الفرات فيتوغلون فيه تصعيدا حتى (السماوة) وهم يعملون فى أى مكان يفضلون بلا عقود أو التزامات • ويستطيعون اثناء العمل ان يتنقلوا ويغيروا اماكنهم كما يريدون • وقد تتفق بعض العوائل من فخذ واحد قبل تركها القرية على السفر والعمل سوية ولكن مثل هذه الاتفاقات غير ملزمة قطعا •

وحين يصل المهاجرون الى الجهة التى يقصدون يقيمون اكواخهم • وبما ان الجو يأخذ بالدفء فى شهر نيسان ويصبح حارا فى شهر مايس فان اكواخ المهاجرين تشاد بشكل بسيط للغاية هو ليس اكثر من حصيرتين او ثلاث تثبت بشكل موقت فوق ثلاثة ازواج من الركائز القصبية القليلـة السمك • ويخصص صاحب كل ارض المكا نالذى ينسبه للمهاجرين الذين يرومون العمل لديه ليقيموا عليه اكواخهم •

والعمل الرئيسى الذى يقوم به المهـاجرون هـو الحصاد وهـو من اختصاص الرجال • وعندما يكون الرجـال منهمكين فى الحصـاد تنقـل نساؤهم الزرع المحصود ليداس ويذرى ، وربما شاركن بانفسن فيالتذرية •

واذا كان المحصود قد تم حصاده قبل وصول المهاجرين فان النساء يعملن كحمالات فى حين يؤجر الرجال زوارقهم لاصحاب المحصول لنقله أو لنقل الركاب بين القرى والمجتمعات القريبة • وفى الوقت ذاته تجرى عملية مقايضة السلال وباقات القصب المجلوبة من القرية •

ويعتمد طول الهجرة على نوع العمل الذى يقوم به المهاجرون في منطقة (الغراف) وعلى حالة الماء فى قرية الچبايش على حد سواء • فان كان المهاجرون يشاركون فى عمليات الحصاد فقط فانهم يعودون الى الچبايش حال انتهائها ويكون ذلك حوالى نهاية شهر مايس ويطول مكثهم فى تلك الحالات شهرين فقط • اما اذا اشتغلوا فى تأجير زوارقهم والفوها أقل مشقة وأكثر ربحا من العمل فى الحقول فانهم يظلون فى (الغراف) عادة حتى بداية شهر آب فيطول مكثهم عندئذ اربعة شهور أو يزيد • وبما ان الاغلبية من هؤلاء المهاجرين يزرعون محاصيل صيفية فى القرية اذا كانت حالة الماء تسمح بذلك ، فان كل المهاجرين الذين يرغبون فى الزراعة يسرعون فى العودة الى الچبايش اذا ما انحسر الماء فى وقت لا تصبح الزراعة الصيفية فيه متأخرة جدا • ففى عام ١٩٥٣ حين لم تحدث فى القرية زراعة صيفية عاد جزء يسير من العوائل الى القرية قبيل نهاية شهر حزيران وعاد بقية المهاجرين بين الخامس والعاشر من شهر آب •

وتدفع الاجور عن العمل فى حصاد الحقول عينا ، وهى حزمة واحدة من الزرع المحصود محيطها بقدر ما تتسع له ذراعا الحاصد ، وتدعى (زكار) عن حصاد كل (حبل) من الحقل • وأجرة التذرية والنقل التى تدفع للنساء يتفق عليها بحسب كمية الحبوب التى تذرى وتنقل ، وتكاد أن تكون فى أغلب الحالات (وجية) واحدة عن عمل يوم واحد • ويدفع الشعير أجورا حتى فى حالة كون الزرع المحصود أو المذرى أو المنقول حنطة • ويدوس العمال المهاجرون ما يحصلون عليه من زرع ويذرونه يوما بيوم لانهم يستهلكونه فى طعامهم وقد يبيعون كميات محدودة منه ان فاض شىء

منه عن حاجتهم الى تجار الحبوب الذين يرتادون المنطقة فى موسم الحصاد •

لقد كان بين الـ (١٢٠) عائلة المدروسة (٢٣) عائلة (١٩٫٢٪) هاجرت الى منطقة (الغراف) فى موسم عام ١٩٥٣ • ولقد قامت (١٠) عوائل منها بهذه الهجرة وحدها فى حين هاجرت الـ (١٣) الباقية الى (الغراف) وبعدها الى (البصرة) للعمل فى مكابس التمور • ويظهر من الاحصاء أن الربح الذى عادت به هذه العوائل من هجرتها الى (الغراف) قليل جدا • فلقد كان الربح الصافى للـ (٢٣) عائلة كلها ، لحين عودتها الى القرية وهى مدة اربعة شهور بعد طرح كافة المصاريف (١٢٥/٠٠٠) دينارا • فيكون معدل صافى ربح العائلة الواحدة فى الشهور الاربعة (٥/٤٣٤) دينارا • وفى الشهر الواحد (١/٣٥٨) دينارا • ولقد اوضح لى اغلب المهاجرين انهم لا يكسبون من امثال هذه الهجرات فى العادة اكثر مما يسد رمقهم أو على حد تعبيرهم (أجل بطونهم) • فالادخار شىء ابعد مما يطمعون به • ولقد تبين لى أن القسم الاعظم من هذه العوائل كانت تعتبر نفسها محظوظة وسعيدة لانها استطاعت ان تعود بـ (من) أو اثنين من الشعير •

والمفروض فى المهاجرين ان يقدموا حصة من الشعير الذى يعودون به من (الغراف) الى (سراكيلهم)[١٢] • ورغم عدم وجود مقياس معين فى هذا التقليد فان حق (السركال) المتعارف عليه فى مثل هذه الحالات هو (وجيه) واحدة فى كل (من) • وتدعى هذه الحصة (گهوة للمضيف) وهى مساهمة من المهاجر فى مصاريف مضيف حمولته الذى يرتاده ويشرب قهوته •

---

(١٢) يستثنى من ذلك (سركال) حمولة (آل الشيخ) (عبدالهادى آل خيون) فهو لا يطلب وان قدم له فلا يقبل اية حصة مما يكسبه اتباعه غير حصته المعتادة من الزراعة بصفته صاحب ارض •

٤ ـ الهجرة لمكابس التمور

ان اكثر من مائتين وخمسين الف طن من التمور تصدر من العراق كل عام • وتعبأ هذه الكمية من التمر فى سلال من خوص وصفائح وصناديق خشبية فى عدد من المكابس المنتشرة على طول شط العرب فى مدينة البصرة وضواحيها ، وهى المركز الرئيسى لانتاج التمور فى العراق • ولان أغلب الكبس والتعبئة تجريان باليد وان هذه العمليات كلها يجب ان تتم فى مدة تقرب من شهرين فان مكابس التمور تحتاج الى عدد كبير من العمال فى فترة الكبس • فتهاجر عوائل كثيرة من المناطق المجاورة ، وبصورة خاصة من المجتمعات الهورية والريفية القريبة من البصرة للعمل فى مكابس التمور • والچبايش كبقية القرى الهورية الاخرى تزود المكابس بعدد كبير من العمال •

فتترك عوائل المهاجرين القرية فى النصف الاول من شهر ايلول متوجهة الى البصرة للعمل فى المكابس • ففى عام ١٩٥٣ تركت تلك العوائل الچبايش فى الحادى عشر من شهر ايلول وبدأت المكابس التى هاجرت لها تلك العوائل العمل فى الخامس عشر من ذلك الشهر • وتعتمد مدة الكبس على عدد العمال المهاجرين لها من جهة وعلى كميات التمور المراد كبسها من جهة أخرى ، ولكنها فى الغالب شهران • وفى عام ١٩٥٣ لم تعمل مكابس التمور ، لاسباب خاصة لا مجال لذكرها هنا ، الا حوالى (٤٥) يوما ، ولذا فقد عاد مهاجرو الچبايش الى قريتهم فى الخامس والعشرين من شهر تشرين الاول بعد ان عملوا (٣٥ ـ ٣٨) يوما فقط •

ويعتمد عدد العوائل التى تهاجر من الچبايش الى مكابس التمور على وجود أو عدم وجود زراعة فى القرية فى تلك السنة • اذ انه فى حالة وجود زراعة يتحتم على كثير من العوائل الراغبة فى الهجرة الى البصرة ان تتخلف فى الچبايش لتعتنى بمزارعها • وهذا لا يعنى طبعا ان وجود زراعة

فى القرية يمنع الهجرة الى مكابس التمور ، ولكنه يقلل بالتأكيد من عدد العوائل التى تهاجر • وفى السنين التى تصبح الزراعة فيها ممكنة الحدوث تستطيع العوائل التى تريد ان تجمع بين الزراعة والعمل فى مكابس التمور أن توزع شتلاتها ثم تترك كل عائلة واحدا أو أكثر من أفرادها ليعتنوا بزرعهم طيلة مدة بقاء العائلة مهاجرة فى البصرة • وبما ان حصاد المحاصيل الصيفية فى الچبايش يجرى فى أوائل شهر تشرين الثانى ، فان المهاجرين يستطيعون ان يعودوا الى مزارعهم فى الوقت المناسب ليقوموا بالحصاد • وليس لدينا للاسف معلومات عن عدد العوائل التى تهاجر الى البصرة فى السنين التى تجرى فيها زراعة فى الچبايش ولكنها قدرت بنصف عدد العوائل التى تهاجر فى السنوات التى لا تتيسر فيها الزراعة •

لقد كان عدد العوائل التى هاجرت فى موسم عام ١٩٥٣ وهو من الاعوام التى لم تجر فيها زراعة فى القرية (٢٨٥) عائلة تتكون من (١٠١٠) اشخاص يتكونون من :

٦٥٠	امرأة و
٢١٥	رجلا و
١٤٥	طفلا
١٠١٠	المجموع

وكانت تلك العوائل تتألف من :

٢٤٨	عائلة من حمولة (آل غريج) و
٢٤	عائلة من حمولة (آل عنيسى) و
١٠	عوائل من حمولة (آل الشيخ) و
٣	عوائل من حمولة (آل ويس) •
٢٨٥	المجموع

الجدول رقم (١٨)

عدد وتكوين وتوزيع عوائل الجبايش

المهاجرة لمكابس التمور في موسم ١٩٥٣

اسماء مكابس التمور		مكبس عبدالكاظم الشمخانى	مكبس كوت السيد	مكبس ابو مغيرة	
اسماء الوكلاء المسؤولين عن العمال		هادى الشيخ طاهر (آل غريج)	شلاكه آل على (آل غريج)	عبد آل جابر (آل غريج)	المجموع
عدد العمال	نساء	٥٠	٣٠٠	٣٠٠	٦٥٠
	رجال	٢٠	١٠٠	٩٥	٢١٥
	اطفال	١٠	١٠٠	٣٥	١٤٥
	المجموع	٨٠	٥٠٠	٤٣٠	١٠١٠
عدد الاكواخ المشغولة من قبل العمال		٢٠	١٢٦	١٥٠	٢٩٦
عدد عوائل العمال والحمايل التي ينتسبون اليها	آل غريج	٢	٩٦	١٥٠	٢٤٨
	آل ويس	٣			٣
	آل الشيخ	١٠			١٠
	آل عنيسى		٢٤		٢٤
	المجموع	١٥	١٢٠	١٥٠	٢٨٥

ويلاحظ أن الاغلبية الكبرى من العوائل المهاجرة ، (٨٧٪) من المجموع العام ، هى من حمولة (آل غريج) وهى الحمولة ذات الاعتبار الواطىء ، كما اسلفنا ، فى حين ان نسبة العوائل التى هاجرت من حمولة (آل الشيخ) ، وهى الحمولة ذات أعلى اعتبار فى القرية لمجموع العوائل المهاجرة هى (٣ر٥٪) ، وهى مجرد (٣ر١٪) من مجموع عدد عوائل تلك الحمولة • وكانت العوائل الـ (٢٨٥) موزعة على ثلاثة مكابس • فلقد عملت (١٥) عائلة فى مكبس (عبدالكاظم الشمخانى) فى (التنومة) مقابل مدينة العشار على الضفة اليسرى لنهر شط العرب تحت أمرة الوكيل

(التنديل)[١٣] (هادى الشيخ طاهر) وهو من حمولة (آل غريج) • وكانت هذه العوائل الـ (١٥) تتكون من عائلتين من حمولة (آل غريج) و (٣) عوائل من حمولة (آل ويس) و (١٠) عوائل من حمولة (آل الشيخ) • وعملت (١٢٠) عائلة فى مكبس (كوت السيد) البعيد عن العشار انحدارا فى النهر بمسافة قليلة تحت أمرة (التنديل) (شلاكة آل علي) وهو من حمولة (آل غريج) أيضا • وكانت هذه العوائل مكونة من (٩٦) عائلة من حمولة (آل غريج) و (٢٤) عائلة من حمولة (آل عنيسى) • واشتغلت (١٥٠) عائلة فى مكبس (ابو مغيرة) المقابل لمكبس (كوت السيد) تحت امرة (التنديل) (عبد آل جابر) من حمولة (آل غريج) وكانت كافة تلك العوائل من حمولة (آل غريج) نفسها •

ان عمليات الكبس التى تقوم بها النساء أكثر أهمية من تلك التى يقوم بها الرجال ، اذ أن النساء يقمن بالاعمال الاساسية كاستخراج النوى من التمر وتصفيفه فى الصناديق فى حين يقوم الرجال بالاعمال الاخرى غير الهامة كالحراسة فى المكبس والنقل وسقاية الماء وغير ذلك • ولهذا فان العقود التى تبرم بين الشركة والوكلاء (التنديلية) تكون على أساس تجهيز عدد معين من العاملات النساء وليس الرجال • ولكن الرجال يرافقون نساءهم لانهن لا يستطعن الهجرة منفردات لوحدهن • ولذلك كان عدد الرجال فى موسم عام ١٩٥٣ أقل من ثلث عدد النساء •

ويرتبط الوكلاء الثلاثة من أهل الجبايش الذين يتعهدون بتزويد شركات كبس التمور بالعمال فى البصرة مع شركتين من شركات كبس التمور فقط • فيذهب هؤلاء الوكلاء كل عام في شهر كانون الثانى الى الشركتين

(١٣) (التنديل) معناها الوكيل أو رئيس العمال وهو فى مكابس التمور الشخص الذى يتعاقد مع اصحاب المكبس على تزويده بعدد معين من العمال ويتكفل بجلبهم والاشراف على عملهم وارجاعهم الى مساكنهم • راجع ما بعده •

ليصفوا حساباتهم عن الموسم الماضى وليوقعوا عقودا جديدة للموسم القادم وليقدموا للشركتين ضمانات وتعهدات بتنفيذهم لشروط العقد للموسم الجديد• ففى موسم عام ١٩٥٣ وقع (التنديل) (هادى الشيخ طاهر) عقدا لتجهيز الشركة بـ (١٠٠) امرأة ، و (التنديل) (شلاكة آل علي) بـ (٣٣٠) امرأة ، و (عبد آل جابر) بـ (٢٣٠) • ولكن فى الواقع لا يمكن الحصول على هذه الاعداد كلها ، كما أن الشركة تطلب عادة اعدادا أكثر مما تحتاج اليه فعلا • ويتسلم الوكيل من الشركة سلفه هى فى العادة (٥٠٠/٠٠٠) دينار عن كل (١٠٠) امراة يتفق على تجهيزها على دفعتين ؛ الاولى تدفع له فى شهر كانون الثانى بعد تصفية حساباته مع الشركة وابرام العقد الجديد ومقدارها اربعة اخماس السلفة ، أى (٤٠٠/٠٠٠) دينار عن كل (١٠٠) امرأة عاملة • وتدعى هذه الدفعة (العربون) • وعلى الوكيل ان يوزع هذا المبلغ على العاملات اللواتى يتفق معهن حال رجوعه الى الجبايش • اما الدفعة الثانية وهى (١٠٠/٠٠٠) دينار عن كل (١٠٠) امرأة ، وتدعى (قصط النزلة) فانها تدفع للوكيل فى منتصف شهر آب ليستأجر بها وسائط نقل لجلب عاملاته وليوزع بينهن مبالغ بسيطة تعينهن على الاستعداد للسفر • وحين يتم الوكيل استلام القسط الاول من الشركة يعود الى القرية ويبدأ بتصفية حساباته مع العاملات اللواتى عملن له فى الموسم الماضى على أساس وصولات يحتفظن بها تبين مقدار ما قمن به من أعمال فى المكبس وعلى أساس دفاتره وسجلاته التى تبين مقدار ما استلفنه من نقود واشترينه من مواد استهلاكية اثناء العمل فى فترة الهجرة • والعاملات فى أغلب الحالات مدينات للوكيل لانهن يسحبن منه مقدما مقادير من الدراهم تفيض على ما يتجمع لهن عنده من أجور لقاء أعمالهن • وفى عين الوقت الذين يصفى الوكيل فيه حساب الموسم السابق يبرم مع العاملات عقودا جديدة ، فيدفع لكل امرأة يتعاقد معها (عربون) يتراوح بين (٣/٠٠٠) الى (٥/٠٠٠) دنانير • وعندما يقبض الوكيل القسط الثانى فى منتصف شهر آب

يعطى كل امرأة تعاقد معها دينارا واحدا لتعد نفسها للرحلة ولتدفع أجور سفرها •

ويتقاضى (التنديل) من الشركة مبلغ (٥٠٠) فلس أجور سعاية وتوسط ، تدعى (تندله) ، عن كل امرأة عاملة يجهزها للمكبس ، ومبلغ (١٥٠) فلسا عن أجور نقل كل عامل امرأة كان أم رجلا • وكان المفروض اصلا أن يدفع الوكلاء اجور نقل عمالهم من مخصصات السعاية ولكنهم فى الواقع يتقاضون من العمال أجورا عن ذلك • ويستأجر (التنديل) فى الوقت المناسب زورقا شراعيا كبيرا واحدا أو اثنين ويأخذ عماله انحدارا فى النهر الى البصرة ، ويوصلهم الى المكبس الذى سيعملون فيه • ولا يستصحب العمال المهاجرون معهم الا الزم الضروريات لان الوقت الذى يقضونه فى المكابس قصير وأكواخهم الموقتة هناك صغيرة غاية الصغر • وحال وصول العمال الى المكبس يبادرون الى اقامة أكواخهم ، التى تتكفل الشركة بتزويد ما يقتضى لها من حصر وقصب ، بانفسهم • وكميات القصب والحصر التى تزودها الشركة دائما أقل كثيرا مما يلزم حتى لاقامة تلك الاكواخ المتناهية الصغر ، ولذا فان الوكلاء يضطرون ان يزودوا عمالهم بشىء من القصب والحصر ، يدفعون اثمانها من كيسهم الخاص ، للتخفيف من حدة شكواهم •

وتقام أكواخ العمال اما بين اشجار النخيل فى بستان أو قطعة أرض فضاء مجاورة للمكبس • والاكواخ صغيرة فى حجمها بشكل غير طبيعى • وبناؤها بسيط لا يقى من لفح الشمس أو هبوب الريح • ولقد وجدت ان مقاييس الكوخ المتوسط فى مكبس (عبدالكاظم الشمخانى) هى :

الارتفاع : ٥ أقدام و ٧ انجات
الطول : ٩ أقدام و ٦ انجات
العرض : ٧ أقدام و ٧ انجات

وكان هذا الكوخ مقاما من اربع حصر صغيرة وبقصب لا يتعدى مجموعه باقة واحدة ذات محيط ذراع واحد لاعمدته القصيرة غير السميكة • ولا تستعمل تلك الاكواخ الا لخزن حاجيات العمال وللنوم فى حالات نادرة

لانها صغيرة للغاية ولان العمال يفضلون النوم فى الهواء الطلق • ولقد بنيت الاكواخ فى المكابس الثلاثة بصورة متقاربة جدا مع ممرات عريضة تقسم الاكواخ الى خطوط كل واحد أو أكثر منها تحت أمرة وكيل واحد • وفى أحد المكابس لاحظت ان المسافة بين كوخ والذى يليه لم تزد عن ياردة واحدة • ولكل وكيل كوخ واسع وآخر اضافى يستعمل مضيفا تتحمل الشركة مصاريفه كثمن القهوة والنفط • ويحضر الوكيل القهوة كل مساء بعد العشاء فيجتمع اليه الرجال من عماله ليسمروا ويتناقلوا الاخبار • ويعين الوكيل حارسا يقوم بحراسة اكواخ العمال فى النهار حين يكونون بعيدين عنها فى المكبس • وهناك مراحيض منفصلة للرجال والنساء فى كل مكبس • اما الماء اللازم للشرب والشؤون الاخرى فتجلبه النسوة انفسهن من النهر •

يبدأ العمل فى المكابس فى الساعة السادسة والنصف صباحا وينتهى فى العاشرة مساء كل يوم ، مع فرصتين ، الاولى مدتها نصف ساعة من التاسعة حتى التاسعة والنصف صباحا وهى فرصة الافطار ، والثانية من الواحدة حتى الثالثة بعد الظهر وهى فرصة الغذاء • وللعمال الحق ان يتركوا العمل فى أى وقت يشاؤون شريطة ان يأذن لهم الوكيل بذلك • و لاتوجد عطلة اسبوعية فى العمل فى مكبس (عبدالكاظم الشمخانى) ، ولكن المكبسين الاخرين وهما **يداران من قبل** شركة بريطانية تعطلان فى أيام الاحاد • والعطلة الوحيدة المشتركة **بين المكابس الثلاثة** هى اما ايام أحد عيدى الفطر والاضحى، أو اليوم العاشر من شهر محرم وهو ذكرى مقتل الامام الحسين• وواضح ان واحدا فقط من هذه المناسبات الثلاث يمكن ان يقع فى موسم كبس واحد • ولا تعتنى الشركات التى تدير المكابس بصحة العمال أو تتكفل بمعالجةالمرضى منهم أو تمنحهم اجازات مرضية، ولكن بمقدورالعمال ان يراجعوا بصورة شخصية مستوصفات الحكومة الرسمية فى المنطقة • ولقد كانت الظروف الصحية فى المكابس الثلاثة رديئة للغاية • فكانت كلها موبوءة بالذباب ومراحيضها شديدة القذارة وبعيدة جدا عن المتطلبات الصحية ولا

يوجد فى المكابس ماء جار •

ويأكل العمال الخبز والشاى بصورة مستمرة كطعام ثابت ولكنهم قد يأكلون بين حين وآخر شيئا من التمر واللحم والسمك واللبن الرائب والبصل ، وهى مواد يشترونها من الاسواق القريبة • ويخبز العمال خبزهم فى افران طينية (تنانير) يجلبونها معهم ، أو على اقراص من طين يدعى واحدها (طابگ) يصنعونها هم انفسهم فى المكبس • ويحصل العمال على المواد الاستهلاكية الاساسية كالطحين والسكر والشاى والتبغ من الوكيل الذى يبيعها لهم فى كوخه • وبما ان العمال لا يملكون نقدا لانهم دائما يصرفون ما يستلمون من أقساط قبل ان يغادروا الچبايش فانهم يضطرون ان يلجأوا الى الوكيل فيما يستهلكون فى المكبس • ويبيع الوكيل تلك المواد لعماله دينا على الحساب • واسعار الوكيل أعلى بما يقرب من (١٠٪) من اسعار دكاكين سوق الچبايش وبما انه يشترى تلك المواد بكميات كبيرة من تجار الجملة فى البصرة فان ربحه يندر ان يقل عن (٣٠٪) •

وأغلب العاملات من أهل الچبايش يقمن بعملية ازالة النوى من التمر ، وهى عملية تدعى (تفشيج) • فتفتح كل تمرة بسكين صغيرة وتستخرج النواة • وتحتاج هذه العملية الى الصبر أكثر مما تحتاج الى المهارة • وتدفع الشركة على (تفشيج) صندوق يزن (٤٢) باونا مبلغ (٥٠) فلسا • وتقوم بعض نساء الچبايش بالعملية المهمة الاخرى وهى تصفيف التمر فى الصناديق ، وتدعى (تريشة) ، وأجرتها (٣٠) أو (٣١) فلسا عن كل صندوق • ويعمل عدد قليل من نساء الچبايش فى اختيار وتنقية نوع معين من التمر يصلح للكبس فى السلال فقط ويتقاضين بين (١٦) و (٢٠) فلسا عن كل سلة •

وبوسع الرجل فى المكبس ان يعمل بصفة :

١ — (دوّاس) وهو الذى يدوس التمر فى الصناديق •

٢ — (تمّار) ومهمته جلب التمر للنسوة اللواتى يعملن في استخراج

النوى او تصفيف التمر فى الصناديق .

٣ – (شيّال ميت) وهو الحمال الذي ينقل الصناديق التي يتم العمل فيها.

٤ – (صقّه) وواجبه جلب الماء اللازم لاعمال الكبس .

٥ – (ناطور) ويقوم بحراسة صناديق التمر التى تجمع على رصيف المكبس انتظارا لشحنها وابان عملية الشحن نفسها .

٦ – (حمّال) وهو الذى يفرغ التمر الذى يجلب للمكبس من الواسطة المائية الى رصيف المكبس ويحمل الصناديق الجاهزة للشحن من الرصيف الى الواسطة التى ستنقلها .

٧ – (حشّاف) وعمله نقل نوى التمر .

٨ – (صويرى) وهو المسؤول عن تنظيف المراحيض .

وتعطى النساء بطاقات عن الصناديق التى ينجزنها ، ويدفع مكبسان من المكابس التى يعمل فيها أهل الجبايش أربعة أو ستة فلوس من أجرة كل صندوق (تفشيج) أو (تريشة) نقدا ويضمن الباقى فى التذكرة . ويشتغل الرجال برواتب شهرية تتراوح بين (٣/٠٠٠) و (٦/٠٠٠) دنانير بحسب العمل الذى يؤدونه . والحد الادنى لانتاج المرأة هو صندوقان (تفشيج) اى (١٠٠) فلس أو ثلاثة صناديق (تريشة) اى (٩٠) فلسا ، والحد الاعلى اربعة صناديق (تفشيج) أى (٢٠٠) فلس او ستة صناديق (تريشة) اى (١٨٠) فلسا . ولقد احصيت المعدل لانتاج النساء فوجدته عند اغلبهن ثلاثة صناديق (تفشيج) اى (١٥٠) فلسا أو اربعة صناديق (تريشة) أى (١٢٠) فلسا .

ويستغل الوكلاء العمال ويسلبونهم اكبر جزء من ربحهم ورواتبهم بطرق مختلفة . فبالاضافة الى سيطرتهم على المواد الاستهلاكية التى يحتاجها العمال وبيعها لهم باسعار كيفية باهضة ، فانهم يغشونهم عند تصفية الحساب معهم . فالعمال ، واغلبهم نساء أميات ، لا يملكون غير قبول ما يدعيه الوكلاء . وفوق هذا كله فان الوكلاء يستولون على اجور نقل العمال التى

تدفعها الشركة وعلى نصف رواتب الرجال المستوظفين بواسطتهم ، بان يشغلوا نصف العدد المتفق عليه سابقا مع الشركة ويضطروهم على القيام باعمال كان المفروض ان يؤديها ضعف عددهم . ولكي يظهروا بمظهر المنصفين حيال كل الرجال الموجودين لديهم فان الوكلاء يقسمونهم الى مجموعتين ويشغلون كل مجموعة مدة اسبوعين فى الشهر ويدفعون لكل فرد نصف الراتب الشهرى المقرر .

ولقد وجدت بين المائة وعشرين عائلة المدروسة أن (٢٠) عائلة هاجرت فى موسم ١٩٥٢ استطاعت ان تعود الى الجبايش بربح صاف قدره (١٧٩/٥٠٠) دينارا بعد أن مكثت فى المكابس مدة شهرين كاملين . وكان معدل ربح العائلة (٨/٩٧٥) دنانير ، اى (٤/٤٨٧) دنانير فى الشهر الواحد . ولو لم تكن تلك العوائل قد تعرضت لغش واستغلال الوكلاء لكان الربح اعلى كثيرا من هذا الرقم . فلقد قدرت أن العائلة المكونة من رجلين وامرأتين تستطيع ان تربح مايقرب من (١٤/١٠٠) دينارا في الشهر الواحد على فرض أن كل واحد من الرجلين يعمل بـ (٣/٠٠٠) دنانير فى الشهر الواحد . وتستطيع كلا المرأتين ان تتما ثلاثة صناديق (تفشيج) واربعة صناديق (تريشة) فى اليوم الواحد بأجرة مجموعها (٢٧٠) فلسا فيكون مجموع ربحهما الشهرى (٨/١٠٠) دنانير . ولهذا فان هذه العائلة تستطيع ان تربح حوالى (٢٨/٢٠٠) دينارا فى شهرى العمل فى المكبس . واذا ما اخذنا بنظر الاعتبار مستوى المعيشة فى الجبايش فان هذه العائلة تحتاج الى معدل (٥٠) فلسا فى اليوم الواحد للفرد الواحد للاكل ، اى (١٢/٠٠٠) دينارا لكل افراد العائلة طيلة الشهرين . وهذا يترك وفرا قدره (١٦/٢٠٠) دينارا وهو يكاد أن يكون ضعف معدل الربح الصافى للعائلة الواحدة من العوائل العشرين التى هاجرت فى موسم ١٩٥٢ .

ولقد لاحظت أن الاحدى عشرة عائلة التى كانت تتكون من رجلين وامرأتين في تلك العوائل العشرين قد ربحت اقل من معدل الربح للعوائل العشرين كلها .

ولو لم يحدث ان كانت بين العوائل التسع الباقية نسبة عالية من النساء وهن ، كما بينا ، يكسبن اكثر من الرجال ، لانخفض معدل الربح كثيرا عما ظهر فى الاحصاء • ومرد الجزء الاعظم من هذا الفرق الحاصل بين التقدير الذى اجريناه وبين الواقع الذى سجلته فى احصائى الى استغلال الوكلاء •

من الدراسة التى تقدمت عن الهجرات نود ان نؤكد على النقاط التالية :

١ – ان جزءا صغيرا فقط من اهل الجبايش يشاركون فى هذه الهجرات الموسمية • وباستثناء هجرة القصب الى (ليشان) فان الاغلبية الساحقة من المهاجرين هم من حمولة (آل غريج) التى ، كما مر بنا ، لا تحوك الحصر مطلقا • ففى هجرة القصب الى (ليشان) اشتركت فى موسم عام ١٩٥٣ (٢٠٨) عوائل وهى تكون (١٣٪) فقط من مجموع عوائل القرية • وشاركت فى هجرة الحصاد (للغراف) (٢٥٠) عائلة اى (١٦٫٢٪) من مجموع عوائل القرية ، كان (٧٢٪) منها من حمولة (آل غريج) • اما فى هجرة مكابس التمور فلقد اشتركت (٢٨٥) عائلة اى (١٧٫٨٪) من مجموع عوائل القرية كانت نسبة عوائل (آل غريج) فيها (٨٧٪) •

٢ – ان الهجرات تقع متتالية غير متداخلة لانها تحدث فى مواسم مختلفة ومعنى هذا ان مجموع اهل الجبايش الذين يهاجرون من قريتهم فى اى موسم لا يتعدى الـ (١٨٪) من مجموع سكان القرية كلها •

٣ – ان الظروف المعيشية فى كافة الهجرات لاتشجع اعدادا اكبر من السكان على القيام بها • يضاف الى هذا ان اغلبية سكان الجبايش يحتقرون[14] اثنتين من هذه الهجرات هما هجرة (الغراف) والهجرة الى مكابس التمور •

(١٤) سندرس المهن المحتقرة فى الفصل السادس عشر عندما نبحث « الكيان الاجتماعى والاقتصادى » •

فى حين ان هناك عوامل مثبطة قوية فى الهجرة الى (ليشان) كصغر حجم الجزيرة نفسها وظروف الحياة القاسية فيها •

٤ – ان الربح من هذه الهجرات قليل جدا باستثناء هجرة القصب الى (ليشان) • فلقد بيّنا ان ما يحصل عليه المهاجرون من العمل فى (الغراف) ليس اكثر من « ملء بطونهم » لمدة الهجرة ذاتها فقط • كما رأينا أن القسط الاوفر مما يحصل عليه العمال فى الهجرة لمكابس التمور يتسرب الى جيوب الوكلاء • والذى يفسر لنا استمرار قيام جزء من اهل الجبايش بهذه الهجرات رغم ضآلة الربح هو ان حمولة آل (غريج) ، وهى التى تكون اكبر نسبة بين المهاجرين لا تحوك الحصر اولا كما ان الزراعة لا تحدث فى القرية كل عام ثانيا • ولذا فان (آل غريج) يقومون بالهجرات لانهم لا يملكون عملا آخر غيرها • وبناءاً على هذا فانهم مستعدون ان يقوموا بها حتى لو ضمنوا منها مجرد « أكل بطونهم » طيلة الشـهور التى تستغرقها تلك الهجرات • هذا من جهة ومن جهة اخرى فاننا قد رأينا ان اغلبية العوائل التى تهاجر الى (ليشان) تفعل ذلك مضطرة لانها مدينة لتجار الحصر وهى انما تهاجر الى تلك الجزيرة النائية وتتحمل ظروف الحياة الشاقة فيها آملا فى وفاء ديونها وليس رغبة فى الكسب •

الفصل الرابع عشر

الموارد الاقتصادية الثانوية

ان الموارد الاقتصادية الثانوية لاهل الچبايش هي امتلاك بعض الماشية وصيد السمك والطيور ٠

١ ــ الماشــــية

فالبقر هي الحيوانات الوحيدة التي يستطيع اهل الچبايش تربيتها ٠ وتجلب في بعض الاحيان قليل من رؤوس الغنم لتباع اما للقصاب الوحيد الموجود في القرية أو للراغبين في تقديم (ذبيحة) في (فاتحة) أو عرس ٠ فالغنم لا يمكن أن تربى في القرية لانعدام المراعي فيها ٠ واهل الچبايش كما المعنا سابقا ليسوا أهل جاموس ولا يربونه رغم معرفتهم مدى النفع المادي الذي يمكن ان يحصل منه ٠ فانهم اذا ما نوقشوا في الامر قالوا « احنه مو معدان ٠ المعدان تربي الجاموس ٠ هذا مو شغلنه » ٠ هذا بالاضافة الى أن تربية الجاموس تضطرهم أن يهجروا قريتهم ويعيشوا كـ (المعدان) فوق (الدبون)[1] في الهور ٠ وهم لا يفكرون في ذلك ولا يمكن أن يفعلوه مطلقا ٠ ولذا فان ستا من العوائل السبع التي تمتلك الجاموس من اهل الچبايش تحتفظ بجاموسها خارج القرية لدى (المعدان) القاطنين في الهور ، ولم يتيسر للعائلة السابعة ان تحتفظ بجاموستها الوحيدة فوق جزيرتها

(١) راجع الفصل الثاني ، ص٢٤ ٠

في القرية الا لانها تقطن في اطراف الچبايش ٠ وبما ان الجاموس حيوانات قوية وشرسة فيجب أن تفصل على (دبون) مستقلة ولا يمكن لذلك ان يحتفظ بها في جزر السكنى ٠ والمعروف عن الجاموس انه كثيرا ما يطيح بالاكواخ والمضايف أو يكسّر جوانبها على الاقل حين يحك بها اجسامه ، وكثيرا ما يسبب ضررا بالغا حتى لاشجار النخيل وخاصة ما كان منها يافعا صغيرا ٠ واذا ما خاض الجاموس او سبح في المجاري المائية الضيقة للقرية فانه يكون خطرا ويسبب اذى للمشاحيف السائرة فيه ٠ هذا بالاضافة الى أن الجاموس يحتاج الى عناية فائقة ٠ فتربية الجاموس عمل يستغرق كل وقت القائمين عليه بحيث يضطرهم على ترك أي عمل آخر غيره ٠ واهل الچبايش كما رأينا حاكة حصر ومزارعون وبعضهم يهاجر في فترات طويلة من السنة خارج القرية ٠ وعلى هذا الاساس فليس من الميسور عليهم أن يتخذوا تربية الجاموس مهنة لهم ٠ ولقد كانت العوائل السبع كلها تملك (٨٤) رأسا من الجاموس ؛ احداها تملك (٣٠) رأسا ، واثنتان كل واحدة (٢٠) رأسا ، وتملك العوائل الاربع الباقية مجتمعة (١٤) رأسا ٠ ويتقاضى (المعدان) من هذه العوائل لقاء تربيتهم لجاموسها كافة انتاجها من اللبن ونصف ما تلد من جاموس ، ذكورا واناثا ٠ ورغم ان مالكي هذا الجاموس لا يستفيدون منه فانهم يحتفظون به كثروة احتياطية ، يبيعون منه واحدة أو اكثر كلما اقتضت الحاجة واشتد افتقارهم للمال ٠

اما البقر الذي يربى في الچبايش ، ويدعى (هوش) فضئيل الجسم ، محدودب الظهر قليلا ، اصفر في لونه وهادىء الطبع ؛ ويقدر عدده في القرية بـ (٤٥٠٠) رأسا ٠ ولقد وجدت أن بين المائة وعشرين عائلة المدروسة (٧٩) عائلة (٨ر٦٥٪) تملك (٢١٧) رأسا منه ، اي بمعدل (٧ر٢) رأسا للعائلة الواحدة ٠ وكانت تلك الرؤوس الـ (٢١٧) موزعة بين الـ (٧٩) عائلة كما هو مبين في الجدول رقم (١٩) ٠

الجدول رقم (١٩)

عدد رؤوس الماشية التي تملكها تسع وسبعون عائلة

عدد العوائل	نسبتها المئوية الى الـ (٧٩) عائلة مالكة الماشية	عدد رؤوس الماشية التى تملكها كل عائلة	المجموع
١٦	٢٠ر٣	١	١٦
٢٩	٣٦ر٧	٢	٥٨
١٤	١٧ر٧	٣	٤٢
١١	١٣ر٩	٤	٤٤
٣	٣ر٨	٥	١٥
٤	٥ر٦	٦	٢٤
١	١ر٣	٨	٨
١	١ر٣	١٠	١٠
٧٩			٢١٧

ان ملكية الماشية لا تسبغ على مالكها اعتبارا ما[٢] • اذ لا قيمة للماشية غير سعرها فى السوق • ويكاد ينعكس الامر فيصبح التهافت على جمع الماشية ، كما هو الحال فى الجرى وراء جمع الثروة بصورة عامة ، سببا فى ضياع اعتبار الفرد لانه قد يضطره الى التصرف بما لا يتفق والتقاليد

(٢) للماشية فى المجتمعات البدائية التى تعتمد فى اقتصادياتها على الرعى أثر بالغ فى حياة تلك المجتمعات ونظمها ليس الاقتصادية فحسب بل الاجتماعية والسياسية والدينية ، لدرجة يستحيل معها فهم تلك الحياة والنظم ما لم ينظر لها من زاوية « الماشية » • ويترتب على ذلك بصورة طبيعية أن يقاس اعتبار الفرد وتحدد منزلته الاجتماعية لحد كبير بعدد رؤوس الماشية التى يملكها ، وتصبح القيمة الغذائية أو المادية التى فى الماشية واحدة فقط من قيم اخرى بل وتعتبر ثانوية اذا ما قيست بها •

والمسؤوليات القبلية[٣] • فالماشية لا تستعمل حتى فى دفع المهور فى الزواج ، وهى عادة منتشرة جدا بين الشعوب البدائية التى تملكها ، ولكنها قد تدفع عوضا عن جزء من المهر شريطة رغبة والد العروس أو أهلها •

والماشية ذات قيمة كبيرة من ناحيتين : اولاهما انها تكون احتياطيا تلجأ له العائلة عند العوز ، وثانيتهما انها مصدر من مصادر الغذاء • فأهل الچبايش لا يبيعون بقرة أو عجلا بيسر وبدون تمنع • ولكنهم حين يضطرون على دفع اسهم فى تعويض (فصل) أو تقديم مهر لزوجة او وفاء دين فقد لا يملكون حيلة غير بيع واحدة أو اكثر من بقراتهم • ولقد كانت الاسعار الجارية للماشية فى الچبايش عام (**١٩٥٣**) كالآتى[٤] :

	صغير	متوسط النمو	كامل النمو
البقرة	٣ دنانير	١٠ دنانير	١٣ دينارا
الثور	٢ ديناران	٣ دنانير	٥ دنانير

ولا تربى الماشية فى الچبايش بقصد ذبحها واستهلاك لحومها ونادرا ما تباع فيها لهذا الغرض • واكبر قيمة الماشية فى البانها وما ينتج عن تلك الالبان • فالحليب واللبن والزبد و (الگيمر) مواد غذائية ثمينة يدعم فيها اهل الچبايش غذاءهم المعتاد من الرز والذرة •

ويعتنى أهل الچبايش بماشيتهم عناية كبيرة • فطيلة ثمانية شهور من العام ، حين يكون الماء عاليا ، تظل تلك الحيوانات حبيسة فى الجزر الصغيرة التى تعيش فوقها فى القرية ويتحتم على اصحابها أن يجلبوا العلف

(٣) راجع الفصل السادس عشر « الكيان الاقتصادى والاجتماعى » •

(٤) ان اسعار الجاموس تقرب من ضعف اسعار الماشية ، وتباع الجاموسة الحلوب الجيدة بسعر يقرب من ٠٠٠/٣٠ دينارا •

لها كل يوم • وفى موسم هبوط الماء ، وهو يقرب من اربعة اشهر ، يأخذ البنات والاولاد الصغار الماشية خارج جزر السكنى الى اقرب قطعة ارض لترعى العشب والحشيش أو القصب اليافع • وكثيرا ما تخرج الماشية نفسها تخوض المجارى المائية بحثا عن المرعى الى اقرب مكان تجده فيه • والعلف الدائمى للماشية هو (الحشيش) والقصب اليافع الاخضر (العنكر) • وحين تحدث فى القرية زراعة فان سيقان الرز (البوه) وسيقان الذرة (الجل) تخزن للماشية لتتغذى عليها حين يصبح العلف الاعتيادى نادرا أو بعيدا عن القرية • ويرسل اصحاب الماشية اولادهم وبناتهم الصغيرات ، وفى بعض الاحيان نساءهم ، كل يوم ليجلبوا الحشيش •

وتحفظ الماشية ابان موسم الشتاء فى بيوت خاصة موقتة تدوم اربعة أو خمسة شهور فقط • ويعاد بناؤها كل عام قبيل بدء فصل الشتاء • وحين ينتهى الشتاء ويأخذ الجو بالدفء يكون (بيت الهوش) قد تخرب وتكسر فيهدم وتترك الماشية فى الهواء الطلق أو يسمح لها باللجوء الى كوخ قديم مهجور ان وجد • و (بيت الهوش) عبارة عن سقيفة تشبه الكوخ تشاد من ثلاثة أعمدة رفيعة وسقف من حصر وجدران من البردى • ولا يحفظ اهل الجبايش ، خلافا لعادة بقية سكان الاهوار ، الماشية فى اكواخ السكنى • وتعتنى النسوة فى بيوت (الهوش) ويزال منها الروث والعلف الملوث كل يوم وتسقى الماشية مرتين فى اليوم فى فصل الحر ومرة واحدة فى فصل البرد •

وتحلب البقرات ثلاث مرات فى اليوم ، فى الصباح الباكر وعند الظهر وقبيل غروب الشمس • وباستثناء الايام القليلة التى تتلو الولادة ، وهى من خمسة الى سبعة ، يحلب ضرع واحد ويترك الآخر للحيوان الرضيع لمدة تقرب من شهرين • وحين يبدأ الرضيع بأكل الحشائش اليافعة يحلب الضرعان مرتين فى اليوم فى الصباح الباكر وقبيل الغروب ، ويترك

الرضيع ليرضع امه عند الظهر فقط فى بداية هذه المرحلة •

ولا يحلب الماشية غير النساء • فيسمح للعجل اولا ان يرضع الثدى حتى يدر الحليب ثم يفصل عن امه ويربط أو يمسك امامها اثناء القيام بعملية الحلب • فان مات العجل اثناء الولادة او بعد ذلك مباشرة فان جلده يسلخ ويملأ تبنا ويوضع امام امه اثناء الحلب ليساعد ذلك على استدرار حليبها • وتجلس المرأة التى تقوم بالحلب تحت البقرة وتحلبها ضرعا ضرعا • وتربط الارجل الخلفية للبقرة العنيفة التى لا تسمح بحلبها بحبل • وعادة نساء الجبايش ان يغسلن ايديهن واوانى الحليب بالماء جيدا ولكنهن لا يغسلن ضرع البقرة •

ان اصحاب الماشية فى الجبايش لا يكشفون عن المقدار الذى تحلبه بقراتهم بالضبط لان المعتقد أن بعض الناس قد (يصيبوها بالعين) وهذا هو نفس السبب الذى يمنع تقديم هدايا من اللبن او منتجاته خوفا من أن يكون ذلك دليلا على غزارة انتاج البقرات من الحليب وسببا للاصابة بالعين • ولكن البقرة الحلوب قد تحلب اكثر من عشرين (پاينت)[٥] غير ما يترك لرضيعها • وتعطى اغلبية البقرات ما يتراوح بين ١٠ ــ ١٥ (پاينت) •

ويستهلك الحليب يوميا • ولكن العوائل التى تملك عددا كبيرا من البقرات يتجمع لديها فائض من الحليب يصنع منه (الدهن) ويحفظ للاستعمال البيتى • وقليل جدا من عوائل الجبايش تبيع ما يفيض عن حاجتها من الدهن لاصحاب الدكاكين فى القرية لان ذلك فى عرفهم مهنة محتقرة من مهن (المعدان) • ويصنع اغلب اصحاب الماشية من حليبها (روبة) ، وهذه اما تؤكل بالخبز أو مع الرز المطبوخ أو تخض فتتحول الى (لبن) و (زبد) • ويشرب (اللبن) كغذاء مع الخبز والرز ويؤكل (الزبد) طازجا

(٥) الباينت يساوى $\frac{1}{8}$ الغالون فتكون الكمية كلها ٥ر٢ غالونا او ما يعادل ٣٦ر١١ لترا •

أو يصفى ويحفظ كـ (دهن) • اما بقية اصناف منتجات الالبان كـ (الكيمر) و (الجبن) فانها لا تستحضر من قبل اهل الجبايش ولكنها تباع فى القرية من قبل نساء (المعدان) • ويستهلك قليل من الحليب فى وجبات الافطار •

وتحضر (الروبة) بغلى الحليب ثم تركه يبرد قليلا واضافة كمية قليلة من (الخثرة) ، وهى (روبة) قديمة ، اليه • وبعد ساعات قليلة يتخثر الحليب فيصبح (روبة) تخض عادة فى (كَطينـة) وهى قشر الخضـار المعروف باسم (الشجر الابيض) يجفف ويصنع منه وعاء خاص لخض اللبن • فتخلط (الروبة) بالماء ويضاف اليها قليل من الملح ثم تخض بتحريكها بقوة فى اليدين حتى ينفصل (الزبد) عن (اللبن) • وفى كل ثلاثة أو اربعة ايام تنظف (الكَطينة) وتعرض لنور الشمس • اما الدهن فانه يحضر بأن يذوب (الزبد) ثم يضاف له البصل والتوابل ويصفى المحلول وينقى ليصبح جاهزا للاستعمال فى طبخ الرز •

ولا يذبح اهل الجبايش الماشـية عمدا لغرض الحصـول على اللحم مطلقا • ولكنهم قد يضطرون على عمل ذلك فى ظروف وحالات خاصه • فاذا ما مرضت بقرة أو ثور فان صاحبه يسارع لبيعه الى القصاب أو قد يذبحه ويقصبه ويبيعه هو بنفسه كما قد يوزع بعضه كهدايا للاهل والجيران ، فلحمه يصبح محرم الاكل اذا ما ترك يموت موتا طبيعيا • وفى اوقات الشدة أو طمعا فى تحقيق أمنية أو رغبة ينذر أهل الجبايش تضحية عجل أو خروف لله أو لاحد الائمة • فحين تمر الشدة أو حين تتحقق الامنية يذبح الحيوان المنذور ويوزع لحمه بين عوائل الفخذ والعوائل الفقيرة المجاورة • ولايجوز فى مثل هذه الحالة بيع شىء منه • وحين يبنى اهل الجبايش مضيفا ، خاصة ان كان مضيف حمولة ، فان صاحبه يذبح فى العادة عجلا فى كل من يومى العمل الكبيرين ، يومى (التشجيج) و (البنيان)[٦] •

(٦) راجع الفصل السابع ، ص ١٧٧ — ١٨٠ •

ان اهل الجبايش لا ينظرون للحم كمادة غذائية اعتيادية • فالفرد الذى لا يحدث أن يدعى الى وليمة يقدم فيها اللحم قد لا يذوق طعمه طيلة سنين • والقصاب الوحيد الموجود فى القرية والذى يذبح خروفا أو عجلا بين آن وآخر ، يبيع لحمه الى موظفى القرية ومعلميها وللقليل من التجار واصحاب المخازن الذين يستطيعون تحمل الثمن • واذا ما شاهد اهل القرية شخصا فقيرا يحمل (ربع) لحم فان اصدقاءه يسارعون لسؤآله « ها شنهى القضية ؟ عدك مريض ؟ » ، لان أول ما يتبادر الى الذهن أن أحد افراد عائلته لابد أن يكون مريضا وبحاجة ملحة الى غذاء جيد •

ان صعوبة توفير العلف للماشية طيلة ثمانية اشهر فى السنة بواسطة القيام برحلات يومية الى مناطق قد تصبح على بعد ساعتين من القرية ليقدم الى حيوانات مربوطة فى جزر السكنى يصيّر تربية الماشية أمرا شاقا خاصة فى موسم البرد • هذا بالاضافة الى أن من غير المستطاع تربية اكثر من بضعة رؤوس من الماشية فى الجزيرة الواحدة ، خاصة ان كانت الجزيرة صغيرة الحجم • ومثل هذه العوامل بالاضافـة الى البيع العرضى الذى يضطر اليه اصحاب الماشية للقيام بدفع مبالغ كبيرة من المال تقوم الحاجة اليها بين ان وآخر ولا يمكن تلافيها من المواد الاعتيادية لاهل القرية ، تحـدد ازدياد عدد الماشية التى تربى فى القرية • ولذا فان اغلبية اصحاب الماشية من سكان القرية يملكون بين رأس واحد واربعة رؤوس منها فقط • وبين (٧٩) عائلة تملك الماشية كانت (٧٠) عائلة (٨٨ر٦٪) تملك بين رأس واحد واربعة رؤوس وعائلتان فقط (٢ر٥٪) تملك اكثر من ستة رؤوس •

ان التقاليد القبلية تمنع استخدام الماشية كمورد للدخل لان بيع منتجات الالبان عمل محتقر لاعتباره مهنة (المعدان) • وبناءاً على ذلك فان العوائل التى لا تملك ماشية تشترى حاجتها من تلك المنتجات من نسـاء (المعدان) اللواتى يجبن القرية فى زوارقهن ، بينما لا تجد العوائل التى يفيض اللبن

عندها عن حاجتها طريقة افضل من استهلاكه كله باسراف دون الاستفادة من فائضه ٠

٢ ـ صيد السمك

ان المصدر الاقتصادى الثانوى الآخر لاهل الچبايش هو صيد السمك الذى يتم بطرق عدة :

الاولى الشك برمح خاص يدعى (فالة) ٠ ويتكون الرمح من كف حديدية ذات ثلاث أو خمس أصابع ، لكل اصبع رأس مدببة ومثلثة ٠ ويثبت هذا الكف فى رأس قضيب من الخيزران (الجنة) او قصبة سميكة قوية ٠ ويصيد الرجال والاولاد الكبار السمك لطعامهم فى اوقات فراغهم ٠ ويجرى صيد السمك بـ (الفالة) من الزوارق من قبل شخصين احدهما يجذف فى مؤخرة الزورق والاخر يصيد من مقدمته ٠ ويمكن أن يجرى هذا النوع من الصيد اما فى ضوء النهار أو فى الليالى المظلمة ٠ ففى الحالة الاولى تتبع اساليب خاصة منها ما يدعى (نوّام) وهو لصيد السمك الكبير الذى يميل الى النوم على الاعشاب النابتة تحت سطح الماء ٠ و (الچفت) وهو شك السمك الذى يقفز قرب الزورق ٠ و (الدچ) وهو الضرب بالرمح مرات عديدة لا على التعيين فى اماكن ، كالتى ينمو فيها البردى بكثرة ، يظن ان السمك فيها وفير ، على أمل شك سمكة عن طريق الصدفة ٠ وخير وقت لصيد السمك بال (فالة) هو الليالى الحالكة الظلام ، حين يستعمل ال (سراج) وهو ضوء قبس من القصب أو ضوء (بطل)[7] أو مصباح بسيط من تنك (نفطية) يثبت فى مقدمة الزورق ٠ فيجذب الضياء فى الليالى المظلمة السمك

(٧) (البطل) مصباح محلى يتكون من قنينة عادية تملأ نفطا وتدخل فيها قطعة من البردى تنوب مناب الفتيلة وتثبت (البردية) فى رأس القنينة بقطعة صغيرة من التمر أو الطين ٠ ويشعل رأس (البردية) الذى يمكن ان يطول ويقصر بحسب الضياء المطلوب ٠

فيطفو الى سطح الماء ويقف برهة مبهورا من الضياء المتحرك فيعطى الصياد فرصة فذة لشكه بالـ (فالة) ٠

ويستعمل اهل الچبايش اسلوبا واحدا من اساليب الصيد بالشباك وهو الذى يدعى صيد (السلية) ٠ و (السلية) شبكة صغيرة مدورة تربط فى اطرافها كرات رصاصية كاثقال ٠ وترمى بشكل يوصلها الماء مفتوحة على هيئة دائرة كاملة ٠ فتغطس بفعل الثقل المربوط بها ٠ فاذا ما سحب الصياد الحبل تتجمع اطرافها الى الاعلى وتنخرط على شكل كيس محكم الربط ٠

وفى شهر ايلول يكثر نوع معين من سمك صغير يدعى (خشنى) ٠ فيصيده بعض أهل الچبايش بطريقة طريفة يجذبونه فيها بالضياء ويحملونه على القفز الى مشاحيفهم ٠ وتدعى هذه الطريقة (حوّل)[8] فيربط زورقان جنبا الى جنب من مقدمتيهما ٠ ويسيرهما رجلان يجلسان فى مقدمتى الزورقين[9] بوضع تصبح فيه المؤخرتان الى الامام والمقدمتان الى الوراء ، لان مؤخرة الزورق أقل ارتفاعا من مقدمته فيساعد انخفاض المؤخرة على قفز السمك الى الزورقين ٠ وتباعد مؤخرتى الزروقين بمسافة تقرب من (ياردتين) ويجلس فيهما ولدان يمسكان بينهما (مردى يضبطان بواسطته البعد المطلوب بين الزورقين ٠ ويعمد الولدان الى الجلوس بطريقة يميل معها الزورقان نحو بعضهما بحيث تقترب الحافتان الداخليتان لهما من سطح الماء اقترابا شديدا ٠ ويسيطر الولدان على درجة الميل هذه طيلة عملية الصيد ٠ ويربط مصباحان الى الجانبين الخارجيين للزورقين ٠ وعندما يسير الزورقان يصيح الرجلان والولدان صيحات عالية متكررة « حوّل » ، « حوّل » ٠ ويعتقد من يزاولون هذا الصيد من اهل الچبايش ان سمك (الخشنى) انما

(٨) معناها الحرفى قفز ٠
(٩) يجلس من يسير الزورق فى الاحوال الاعتيادية فى المؤخرة دائما ٠

يقفز الي الزورقين بسبب هذه الصيحات ولو أن الصيادين لا يرددون هذه الصيحات فان ذلك النوع من السمك لا يصاد • والواقع ان الضياء هو الذى يحمل السمك على القفز والسقوط فى الزورقين ، وفى كثير من الحالات يقفز اليهما سمك من انواع أخرى •

وفى طريقة صيد أخرى تدعى الـ (دشت) يستفيد اهل الجبايش من حقيقة كون بعض السمك الكبير المهاجر ينتقل انحدارا فى النهر • فيقيم الصيادون فى عرض النهر سدين واطئين من البردى يلتقيان على شكل زاوية منفرجة تواجه تيار الماء ، ويتركون عند نقطة التقاء السدين فتحة ضيقة • ويكون طول السدين معا قرابة عشر ياردات يمتدان من أحد شاطئى النهر الى القسم العميق منه • وتربط في الفتحة الضيقة شبكة صغيرة مربوطة الى جرس مثبت فوق الفتحة بحيث يدق اذا ما تحركت الشبكة • فيجذب التيار بعض السمك المهاجر فيدخل بين السدين • وحين يحاول ايجاد طريق للخروج ينتهى به البحث الى الفتحة • فاذا ما حاول الخروج منها ارتطم بالشبكة فتلبس بها وحركها فيدق الجرس ، فيسارع الصياد المتربص قريبا من السدين الى السمكة الحبيسة فيضربها على رأسها بعصا صغيرة تدعى (مفلاگة) فيشلها عن الحركة ويصبح من اليسير عليه أن يمسكها •

وفى الصيد بطريقة (الشص) ، ولا يزاوله غير الاولاد ، يستعمل خيط طويل تربط فى رأسه صنارة صغيرة ويشد الى قصبة • ويشك فى الصنارة قطعة من طعم ، ويسمى (طُعم) هو فى العادة قطعة من عجين ، ولكنّ قد تستعمل الديدان الصغيرة او (الروبيان) او قطعة تمر • وتربط فى وسط الخيط قطعة من فلين أو (بردى) لينبه غوصها فى الماء الصياد الى وجود سمكة تأكل من الطعم •

ويشترك حوالى مائة وخمسين رجلا ، اغلبهم من حمولة (آل غريج)

فى رحلة صيد سمك أمدها ثلاثة اشهر يقومون بها كل عام الى هور العبد(١) • وتدعى طريقة الصيد التى تتطلب القيام برحلات طويلة (طواريف) ويطلق على الرجال الذين يشتركون فيها اسم (بربرة) • وينظم الرجال انفسهم فى مجموعات صغيرة تتكون الواحدة من ١٠ ـ ١٨ رجلا وتدعى (طاروف) ، ولها رئيس يسمى (چبير الطاروف) • وليس للمجموعات التى يتراوح عددها كل عام بين ١٢ ـ ١٥ مجموعة رئيس عام ، اذ يدير رئيس كل (طاروف) شؤون رجاله • وفى حالة حدوث نزاع أو مشاكل تتعلق بالعمل اثناء الرحلة فان الصيادين يلجأون الى شرطة (العبد) لفض تلك المنازعات او الى سراكيلهم فى القرية •

وتحدث الرحلة ابان شهور شباط ومارت ونيسان ، حين يكون السمك كثيرا فى الهور • وقبل السفر الى منطقة (العبد) يتفق الرجال الذين يريدون أن يعملوا سوية على تشكيل (طاروف) تحت قيادة رجل يكون بمقدوره تطمين الحصول على المال اللازم لادواته • فيستلف الرجل (چبير الطاروف) مبلغا من المال يتراوح بين (١٥٠/٠٠٠) دينارا و (١٨٠/٠٠٠) دينارا من أحد المرابين الذين يحق له أن يحصل على سهم واحد من ارباح (الطاروف) لقاء كل (٤٠/٠٠٠) دينارا يسلفها لـ (چبير الطاروف) • ثم يوزع رئيس (الطاروف) قسما من رأس المال المستلف على افراد جماعته كل حسب حاجته كسلف تعينهم على تهيئة انفسهم للرحلة • ويشترى بعد ذلك رئيس الطاروف الشبكة التى تستعمل فى الصيد ، ويبلغ طولها قرابة (٤٠٠) ياردة وعرضها (٦) ياردات وتكلف

(١) العبد منطقة فى الهور شمال الچبايش يوجد فى وسطها (ايشان) ، وهو جزيرة صغيرة مرتفعة مشاد فوقها مخفر للشرطة مبنى بالآجر • وتتسع الجزيرة لعدد محدود من البيوت فى ايام ارتفاع الماء • وبأستثناء بيوت صيادى السمك التى يقيمونها فوق الجزيرة ابان الرحلة فلا توجد فيها بيوت اخرى سوى اكواخ رجال الشرطة انفسهم •

بين (٣٥/٠٠٠) و (٤٠/٠٠٠) دينارا • ويكون كل ثلاثة أو أربعة رجال من انفسهم جماعة خاصة داخل (الطاروف) تسمى (شدة) ، تجلب غذاءها من القرية وتستهلكه بصورة مشتركة • ويستأجر كل (طاروف) زورقا شراعيا أو اكثر يأخذ اصحابهـا سهما واحـدا من ارباح (الطاروف) عن كل زورق • ويعين رئيس (الطاروف) رجلين معروفين بمهارتهما فى الصيد وبقوتهما البدنية ليقوما بعملين خاصين اثناء الصيـد • ويطلق على احدهما اسم (شالوب) وعلى الآخر (دوّاس) ، ويتسلم كل واحد منهما سهما ونصف السهم عوضا عن سهم واحد وهى الحصة التى يتسلمها افـراد (الطاروف) الاعتياديون •

وتخرج مجموعات الصيادين من القرية فى زوارق شراعية مصطحبة ما تحتاجه من قصب لاقامة الاكواخ الموقتة على جزيرة (العبد) ، والمؤونة والادوات اللازمة لاقامة افرادها وصيدهم • ويقيم كل (طاروف) كوخا واحدا كبيرا لكافة افراده ، كما تقيم المجموعات كلها مشتركة منصة واحدة من قصب (مشر) تنشر فوقها الشباك لتجف وتصلح ، ومنصة اخرى صغيرة (سرير) تغسل وتنظف عليهـا (الثروب) وبطون السمك • وتتناوب (الطواريف) فى تعيين أحد رجالها كل يوم ليقوم بمهمة حراسـة اكواخ الصيادين اثناء تغيبهم فى الهور للصيد وجلب الماء اللازم لها • ويدعى من يقوم بتلك المهمة (عنان) •

وتخرج المجموعات كل يوم مبكرة لتصيد على انفراد كل تحت قيادة رئيسها • ويقسم الهور لغرض الصيد قسمان : شـرقى وغربى • وتتفق المجموعات على أن يصيد نصف عددها في احدالقسمين يوما وفي القسمالثانى فياليوم الذى يليه وهكذا • وتنتشر (الطواريف) التى تصطاد في قسم واحد في الهور الواسع وتصيد في اية بقعة تختار • ولكن العادة أن (الطاروف) اذا ما بدأ يصيد فى مكان من الهور فى بداية يوم من ايام الصيد فانه يستمر

فى ذلك المكان حتى نهاية ذلك اليوم • ويعمل الصيادون طيلة فترة الرحلة كل يوم عدا الايام التى يشتد فيها البرد بصورة غير اعتيادية •

ويكون اسلوب الصيد في (الطواريف) كالاتى : يقفز رجل يدعى (الداگوگ) الى الماء ويبدأ بالضرب بيديه على صفحته ليخيف السمك • ثم ينزل (الدوّاس) الى الماء يحمل احدى نهايتى الشبكة مثبتة الى عمود خشبى غليظ • ويغرس (الدوّاس) أحد اطراف العمود الخشبى بقوة فى قعر الهور ويمسكه بيديه ورجليه ثم يبتدأ بضعة رجال بسحب الشبكة التى تحتوى على عدد من كرب النخيل مربوطة الى نهايتها العليا لتبقيها عائمة مع وجه الماء من الزورق • وفى الوقت الذى تنزل فيه الشبكة الى الماء يدأب بقية الرجال على دفع (البلم) بحيث يسير مكونا نصف دائرة كبيرة من النقطة التى يمسك فيهـا (الدوّس) برأس الشـبكة • وحين يتم انزال الشبكة كلها الى الماء يسحب (الشالوب) وبقية الرجال النهـاية الثـانية للشبكة فى الماء حتى تلتقى بالنهاية الاولى التى ما زال (الدوّاس) ممسكا بها فتنغلق الدائرة • وعندئذ يجلب الزورق الى نقطة التقـاء طرفى الشبكة ويبدأ (الشالوب) ، يعاونه قسم من الرجال يسحب (يشلب) الشبكة كلها • ويظل (الدوّاس) ممسكا بالنهاية الاولى للشبكة بقوة ، كمـا يحيط بعض الرجال بها ويمسكونها عاليا فيمنعون السمك من القفز خارجها الى الماء المفتوح • وعند غلق الدائرة ينحبس عدد كبير من السمك داخلها وعندما تضيق يعلق ذلك السمك فى الشبكة ويرفع معها الى الزورق • وتعاد هذه العملية عددا من المرات قد يقرب من العشرين فى اليوم الواحد • ولكن اذا كا نالسمك موفورا فان اعادتها مرتين أو ثلاثا تكون فيه الكفاية • ولا ينزل (چبير الطاروف) الى الماء أو يشارك فى أعمال الصيد بصورة فعلية ، بل يصدر أوامره الى رجاله بصيحات يرسلها من (البلم) • وواجب كل فرد فى (الطاروف) ان يطيع تلك الاوامر ويطبقها بدقة • وحالما يعود الصيادون الى الجزيرة يشق السمك ويرش بالملح ثم يأخذ فى (بلم)

آخر من (بلام) (الطاروف) الى مدينة البصرة ليباع هناك • فيدفع (البلم) الى (الچبايش) حيث يربط هناك الى زورق بخارى يسحبه الى (القرنة) ثم ينقل السمك فى (لورى) الى البصرة ، أو قد يؤخذ (البلم) نفسه فى بعض الاحيان بطريق النهر الى البصرة رأسا •

ويعطى كل صياد فى (الطاروف) سمكة واحدة فى اليوم لعشائه ، كما ترسل (الشدة) كل اسبوع تقريبا أحد اعضائها الى الچبايش ليجلب لها ما تحتاج اليه من طحين وشكر وشاى وتبغ • ويستطيع أفراد (الطاروف) أن يسحبوا من (چبير الطاروف) كميات من المؤونة والدراهم • وتدفع (الطواريف) ضريبة غير قانونية لشرطة (العبد) تتكون من تسع سمكات فى اليوم الواحد عن كل (طاروف) • ولـ (سركال) الذى ينتسب الى حمولته رئيس (الطاروف) ان يتقاضى من (الطاروف) سهما واحدا ، يدعى (ولاغ) ، كما تقدم له هدية تقرب من دينار واحد فى نهاية العمل بصفة (گهوة للمضيف) ، هذا بالاضافة الى بعض السمك يرسل اليه كلما ذهب الى القرية أحد أفراد ذلك (الطاروف) •

وحين يعود الصيادون الى القرية بعد انتهاء الرحلة يصفى رئيس (الطاروف) حساباته • فيحسب الدخل الاجمالى للـ (طاروف) ثم يطرح منه راس المال المستلف وكافة المبالغ التى صرفت على الشبكة والملح والتنقلات وهدية (السركال) وغير ذلك من المصروفات • ويقسم الباقى على رجاله وفق الاسس التالية :

١ – سهم واحد لكل فرد من افراد (الطاروف) •

٢ – سهم واحد للمرابى عن كل (٤٠/٠٠٠) دينارا تدفع له كربح عن راس المال المستلف منه بالاضافة الى راس المال نفسه •

٣ – سهم واحد لصاحب كل (بلم) استعمل من قبل (الطاروف) بصفة ايجار •

٤ – سهم واحد اضافى لـ (چبير الطاروف) •

٥ – نصف سهم اضافى للـ (دوّاس) •

٦ – نصف سهم اضافى للـ (شالوب) •

٧ – سهم واحد يدعى (ولاّغ) للـ (سركال) الذى ينتسب اليه (چبير الطاروف) •

ويدفع رئيس (الطاروف) لكل واحد من جماعته ما يتبقى له من حصته بعد طرح المبالغ التى استلفها منه نقدا وثمن المواد الغذائية التى اشتراها منه اثناء الرحلة والسلفة التى ربما يكون قد استلفها منه قبل بدء العمل • فاذا ظهر بعد تصفية الحساب ان حصة فرد من أفراد (الطاروف) آقل من مجموع المبالغ المدين بها لرئيسه فعليه ان يعمل لذلك الرئيس فى الموسم القادم ليسدد له الدين • وبعد ان تتم تصفية الحساب تقطع الشبكة التى استعملت فى الصيد اجزاء متساوية بعدد أفراد (الطاروف) وتوزع بينهم •

فى موسم عام ١٩٥٣ اشترك (١٣) (طاروف) فى الرحلة الى (العبد) ، وكانت (الطواريف) مكونة كلها من (١٥٦) رجلا كلهم من حمولة (آل غريج) خلا (٨) رجال كانوا من حمولة (آل عنيسى) • ولقد عمل اولئك الرجال (٨٤) يوما بين الثالث من شهر شباط والتاسع والعشرين من شهر نيسان باستثناء يومين فى شهر شباط لشدة البرد • ولقد استدانت سبع مجموعات رؤوس أموال قدرها ١٦٠/٠٠٠ دينارا لكل واحدة والست الباقية مبالغ مختلفة تتراوح بين ١٥٠/٠٠٠ و ١٨٠/٠٠٠ دينارا • وكان السهم الصافى لبعض (الطواريف) ٥/٦٠٠ دنانير ولبعضها الاخر ٧/٣٠٠ دنانير ، و (طاروف) واحد فقط امتاز بكثرة رجاله وحسن تنظيمه ودأبه على الصيد بلغ مقدار السهم الصافى فيه حوالى ١١/٠٠٠ دينارا • ولقد اختلف مقدار المبلغ الصافى الذى استلمه كل رجل ليس باختلاف مقدار السهم فحسب بل باختلاف المبالغ التى استلفها والمواد التى اشتراها من (چبير الطاروف) فلقد تجاوز (١٨) رجلا (١١٫٥٪) من مجموع

الرجال حصصهم ، وحصل (٥٢) رجلا (٣ر٣٣٪) من مجموع الرجال على مبالغ تتراوح بين ١/٠٠٠ دينار واحد و ٣/٠٠٠ دنانير • وحصل الـ (٨٦) رجلا الباقين (١ر٥٥٪) من مجموع الرجال على مبالغ تتراوح بين الـ ٤/٠٠٠ والـ ٧/٠٠٠ دنانير •

وفيما يلي ثبت تفصيلي لحسابات أحد (الطواريف) في رحلة عام ١٩٥٣ :

	فلس	دينار
رأس المال المستقرض	٠٠٠	١٦٠
ثمن الشبكة	٠٠٠	٣٧

ولقد بلغت المبالغ التي وزعت قبل بدء العمل بين أفراد (الطاروف) ، وعددهم ١٨ رجلا ، ٩١/٠٠٠ دينارا على الوجه التالي :

٦ رجال استقرض كل واحد منهم ٤/٠٠٠ دنانير ، ٢٤/٠٠٠
٧ رجال استقرض كل واحد منهم ٥/٠٠٠ دنانير ، ٣٥/٠٠٠
٣ رجال استقرض كل واحد منهم ٦/٠٠٠ دنانير ، ١٨/٠٠٠
٢ رجلان استقرض كل واحد منهما ٧/٠٠٠ دنانير ، ١٤/٠٠٠

٩١/٠٠٠ دينارا

وترك المبلغ المتبقي وقدره (٣٢/٠٠٠) دينارا مع (جبير الطاروف) ليشتري به ملحا وقهوة ونفطا ومواد غذائية ليسلفها لافراد جماعته • ولقد بلغ الدخل الاجمالي لـ (طاروف) طيلة مدة الرحلة (٣٨٥/٩٠٠) دينارا • وبعد طرح رأس المال المستلف بقي منه مبلغ (٢٢٥/٩٠٠) دينارا • وكان مجموع مصروفات (الطاروف) طيلة مدة الرحلة للملح والقهوة والنفط وأجور السيارات والزوارق البخارية وهدايا للسركال وغير ذلك (٢٥/٦٤٠) دينارا • وعلى هذا فيكون الربح الصافي لـ (طاروف) كله (٢٠٠/٢٦٠) دينار ، قسم على (٢٧) سهما كما يلي :

٤ أسهم للمرابي كفائض عن رأس المال البالغ ١٦٠/٠٠٠ دينارا •
١٨ سهما لاعضاء (الطاروف) الثمانية عشر •
٢ سهمان لاصحاب (البلمين) اللذين استعملهما (الطاروف) •
١ سهم اضافي لـ (جبير الطاروف) •
½ سهم اضافي لـ (شالوب) •
½ سهم اضافي لـ (دوّاس) •
١ سهم (ولاّغ) للسركال •

٢٧ سهما •

فكان مقدار السهم الصافي (٧/٤١٧) دينارا • وحين طرحت المبالغ التي استلفها وأثمان المواد الغذائية التي اشتراها كل فرد من رئيس (الطاروف) كانت النتيجة كما يلي :

٣ رجال (٦ر١٦٪) تجاوزوا ما يستحقون من اسهم •
٧ رجال (٨ر٣٨٪) ربحوا بين ١/٠٠٠ دينار واحد و ٢/٠٠٠ دينارين •
٢ رجلان (١ر١١٪) ربحا بين ٢/٠٠٠ دينارين و ٣/٠٠٠ دنانير •
٦ رجال (٣ر٣٣٪) ربحوا بين ٣/٠٠٠ دنانير و ٤/٠٠٠ دنانير •

ولقد استطعت أن احصل على المعلومات التالية بصدد صيد السمك في احصائيتي الخاصة بالمائة وعشرين عائلة :

(١٦) عائلة (٣ر١٣٪) زاولت الصيد : (٧) عوائل منها زاولته بـ (الفالة) و (٨) عوائل بـ (الطواريف) وعائلة واحدة بـ (السلية) •

وكانت (٤) عوائل من العوائل السبع التي زاولت الصيد بـ (الفالة) (١ر٥٧٪) قد استهلكت كافة صيدها وعائلة واحدة (٣ر١٤٪) باعت ما اصطادته وعائلتان (٦ر٢٨٪) باعت قسما واستهلكت قسما من صيدها •

اما العوائل الثمان التي ساهمت في الصيد بـ (الطواريف) فان عائلة واحدة منها انتهت من الرحلة مدينة وعائلة واحدة ربحت حوالي (٧/٠٠٠) دنانير وثلاث عوائل ربحت كل عائلة حوالي (٤/٠٠٠) دنانير وثلاث عوائل

أخرى ربحت كل واحدة حوالى (٥/٠٠٠) دنانير • وكان معدل الربح للعوائل السبع (٤/٨٥٧) دنانير للعائلة الواحدة طيلة مدة الرحلة •

ولقد استهلكت العائلة الوحيدة التى صادت بالـ (شلية) كافة ما اصطادته •

ان عددا من النقاط التى برزت من عرضنا لموضوع صيد السمك تستحق التأكيد :

فصيد السمك فى الجبايش محدود • ورغم انه يمكن ان يكون موردا مربحا للدخل ، فانه لا يزاول على نطاق واسع • فلقد رأينا ان (١٦) عائلة فقط من الـ (١٢٠) عائلة (١٣ر٣٪) تمارسه كما رأينا أن الرجال المشتركين فى صيد السمك بالـ (طواريف) كانوا كلهم تقريبا من حمولة (آل غريج) لان كافة بقية الحمايل فى العشيرة تنظر لهذا النوع من الصيد كمهنة محتقرة يجب ان يمتنعوا عن مزاولتها[11] • كما وجدنا أن ثمانى عوائل فقط (٦ر٧٪) مارست الصيد بطرق أخرى •

وباستثناء حمولة (آل غريج) فان أهل الجبايش لا يبيعون السمك لان تقاليدهم العشائرية لا تسمح بذلك • فحافز الربح المادى اذا مفقود • ولذا فان الفرد من أهل الجبايش يفضل أن يمضى وقته فى حياكة الحصر ويشترى لنفسه سمكة أن رغب فى ذلك ، ما دام لا يستطيع أن يبيع ما يصيده • ولان السمك يستهلك فحسب ولا سبيل لبيعه فان صيده يجرى فى الغالب بـ (الفالة) بطرق فردية غير منظمة ، عدا (الطواريف) التى ينظمها افراد من حمولة (آل غريج) فقط •

وبما أن السمك يستهلك بكميات كبيرة ويشتد الطلب عليه جدا فى القرية فان النسوة المعدان يأتين الجبايش كل يوم بعدد كبير من الزوارق محملة بالسمك الذى يجلبنه من مناطق بعيدة فى الهور ويبعن كميات ضخمة

(١١) راجع الفصل السادس عشر « الكيان الاقتصادى والاجتماعى » •

منه رغم انه كثير موفود فى مياه النهر والهور فى القرية وحولها • فتصرف كمية كبيرة من الدخل المحلى فى شراء السمك بثمن مرتفع لان الطلب عليه دائما اكثر من العرض •

وصيد السمك مورد محدود للغذاء ، فلقد استهلكت (٥) عوائل فقط من (١٦) عائلة التى زاولت الصيد ، كافة ما اصطادته منه •

٣ – صيد الطيور

ان الصيد الوحيد الممكن فى الجبايش هو صيد الطيور المائية • والطيور التى تصاد بصورة اعتيادية هى (دياى الماى) و (الحر) • والصيد مقصور على شهور كانون الاول وكانون الثانى وشباط فى فصل الشتاء ، وان عددا قليلا جدا من اهل الجبايش يزاول الصيد • فلقد كانت بين المائة وعشرين عائلة عائلتان فقط (١ر٧٪) قد زاولت الصيد •

يصيد اهل الجبايش الطيور بالبنادق أو فى شباك • ويجرى الصيد ببنادق قديمة تسمى الواحدة (جعازة) وتملأ من فمها ببارود وخراطة حديد يحضران محليا • ويطلق الصياد النار اما من زورقه الصغير (ماطور) أو من مكمن بين البردى الكثيف • وقد يخفى نفسه عن الطير وراء ستار صغير من البردى يقيمه فى مشحوفه • وتكفى الطلقة الواحدة من (الجعازة) لقتل بين ١٠ و ٢٠ طيرا أن كانت الطيور كثيرة •

وطريقة الصيد بالشباك تسمى (شبيج نصب) • فيختار الصياد محلا مواجها للهور (وجه برگ) يقيم له فيه مخبأ صغيرا يسمى (نوشة) يتكون من مصطبة صغيرة مدورة يحيط بها جدار دائرى من البردى ارتفاعه حوالى قدمين ويتسع للصياد ليجلس فيه متخفيا • ويفتح الصياد فى الجدار ثقبا صغيرا (مزغال) يستطيع أن يراقب منه الطيور • ويستمر الصياد على القاء الطعم المكون من الذرة المطبوخة قرب (النوشة) لمدة ثلاثة أو اربعة ايام حتى يتعود الطير على التجمع فى ذلك المكان كل يوم • ثم يبكر فى احد الايام فينصب شبكته تحت الماء ويلقي فوقها الطعم ويختبىء فى (النوشة)

ممسكا بحبل الشبكة • فحين يتجمع الطير فوق مكان الشبكة يسحب الصياد حبله فتطبق الشبكة على الطيور • ويبلغ طول الشبكة اعتياديا حوالى (٢٠) قدما وتتكون من نصفين عرض كل واحد منهما ستة اقدام تقريبا • واذا ما نصبت وسحب حبلها فانها تنطبق بشكل قبة فوق سطح الماء تحبس تحتها كافة الطير الذى كان يعلف فوقها على سطح الماء • ويبلغ طول الحبل الذى يقفل الشبكة حوالى (٢٥) قدما • وقد يصيد الصياد بين ٢٠ – ٦٠ طيرا فى كل مرة ينصب فيها شبكته • وتفضل فى صيد الطيور الاماكن التى سبق ان حصدت الذرة فيها (مصاطيح) لان الطيور معتادة على التردد على تلك الاماكن والبحث عن الحبوب فيها •

وتستهلك اغلب الطيور التى تصطاد فى الچبايش من قبل عوائل الصيادين انفسهم • ولا يوجد فى القرية كلها اكثر من (٢٥) الى (٣٠) شخصا فقط يزاولون صيد الطيور • وكان بين المائة وعشرين عائلة شخصان فقط زاولا صيد الطيور من اجل الكسب كان احدهما يصيد فى شباك والآخر ببندقية • ولقد استطاع الاول أن يحصل على مبلغ ١٤/٠٠٠ دينارا والثانى على ٨/٠٠٠ دنانير من عملهما طيلة موسم عام ١٩٥٣ • فكان معدل كسبهما الشهرى من صيد الطيور فى شهور الموسم الثلاثة ٤/٦٦٦ دنانير و ٢/٦٦٦ دينارا •

وتعمل نفس العوامل التى حددت وقيدت السمك كمورد للغذاء والدخل عملها فى موضوع صيد الطيور • فأهل الچبايش لا يصيدون الطيور لان الصيد يجب ان يستهلك أو يقدم هدايا لأن بيعه محتقر من وجهة نظر التقاليد وينظر له كمهنة (معدان) • وكل ما تستهلكه القرية من طير اثناء الشتاء يشترى من نساء (المعدان) اللواتى يبعنه فيها •

وفى موسم الشتاء تصبح الطيــور كثيرة جدا وصيدها يسيرا للغاية بحيث يمكن ان يكون صيد الطير موردا مربحا للغذاء والدخل لو نظر اليه على هذا الاساس وحرر من قيود التقاليد القبلية •

الفصل الخامس عشر

الميزان الاقتصادى

يتضح من الفصول الخمسة الماضية أن اقتصاد اهل الچبايش ليس اقتصادا قائما على الاكتفاء الذاتى ، وهو ما يدعى Subsistence economy ، ففي هذا النوع من الاقتصاد ينتج السكان محليا كل ما يحتاجون من مواد استهلاكية وبضائع ، ولا يصدرون شيئا مما ينتجون أو جزءاً مما يفيض من ذلك الانتاج • ولكن اقتصاد اهل الچبايش اقتصاد تخصصى Specialized قائم على تصدير الحصير • فيعتمد سكان القرية للحصول على غذائهم لحد كبير وعلى كل ما يحتاجون اليه من لباس وحاجيات اخرى على ما يستوردونه من خارج قريتهم • لقد بحثنا في الفصول السابقة نظم الانتاج فأوضحنا أن حياكة الحصير ، وهى وسيلة كسب العيش الاساسية تستند وتدعم بزراعة صيفية غير مضمونة ولا مربحة وهجرات عمل موسمية ورحلات للهور لصيد السمك وحياكة الحصر وتربية الماشية وبصيد عرضى للسمك والطيور • ولكن اغلب هذا الانتاج انتاج للتصدير ، ويترتب على هذا أن الاستهلاك يكاد أن يكون كله استهلاكا لمواد وبضائع مستوردة من خارج القرية • اما في داخل القرية فلا يوجد في الواقع تبادل داخلى لبضائع ينتجها اهل القرية انفسهم •

ان تقدير القيم النسبية للمواد والبضائع المصدرة والمستوردة من والى الچبايش ينطوى على صعوبات اساسية • فلاتوجد معلومات رسمية يعتمد عليها في هذا الصدد ، كما ان الافراد معتادون أن يخفوا الحقائق بصدد اعمالهم التجارية ومدى اتساعها • وان الذى قلته بصدد انتاج الحبوب والحصر[1]

(١) راجع الفصل الحادى عشر ص ٢٩٢ والفصل الثانى عشر ص ٣٣٣ و ٣٣٤ •

يكفى لان يبين الصعوبة فى التقدير ، وان هذه الصعوبات فى تقدير قيم المواد المستوردة ، اكبر •

١ – التجارة والسوق

تكون التجارة الخارجية فى الجبايش من تصدير الحصر والحبوب واستيراد المواد الغذائية والاستهلاكية والملابس والبضائع الاخرى • ويتم التوزيع داخليا فى القرية بواسطة سوق القرية وتجار الحبوب المحليين واصحاب الطواحين والتاجرات (المعيديات) •

فهناك تسعة تجار للحصر فى الجبايش يسيطر اربعة منهم على ما يقرب من (٨٠٪) من تجارتها • فيشترى ويقايض هؤلاء التجار مع اصحاب الدكاكين الخمسة والثلاثين الذين يتعاملون في الحصر في قسم (النزل) من القرية كافة الحصر التى تحاك في الجبايش ويشحنونها الى انحاء مختلفة من القطر • ويعمل هؤلاء التجار ، كما رأينا ، بواسطة ثلاثين ساعيا ولهم مراكز معينة لجمع الحصر وشحنها[٢] •

ويشحن كافة انتاج المنطقة من الحبوب الى البصرة • وفي القرية ستة تجار للحبوب من عائلتين من عوائل السادة ؛ (بيت سيد طاهر) و (بيت سيد جاسم) من (بيت سيد خلف) • وتتنافس هاتان العائلتان مع بعضهما فى تجارة الحبوب فى السنوات التى تجرى فيها زراعة في القرية • فتشترى تلك العائلتان فيما بينهما ليس كافة ما يباع فى القرية من محاصيل زراعية فحسب بل وبعض محاصيل القرى والمجتمعات الهورية المجاورة الاخرى ايضا • فيشحن افرادهما الحاصلات اما على حسابهم الخاص او لحساب احدى الشركات التجارية الكبرى فى البصرة فيتقاضون منها ربحا جسيما • ولم يكن ميسورا تقدير الربح الذى يحصل عليه هؤلاء التجار المصدرون لان العائلتين تملكان بالاضافة لذلك دكاكين ومراكز تجارية للحصر وتشحنان

(٢) لزيادة التفاصيل عن تجارة الحصر راجع الفصل الثانى عشر ص ٣٣٤ الى ص ٣٥٠ •

الحصير والحبوب على حسابهما ولحساب التجار الخارجيين • وتجارة وشحن المواد المختلفة ليست مبوبة ولا مفصولة بعضها عن بعض فى حساباتهما • ولذا فلا سبيل الى معرفة مقدار الربح في تجارة مادة بعينها • ويشترى هؤلاء التجار الستة اكثر الحاصل الزراعى قبل ان يتم نضجه او حتى قبل ان يزرع فعلا بنظام « الاخضر »[٣] ، وفوق ذلك فانهم يشترون كافة المحصول الذى يعرض للبيع فى الحقول رأسا بعد قسمة المحاصيل • ولهم وكلاء يقومون بجمع الحبوب لهم ويتقاضون منهم نسبة مئوية من الربح •

ان تصدير الحبوب ذو اهمية فى السنوات التى تجرى فيها زراعة فقط • وفى هذه السنوات طبعا يقل استيراد الحبوب التى تستهلك فى القرية من الخارج لحد كبير • فيعمد التجار المحليون الى خزن كميات بالقدر الذى يعتقدون ان السوق المحلية تستطيع استيعابه • اما فى الاحوال الاعتيادية فان الحبوب تستورد بكميات كبيرة من البصرة اما مطحونة او عكس ذلك • وفى القرية خمسة دكاكين متخصصة تخصصا تاما فى استيراد وبيع الطحين • وتتراوح المكاسب الشهرية لتلك الدكاكين بين الـ ١٠/٠٠٠ دنانير والـ ٢٠/٠٠٠ دينارا •

اما المواد المستوردة الاخرى فهى السكر والشاى والتبغ والقماش وتجلب بكميات كبيرة بواسطة اصحاب الدكاكين بصورة فردية مع غيرها من مواد أخرى لا يشتد الطلب عليها كثيرا • والمركزان التجاريان اللذان يتعامل معهما اصحاب الدكاكين فى الجبايش هما القرنة والبصرة • وبما ان اسعار المواد والبضائع فى القرنة اعلى من اسعارها فى البصرة فان أغلب اصحاب الدكاكين فى الجبايش يفضلون ان يقوموا بالرحلة الاطول الى البصرة لضمان الحصول على مواد أرخص • وهناك يشترون بضائعهم من تجار الجملة ويشحنونها بالزوارق الشراعية او البخارية وبعضا فى الـ (لوريات) الى مدينة

(٣) انظر ما بعده •

القرنة • ومن القرنة توجد سفرات يومية منتظمة بالزوارق البخارية الى الجبايش فتشحن كافة البضائع بتلك الواسطة • وفي موسم ارتفاع الماء يمكن ان تشحن البضائع من البصرة الى الجبايش بالزوارق رأسا •

يتكون سوق الجبايش من مجموعتين من الدكاكين : دكاكين (الناحية) ودكاكين (النزل) • فيوجد ٦٥ دكانا فى القسم الاول يطلق عليها عادة اسم (السوگ) وكلها مبنيـة من الطابوق وذات سقوف من حصر وخشب • وسعة أغلب هذه الدكاكين خمسة عشر قدما طولا وتسعة أقدام عرضا • ولكن عددا قليلا منها اكبر حجما من ذلك • وهذه الدكاكين مبنية فى خط على طول جبهة النهر • اما الدكاكين الـ ٣٥ فى قسم (النزل) فانها ، عكس الاولى ، منتشرة بين جزر السكنى ولا يمكن تمييزها عن الاكواخ الاعتيادية الا بواسطة علم ابيض صغير يرفع فوق الدكان كأشارة أو لافتة •

وتختلف ظروف العمل فى مجموعتى الدكاكين اختلافا كليا • ففى الوقت الذى تبيع فيه دكاكين (الناحية) بالنقد فقط ، تبيع دكاكين (النزل) فى أغلب الحالات بالحصر كما تبيع بالنقد ايضا • وهذا مسبب عن عدة عوامل كانعدام مكان الخزن في دكاكين (الناحية) فلا يستطيع اصحابها تقبل الحصر ، وكبعد المسافة التى يجب ان تجلب منها الحصر من جزر حائكيها الى دكاكين (السوگ) وغير ذلك • وهناك فرق واضح في نوعية المواد والبضائع التى تباع فى مجموعتى الدكاكين • ففى دكاكين (السوگ) توجد انواع مختلفة من المواد الغذائية والملابس والادوات البيتية والمواد الكمالية ، بينما لا تبيع دكاكين (النزل) غير الطحين والسكر والشاى والتبغ والقماش والكبريت والنفط • ولا تبيع دكاكين (النزل) الا ما يعتبر من الزم الضـروريات واسعارها اعلى ، فى العادة ، بحوالى ١٠٪ من اسعار دكاكين (الناحية) كما ان الارباح التى يحصل عليها اصحابها لا تقارن بارباح اصحاب دكاكين (السوگ) لان المواد والبضائع التى تباع فى الاولى محدودة جدا من ناحيتى

انواعها وكمياتها • ومهما يكن من أمر فـأن دكاكين (النزل) تستطيع ان تسحب مقدارا كبيرا من البيع والشراء عن دكاكين السوق فى (الناحية) ، كما مر بنا فى الفصل الثانى عشر • ولقد عرف عن بعض اصحاب دكاكين (النزل) ، فى الحقيقة ، انهم جمعوا ثروة وان كثيرا منهم اكثر غنى من بعض اصحاب دكاكين (الناحية) • ان الربح الاساسى فى دكاكين (النزل) يأتى من بيع الحصر • ولو كان اصحاب دكاكين (الناحيـة) مستعدين لقبول الدفـع بالحصـر لكان من المؤكد أن يستطيعو! القضاء على منافسيهم من اصحاب دكاكين (النزل) وعلى نشاطهم التجارى • وان ما ذكرنا من انعدام مكان خزن الحصر فى دكاكين (الناحية) وصعوبة نقلها من (النزل) اليها ليسا السببين الوحيدين فى صدوف اصحاب هذه الدكاكين عن قبول الحصر ومقايضتها ببضائعهم وبالتالى رفضهم استغلال طريقة تجارية مربحة للغاية ، بل ان اعتبارات الجاه تلعب دورا هاما فى تقرير الارباح التى تدرها المهنة ، حتى بين اولئك الاشخاص كالتجار واصحاب الدكاكين الذين تجردوا لحد كبير من القيم القبلية ونبذوها • فاصحاب دكاكين (الناحية) هؤلاء يعتزون بتشبههم باهل المدن وتمسكهم باساليب أهل الحضارة والتعامل بالنقد عوضا عن مقايضة الحصر التى رغم انها مربحة بشـكل اكيد وظاهر لهم فانهم يعتبرونها طريقة فى التجارة غير عصرية ولا راقية •

وفيما يلى دراسة مقتضبة لدكاكين القرية كما كانت عام ١٩٥٣ •

دكاكين الناحية :

أ - كانت الدكاكين المشغولة ٤٥ دكانا ، اما الـ ٢٠ الاخرى فكانت فارغة منذ وقت طويل •

ب - كانت ٣٢ دكانا مشغولة من قبل مسـتأجرين و ١٣ يشغلها اصحابها •

ج ـ كانت بنايات ٥٤ دكانا مملوكة من قبل تسعة اشخاص اما بصورة فردية أو شركة مع الغير كما يلي :

اسماء المالكين	عدد الدكاكين المملوكة
١ ـ حجي جاسم آل غياض وكاظم آل جميعي	٧
٢ ـ حجي مجيد آل خضير	٤
٣ ـ بيت رشم وبيت سيد ملك	٤
٤ ـ حجي حسين آل طاهر	٧
٥ ـ بيت سيد خلف	٣
٦ ـ عبودة السلمان وسلطان آل شويع	٣
٧ ـ حجي رهگ آل شلال وحسن آل بندر	٣
٨ ـ سيد ملك السيد طاهر	٤
٩ ـ حجي عبد آل مشد	١٩
	٥٤

اما الاحد عشر مالكا الباقون فكان لكل واحد منهم دكان واحد •

د ـ كانت ايجارات تلك الدكاكين ، وهى تختلف طبعا بحسب سعتها وموقعها فى السوق ، كالآتى :

عدد الدكاكين المؤجرة	الايجار الشهرى (دينار)
٢	٢/٠٠٠
١	١/٥٠٠
٢٠	٠/٧٥٠
٧	٠/٥٠٠
٢	٠/٤٠٠
٣٢	

هـ ـ وكان بين الـ ٤٥ دكانا المشغولة :

١٦ دكانا مشغولة من قبل بقالين

١٣ دكانا مشغولة من قبل (بزازين) ، ثلاثة منهم كانوا يزاولون الخياطة بالاضافة الى بيع القماش •

٥ دكاكين مشغولة من قبل خياطين

٢ دكانان مشغولان من قبل بائعى طحين •

٤ دكاكين مستعملة كمقاهى •

١ دكان واحد يشغله حلاق •

١ دكان واحد يشغله صباغ للملابس •

١ دكان واحد يشغله (مبيض) للاوانى النحاسية •

٢ دكانان يشغلهما بياعا متفرقات واشياء صغيرة (خرده فروشية) •

٤٥

ويبين الجدول رقم (٢٠) الارباح الشهرية لاصحاب هذه الدكاكين • وكانت هذه الارباح قد قدرت عن طريق الملاحظة المباشرة والمعلومات التى استقيت بالسؤال من اصحاب الدكاكين انفسهم وعن طريق طارق آل خيون ومخبرين آخرين • ويمكن ان يقال أن درجة صحتها عالية لحد كبير جدا •

جـدول رقم (٢٠)

الربح الشهرى لاصحاب الدكاكين فى سوق القرية

عدد الدكاكين	معدل الربح الشهرى التقريبى (بالدينار)
١	٣٠/٠٠٠
٤	٢٠/٠٠٠ لكل دكان
٥	بين ١٥/٠٠٠و ١٩/٠٠٠ » »
٧	بين ١٠/٠٠٠و ١٤/٠٠٠ » »
١١	٨/٠٠٠ » »
٢	٦/٠٠٠ » »
٥	٥/٠٠٠ » »
٣	٤/٠٠٠ » »
٤	٣/٠٠٠ » »
٣	بين ١/٠٠٠ و ١/٥٠٠ » »

و ـ فيما يلى ثبت باسماء البضائع والمواد التى كانت تباع فى اثنين من هذه الدكاكين سجلت كنماذج لمثيلاتها فى السوق ولتعطى فكرة عن نوع

العمل التجارى الذى يقوم به اصحاب هذه الدكاكين من جهة وعلى درجة المستوى المعيشى والحضارى فى القرية ممثلا فى اصناف البضائع التى تباع وكلها مما يطلب من قبل المستهلكين والا لما استوردت طبعا • والجدير بالذكر أن كثيرا من المواد والبضائع التى تبدو كمالية جدا بالنسبة لاهـل القرية تستورد بكميات قليلة جدا وبسبب طلب فئة صغيرة هى فى الواقع ليست من صلب القرية كالموظفين والمعلمين وبعض المترفين من اهل القرية كما انهـا تباع باسعار فاحشة للغاية •

١ – بقال : (شكر • چاى • گهوة • شخاط • تتن • دفاتر جگاير • قوارى • ستكانات • صحون چاى • صابون • ريحة • مقـادح • قفال • مكاصيص • گلاصات • فافون ؛ جدور ، كيتليات ، طاوات ، طوس ، قوارى، خواشيگ چاى • مرايات • بطـالة شربت • فوانيص • لمبات • شيش • جگاير • ظروف واوراق مكاتيب • عرقچينـات • خاوليـات • فانيلات بشوت • كاسات فرفورى • صحون فرفورى • عطارية مختلفة • دهن • نومى حامض • تمر هند • فناجين گهوة • هيل • فتايل فانوس • مشاطه • مواس حلاقة) •

٢ – بزاز : (اقمشة مختلفة لملابس النساء ، وخام ابيض واقمشة دشاديش وپالطوات • يشـاميغ وطنية واجنبيـة • خام وطنى • فانيلات • چفافي • شيلات • شيلات وطنية • شيلات جز • عرقچينات • ورق كتابة وظروف • جگاير • شكر • چاى ، • گهوة • تتن • دفاتر جگاير • شخاط دفاتر واقلام مدرسية) • وفى الدكان ماكنة لخياطة الملابس •

وتبيع بعض دكاكين البقالين الستة عشر ادوية محلية ومستوردة واشياء كمالية مثل الحلويات وزيوت الشعر وحبوب الاسپرو وعلب السـجائر والبسكت ودبابيس الشعر الخ ... ومن الصفات البارزة فى دكاكـين

(السوگ) أن اغلبها تبيع الحاجيات الثلاث التى يشـتد عليها الطلب كثيرا وهى السكر والشاى والتبغ • هذا بالاضافة الى انعدام التخصص فى بيـع الحاجيات والبضائع • فرغم ان أهـل الچبايش يفرقـون بين (البگال) و (العطار) باعتبار أن الاول يبيع مواد استهلاكية والثانى ادوية وعطور وما يشبه ذلك فان النوعين من الدكاكين تبيع نفس البضائع والمـواد • وحتى (البزازين) يبيعون ، كما رأينا ، السكر والشاى والتبغ وسلع اخرى •

ولا يوجد فى الچبايش تجار للجملة ، ولذا فعلى كل صاحب دكان ان يذهب الى البصرة ليشترى لنفسه السلع والمواد التى يحتاج اليها مرة فى كل ما يقرب من شهرين • ولا يقل الربح الصافى لاصحاب هذه الحوانيت فى الحقيقة عن عشرين بالمائة فى اية مادة أو سلعة يبيعونها ، وقد يصل فى بعضها ، وخاصة ما كان منها كماليا الى مائة فى المائة • ويوضح الجـدول رقم (٢١) أمثلة على ذلك •

جـدول رقم (٢١)

اسعار بعض البضائع المبيعة فى السوق وارباحها

البضاعة	سعرها في البصرة(فلس)	سعرها في الجبايش(فلس)	الربح
ياردة واحدة من قماش شعبي	١٠٠	١٢٠	٢٠ ٪
كيلو غرام واحد من السكر	٥٠	٦٠	٢٠ ٪
حقة(٤) واحدة من الشاى	٨٠٠	١٠٠٠	٢٥ ٪
حقة واحدة من التبغ	٧٠٠	٩٦٠	٣٧ ٪
علبة كبريت	٤	٦	٥٠ ٪
عشر شلفات حلاقة	٥٠	١٠٠	١٠٠٪
حبة واحدة من الاسبرو	٢ر٥	٥	١٠٠٪

(٤) الحقة وزن يستعمل محليا ويبلغ ١ر٢٥٠ كيلو غراما •

ان اكثر السلع والمواد طلبا هى السكر والشاى والتبغ وورق السجائر والقماش والطحين والبن .

دكاكين (النزل) :

كان فى (النزل) فى عام ١٩٥٣ خمسة وثلاثون دكانا يمكن تقسيمها الى صنفين ؛ عشرون منها كانت كبيرة كلها تبيع وتقايض السكر والشاى والتبغ والقماش والطحين والنفط وبضائع اخرى . والخمسة عشر دكانا الباقية صغيرة لا تقايض غير السكر والشاى والتبغ وعلب الكبريت فقط ، كما انها تبيع فى بعض الاحيان كميات قليلة من هذه المواد .

وكافة دكاكين (النزل) مشادة على جزر اصحابها . وكان بعضها فى نفس اكواخ اصحابها وغير مفتوح للبيع والشراء بصورة دائمية . ولقد قدرت الارباح الشهرية لاصحاب تلك الدكاكين(٥) كالاتى :

عدد الدكاكين	الربح الشهرى مقدرا بالدنانير
٦	٢٠/٠٠٠ الى ٣٠/٠٠٠
٩	١٠/٠٠٠ الى ١٥/٠٠٠
١٣	٥/٠٠٠ الى ٨/٠٠٠
٧	٣/٠٠٠ الى ٤/٠٠٠
٣٥	

وبالاضافة الى الدكاكين فهناك طاحونتان فى (النزل) ؛ الاولى فى (أم الجذوع) وهى ذات ماكنة قوتها ٥٥ حصانا وتستعمل للطحن والهبش ، ويملكها شراكة ثعبان آل خيون وسيد باقر السيد علي . والثانية وقوتها ٢٨ حصانا مشادة على ترعة (لغميجة) ويملكها حسن آل بندر آل خيون .

(٥) لقد جرى التقدير على أساس المعلومات التى زودنى بها طارق آل خيون والتى حصلت عليها من بعض اصحاب الحوانيت انفسهم ومن استقصائى الشخصى . والتقدير هنا اصعب من مثيله السابق لان الربح يتوقف لحد كبير على تصدير الحصر التى يتسلمها صاحب الدكان فى المقايضة لقاء بضائعه .

ويتقاضى اصحاب الطاحونتين فلسا واحدا عن طحن أو هبش كل كيلو غرام من الحبوب . ومالكا الطاحونة الاولى من اصحاب الاراضى فى حين أن مالك الثانية من تجار (الاخضر) . فللثلاثة أذن حصص فى الحاصل الزراعى اذا حدثت فى القرية زراعة ، ويتصرفون عندئذ كتجار للحبوب . ويشترى اصحاب الطاحونتين بعض الذرة والقمح من التجار فى الجبايش ليطحنوها فى طاحونتيهم ويبيعوها اما فى دكاكينهم او الى اصحاب دكاكين اخرى فى القرية .

وآخر الاشخاص المهمين الذين يقومون بالتوزيع فى القرية هن التاجرات من نساء (المعدان) . واغلب تلك النسوة من عشيرتى (العمايرة) و (الفرطوس) ، فياتين القرية كل يوم ؛ كل اثنتين منهن فى زورق ، من اماكن تبعد عن الجبايش بين ساعتين واربع ساعات تجذيفا فى المشحوف . ويصلن عادة فى الصباح ويعدن الى مساكنهن بعد الظهر . ويبعن فى القرية السمك والطيور والحليب واللبن و (الروبة) والجبن والدهن و (المطال) . وفى موسم ارتفاع المياه ، حين تجب تعلية سطح كل جزيرة فى القرية يبعن القصب والتراب كذلك . وبما ان التراب يأتى بربح وفير فى موسم ارتفاع الماء لاشتداد الحاجة اليه فان (المعدان) يبحثون فى كل مكان فى الهور عن جزر صغيرة غير مأهولة وعن النتوءات الارضية غير المغطاة بالماء ويحفرون التراب منها . وفى شهر مايس تبيع تلك النسوة (الخرّيط) وهو مادة حلوة تصنع من طبخ مسحوق يجمع من نهايات نبات البردى . وتجوب النسوة المعدان طرق القرية المائية وممراتها فى زوارقهن ينادين على بضاعتهن ، فيستوقفهن السكان على شواطىء الجزر ليشتروا منهن . وبما ان تلك النسوة تستعمل قطعا من الحجارة كمعايير وبما ان الطلب على بضاعتهن دائما اكثر من العرض ، فان المساومة الطويلة الصاخبة والشجار ابرز صفات هذا النوع من البيع والشراء . واغلب هذه النسوة لا يتوغلن فى القرية حتى منطقة (الصراى) و (السوگ) خوفا من أن تفرض عليهن لو ضبطن ضرائب

قانونية وغير قانونية • اما اللواتى يصلن السوق فيبعن لاصحاب الدكاكين فيه الدهن والجبن أو قد يجلسن فى السوق ذاته يبعن (الروبة) واللبن والجبن والسمك والطيور و (المطال) • وتختص كل واحدة من (المعيديات) أو مجموعة منهن فى العادة بدكان معين فتزوده بصورة منتظمة بالجبن والدهن والزبد وتشترى منه البضائع التى تحتاج اليها كالسكر والشاى والتبغ • وكانت الاسعار الجارية للدهن فى الچبايش عام ١٩٥٣ (١/٢٠٠) دينارا للـ (وجيه) الواحدة التى يشتريها اصحاب الدكاكين من النساء (المعدان) بـ (٩٠٠) فلس فيحصلون بها على ربح قدره (٣٣٫٣٪) • وتشترى النساء (المعدان) من (النزل) البيض الذى يجمعنه ويأخذنه الى تجار الجملة فى البصرة • ويشترى البيض فى القرية بخمسة فلوس للبيضة الواحدة ويقايض فى بعض الاحيان هو والذرة بالسمك أو منتجات الالبان أو أية مواد أخرى تبيعها النسوة (المعيديات) •

وهناك امرأتان فقط من أهل الچبايش تقومان بفعاليات تجارية محدودة فى القرية • الاولى تبيع الخبز فى السوق والاخرى تبيع مواد التجميل المحلية كـ (الحنة ، والمحلب ، والرشوش ، والديرم والخ ••) فى زورقها الذى تجوب به القرية • ويرى اهل الچبايش فى مثل هذا العمل مهنة محتقرة من مهن (المعدان) ويستنكرون مثل هذا السلوك فى كسب العيش من امرأة • ولكن لكل واحدة من الامرأتين ظروفا خاصة سببت خروجهما على النمط المتعارف عليه فى القرية • فكانت الاولى معوزة وليس لها أحد يعيلها كما انها أصلا غريبة عن القرية فلا أقارب لها فيها • اما الثانية فلقد عاشت على اتصال وثيق جدا بحياة المدن لان زوجها عمل طويلا خارج القرية واشتغل فى التجارة • كما ا نابنها يعيش موظفا خارج القرية • وان زوجها ، لهذين السببين ، لا يزاول المهن الاعتيادية التى يزاولها اهل القرية كالزراعة وحياكة الحصر ، بل يعيش هو وعائلته على ما وفره فى ايامه الماضية من عمله في التجارة وما يرده من مساعدة مادية

من ولده • فأضحت العائلة كلها تعيش بأسلوب خاص سوغ سلوك تلك المرأة مسلك التجارة والكسب فى القرية •

٢ ـ الطبقات الاقتصادية

ان التوزيع غير المتساوى للموارد الاقتصادية بين اهل الچبايش انتج ست طبقات اقتصادية فيما هى :

١ ـ الاثرياء •
٢ ـ اصحاب الاراضى •
٣ ـ أصحاب الدكاكين •
٤ ـ اصحاب الحرف •
٥ ـ المستخدمون •
٦ ـ المزارعون وحاكة الحصر •

ان اهل الچبايش يعرفون هذه الطبقات ويعينونها بدقة ويتحدثون عنها باعتبارها طبقات منفصلة تتميز عن بعضها بسيطرتها على موارد اقتصادية معينة وبتمتعها بمستويات مختلفة من العيش • والواقع ان التفريق بين هذه الطبقات يجرى ، لحد ما ، علىمقاييس اجتماعية، ليس من الضرورى أن تتسق دائما مع الامتيازات الاقتصادية • ففى حين أن (الاثرياء) هم أكثر بقية أهل القرية ثراء بدون شك وان اصحاب الاراضى يأتون بعدهم فى كثرة الثراء ، فان الطبقة الثالثة ، طبقة اصحاب الدكاكين ، تحتوى على بعض الافراد الاغنياء جدا الذين يمكن أن يفوقوا بثرائهم بعض رجال الطبقة الاولى وعلى افراد آخرين قد يكون مستواهم الاقتصادى اشد شبها بمستوى اصحاب الحرف والمستخدمين • ومن ناحية اخرى فان اصحاب الحرف يصنفون كطبقة اقتصادية اعلى من المستخدمين رغم أن دخل الطبقتين متشابه وذلك لان حرفهم تسبغ عليهم اعتبارا اكبر • وانى انما اتقبل هذا التميز بين الطبقات الاقتصادية رغم عدم قيامه على تفاوت الدخل بين افرادها لان اهل الچبايش يميزون بين

تلك الطبقات على هذا الاساس ولان تلك هى نظرتهم للموضوع ٠

١ ـ الاثرياء :

ان حوالى عشرين شخصا يمثلون خمس عشرة عائلة تعمل فى تجارة الحصر والحبوب أو تحصل على موارد من ادارة الدكاكين واقراض المال بالربى ورهن الاراضى الزراعية وتسيير زوارق بخارية وملكية الدور والدكاكين يدعون (الاثرياء) ٠ ويبين الجدول رقم (٢٢) اسماء واعمال تلك الطبقة الاقتصادية العليا وتقديرا لرؤوس اموالها فى عام ١٩٥٣ ٠

جدول رقم (٢٢)
اسماء واعمال طبقة الاثرياء فى اتقرية
مع تقدير رؤوس أموالهم

اسم الثرى	اعماله	رأسماله المقدر (بالدينار)
١ ـ سيد على السيد جاسم ٢ ـ سيد عبدالحسين السيد جاسم ٣ ـ سيد ناصر السيد شبر ٤ ـ سيد حطاب السيد شبر	تجارة الحبوب والحصر ، دكاكين فى قسم الناحية والنزل ، اقراض المال بالربى ، رهن الاراضى ٠	٣٠٠٠٠
٥ ـ سيد ملك السيد طاهر ٦ ـ سيد يوسف السيد طاهر(٦)	تجارة الحبوب والحصر ، دكاكين فى النزل ، اقراض المال بالربى ، رهن الاراضى ٠	٢٠٠٠٠
٧ ـ حجى حسين آل طاهر ٨ ـ حجى على آل طاهر	تجارة الحبوب والحصر ، اقراض المال بالربى ، دكاكين فى قسم الناحية ٠	٢٠٠٠٠
٩ ـ حسن آل بندر آل خيون	طاحونة ، اقراض المال بالربى ، رهن الاراضى ، تجارة الحبوب ٠	١٠٠٠٠
١٠ـ حجى عبد آل مشد	اقراض المال بالربى ، بيوت ودكاكين فى قسم الناحية ٠	٥٠٠٠
١١ـ ناصر الحجى رهكك	تجارة الحصر ، دكاكين فى النزل	٥٠٠٠

(٦) ان الاشخاص الستة الاوائل كلهم ينتسبون لعائلتي بيت سيد خلف ٠

تكملة الجدول رقم (٢٢)

١٢ـ سيد باقر السيد على	تجارة الحصر ، دكاكين فى النزل	٢٠٠٠
١٣ـ سيد يوسف السيد جابر	دكان واحد فى النزل ٠	١٠٠٠
١٤ـ جاسم آل رشم	زورق بخارى ٠	١٠٠٠
١٥ـ نعيثل آل رشم	دكان واحد فى قسم الناحية ٠	١٠٠٠
١٦ـ حجى عبد على آل محمد	دكان واحد فى قسم الناحية ونصف ملكية زورق بخارى ٠	١٠٠٠
١٧ـ حجى جمعة آل محمد	دكان واحد فى قسم الناحية ٠	١٠٠٠
١٨ـ حجى صدام آل على	زورق بخارى ٠	١٠٠٠
١٩ـ حجى مجيد آل خضير	دكاكين وبيوت فى قسم الناحية ٠	١٠٠٠
٢٠ـ زاير عتيوى آل عباس	تجارة الحصر فى النزل ٠	١٠٠٠

ورغم الصعاب التى ذكرتها عن الحصول على معلومات مضبوطة بصدد الارباح والتجارة فاننى واثق لحد كبير من دقة تقدير رؤوس اموال هذه الطبقة ٠ فاذا كان هناك احتمال للخطأ فانه اكبر فى تقديراتى لرؤوس اموال الافراد الذين يقعون فى رأس القائمة واقل فى تقدير رؤوس اموال الذين يقعون فى نهايتها ٠ فالرجال المفرطون فى الثراء يحاولون اخفاء الفرق الشاسع فى الثروة بينهم وبين الافراد الاخرين فى القرية فى حين ان الرجال الذين فى نهاية القائمة ربما مالوا الى الادعاء فيقررون لذلك الحقيقة بصدد مايملكون أو ربما يتجاوزون ٠ ان من الصعب على التاجر ان يخفى رأس ماله الذى يعمل فيه أو الذى فى حوزته فعلا فى أى وقت من الاوقات ٠ واغلب رؤوس اموال التجار تحفظ في صناديق حديدية في الدكاكين أو في بيوتهم ٠ أما المواد غير المنقولة كالدور والدكاكين ومفردات الثروة الاخرى كالزوارق البخارية والاراضى المرهونة فان من السهل أن تقدر بسعر السوق الجارى ٠ هذا بالاضافة الى أن محاولات تقدير ثروات الافراد الاخرين من الموضوعات التى يتحدث بها الناس فى سوق القرية ٠ ولقد وجدت أن هناك فرقا ضئيلا

جدا بين مختلف التقديرات لثروة رجل بعينه • وفي كثير من الاحيان استطعت ان اتوثق من صحة تقديرات ثروات بعض الافراد التي حصلت عليها في السوق ومن مصادر خارجية عن طريق الاستفهام من الاشخاص المعنيين انفسهم فوجدت انهم يؤيدون بكثير استعداد صحة ما يشيعه ويتناقله الناس في القرية عن ثرواتهم وعما يملكون • اما الرجال الستة في رأس القائمة فانني لم استطع ان اناقشهم بصورة مباشرة في الامر ولكن تقديراتي لثرواتهم الظاهرة ومدى اعمالهم واستقصائي من مصادر خاصة اقامت الدليل على صحة تقديرات الرأى العام في القرية في هذا الموضوع كله •

ليس من المستطاع اجراء تقدير تقريبي للكسب الشهري للرجال الثمانية الاوائل في قائمة الاثرياء لان اعمالهم واسعة جدا وتتعرض للصعود والهبوط بحسب المواسم • ولكن من المؤكد أن الدخل الشهري الصافي لكل واحد منهم ليس أقل من (١٠٠/٠٠٠) دينار • ولقد قدرت ان الدخل الشهري الصافي لكل من (حسن آل بندر) و (حجي عبد آل مشد) و (ناصر آل رهك) و (سيد باقر السيد علي) بحوالي (٥٠/٠٠٠) دينارا • اما الدخل الشهري للرجال الثمانية الباقين من الاثرياء فأقدره بين (٢٠/٠٠٠) و (٣٠/٠٠٠) دينارا •

٢ – اصحاب الاراضي[7] :

في القرية حوالي عشرين رجلا يكونون طبقة (اصحاب الاراضي) وهم سراكيل الحمايل ورجال آخرون • فالاراضي الزراعية لا تباع بل يمكن رهنها فقط • والامتياز الاقتصادي الذي يحصل عليه افراد هذه الطبقة هو انهم بصفتهم اصحاب اراض يستطيعون أن يحصلوا على عدد من الفلاحين يعملون لهم وتحت أمرتهم ، وعلى حصص في المنتوج الزراعي يتمكنون بواسطته من المحافظة على مستوى للمعيشة ارفع من مستوى الفلاحين وحاكة

(٧) لزيادة المعلومات عن اصحاب الاراضي راجع الفصل العاشر •

الحصر • فيكون بمقدورهم ان يحتفظوا بمضايف ويأكلوا طعاما اجود ويعيشوا في بيوت احسن • وبالاضافة الى السلطة السياسية التي يتمتع بها السراكيل منهم فقط ، فانهم جميعا يحصلون على موارد عيشهم بدون بذل مجهود ويتمعون بنفس الوقت بالاعتبار الذي تسبغه عليهم لزمتهم للاراضي• وتقع على بعض اصحاب الاراضي ، كسراكيل الحمايل الكبيرة ، مسؤوليات اجتماعية ضخمة • فلا يستطيعون معها الاعتماد على مواردهم من الارض لتغطية مصاريفهم بل ان عليهم ان يدعموا تلك الموارد بغيرها • فبعضهم يفرض على قسم من رجال حمايلهم اتاوات وضرائب ، كأن يأخذوا منهم حصصا في ارباحهم من بعض الفعاليات الاقتصادية كالهجرات والسفرات أو رشاوى لامور تتعلق بالمكلفين بخدمة العلم وغيرها من القضايا الحكومية التي يكون السركال فيها عادة حلقة الوصل بين اتباعه وبين الحكومة • وآخرون يقومون هم انفسهم بزراعة قطع من الارض التي تحت تصرفهم ، وواحد منهم يحصل على مساعدة مادية من اولاده الذين يزاولون اعمالا تجارية • ويتمتع افراد هذه الطبقة بصورة عامة بما يمكن ان يعتبر مستوى مريحا للمعيشة ، ولكنهم اذا ما نظر اليهم من زاوية الربح ورأس المال فانهم ليسوا اثرياء ولا يستطيعون جمع ثروات •

٣ – اصحاب الدكاكين :

وهم اصحاب دكاكين السوق الذين يصفهم اهل القرية بـ (اهل السوگ) ، واصحاب دكاكين (النزل) • وعملهم الدائمي ، وهم كلهم قرابة سبعين رجلا ، ادارة الدكاكين • ولقد تحدثنا عنهم في مطلع هذا الفصل •

٤ – اهل الحرف :

وتتكون هذه الطبقة من اربع مجموعات ؛

أ – بناة الزوارق ومصلحوها : يوجد من هؤلاء أحد عشر رجلا

يتخذون بناء الزوارق وتصليحها عملا دائميا لهم • وهم منتشرون فى انحاء القرية • ويبين الجدول رقم (٢٣) اسماءهم واماكن عملهم وتقديرا لارباحهم الشهرية •

جدول رقم (٢٣)
اسماء بنائى الزوارق ومصلحيها واماكن عملهم ودخلهم الشهرى التقريبى

اسم العامل	مكان عمله	الدخل الشهرى التقريبى (بالدينار)
١ ـ ياسر آل بجاى	المجرى	٦/٠٠٠
٢ ـ شويل آل صابط	آل خاطر	٤/٠٠٠
٣ ـ حسين آل عباس	آل خاطر	٤/٠٠٠
٤ ـ خضراوى آل رويض	لغميجة	٣/٠٠٠
٥ ـ خلف آل مدهل	الساجية	٦/٠٠٠
٦ ـ كريم آل خلف	الساجية	٣/٠٠٠
٧ ـ دشر آل عبدالحسن	الساجية	٧/٠٠٠
٨ ـ حويل آل عبدالسادة	آل عنيسى	٦/٠٠٠
٩ ـ عطية آل حمود	آل عنيسى	٦/٠٠٠
١٠ـ عبدالسادة آل حمود	آل عنيسى	٤/٠٠٠
١١ـ عطية آل صابط	ام الجدوع	٥/٠٠٠

ولقد توصلت الى هذه التقديرات بناء على المعلومات التى حصلت عليها من اصحاب الحرف انفسهم بعد ان تأيدت لى صحتها من المخبرين •

ان أغلبية هؤلاء الرجال يقيرون ويصلحون الزوارق ولكنهم نادرا ما يبنون زوارق جديدة • فثلاثة منهم فقط فى الواقع معروفون بانهم يقدرون على بناء زوارق • ويقدم صاحب الزورق فى حالتى البناء أو التصليح المواد الاولية اللازمة ، وهى الالواح الخشبية التى يستعاض عنها دائما بالخشب الردىء الرخيص الذى يحصل عليه من الصناديق الفارغة التى تجلب فيها

البضائع المستوردة من قبل تجار القرية ، والمسامير والقير والقصب الذى يستعمل كوقود لاذابة القير فى الفرن والنفط الاسود • والاسعار الاعتيادية التى يتقاضاها هؤلاء الصناع عن البناء والتصليح يبينها الجدول رقم (٢٤) •

جدول رقم (٢٤)
الوقت اللازم لبناء الزوارق وتصليحها ومعدل الاجور المستوفاة

نوع العمل	زوارق صغيرة		زوارق متوسطة		زوارق كبيرة	
	الوقت (الايام)	الاجرة (فلس)	الوقت (الايام)	الاجرة (فلس)	الوقت (الايام)	الاجرة (فلس)
تسكام (بناء)	٥	٥٠٠	١٠ـ١٢	١٠٠٠	٢٠ـ٢٢	٣٠٠٠
تگيير (تصليح واكساء بالقير)	١	١٠٠	١½	٢٠٠	٢	٣٥٠

ويعمل بناة الزوارق ومصلحوها فى جزرهم ويعاونهم فى العادة اولادهم الصغار واصحاب الزوارق التى تبنى او تصلح • ولكل بان او مصلح فرن خاص يذوب فيه القير الذى يستعمله فى اكساء الزوارق •

ب ـ بناة المضايف : فى الچبايش خمسة رجال مختصون ببناء المضايف والاكواخ ، يدفع للواحد منهم عن الاشراف على بناء المضيف مبلغا يتراوح فى العادة بين ١٠/٠٠٠ دنانير و ٢٠/٠٠٠ دينارا • كما تقدم له مع الاجرة بعض الملابس او كمية من الحبوب • ويعتمد المبلغ الذى يقدم للـ (اسطة) على سعة المضيف الذى يشرف على بنائه وعلى طول الوقت الذى يقتضيه بناؤه • فحين بنى مضيف (عبدالهادى آل خيون) سركال حمولة (آل الشيخ) فى شهر شباط ومارت من عام ١٩٥٣ قدم السركال فى نهاية البناء الذى استمر ثمانية وعشرون يوما للـ (اسطة) الذى بناه ، وهو مزهر آل نشتر ، مبلغ عشرة دنانير وعباءة (بشت) قيمتها ثلاثة دنانير تقريبا • وبناء المضايف ليس كثير الحدوث • فطيلة مكثى فى الچبايش لم تبن فيها غير

أربعة مضايف كما صلح ابانها مضيف واحد فقط • فدخل بناة المضايف الخمسة ، لذلك ، محدود جدا • وبسبب قلة المورد لا يعتمد اى من اولئك الرجال في عيشه على ما يكسبه من بناء المضايف • بل هم يزرعون ويحوكون الحصر كما يفعل بقية سكان القرية • ولا تقدم اجور لـ (اسطة) لقاء اشرافه على بناء اكواخ السكنى العادية لان من الواجب الملزم على كافة افراد الفخذ أن يعاونوا فى بناء البيوت ، ولا يدعى (اسطة) من غير فخذه ليعاون او يشرف على بناء كوخ •

ج ـ الحدادون : ان كافة حدادى الجبايش صابئة[8] • وكان فى القرية منهم فى عام ١٩٥٣ ثلاث عوائل فقط ؛ اثنتان منهما تعيشان وتعملان معا • وكانت العوائل الثلاث تعيش على الحدادة وحدها فلا تزاول الزراعة ولا حياكة الحصر • والادوات التى يصنعها الصابئة فى الجبايش هى رماح صيد السمك (الفول) وسكاكين تفسيق القصب (مشاگ) والمناجل والمسامير التى تستعمل فى صنع واصلاح الزوارق الكبيرة • ويجلب الحديد المستعمل من البصرة كما يهيىء الوقود اللازم محليا من قبل الحدادين انفسهم بتحويل القصب الى نوع من الفحم بعد حرقه فى مفاخر صغيرة خاصة تبنى لهذا الغرض • وكان معدل اسعار الادوات التى تصنع من قبل الصابئة فى عام ١٩٥٣ كما يلى :

(الفالة)	١٥٠ ـ ٢٠٠	فلسا
(المشگة)	٥٠	فلسا
المنجل	١٥٠	فلسا

اما المسامير فكانت تباع بالوزن •

ويبدو أن معدل دخل العائلة الواحدة من الحدادين كان يتراوح بين ٦/٠٠٠ و ٧/٠٠٠ دنانير كما كان الاقبال على شراء ما يصنعون فى الشتاء

(٨) لقد مر ذكر الصابئة ودينهم ومكانتهم فى القرية فى الفصل السادس ، ص ١٦٨ ـ ١٧٠ •

اشد منه فى الصيف •

د ـ حاكة القماش : في الجبايش خمسة حاكة للقماش كلهم من فخذ (آل هلال) من حمولة (آل غريج) • ورغم ان الطلب يشتد كثيرا على نوع معين من قماش صوفى خشن يستعمل (بشوت) للرجال والنساء ، فان هذا القماش لا يحوكه غير هؤلاء الحاكة الخمسة ويسد الطلب الكبير عليه عن طريق استيراده من الخارج • وحرفة الحياكة محدودة جدا فى القرية بل هى فى دور الانقراض ، وذلك لاسباب اجتماعية[9] • ولا يعمل اربعة من هؤلاء الحاكة الخمسة اكثر من سبعة شهور فى العام لانهم يتركون الحياكة ليشاركوا فى الهجرة للغراف ولمكابس التمور • والحائك الخامس يعمل تسعة اشهر في العام فقط لانه يهاجر الى الغراف ثلاثة اشهر كل عام • وكافة الادوات المستعملة فى الحياكة ، كالنول وغيره ، بدائية وبسيطة للغاية وكلها مصنوعة من الخشب والقصب والحبال • ويعمل الحائك جالسا على الارض فى العراء ويشغل النول بيديه ورجليه اللتين يدليهما فى حفرة يملأها ماء الفيضان طيلة ثلاثة أو اربعة اشهر من السنة • ومعدل الاجور التى تدفع لحياكة قطعة من قماش تكفى لعباءة تقتضى حياكتها عمل اربعة ايام متصلة ٢٠٠ فلس • وتختلف الاجور بالنسبة الى نوع القماش المحوك • وبناءا على عدم انتظام عمل الحاكة واتصاله فلم يكن من الميسور تقدير معدل الدخل الشهرى لهم •

٥ ـ المستخدمون :

يعمل تسعة عشر رجلا مستخدمين فى دوائر حكومة القرية كشرطة وفراشين وحراس وفى طاحونتيها كعمال وكتاب كما هو مبين فى الجدول رقم (٢٥) •

(٩) راجع الفصل السادس عشر عن « الكيان الاقتصادى والاجتماعي ».

الجدول رقم (٢٥)

عدد المستخدمين من اهل القرية ورواتبهم الشهرية وواجباتهم

عدد المستخدمين	الراتب الشهرى (دينار)	الواجبـــات
٣	٨/٠٠٠	شرطه[١٠]
٦	٤/٥٠٠	عمال بلدية يستخدمون كنوتيه وكناسين وفلاحين ووقادى مصابيح
٥	٦/٦٠٠ الى ٨/٠٠٠	فراشون ومراسلون فى دوائر الحكومة
٢	٧/٠٠٠	فراشان فى المدرسة
٢	٣/٠٠٠ر	عاملان فى انطاحونتين
١	٤/٠٠٠	كاتب فى احدى الطواحين

ويدعم رجال الشرطة الثلاثة دخلهم بمورد خاص يكاد ان يكون متصلا مما يأخذونه فى القرية من رشاوى يقدر معدلها لكل فرد بخمسة دنانير فى الشهر • وليس لعمال البلدية الستة مورد آخر غير رواتبهم • اما الفراشون الخمسة فيحصلون على بعض الهبات البسيطة من الاهالى الذين يراجعون دوائر الحكومة ، باستثناء واحد منهم فقط يتسلم معاونة مادية من ولديه اللذين يعملان خارج القرية • ويربح فراشا المدرسة مبالغ تقدر بثلاثة دنانير شهريا لكل واحد منهما عن طريق تزويد الغرباء من معلمى القرية بطعامهم اثناء السنة الدراسية • كما انهما يربحان مبالغ محدودة جدا من بيعهما الخضر والفواكه فى شهور العطلة الصيفية الثلاثة •

٦ ـ حاكة الحصر والمزارعون :

وهذه الطبقة تكون اغلبية سكان الچبايش • فلقد كانت الطبقات الخمس السالفة الذكر تتألف من ١٤٥ عائلة فقط اى ٩٪ من مجموع

(١٠) كان فى الچبايش فى عام ١٩٥٣ (١٦) شرطيا ومفوض واحد ومعاون واحد • وكان ثلاثة فقط من افراد الشرطة من اهل الچبايش ذاتها •

عوائل القرية البالغة ١٦٠٤ عوائل • اما الـ ٩١٪ الباقية من اهل القرية فكلهم حاكة حصر ومزارعون وعمال يهاجرون للعمل خارج القرية فى مواسم معينة من السنة • ان الاغلبية العظمى من سكان القرية تعتمد على حياكة الحصر اعتمادا كليا كمورد لكسب العيش • ولقد سبق ان قدرت فى الفصل الثانى عشر معدل الدخل اليومى لعائلة من هذه الطبقة مكونة من اربعة افراد (زوج وزوجة وولد وبنت) بما يقرب من ١٥٠ فلسا وهذا يجعل معدل الدخل الشهرى ٤/٥٠٠ دنانير[١١] •

ان ما مر ذكره من تقسيم سكان القرية الى ست طبقات اقتصادية ، وهو التقسيم الذى يحسه اهل القرية ويعترفون به ، هو لحد ما تقسيم قائم على اساس المركز الذى تخلقه المهنة ، ولا يدل على فروق هامة فى مستويات المعيشة بين كل واحدة من هذه الطبقات • فاذا ما اتخذنا مستوى المعيشة اساسا لتقسيم سكان القرية الى طبقات فاننا نستطيع ان نميز بين مجموعتين اثنتين فقط يضمان الطبقات الست المار ذكرها على الوجه التالى :

١ ـ الاثرياء
واصحاب الاراضى
واصحاب الدكاكين

٢ ـ اهل الحرف
والمستخدمون
وحاكة الحصر والمزارعون

وتصبح المقارنة فى مستويات المعيشة معقدة بالنسبة لحاجيات افراد بعض الطبقات الاقتصادية الذين يقلدون فى حياتهم سكان المدن • فبعض اصحاب الدكاكين والمستخدمين لا يربون الماشية ويصرفون مبالغ كبيرة فى شراء اصناف غالية من السجائر وحتى المشروبات الروحية وهذه وكثير

(١١) راجع الصفحات ٣٣٢ و ٣٣٣ •

امثالها مصروفات لا تدخل بحال من الاحوال فى حساب الاغلبية الساحقة من سكان القرية ٠

٣ – مستويات المعيشة

لا يستطيع حاكة الحصر والمزارعون سد حاجاتهم الحياتية الاساسية الا بجهد وعسر ٠والحد الادنى لمستوى المعيشة فى الجبايش هو كالآتى :

الطعام : خبز الذرة والشاى ثلاث مرات فى اليوم ، مع ارز مطبوخ يتناول في وجبة العشاء وسمك مشوى في وجبة الغذاء ، بصورة عرضية وبين فترات متباعدة ٠

السجائر : للرجال فقط وهي سجائر (لف) يستعمل فيها تبغ رديء النوع رخيص الثمن ٠

الملابس : (دشداشة) لكل فرد من افراد العائلة لا تستبدل الا حين تبلى تماما ٠

وحتى بهذا المستوى المنخفض لا يستطيع كثير من حاكة الحصر والمزارعين ان يعيشوا دون أن يلجأوا الى الاستدانة ٠ ولكن كلا من الذين يملكون بعض الماشية فيستطيعون طبعا ان يكملوا غذاءهم بمنتجاتها والاقلية الضئيلة التى تستطيع أن توازن بين دخلها ومصروفاتها فلا تضطر للاستدانة ، فى وضع اقتصادى احسن وينعمون بمستوى معيشى ارفع نسبيا من مثيله بين بقية افراد طبقة حاكة الحصر والمزارعين ٠

فاذا ما صعدنا فى السلم الاقتصادي من حاكة الحصر الى المستخدمين واهل الحرف لم نجد فرقا كبيرا في مستوى المعيشة ولا في درجة الاستدانة ٠ ولكن الراتب الثابت الذي يستلمه المستخدمون كل شهر يكون ضمانا اقتصاديا لهم ٠ وبما ان الاجور التي تدفع لاهل الحرف تكون على مقياس اعلى كثيرا مما قد يربحه اي فرد من طبقة الحاكة والمزارعين فان المفروض فى اهل الحرف أن تكون لهم قابلية اقتصادية على وفاء أية ديون يضطرون على اقتراضها ٠ فيستطيع بانى المضيف مثلا ان يتسلم مبلغ عشرة دنانير عن

عمل لا يزيد الوقت اللازم لاتمامه عن شهر كما ان بانى الزورق قد يربح ثلاثة دنانير فى عمل لا يقتضى اكثر من عشرين يوما ٠

ويتمتع اصحاب الدكاكين والاراضى والاثرياء بمستويات معيشية عالية ٠فاغلبهم يعيش فى اكواخ اوسع وحوالى عشر من العوائل الثرية تسكن بيوتا مبنية بالآجر توفر لهم مزيدا من الراحة والامن ضد الفيضان وتضمن لهم ظروفا صحية احسن كثيرا من تلك التى يعيش فيها سكان الاكواخ القصبية ٠ ويستعمل افراد هذه الطبقات فى بيوتهم اثاثا وادوات منزلية أجود من التى يستعملها أهل الاكواخ من حاكة الحصر والمزارعين ؛ فهم يستعملون سررا خشبية او حديدية وصناديق خشبية لحفظ الملابس وبسط وسجاجيد ٠ ويملك رجال ونساء هذه الطبقات الثلاث فائضا من الملابس كما يرسل اغلب افراد هذه الطبقات اولادهم الى مدرسة القرية ، ويأكلون طعاما منوعا وذا قيمة غذائية اكبر من طعام الطبقات الثلاث الفقيرة ٠ فهو يتكون عادة من خبز الحنطة والرز والسمك و (الروبة) واللبن وبصورة عرضية الطيور واللحم ٠

لقد مر بنا أن الطبقات الاقتصادية العليا الثلاث ؛ الاثرياء واصحاب الاراضى واصحاب الدكاكين ، يمكن اعتبارها ذات مستوى معيشى واحد بالمعارضة مع مجموعة اهل الحرف والمستخدمين وحاكة الحصر والمزارعين فهناك مثلا فرق قليل جدا بين مستوى معيشة صاحب الدكان الذى يملك رأس مال قدره الف دينار وبين الثرى الذى ترتقى ثروته الى عشرة آلاف دينار ٠ فكل افراد تلك الطبقات الثلاث يختلفون فى مقادير الثروة التى يملكونها ولكنهم متشابهون فى مستويات معيشتهم ٠ وليس مرد هذا الى ان الاثرياء أو اصحاب الاراضى والدكاكين لا يطيب لهم ان يحيوا فى مستويات معيشية ارقى مما هم فيه ، فكثير منهم يستعمل اثاثا عصريا وبعضهم يستعمل مصابيح نفطية تشتغل بالهواء المضغوط (لوكسات) ويشترى ثلجا فى الايام الشديدة الحرارة ، ويقتنى اجهزة الراديو ٠ ولكن يبدو ان ما يحول بين

اغلبهم وبين العيش فى مستوى ارفع من الذى هم فيه هو ان جمع الثروة عندهم يعتبر غاية وليس وسيلة يتوصل بواسطتها الى تحقيق اهداف اخرى •

الطراز الاقتصادى العام لطبقة حاكة الحصر والمزارعين :

بما ان حاكة الحصر والمزارعين يكونون ٩١٪ من مجموع سكان القرية فمن الضرورى ان نتناول بالتفصيل اقتصاديات هذه الطبقة بالذات • فالطراز الاقتصادى العام لهذه الطبقة هو كالاتى :

يزاول كافة افراد هذه الطبقة حياكة الحصر اثناء السنة حتى يحل الموسم الزراعى • فان كانت الزراعة فى القرية ممكنة ذلك العام فان الذين يقومون بها يتركون حياكة الحصر لمدة شهر واحد ليركزوا جهودهم على الفعاليات الزراعية • كما يترك القرية اولئك الافراد الذين يساهمون فى الرحلات والهجرات للمدد التى تقتضيها تلك الفعاليات الاقتصادية •

وتميل كل عائلة للتعامل مع دكان واحد تحصل منه على السكر والشاى والتبغ والطحين والقماش • وقد يكون هذا الدكان فى سوق القرية فيبيع نقدا أو دينا على الحساب ، أو فى (النزل) فيقايض البضائع بالحصر أو يبيع نقدا على الحساب • ويجرى اكثر التعامل دون استعمال النقد لان الدراهم تلعب دورا صغيرا جدا فى الحياة الاقتصادية لهذه الطبقة : فيسلم رئيس العائلة كافة ما يحصل عليه من نقود او تحوكه عائلته من حصر الى صاحب الدكان الذى يزوده بحاجيات عائلته ويمسك سجلا بالمبالغ المدفوعة اليه والمسحوبة من قبله• ويخطر صاحب الدكان رئيس العائلة من وقت لاخر بحساباته ومقدار الدين الذى له عليه • واذا ما ازداد مقدار الدين ولم يسدد رئيس العائلة جزءا منه فان صاحب الدكان يكف عن الاستمرار على تزويد العائلة بحاجياتها •

اما عندما يحتاج رئيس العائلة لشراء حاجيات تكلف مبالغ كبيرة كـ (دشداشة) أو (چفية) أو عندما يضطر لدفع مبالغ كبيرة كجمع مهر

لولد او دفع حصة فى غرامة او تعويض عشائرى فانه يضطر على بيع عجل او بقرة او يستقرض دينا جديدا من صاحب الدكان الذى يتعامل معه او من احد مرابى القرية • وقليل جدا من العوائل يسعدها الحظ فتكسب بعض المال من الزراعة العرضية •

ان معدل الكلفة الشهرية لطعام عائلة من طبقة حاكة الحصر والمزارعين مكونة من رجل وأمرأة وولد وطفل تعيش فى المستوى الاعتيادى لافراد هذه الطبقة تقدر كما يلى :

المواد الغذائية	**الكلفة** فلس	دينار
٦ (وجيات) طحين (اذرة)	٤٢٠	
٦ (وجيات) طحين حنطة (شبيشة)	٧٢٠	
٤ (وجيات) (تمن)	٦٤٠	
شاى وسكر	٥٠٠	١
(غموس) (وهو كل ما يؤكل مع الخبز أو الرز كاللبن والسمك والبصل ٠٠٠ الخ)	٠٠٠	١
تبغ ودفاتر سجائر للرجال فقط	٦٠٠	
المجموع	٨٨٠	٤

ولقد اجريت هذه التقديرات على اساس الاسعار الجارية فى القرية عام **١٩٥٣** وعلى فرض أن كافة المواد الغذائية تستورد الى القرية ولا تنتج فيها كما هو الحال في اغلب السنوات التى تتعذر فيها الزراعة • ولقد قدرت كلفة الطعام للفرد الواحد البالغ الذى يشترى كافة ما يحتاج من غذاء من سوق القرية على الوجه الاتى :

المواد الغذائية	الكلفــــة
٢ (وجية) طحين حنطة (شبيشة)	٢٤٠ فلسا
٢ (وجية) طحين (اذرة)	١٤٠ فلسا
١ (وجية) رز	١٦٠ فلسا
شاى وسكر	٥٥٠ فلسا
(غموس)	٣٧٥ فلسا
تبغ ودفاتر سجائر	٦٠٠ فلس
المجموع	٢/٠٦٥ دينارا

وقليل من الرجال لايدخنون كما ان عددا قليلا جدا من النساء يدخن• فمعدل كلفة الغذاء فى الشهر الواحـد باستثناء ما يصرف على التدخين هى ١/٤٦٥ دينارا • وتقدر كلفة طعام الولد او الفتاة الذى يتراوح عمره بين الست سنوات واربع عشرة سنة بدينار واحد فى الشهر ، وكلفة الطفل الذى يتراوح عمره بين سنتين وخمس سنوات بـ ٦٠٠ فلس •

اما كلفة الملابس فلقد قدرت كالآتى :

للرجل :

نوع الملابس	معدل الكلفة السنوية فلس	دينار
٢ (دشداشة) صيفية تدوم الواحدة منهما قرابة ثلاثة أشهر	٤٠٠	١
١ (دشداشة) شتوية من قماش أقوى ولا تغسل الا بين فترات متباعدة وتدوم طيلة موسم الشتاء	٩٠٠	—
٢ كوفية للرأس (چفية)	٧٠٠	—
٢ عباءة (بشت) احداهما صيفية تكلف دينارا ونصف والاخرى شتوية تكلف دينارين ونصف تدومان معا اربع سنوات	٠٠٠	١

نوع الملابس	معدل الكلفة السنوية فلس	دينار
١ (چاكيت) يكلف دينارا واحدا ويدوم سنتين	٥٠٠	—
١ عقال يكلف ٥٠٠ فلس ويدوم ثلاث سنوات	١٦٧	—
٢ لباس	٤٠٠	—
١ زوج نعال	٢٠٠	—
المجمــــوع	٢٧٦	٥ دنانير
معدل الكلفة الشهرى	٤٣٩ فلسا	

للمرأة :

نوع الملابس	معدل الكلفة السنوية فلس	دينار
٢ (دشداشة) صيفية	٤٠٠	١
١ (دشداشة) شتوية	٠٠٠	١
٢ (شيلة) صيفية	٤٠٠	—
١ (چفية) للرأس	٢٠٠	—
١ (شيلة) شتوية	٢٥٠	—
١ عباءة تكلف دينارا واحدا وتدوم سنتين	٥٠٠	—
المجمــــوع	٧٥٠	٣ دينارا
معدل الكلفة الشهرى	٣١٢ فلسا	

للولد :

نوع الملابس	معدل الكلفة السنوية فلس	دينار
٢ (دشداشة) صيفية	٠٠٠	١
١ (دشداشة) شتوية	٦٠٠	—
١ (چفية)	٣٠٠	—
١ لباس	١٥٠	—
١ (چاكيت) يكلف (٥٠٠) فلس ويدوم سنتين	٢٥٠	—
المجمــــوع	٣٠٠	٢ دينارا
معدل الكلفة الشهرى	١٩١ فلسا	

للبنت :

نوع الملابس	معدل الكلفة السنوية فلس	دينار
٢ (دشداشة) صيفية	٧٠٠	—
١ (دشداشة) شتوية	٥٠٠	—
٢ (شيلة)	٢٠٠	—
المجمـــوع	٤٠٠	١ دينارا
معدل الكلفة الشهرى	١١٧	فلسا

للطفل :

نوع الملابس	معدل الكلفة السنوية فلس	دينار
٣ (دشاديش) اثنتان للصيف وواحدة للشتاء	٤٥٠	فلسا
معدل الكلفة الشهرى	٣٧	فلسا

وبناءاً على هذه التقديرات فان المصروف الشهرى لمثل هذه العائلــة يمكن ان يقدر كما هو مبين فى الجدول رقم **(٢٦)** •

جـدول رقم (٢٦)
تقدير نفقات رجل وامرأة وولد وبنت وطفل
من طبقة المزارعين وحائكى الحصر

	الطعـــام		الملابس		المجمـــوع	
	فلس	دينار	فلس	دينار	فلس	دينار
الرجل	٠٦٥	٢	٤٣٩	٠	٥٠٤	٢
المرأة	٤٦٥	١	٣١٢	٠	٧٧٧	١
الولد	٠٠٠	١	١٩١	٠	١٩١	١
البنت	٠٠٠	١	١١٧	٠	١١٧	١
الطفل	٦٠٠	٠	٠٣٧	٠	٦٣٧	٠
المجموع	١٣٠	٦	٠٩٦	١	٢٢٦	٧

فيما يلى دراسة مسهبة لميزانيات خمس عوائل ، نود قبل ادراجها أن نؤكد على النقاط التالية :

١ — لقد اختيرت العوائل الخمس من خمس حمايل مختلفة من العشيرة وكانت مكونة من اعداد مختلفة من الافراد تتراوح بين خمسة وعشرة اشخاص •

٢ — ان السبل التى كسب بها افراد هذه العوائل عيشهم تشمل كافة الامكانيات الاقتصادية المتيسرة لطبقة حاكة الحصر والمزراعين فى الجبايش •

٣ — جمعت المعلومات الخاصة بهذه الميزانيات فى فترة ستة أشهر فقط (من تموز الى كانون الاول ١٩٥٣) ولم يكن من الميسور تمديد الفترة لتشمل كل السنة التى قضيتها فى القرية • فلقد كان من غير المرغوب فيه ان أقوم بمثل تلك التحريات وأجمع معلومات تتعلق بالمكاسب والمصروفات أبان الشهور الستة الاولى لاقامتى بين أهل الجبايش حين لم يكن أهل القرية يثقون بى ثقة كاملة كما اننى ما كنت أعرفهم ولا أعرف مجتمعهم معرفة وثيقة دقيقة • هذا بالاضافة الى انه يوجد فرق ضئيل جدا فى دخل الشهور المختلفة للسنة لافراد هذه الطبقة ، ولذا فلا مجال للوقوع فى خطأ كبير فى وضع ميزانيات على أساس معلومات جمعت فى فترة ستة أشهر فقط • كما ان الارتفاع والهبوط فى انتاج الحصر أبان موسمى (الجنيبة) و (العكة) يعوض عنهما تغير أسعار الحصر نفسها • وبعين الطريقة يلعب الدين دور المنظم للمصروفات ما دامت العوائل مضطرة على تسليم دخلها كله لاصحاب الدكاكين الذين تتعامل معهم ولا يقدم لها من النقد أو البضائع الا ما يكفى لسد حاجياتها المجردة فقط •

٤ — كانت الطرق والاساليب التى جمت بواسطتها هـذه الميزانيات كالآتى :

أ — الاتصال الشخصى المستمر برؤوس العوائل وكذلك بالذكور البالغين من أفرادها •

ب ـ السؤال المباشر من رؤوس العوائل الخمس •

جـ ـ بصدد الديون والموارد الاقتصادية والموضوعات المماثلة الاخرى استفسرت من سراكيل الحمايل التى تنتسب اليها العوائل الخمس ودققت وعارضت المعلومات التى حصلت عليها بالمعلومات المقدمة من رؤوس العوائل أنفسهم •

د ـ تدقيق المعلومات التى يتيسر الحصول عليها من وقت لآخر مع المخبرين الذين كنت أعمل معهم خاصة مع طارق آل خيون •

هـ ـ وهناك الصعوبة التى يواجهها بصورة اعتيادية كل باحث يحاول ان يقدر دخل مجتمع معين يعتمد فى جزء من اقتصادياته على الدراهم التى يكسبها وفى الجزء الآخر على المواد الغذائية التى ينتجها • ولقد المع الى هذه الصعوبة وناقشها بعض الاساتذة الذين درسوا مجتمعات متأخرة جابهوا فيها هذه الصعوبة[١٢]• وبما ان اقتصاد الجبايش غير قائم على أساس الاكتفاء الذاتي Subsistence economy وبما ان كل شيء يستهلك فى القرية او ينتج فيها يستعمل فى التبادل فليس من الصعب اذن ان تعطى قيمة نقدية للمواد الاستهلاكية أو البضائع التى تستهلك بصورة مباشرة من قبل منتجيها أنفسهم كالحليب ومنتجات الالبان عندما يكون لصاحب العائلة بقرة أو التمر عندما يملك نخيلا أو الحبوب فى حالة حدوث زراعة فى القرية •

العائلة (١)

عائلة ثامر آل عبدالله

حمولة آل غريج

تكوين العائلة : ثلاثة رجال ، ثلاث نساء ، ولد واحد ، بنت واحدة ، طفلان •

(١٢) انظر مثلا :
Daryll Forde, The Native Economies of Nigeria, London, 1950, pp. 35—39, and: Phyllis Deane, The Measurment of Colonial National Incomes, Cambridge University Press, 1948, pp. 19—20.

مواردها الاقتصادية : زراعة ، رحلة لصيد السمك ، هجرات لمكابس التمور ولمنطقة الغراف ، ملكية ٢٦ نخلة •

	معدل الدخل الشهرى	
	فلس	دينار
أ ـ الزراعة :		
حصة العائلة الصافية من المحصول (ذرة) تساوى ١٥ (من) سعر (المن) في الحقل ١/٨٠٠ دينارا ، المجموع ٢٧/٠٠٠ دينارا	٢٥٠	٢
٢ (من) من المحصول استهلكتها العائلة خلال شهر في الحقل بين نضج المحصول وقسمته سعرهما ٣/٦٠٠ دينارا	٣٠٠	—
ب ـ رحلة صيد السمك :		
شخصان شاركا فى الرحلة فربح كل واحد منهما ٧/٠٠٠ دنانير ، المجموع ١٤/٠٠٠ دينارا	١٦٦	١
ج ـ الهجرة لمكابس التمور :		
امرأة واحدة ورجل واحد هاجرا الى البصرة وربحا ٢٠/٠٠٠ دينارا كما انهما يجب ان يكونا قد صرفا ٦/٠٠٠ دنانير فى شهرين فى المكبس ، المجموع ٢٦/٠٠٠ دينارا	١٦٦	٢
د ـ هجرة الغراف :		
لم تعد العائلة بربح • هاجر ثمانية أفراد مكونون من خمسة بالغين وثلاثة أطفال لمدة ثلاثة أشهر فربحوا ما استهلكوه أبان الرحلة • قدرت كلفة المعيشة أثناء الهجرة بـ (٣٢٥) فلسا يوميا أى ٢٩/٢٥٠ دينارا لشهور الهجرة الثلاثة	٤٣٧	٢
هـ ـ النخيل :		
تملك العائلة ٢٦ نخلة ، ٢٣ واحدة منها انثى قدر انتاج كل منها (التمر والسعف والكرب) بـ (٤٠٠) فلس في السنة ، وثلاثة نخلات ذكور انتاج الواحدة (السعف والكرب فقط) ٥٠ فلسا فى السنة ، المجموع ٩/٣٥٠ دنانير	٧٧٩	—
الربح الشهرى الصافي للعائلة	٠٩٨	٩

لم يكن بمقدورى أن أحصل على أرقام مماثلة للمصروفات الحقيقية لهذه العائلة ولا لاية واحدة من العوائل الاربع الاخرى • فان من الصعب جدا تقدير الاسعار التى دفعت فى شراء البضائع والمواد الاستهلاكية بصورة تقريبية أو صحيحة ، ما دامت تلك الاسعار تختلف باختلاف الطريقة التى يحصل بواسطتها على تلك البضائع والمواد ، كالشراء المباشر والمقايضة ، وباختلاف مكان الحصول عليها كدكاكين النزل وسوق القرية واماكن أخرى مختلفة خارج القرية ، ولان كل عملية شراء تدخل فيها تسوية لدين أو جزء من دين وتشمل عادة (گلاب) أو (أخضر) أو ربى اعتياديا بين البائع والمشترى • ولكننى استطعت أن أقارن الدخل مع المصروف على أسس معدل المصروف الشهرى الذى تقدم تفصيله فى الجدول رقم (٢٦) وعلى اساس هذا التقدير يكون مصروف العائلة المار ذكرها كالآتى :

	الطعام		الملابس		المجموع	
	فلس	دينار	فلس	دينار	فلس	دينار
٣ رجال	١٩٥	٦	٣١٧	١	٥١٢	٧
٣ نساء	٣٩٥	٤	٩٣٦	–	٣٣١	٥
١ ولد	٠٠٠	١	١٩١	–	١٩١	١
١ فتاة	٠٠٠	١	١١٧	–	١١٧	١
٢ طفل	٢٠٠	١	٠٧٤	–	٢٧٤	١
المجموع					٢٤٥	١٦ ديناراً

العجز الشهرى فى ميزانية العائلة ٣٢٧ ٧ ديناراً

الديون : كانت العائلة مدينة بمبالغ تبلغ ٣٠٠/٠٠٠ دينار منذ أكثر من ثلاث سنوات •

العائلة (٢)

عائلة حسين آل عباس

حمولة آل خاطر

تكوين العائلة : رجل واحد ، أربع نساء •

مواردها الاقتصادية : حياكة الحصر ، تصليح الزوارق ، ملكية ١٩ نخلة و ٦ بقرات •

	معدل الدخل الشهرى	
	فلس	دينار
أ – حياكة الحصر :		
معدل القصب المجموع يوميا يساوى ١٠ باقات تكفى لحياكة خمس حصر ثمنها ١٥٠ فلسا	٥٠٠	٤
ب – تصليح الزوارق :		
معدل عدد الزوارق التى تصلح في الشهر الواحد عشرة معدل سعر تصليح الواحد منها ١٥٠ فلسا	٥٠٠	١
ج – النخيل :		
تملك العائلة ١٩ نخلة ، ١٨ واحدة منها انثى وواحدة (فحل) مجموع معدل انتاجها السنوى ٧/٢٥٠ دنانير	٦٠٤	–
هـ – البقرات :		
تملك العائلة ٦ بقرات تعطى كل واحدة عجلا واحدا في السنة يقدر ثمنه بـ ٣/٠٠٠ دنانير ومنتجات البان يقدر ثمنها بـ ٣/٦٠٠ ، فيكون مجموع الكل ٣٩/٦٠٠ دينارا	٣٠٠	٣
المجموع	٩٠٤	٩

ويقدر مصروف العائلة الشهرى بما يأتي :

	الطعام		الملابس		المجموع	
	فلس	دينار	فلس	دينار	فلس	دينار
١ رجل	٠٦٥	٢	٤٣٩	—	٥٠٤	٢
٤ نساء	٨٦٠	٥	٢٤٨	١	١٠٨	٧
المجمـــوع					٧١٢	٩
الوفر الشهرى للعائلة					١٩٢	—

العائلة (٣)

عائلة جابر آل مطشر

حمولة آل عنيسى

تكوين العائلة : ثلاثة رجال ، امرأة واحدة ، طفلان .

مواردها الاقتصادية : حياكة الحصر . زراعة . هجرة لمنطقة الغراف ، ملكية ١٥ نخلة .

	معدل الدخل الشهرى فلس	دينار
أ ـ حياكة الحصر :		
معدل القصب المجموع يوميا يساوى (١٢) باقة تكفى لحياكة ست حصر ثمنها ١٨٠ فلسا	٤٠٠	٥
ب ـ الزراعة :		
حصة العائلة الصافية من المحصول (ذرة) تساوى ١٧ (من) سعره في الحقل ١/٨٠٠ دينارا ، المجمـوع ٣٠/٦٠٠ دينارا	٥٥٠	٢
(من) واحد من المحصول استهلكته العائلة خلال شهر واحد في الحقل بين نضج المحصول وقسمته ، سعره ١/٨٠٠ دينارا	١٥٠	—

	فلس	دينار
ج ـ هجرة الغراف :		
كان ربح العائلة الصافي من الهجرة ٦/٠٠٠ دنانير . قدرت كلفة المعيشةللعائلة طيلةمدة الهجرة ب ٢٢/٥٠٠ دينارا علىأساس ٥٠ فلسا يوميا لكل من الافراد البالغين و٢٥ لكل واحد من الطفلين . فيكون مجموع ما ربحته العائلة من الهجرة ٢٨/٥٠٠ دينارا	٣٧٥	٢
د ـ النخيل :		
تملك العائلة ١٥ نخلة انثى مجموع انتاجها السنوى ٦/٠٠٠ دنانير	٥٠٠	—
المجمـــوع	٩٧٥	١٠
ويجب ان يطرح من مجموع وارد العائلة السنوى دخل اربعة شهور من حياكة الحصر لان هذه الفعالية تتوقف ثلاثة شهور اثناء الهجرة للغراف وشهرا واحد اثناء موسم الزراعة . وهذا يساوى ٢١/٦٠٠ دينارا وهو ١/٨٠٠ دينارا في الشهر .	٩٧٥	١٠
الدخل الشهرى الصافى للعائلة	١٧٥	٩ دينارا

ويقدر المصروف الشهرى لهذه العائلة بما يأتى :

	الطعـــام		الملابس		المجمـــوع	
	فلس	دينار	فلس	دينار	فلس	دينار
٣ رجال	١٩٥	٦	٣١٧	١	٥١٢	٧
١ امرأة	٤٦٥	١	٣١٢	—	٧٧٧	١
٢ طفل	٢٠٠	١	٠٧٤	—	٢٧٤	١
المجمـــوع					٥٦٣	١٠
العجز الشهرى فى ميزانية العائلة					٣٨٨	١ دينارا

الديون : العائلة مدينة بمبلغ ٢٥/٠٠٠ دينارا .

العائلة (٤)

عائلة خضير آل فليح

حمولة آل ويس

تكوين العائلة : رجل واحد ، امرأتان ، ثلاثة أطفال .

مواردها الاقتصادية : حياكة الحصر ، زراعة ، هجرة لمنطقة الغراف ، ملكية ٥ نخلات .

	معدل الدخل الشهري	
	فلس	دينار
أ ـ حياكة الحصر :		
معدل القصب المجموع يوميا يساوى (٨) باقات تكفى لحياكة اربع حصر ثمنها ١٢٠ فلسا	٦٠٠	٣
ب ـ الزراعة :		
حصة العائلة الصافية من المحصول (ذرة) تساوى ٧ (امنان) سعرها فى الحقل ١٢/٦٠٠ دينارا	٠٥٠	١
ولقد استهلكت العائلة حوالى (من) واحد خلال شهر في الحقل بين نضج المحصول وقسمته ، سعره ١/٨٠٠ دينارا	١٥٠	ـ
ج ـ هجرة الغراف :		
كان ربح العائلة الصافى من الهجرة ٥/٠٠٠ دنانير وقدرت كلفة المعيشة للعائلة أبان الهجرة بـ ٢٥٠ فلسا يوميا فيكون مجموعها ٢٢/٥٠٠ دينارا.فيكون مجموع ما ربحته العائلة من الهجرة ٢٧/٥٠٠ دينارا	٢٩٠	٢
د ـ النخيل :		
تملك العائلة ٥ نخلات اناث مجموع انتاجها السنوى ٢/٠٠٠ ديناران	١٦٦	ـ
المجموع	٢٥٦	٧

	فلس	دينار	
ويجب ان يطرح من مجموع وارد العائلة دخل اربعة شهور من حياكة الحصر لان هذه الفعالية تتوقف ثلاثة شهور اثناء الهجرة للغراف وشهرا واحدا اثناء موسم الزراعة . وهذا يساوى ١٤/٤٠٠ دينارا وهو حوالى ١/٢٠٠ دينارا في الشهر	٢٥٦	٧	
	٢٠٠	١	
الدخل الشهرى الصافي للعائلة	٠٥٦	٦	دينارا

ويقدر المصروف الشهرى لهذه العائلة بما يأتى :

	الطعام		الملابس		المجموع	
	فلس	دينار	فلس	دينار	فلس	دينار
١ رجل	٠٦٥	٢	٤٣٩	ـ	٥٠٤	٢
٢ امرأة	٩٣٠	٢	٦٢٤	ـ	٥٥٤	٣
٣ طفل	٨٠٠	١	١١١	ـ	٩١١	١
المجمـــوع					٩٦٩	٧
العجز الشهرى فى ميزانية العائلة					٩١٣	١ دينارا

الديون : العائلة مدينة بمبلغ ٦/٠٠٠ دنانير .

العائلة (٥)

عائلة حيال آل حسين

حمولة آل الشيخ

تكوين العائلة : رجلان ، ثلاث نساء ، ولد واحد .

مواردها الاقتصادية : حياكة الحصر ، زراعة ، مساعدة مادية خارجية ، ملكية ١٢ نخلة . ملكية اربع بقرات .

	معدل الدخل الشهري فلس	دينار
أ ـ حياكة الحصر :		
معدل القصب المجموع يوميا بين ١٢ ـ ١٣ باقة تكفى لحياكة ٥ر٦ حصيرة ثمنها ١٩٥ فلسا	٨٥٠	٥
ب ـ الزراعة :		
حصة العائلة الصافية من المحصول تساوى : ٥ر٣ (من) رز سعرها ٧/٠٠٠ دنانير و ٩ (امنان) ذرة سعرها ١٦/٢٠٠ دينارا ٠ المجموع ٢٣/٢٠٠ دينارا	٩٣٣	١
ولقد استهلكت العائلة ١½ (من) خلال شهر في الحقل بين نضج المحصول وقسمته (½ منّ رز ومنّ واحد ذرة) سعرها ٢/٨٠٠ دينارا ٠	٢٣٣	ـ
ج ـ المساعدة الخارجية :		
يستلم حيال آل حسين مساعدة مالية شهرية قدرها خمسة دنانير من اخيه الذى يعمل خارج الجبايش ٠	٠٠٠	٥
د ـ النخيل :		
تملك العائلة ١١ نخلة انثى مجموع انتاجها السنوى ٤/٤٠٠ دينارا ونخلة واحدة ذكر انتاجها السنوى ٥٠ فلسا ، المجموع ٤/٤٥٠ دينارا ٠	٣٧١	ـ
هـ ـ البقرات :		
تملك العائلة اربع بقرات تعطى كل واحدة منها عجلا كل سنة ثمنه ٣/٠٠٠ دنانير ومنتجات البان يقدر ثمنها بـ ٣/٦٠٠ دينارا ٠ فيكون المجموع ٢٦/٤٠٠ دينارا ٠	٢٠٠	٢
المجموع	٥٨٧	١٥

	فلس	دينار
ويجب أن يطرح من مجموع وارد العائلة السنوى دخل شهر واحد من حياكة الحصر لان هذه الفعالية توقفت أثناء الزراعة ، وهذا يساوى ٤٨٧ فلسا	٥٨٧	١٥
	٤٨٧	ـ
الدخل الشهرى الصافى للعائلة	١٠٠	١٥

ويقدر المصروف الشهرى لهذه العائلة بما يأتى :

	الطعام فلس	الطعام دينار	الملابس فلس	الملابس دينار	المجموع فلس	المجموع دينار
٢ رجال	١٣٠	٤	٨٧٨	ـ	٠٠٨	٥
٣ نساء	٣٩٥	٤	٩٣٦	ـ	٣٣١	٥
١ ولد	٠٠٠	١	١٩١	ـ	١٩١	١
المجموع					٥٣٠	١١
الوفر الشهرى للعائلة					٥٧٠	٣

تعليقات عامة على المعلومات المجموعة عن ميزانيات العوائل :

العائلة (١) :

لقد كان على هذه العائلة دين ضخم منذ أمد طويل وكان لديها عجز كبير فى ميزانيتها ٠ فلا أمل اذن فى ايفاء الدين الذى بات يعتبر دينا ميتا ٠ ولقد استطاعت العائلة أن تبقى وتعيش رغم هذا العجز المستمر لانها كانت تهاجر وتشارك فى الرحلات حيث تستلم مبالغ نقدية مقدما من وكلاء العمل ٠ وهذا الدين فى الواقع من الحالات الشاذة حتى بالقياس لما يحدث فى حمولة (آل غريج) التى توجد فيها اعلى نسبة للاستدانة فى القرية كلها ٠ ولا

تزاول هذه العائلة، وهذا شأن كافة عوائل حمولة (آلغريج)، حياكةالحصر التي تزود ممتهنيها بدخل ثابت ، وانما تلجأ للهجرات والاسفار طلبا للعمل ، وهى ابرز خاصية فى الحياة الاقتصادية لحمولة (آل غريج) ، تنوب فيها مناب حياكة الحصر فى الحمايل الاخرى .

العائلتان (٢) و (٥) :

ان كل واحدة من هاتين العائلتين قد استطاعت أن تنجو من الدين وتربح بعض الربح . واسباب ذلك :

أ ـ ان هناك ربحا خاصا يأتى به صاحب حرفة فى العائلة (٢) وموردا قدره خمسة دنانير فى الشهر يأتى من الخارج كمساعدة للعائلة (٥) .

ب ـ ان كل واحدة من العائلتين تملك عددا من الابقار . فالعائلة (٢) تملك ست بقرات وتملك العائلة (٥) اربعا .

ج ـ تملك كل واحدة من العائلتين نخيلا .

د ـ ان التكوين البشرى لكل واحدة من العائلتين عامل هام فى زيادة الانتاج فيهما . فالعائلة (٢) مكونة من خمسة افراد بالغين فقط ؛ رئيس العائلة وهو مصلح زوارق واربعة نساء . والنساء ذوات أهمية كبرى في انتاج الحصر ، كما رأينا سابقا . اما العائلة (٥) فمكونة من رجلين وثلاث نساء وولد واحد ، والاخير ليس عالة اقتصادية ، فالاولاد عناصر منتجة فى الاقتصاد القائم على حياكة الحصر . وكان هذا الولد بالذات يساهم بصورة منتظمة فى قطع القصب وفى الفعاليات الاخرى فى انتاج الحصر .

العائلتان (٣) و (٤) :

تمثل هاتان العائلتان الطراز الاعتيادى لعوائل الطبقة الاقتصادية الدنيا

في الچبايش ، من حيث يحصل فى ميزانيتيهما عجز شهرى ضئيل. ومن الجدير بالملاحظة أن كلتا العائلتين تتكونان من نفس عدد الافراد وتتكسبان بنفس المهن والاساليب ، بحياكة الحصر والزراعة والهجرة للعمل فى الغراف ، كما تملك كل واحدة منهما عددا من اشجار النخيل . ولكن بينما كان العجز الشهرى فى ميزانية العائلة (٣) ١/٣٨٨ دينارا ومقدار دينها (٢٥/٠٠٠) دينارا ، كان العجز الشهرى فى ميزانية العائلة (٤) (١/٩١٣) دينارا ومقدار دينها (٦/٠٠٠) دنانير . ويمكننا تفسير الدين فى كلتا العائلتين بتكوينها البشرى . ففى الاولى طفلان وفى الثانية ثلاثة اطفال يكونون ثلث ونصف عدد افراد العائلتين على التوالى . وسبب آخر هو انعدام الماشية فى كل من العائلتين وملكية عدد قليل نسبيا من اشجار النخيل في حالة العائلة (٤) .

٤ ـ الدين والمرابون

رغم أن عددا كبيرا من حاكة الحصر والمزارعين من اهل القرية يعيش فى اوطىء مستوى محلى للمعيشة ، فانهم مدينون غالبا .

والدين فى الچبايش معضل كبير ذو نتائج اقتصادية واجتماعية بعيدة الاثر . وانتشاره ليس مسببا عن عدم كفاية الموارد الاقتصادية فحسب . فبموجب « الگلاب » وهو احدى الطرق المستعملة فى دين الحصر ، يتضاعف دين المدين اذا فشل فى تسديده فى عين الموسم الذى اقترضه فيه ، وبما ان العلة الدائمية للاستدانة هى عدم كفاية الموارد الاقتصادية فان من غير المحتمل فى أى وقت من الاوقات أن يزيد المدين موارده تلك لحد يكفى لسد حاجاته المعاشية ووفاء الدين الذى اقترضه .

من الطبيعي أن يكون هدف كل واحد من سكان القرية هو أن يطعم ويكسى افراد عائلته وان يساهم فى الالتزامات الاجتماعية المنبثقة عن كونه

عضوا فى نخذ وحمولة ، وان ينفذ التزاماته المالية • وفشل الفرد فى القيام بهذه الواجبات والالتزامات قبل ان يلجأ الى الاستدانة قد يسلبه اعتباره وسمعته الطيبة ، وعلى العكس من ذلك ، فان انغماسه فى دين كثير لا يسلبه الاعتبار أو يجرده من المزايا التى تجعلـه فى عداد (الاجاويد) • ولكن الديون اذا ما تراكمت وطالت آمادها دون وجود أمل فى وفائها فان هناك دائما خطر امتناع الدائن عن اضافة ديون جديدة لها • ولكى لا يصل المدينون الى هذه المرحلة الخطرة فانهم يلجأون الى اسلوب خاص يوصف من يلجأ اليه بأنه (يلبّس كلاو بكلاو) وهو نوع من نقل الديون من دائن الى آخر • فالمدينون يستدينون ديونا جديدة ليوفوا ديونا قديمة فيصبحون بذلك مدينين لدائنين جدد • وينطوى هذا الاسلوب عادة على خسارة أو بتعبير أدق على توسيع الدين • فالمدينون معتادون على استدانة مبالغ أكبر قليلا من الديون التى يرومون وفاءها لكى يطمئنوا بعين الوقت ، حاجات ملحة أخرى لم تتهيأ لهم سبل تطمينها من قبل• ولذا فكل نقل للدين يوسعه وينميه• ومن جهة اخرى فان طريقة نقل الدين تشجع على الاستدانة• فهى مستحبة لانها تعتبر وسيلة لوفاء الديون القديمة وتحفظ للمدين اسمه وشرفه وتضفى عليه اعتبار الـ (خوش آدمى) والرجل الذى (ما ياكل مال الوادم) ومن المهم للغاية أن يكون الفرد ، أو ان يتظاهر بكونه ، مدينـا يرغب ويحاول دائما ايفاء ديونه فى مواعيد استحقاقها لان هذا احتياط لازم للمستقبل • فاذا ما عرف فرد من الافراد بأنه « ياكل مال الوادم » فانه قد لا يجد أحدا يقرضه أية مبالغ فى المستقبل • فيكون تأثير نظام نقل الديون اذن هو توزيع احتمال الخطر فى عدم وفائها توزيعا متساويا بين كافة مرابى القـرية • فيستدين (أ) من الناس من صاحب الدكان (ب) الى أن تصل ديونه لصاحب ذلك الدكان حداً لا يقدر هو على وفائه ولا يسمح معه الدائن بأية اضافة عليه ، فيذهب الى صاحب الدكان (ج) ويستدين مبلغا يكفى لوفاء كل دين

صاحب الدكان (ب)ثم يستمر على الاستدانة من(ج) وهكذا• وينظر اصحاب الدكاكين لاقراض الديون ، وهي في الواقع بدون ايما ضمان لوفائها ، كوسيلة للمنافسة التجارية وجلب الزبائن • ولكن تأثير هذا الاسلوب فى الاقراض لايظهر الا فى الديون الصغيرة كالحالات التي وصفت فى ميزانيتى العائلتين (٣) و (٤) حيث تكون القابلية على الكسب دائما أقل قليلا من المصروف فيضطر المستدين ان يرتبط بصاحب دكان بعينه ويخضع لارادته •

وفى الجبايش اربعة انواع من الديون هي :

١ ـ دين « البوارى » الذى وصف فى الفصل الثانى عشر حيث يقرض تجار الحصر مبالغ من المال مقدما لحاكتها بواسطة السعاة على ان تدفع تلك الديون بما يساوى ثمنها حصرا • وتؤخذ فى هذا الدين فائدة باهضة باستعمال (الكلاب) ، وهو تغيير عدد البواري أو سعرها كلما تغير موسم القصب •

٢ دين « نقد » : ان كثيرا من الاثرياء واصحاب الدكاكين يقرضون المحتاجين قروضا تتراوح بين عشرة دنانير وعشرين دينارا بفائدة تتراوح بين ١٠٪ و ٥٠٪ فى السنة • وفى مثل هـذه الحالة تؤخـذ من المدين ورقة « كمبيالة » ويستقطع الفائض منه مقدما من المبلغ المستقرض •

٣ ـ دين الاعمال التجارية ، ويوجد منه نوعان ؛ الاول يصبح الدائن فيه مساهما فى العمل التجارى الذى يقوم به المدين فيحصل على نصف الربح ويتحمل نصف الخسارة دون ان يتحمل اعباء العمل ودون ان يؤثر ذلك على رأس المال الذى أقرضه ؛ والثانى يأخذ فيه الدائن ثلث الارباح كفائض ولا يتحمل أية خسارة •

٤ ـ دين الـ (أخضر) : وهو اكثر اصناف الديون شيوعا والعامل الدائم في تقليل حصة الفلاح من الانتاج الزراعى • فحين تنزاح مياه الفيضان من الاراضى الزراعية فى وقت يجعل زراعتها ممكنة يذهب فلاحو الجبايش

الى منطقة (المجرة) لشراء الشتلات اللازمة للزرع • وبما أن قليلا جدا من الفلاحين يملكون نقدا احتياطيا يكفى لشراء الشتلات اللازمة ، فانهم يحتاجون الى قروض مستعجلة تتراوح بين (٥/٠٠٠) دنانير و (١٥/٠٠٠) دينارا • وتدعى هذه الديون « اخضر » لانها يجب ان تعاد الى الدائنين محصولا زراعيا ، هو عادة ذرة ، بعد الحصاد مباشرة حين لايزال المحصول فى الحقول • وحالما يبدو أن الزراعة ممكنة فى عام من الاعوام ، وفى اغلب الحالات يمكن الجزم بذلك من مدى ارتفاع ماء الفيضان ، فيبدأ الفلاحون يفكرون فى المال اللازم لشراء الشتلات ، يمتنع كافة المرابين سواء من كان منهم من اصحاب الدكاكين أو الاثرياء أو التجار عن اعطاء أية ديون الا على نظام « الاخضر » • وبما ان الاستدانة على نظام « الاخضر » تقتضى وفاء الدين بالمحصول فان كافة تجار الحبوب يقرضون ديونا بهذه الطريقة لان هذا يمكنهم من الحصول على مكاسب كبيرة للغاية لانهم يصدرون الذى يحصلون عليه سدادا للديون مع ما يشترونه منه داخل القرية وخارجها • اما المرابون الآخرون الذين يقرضون على « الاخضر » وهم ليسوا تجارا للحبوب ، فانهم اما أن يحتفظوا بما يحصلون عليه من حبوب لاستهلاك عوائلهم أو انهم يبيعونه توا أو فى وقت متأخر من السنة • ولكن بصورة عامة يؤخذ اعظم جزء من ديون « الاخضر » من تجار الحبوب الستة وهم أفراد عائلتي (بيت سيد خلف) •

وكيما يحصل الفلاح على دين «أخضر» يتعهد أن يبيع للذى يقرضه الدين بهذه الطريقة عددا من (امنان) المحصول الذى ينوى زراعته ، قبل ان يذهب لشراء الشتلات اللازمة لتلك الزراعة • ويشترى المرابى (المن) من المحصول الذى يتعهد الفلاح بتقديمه بسعر يتراوح بين (٨٠٠) فلس و (١/٠٠٠) دينار واحد ، وهو بين ٤٤٪ الى ٥٠٪ من سعره

فى الحقل(١٣) • وتنخفض هذه النسبة فى بعض الحالات الى ٣٣٪ ان كان المحصول مشكوكا فى جودته أو كان الفلاح غير معروف بالامانة ولم يكن أهلا للثقة • ويجب تسليم « الامنان » المشتراة مقدما على « الاخضر » للتاجر بعد قسمة المحاصيل مباشرة • ولذا فاذا ما باع فلاح عشرة « امنان » ذرة على « الاخضر » لاحد المرابين بمبلغ (٩/٠٠٠) دنانير فسيدفع الفلاح للتاجر « الامنان » العشرة التى تساوى قيمتها فى الحقل (١٨/٠٠٠) دينارا ، والتى يمكن ان تأتى بسعر قدره (٢٠/٠٠٠) دينارا بعد ستة أشهر من الحصاد و (٢٥/٠٠٠) دينارا قبيل الموسم القادم • وربح المرابى الذى يدفع (٩٠٠) فلس فى (المن) الذى سعره (١/٨٠٠) دينارا هو ١٠٠٪ ، فاذا ما صدر المحصول الذى يشترى بهذه الطريقة فان الربح يرتفع الى أكثر من ٢٠٠٪ •

كان أقل ربح استطعت أن اسجله فى هذا النظام ٥٠٪ واكبر ربح ٣٠٠٪ • ولكن الربح الذى يرتضيه أغلب الفلاحين ويقبلون على الاقتراض به هو ١٠٠٪ •

واذا مافشل فلاح فى تسديد الدين الذى بذمته للمرابى من المحصول فان سعر المحصول الذى اشترى به المرابى يستبدل بسعر الحقل فى ذلك الموسم • ففى المثل السابق ، ان لم يدفع المدين « الامنان » العشرة ، المشتراة بمبلغ (٩/٠٠٠) دنانير ، بعد قسمة المحاصيل مباشرة فانها ستعتبر عشرة « امنان » بسعر الحقل ، أى (١٨/٠٠٠) دينارا • وبما ان الزراعة دائما

(١٣) للمحصول الزراعى سعران ، الاول سعره فى الحقل Price on farm وهو الذى يبيع فيه اغلب الفلاحين لفرط حاجتهم للمال بصورة مستعجلة • وفى هذه الحالة يباع المحصول فى الحقول ذاتها ويتكفل المشترى بنقله منها الى حيث يريد • اما السعر الثانى فهو سعر السوق Market price وهو السعر الذى يباع به المحصول فى سوق القرية ابان السنة وهو يرتفع طرديا مع مرور الوقت من موسم الحصاد • راجع الفصل الحادى عشر ، ص ٢٩٣ •

متأخرة جدا والمحصول عرضة لكثير من الآفات فان الفلاح يفشل عادة فى ايفاء كل دينه « الاخضر » • ويمتنع بعض الفلاحين الذين لا يتبقى لديهم بعد قسمة المحاصيل الا الشيء القليل من المحصول عن دفع دين « الاخضر » بالشروط المتفق عليها سابقا ، ويدبروا بيع كل حصتهم أو جزءا منها سرا • ولا يستطيع المرابى فى واقع الحال ان يشتكى على فلاح يمتنع عن ايفاء دينه لا لدى السركال ولا فى دوائر الحكومة • فالسركال يناصر الفلاح على المرابى بصورة طبيعية • اما فى الحكومة فان مثل هذه الارباح الفاحشة تعتبر غير قانونية • فلقد اضطر مدير ناحية الجبايش المرابين فى كثير من الحالات ، حين اشتكى عليهم بعض المدينين لهم ، على قبول ربح لا يزيد على ٢٠٪ عن الدراهم التى كانوا قد اقرضوها فعلا • ولكن رغم هذا كله فان الفلاح ليس فى مركز يخوله الامتناع عن الدفع للمرابى ولا رفع الشكوى ضده • فلو فعل ما لا يرضى المرابى فانه لن يجد فى المستقبل آحدا يقرضه أى مبلغ من المال ، والدين جزء اساسى فى حياته الاقتصادية •

ان من ابرز صفات أهل الجبايش انهم لا يلجأون مطلقا لبيع شيء من ممتلكاتهم كوسيلة لقضاء حاجاتهم حالما يواجهونها ، بل هم يفضلون أن يقترضوا دينا ، وحين يؤدى الدين الى دين آخر ، أو حين يجعل (الكلاب) والربح المركب الذى يفرضه عليهم تجار الحصر والمرابون وفاء تلك الديون فوق طاقتهم واكبر مما تتسع له مواردهم الاقتصادية المحددة ، عندئذ فقط يبيعون ابقارهم وزوارقهم وبنادقهم ليوفوا فى العادة جزءا فقط من دين أصبح أضخم من أن يسد كله •

ويطلب الدائن فى بعض الحالات ضمانا للمبلغ الذى يقرضه فيحتفظ لديه ببعض ممتلكات المدين كبندقيته أو زورقه أو بعض بقراته لحين تسديد الدين • ويجب فى هذه الحالة ان يكون ثمن الممتلكات المحجوزة لدى الدائن اكبر من مبلغ الدين • وللاخير الحق فى استعمال الاشياء المحجوزة أو

استغلال منتجاتها • وفى حالة الاحتياج الى مبالغ ضخمة من المال يمكن رهن الدكاكين والاراضى الزراعية • ويمكن رهن الدكاكين لمدة محدودة يستطيع خلالها الشخص الذى ترهن لديه أن يتسلم ايجاراتها أو أن يستغلها بنفسه • فان لم يسدد الدين تصبح الدكاكين ملكا لمن رهنت لديه(١٤) •

لقد كانت بين المائة وعشرين عائلة التى استعملت كنموذج احصائى (٧٦) عائلة (٦٣ر٣٪) مدينة ، (١٨) عائلة منها (٢٣ر٦٪) أخذت ديونا بارباح و (٥٨) عائلة (٧٦ر٣٪) أخذت ديونا على حصر • وكانت الديون تتراوح بين (١/٠٠٠) دينار واحد و (٣٠٠/٠٠٠) دينار كما هو مبين فى الجدول رقم (٢٧) •

جدول رقم (٢٧)
نسبة ومقدار الدين بين مائة وعشرين عائلة

عدد العوائل المدينة	النسبة المئوية	مقدار الدين (دينار)
١٨	٢٣ر٦٪	١ – ٥
١٧	٢٢ر٤٪	٦ – ١٠
١٠	١٣ر١٪	١١ – ١٥
٥	٦ر٦ ٪	١٦ – ٢٠
٩	١١ر٨٪	٢١ – ٣٠
٦	٧ر٩ ٪	٣١ – ٥٠
٨	١٠ر٥٪	٥١ – ١٠٠
٣	٣ر٩ ٪	أكثر من ١٠٠
٧٦		

وكان اكبر دين سجل بين الطبقات الاقتصادية السفلى الثلاث هو (٣٠٠/٠٠٠) دينار •

ان من بين الاسباب التي تحمل حاكة الحصر والمزارعين على الاستدانة

(١٤) لزيادة المعلومات عن رهن الاراضى والدكاكين راجع الفصل العاشر ص ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ •

هي دفع المهور والمساهمة فى التعويضات او الغرامات التي تفرض على العائلة أو الفخذ ودفع المصروفات اللازمة لنقل جثة قريب متوفى الى النجف والقيام بمتطلبات الفاتحة • فأى واحد من هذه الاحتمالات يمكن آن يحدث بين آن وآخر لعائلة من العوائل • ولذا فان الدين شى لا يمكن تفاديه وهو واسع الانتشار ايضا •

لقد كانت الاسباب التى ادت بالـ (٧٦) عائلة المار ذكرها الى الاستدانة هي كما مبينة فى الجدول رقم (٢٨) •

جـدول رقم (٢٨)

اسباب الاستدانة بين سبع وستين عائلة

عدد العوائل	نسبتها المئوية الى السبع وستين عائلة	اسباب الاستدانة
٥٥	٧٢ر٤٪	للحصول على الغذاء والملابس
٨	١٠ر٥٪	مهر لتزويج ولد
٤	٥ر٣ ٪	للحصول على الغذاء والملابس ولدفع مهور
٣	٣ر٩ ٪	للحصول على الغذاء والملابس ولدفع أجور تداوى
٢	٢ر٦ ٪	استدعى عضوان من كل عائلة للخدمة العسكرية نحرمت كل منهما من عضوين منتجين فاخفقتا فى ملاقاة تكاليف الحياة الاعتيادية فلجأتا للاستدانة •
١	١ر٣ ٪	خسارة رئيس العائلة لمبلغ ضخم نتيجة لعمله (تنديل) فى احد مكابس التمور فى البصرة •
١	١ر٣ ٪	شراء زورق شراعى •
١	١ر٣ ٪	شراء ملابس للعيد •
١	١ر٣ ٪	ارسال احد افرادها لتداو طويل الامد فى البصرة

واغلبية هذه الديون (فوق ٧٠٪ منها) كانت لتلافى النقص فى الموارد المعيشة للعوائل ، كما ان مقدار كل دين فى الغالب كان اقل من ٢٠/٠٠٠ دينارا •

ان الذى يقرض أموالا بربح يوصم بين أهل الچبايش بانـه كافر ومتجرد من المثل القبلية • ولذا فان كافة المرابين يعتبرون بصورة حتمية خارج دائرة (الاجاويد) ولا يؤمل الفرد فى مجتمع قبلى كالچبايش آن

يقرض قريبا من اقربائه أو أحد افراد حمولته بربح أو فائدة • لان ذلك محرم بحكم الروابط الاجتماعية ، وأهمها صلة القرابة ، اذا ما تمسك الفرد بالمثل والتقاليد القبلية تمسكا تماما • كما ان الاغلبية الساحقة من اهل القرية يعيشون قريبين جدا من مستوى مدخولاتهم أو انهم انفسهم مدينون • فليس من باب الصدفة أو الاتفاق اذن ، أن يكون كافة (السادة) الاثرياء مرابين !

ان المرابين فى الچبايش هم اصحاب الدكاكين الكبيرة الذين تسمح لهم اعمالهم الواسعة بجمع رأس مال كبير يمكن اقراض كميات منه • اما اصحاب الدكاكين الذين لا يربحون منها غير ما يقرب من ثلاثة دنانير شهريا فانهم لا يستطيعون طبعا الاقراض بالفائض بل يضطر كثير منهم انفسهم على الاستدانة • وهناك فى القرية قرابة ثلاثين دكانا تقرض بالفائض ، عشرة من اصحابها تقريبا مرابون يتخذون الربى مهنة اساسية لهم وهى اكثر ربحا واهمية عندهم من البيع والشراء فى دكاكينهم • والى جانب هؤلاء هناك تجار الحصر كافة الذين يجب بطبيعة عملهم ان يعطوا مبالغ مقدما لحاكة الحصر ويعمدوا معهم الى (الگلاب) ، وكذلك تجار الحبوب الذين يقرضون على نظام (الاخضر) •

ان المعلومات التى جمعت عن الدين فى المائة وعشرين عائلة توضح آن الدين واسع الانتشار ، (٦٣ر٣٪) • ولكنها بعين الوقت تبين ان نسـبة الدين فى أية فترة بالذات ليس كبيرا وانه غير متساو فى كافة الفترات • ومن موازنة موارد العوائل المدينة بمقدار ديونها ظهر ان الدين ، فى اغلب الحالات ، لم يكن اضخم مما تتسع له الامكانيات الاقتصادية للعائلة المدينة لو انها بادرت ، أو اجبرت على وفائه عن طريق بيع بعض ممتلكاتها قبل أن يتسع ويتضخم • وهـذا صحيح جدا لو أدخلنـا فى حسـاب الموارد الاقتصادية ، وهذا ما يفعله كثير من اهل الچبايش ، مهور البنات التى تزوجها

العوائل المدينة • ولو كان النموذج المقدم فى المائة وعشرين عائلة من حاكة الحصر والمزارعين صحيحا يمثل المجتمع كله تمثيلا صادقا فى هذه الناحية ، لثبت اذن أن (٦٣ر٣٪) من حاكة الحصر والمزارعين ، وهم (٥٧ر٦٪) من كل سكان القرية مدينون لقسم من ثلاث طبقات اقتصادية عليا مجموع نفوسها كلها لا يساوى اكثر من (٦ر٤٪) من مجموع سكان القرية • واهمية هذه الارقام فى انها تظهر أن هناك فرقا كبيرا للغاية بين دخل الطبقات الاقتصادية العليا ودخل بقية سكان القرية •

ورغم ان اغلب اهل الچبايش مدينون فان فى اقتصاد القرية بصورة عامة كفاية ذاتية• ويظهر أثر الهوة بين مدخولات اغلبية السكان ومصروفاتهم جليا فى الارباح التى يحصل عليها اصحاب الدكاكين وتجار الحصر من ناحية وكذلك فى الارباح التى يتقاضاها المرابون عن الديون من ناحية أخرى • فالمرابون أنفسهم يملكون دائما المال الذى يقدمونه كديون للعدد الكبير من حاكة الحصر والمزارعين المحتاجين ، كما ان ارباحهم مؤكدة ومضمونة • اما ما تستورده القرية كلها من بضائع ومواد استهلاكية من الخارج ، فانه يوازن وتدفع قيمته بما تصدره القرية من حصر وحبوب • ولذا فان مشكلة الدين فى الچبايش يمكن أن تحلل وتفسر بانها ليست الا مشكلة سوء توزيع فى الثروة •

الفصل السادس عشر

الكيان الاقتصادى والاجتماعى

١ — الطبقات الاجتماعية والاقتصادية :

لقد كان فى الچبايش قبل عام ١٩١٥ ترابط وثيق بين الطبقات الاجتماعية والاقتصادية • فكانت الطبقات الاجتماعية العليا تتمتع بارفع الامتيازات الاقتصادية في حين أن الطبقات السفلى لم تكن لها أية امتيازات ، بل انها على العكس كانت تنوء بالاعباء الاقتصادية • ولكن دخول الادارة الاجنبية الحازمة وما نتج عنه من اتصال القرية بالعالم الخارجى كنتيجة طبيعية لاستتباب الامن ، والاحتكاك بالاساليب الفنية العصرية الذى اوجده ذلك الاحتكاك بصورة خاصة ، ادى الى احلال اقتصاد السوق Market economy القائم على التجارة محل الاقتصاد التقليدى الاكتفائى القائم على الزراعة Subsistence agriculture economy وكان الحدث الكبير الذى ادى الى نتائج بعيدة الاثر فى تحطيم الكيان الاجتماعى القديم هو الغاء نظام المشيخة فى القرية ، ذلك النظام الذى كان بمثابة حجر الزاوية فى البناء الاجتماعى يشده ويقومه •

فلقد كانت حمولة (آل خيون) ، بحكم صلتها بالشيخ ، تتمتع بسيطرة اجتماعية واقتصادية تامة • فعاش افرادها حتى الغاء المشيخة فى عام ١٩٢٤ كطبقة ارستقراطية عسكرية • وكانت العشيرة كلها تخضع وتقدم خدمات اجبارية مفروضة لهم • وكان كل خيونى يتصرف كسيد مطلق له الحق الذى لا يقبل الجدل أو النزاع فى أن يفعل ما يشاء • فكان باستطاعته أى فرد من (آل خيون) ان يأخذ اى مقدار من الغلة التي ينتجها أفراد القرية ، كما يستطيع أن يكلف أولئك الافراد بالقيام باية اعمال سخرة يريد ان يكلفهم بها • واذا ما احتاج الخيونى الى دراهم فان بمقدوره أن يجبى أية مبالغ يرغب فى فرضها عليهم • فـ (آل خيون) حمولة حكام

وقادة عسكريون ، والمفروض فيهم لذلك ، وشأنهم بذلك شأن بقية الطبقات الارستقراطية البدوية ، ان يعيشوا من الغزو والسلب فقط • فلقد كان (آل خيون) فيما يعتقدون ، اسيادا وحكاما وليسوا كسبة كادحين • وكان كثير منهم وكلاء للشيخ ونوابا عنه يحكمون له وبأسمه ضيعاته الواسعة ويجمعون له الاتاوة والضرائب والعوائد • فأصبحوا بذلك اثرياء واقوياء متنفذين ، ولم يكن بوسع أحد ، غير الشيخ نفسه ، أن يحد من استغلالهم لاهل العشيرة[1] •

ورغم ان (السادة) كانوا يعتمدون اقتصاديا على الشيخ فانهم كانوا يتمتعون باعتبار اجتماعى رفيع وينعمون بالاحترام والاجلال بفضل مركزهم الدينى كرجال مقدسين • وترتب على ذلك تمتعهم بمستوى معيشى عال • وبموجب تعاليم المذهب الشيعى لا (سادة) حق فى خمس ثروة المجتمع كله • وكان الشيخ هو المسؤول عن ايصال ذلك الخمس اليهم وهو المشرف على تطبيق تلك القاعدة • وكان من عادة الشيوخ ان يقطعوا (السادة) قطعا من اجود اراضيهم دون عوائد أو فروض • فحق (السادة) فى جزء من ثروة المجتمع كسب اقتصادى اساسى قائم بصورة رئيسية على مركزهم الدينى الرفيع • وكان المستوى المعيشى الذى يتمتعون به يضارع مستوى معيشة الشيخ واهل بيته • ولاسباب سياسية محضة ، ولحد ما بدافع دينى ، كان الشيخ كريما مع (السادة) لان مساندتهم له كانت ضرورية لا غنى له عنها • وكلمة تأييد بسيطة من (السادة) وهم رجال دين مقدسون ، كانت تكفى لتبرير عمل الشيخ وتضمن له تأييدا مطلقا من كافة افراد العشيرة • ويمكن تشبيه اعتماد (السادة) على الشيخ واعتماده عليهم بالاعتماد والتساند المتقابل الذى كان موجودا بين الكنيسة والدولة فى اوربا فى العصور الوسطى •

وفى النهاية الاخرى من سلم الطبقات الاجتماعية ، كان هناك اتساق

(١) راجع الفصل السادس ، ص ١٥٥ _ ١٥٧ •

بين المركز الاقتصادى الواطىء والطبقات الاجتماعية السفلى كما هو الحال مع (العبيد) و (الصابئة) • فلقد كان (العبيد) كما بينا فى الفصل السادس مملوكين للشيخ ولـ (آل خيون) وكانوا يعتمدون اعتمادا مطلقا فى حياتهم على اسيادهم • فلم تكن لهم اراض او اية انواع اخرى من الثروة خاصة بهم ، وكانوا لا يزاولون عملا كالزراعة او حياكة الحصر • وكطبقة اجتماعية كان العبيد احط الطبقات ، باستثناء طبقة الصابئة ، وادناها منزلة ؛ محتقرين لاقصى حدود الاحتقار ولا يتزاوج اهل القرية كافة معهم[2] •

(والصبّة) حدادون وبناة زوارق يحصلون على معيشتهم من صناعاتهم • وتمنحهم مهاراتهم وتخصصهم مركزا فى الكيان الاقتصادى فى القرية ولكنهم لا يستطيعون بسبب انحطاط منزلتهم الاجتماعية استغلال ذلك المركز الاقتصادى استغلالا تاما • فبحكم كونهم اقلية دينية ينظر اليها بأحتقار وانها نجسة ، فلقد كان افرادها ضعافا وغير قادرين على مقاومة استغلال الشيخ أو افراد حمولة (آل خيون) • فكان جل انتاجهم يضيع ويتسرب الى الشيخ و (آل خيون) دون عوض • ولكنهم رغم هذا كله كانوا يتمتعون بشىء من الحماية والامن بحكم قوة سيطرة الشيخ ونفوذه السياسى • فلقد كان فى صالحه أن يحد من سوء المعاملة التى تتعرض لها تلك الاقلية التى كان هو ورجاله وكافة افراد عشيرته يعتمدون عليها فى الحصول على الزوارق ، وبعض الاسلحة والادوات الضرورية فى الحرب والزراعة وغير ذلك • وحين تعرض (الصبّة) ابان فترة الاضطرابات السياسية فى الفترة بين سنتى ١٩١٤ _ ١٩٢٤ ، نتيجة لانعدام السيطرة السياسية القوية فى القرية ، لكثير من الظلم والسلب من (آل خيون) وبعض افراد آخرين من العشيرة ، لم يكن امامهم طريق للخلاص من ذلك الوضع غير ترك القرية والهجرة منها بصورة نهائية • فلم تبق فيها غير ثلاث

(٢) راجع الفصل السادس ، ص ١٦٣ _ ١٦٧ •

عوائل بعد أن كانت فيها قرابة مائة وعشرين عائلة(٣) .

في الطبقات الاربع ؛ طبقة (آل خيون) و (السادة) و (العبيد) و (الصبّة) ،يقرر المولدوالوراثة المركز الاجتماعي للفرد. فلا يستطيع الفرد نفسه ان يفعل كثيرا في صدد تقوية أو اضعاف ذلك المركز . ولكن في الطبقتين المتوسطتين الباقيتين ، وتشملان العوام وممثليهم من الاجاويد ورؤساء الافخاذ والحمايل ، يوجد مجال للتقدم الفردي في الناحية الاقتصادية . ولكن المركز الذي يحصل عليه الفرد داخل طبقته أو حمولته او فخذه لا يقرن الا بصورة محدودة جدا بمركزه الاقتصادي .

ورغم التبدلات الاجتماعية والسياسية الاساسية التي طرأت على القرية وأهلها بعد عام ١٩١٥ ، فقد ظل النظام التقليدي للطبقات الاجتماعية ثابتا لم يتبدل باستثناء ظهور طبقة سياسية جديدة هي طبقة رؤساء الحمايل والافخاذ و (اجاويد الطايفة) . وقبل حدوث هذا التغيير كان لكل حمولة وفخذ رأس ، ولكنها رؤوس بلا سلطة أو نفوذ ، بل كانت مجرد آلات لتنفيذ أوامر الشيخ وتحقيق سياسته . وبعين الطريقة كانت كل حمولة تحوي عددا من الرجال ، يعرفون بالـ (اجاويد) ، ولكنهم ايضا ماكانوا يتمتعون بأي نفوذ في مجتمع يهيمن الشيخ عليه هيمنة تامة مطلقة . ولكن حين حل النظام الجديد(٤) محل القديم ، سُمح لـ (سراكيل والمخاتير) ، وهم رجال الطبقة الجديدة التي خلقها النظام السياسي الجديد ، بكثير من السلطة السياسية على اتباعهم ورجال افخاذهم . فمكنتهم تلك السلطة ان يكونوا اعتبارا وان يتمتعوا بنفوذ في المجتمع . وكذا الحال مع (الاجاويد) . اذ أصبح بوسعهم ان يحصلوا في ظل النظام الجديد على مراكز جديدة وان يرتفعوا في السلم الاجتماعي ، فيكونوا جزءا من طبقة جديدة . ولانهم اصبحوا ممثلين لافراد

(٣) راجع الفصل السادس ، ص ١٦٨ ــ ١٧٠ .

(٤) لزيادة التفاصيل عن النظام السياسي الجديد للجبايش راجع الفصل الثامن ، ص ٢١٣ الى ص ٢٢٤ .

(الطايفة) فقد صار بوسعهم ان يحصلوا على السلطة والنفوذ . ولكن اتساق المركز الاجتماعي مع المركز الاقتصادي ، وهو جزء من النظام الاجتماعي التقليدي ، انتفى وانعدم بصورة الزامية . فلقد ظهرت طبقات اقتصادية جديدة(٥) نتيجة للتبدل الاجتماعي ، كما سلبت من (آل خيون) كافة امتيازاتهم الاقتصادية ، ولم يبق في القرية أحد يجمع لـ (سادة) خمس جدهم ، في حين اطلقت الحرية (للعبيد) ومن بقي في القرية من عوائل (الصبّة) في طلب عيشهم وجمع الثروة بالطريقة التي يختارونها .

لقد سبق وأن المعنا الى اهمية فكرة الاعتبار الاجتماعي Social Prestige في مجتمع الجبايش . فالاعتبار يعتمد على عوامل مختلفة في الطبقات الاجتماعية المختلفة ، وهو غير مقرون ولا مرتبط دائما بالنفوذ الاجتماعي Social influence .

ففي حالة طبقة (السادة) فان افرادها يستمدون الاعتبار والنفوذ السياسي من كونهم يدعون نسبا للرسول محمد . وطبقة (آل خيون) تستمده من زعامتها السياسية والعسكرية السابقة . اما (السراكيل) و (المخاتير) فان مرد اعتبارهم الذي يتمتعون بـه لوظائفهم السياسية التي يشغلونها في العشيرة والتي يسيطرون بها على حمايلهم وافخاذهم . اما فيما يتعلق بـ (اجاويد الطايفة) فان أي فرد من (بنى اسد) يمكن أن يعتبر كأحد افراد هذه الطبقة وأن يتمتع باعتبارها اذا ما حصل على صفات وميزات لا علاقة لها بالثروة او المركز الاقتصادي . وهذه الصفات هي :

١ ــ أن يكون له عدد كبير من (الخوّان) وأن يكون عضوا مسنا في فخذ كبير . ويبدو ان هذا التقليد اثر من الحياة الحربية الماضية للمجتمعات القبلية عامة والبدوية خاصة ، حين كان الرجل الذي ينتسب الى فخذ كبير أو له اخوة عديدون يخافه الخارجيون كثيرا ويحترمه اهل

(٥) لقد فصلنا الطبقات الاقتصادية في الفصل الخامس عشر ، ص ٤١١ ــ ٤٢١ .

عشيرته احتراما عظيما ٠

٢ – أن يعرف بكونه (خير) ، ومعنى هذا أن يكون كريما ومحبا للسلام وله علاقات طيبة مع الجميع ٠ والمفروض فى الـ (خير) أن يكون متدينا وان يكون ، كما يقول اهل الچبايش ، (يخاف من الله) والا يعرف عنه انه (فاسد) او (حرامى) ٠ وان يعرف بان له (بخت) اى ضمير لا (يدوسه) من اجل الربح والكسب فى معاملاته مع الاخرين ٠

٣ – له معلومات واراء صائبة فى القانون العشائرى والتقاليد العشائرية بحيث يطلب الناس مشورته ويسألون رأيه فى قضايا (الفصول) ويسمع نصحه فى الامور ذات الاهمية والمصلحة العامة ٠

٤ – ان يبنى لنفسه مضيفا ويفتحه لاهل فخذه وحمولته ٠ فلقد رأينا فى الفصل السابع كيف ان بناء وادارة المضيف يمكن ان تكون طريقةفعالة فى الحصول على الاعتبار والنفوذ فى المجتمع ٠

ويتمتع (اجاويد الطايفة) بالاعتبار والنفوذ فى المجتمع لان المجتمع يمنحهم امتيازات عدة اهمها أن (السراكيل) يأخذون اراءهم فى القضايا الرئيسية التى تهم المجتمع بصورة عامة ٠ ففى مثل هذه الحالات يجمع (السركال) (الاجاويد) فى مجلس يدعى (عمرة) فيسمع اراءهم فى القضايا الكبرى كالـ (فصول) والدعاوى العشائرية ، كما يدعون في بعض الحالات لتفسير بعض القواعد القبلية ، أو لحل بعض المشاكل في القانون العشائرى ، أو حتى فى بعض الحالات ليوجدوا قواعد جديدةلتحل بموجبها قضايا ليس لها سوابق ٠ ويستأنس رجال الحمولة بارائهم في كل معضل او أمر ذى بال كالنزاعات العشائرية و (الفصول) وعلاقات الحمولة بالحمايل الاخرى وشؤون الاراضى ومشاكلها ٠ وللـ (اجاويد) نفوذ كبير فى افخاذهم ويجب ان يستأنس افراد تلك الافخاذ بارائهم في مختلف الشؤون كالزيجات والجرائم ، خاصة ما كان منها من نوع (السودة والفسدة) وكذلك فى كافة الشؤون والفعاليات الاقتصادية كالزراعة والهجرات

والرحلات والديون ٠ وهناك ناحية اخرى وهى علاقة اعضاء الفخذ بـ (السراكيل) أو بحكومة القرية ٠ ففى الامور الحساسة كالضرائب والخدمة العسكرية وما اشبه ذلك ، يلجأ اصحاب المعاملات الى توسيط الـ (اجاويد) فى معاملاتهم ٠ ويعطى الـ (اجاويد) اماكن ممتازة في المضايف ويجب على الناس ان يقفوا لهم على اقدامهم تجلة واحتراما حين يؤمونها ٠ وكثيرا ما يمنح (الاجاويد) تخفيضا خاصاً فى الحصص التي يترتب عليهم دفعها لاصحاب الاراضى من غلتها ، كما ان بعض (السراكيل) ، مثل (سركال) حمولة (آل الشيخ) يترك حصته بكاملها لبعض (اجاويد) حمولته ولا يأخذ الا نصفها من بعضهم الآخر ٠

ورغم أن الرأى العام فى الچبايش يربط ، بصورة عامة ، بين الاعتبار والنفوذ ، ويرى فى الثانى اساسا يقوم عليه الاول ، فان هناك حالات يحصل فيها الفرد على الاعتبار ولكنه لا يتمتع بالنفوذ في المجتمع ٠ فالفرد من العوام يحصل على اعتبار كبير اذا ما زار مكة فأصبح (حجى) أو مرقدا من مراقد الائمة فأصبح (زاير) ٠ أو قد يحصل على اعتبار نتيجة لكونه عضوا في فخذ كبير متنفذ ٠ ولكن هذا كله لا يخلق له نفوذا في المجتمع ٠

ان كلا من الاعتبار والنفوذ لا يقومان فى الچبايش على اسس من المادة أو الثروة ٠ فلا المال ولا أى صنف آخر من اصناف الثروة يستطيع أن يسبغ أى اعتبار على صاحبه ٠ فالاغلبية العظمى من سكان القرية الذين يتمتعون بالاعتبار الاسمى ويملكون النفوذ الاوسع فيها هم فقراء معوزون ٠ وعكس ذلك ، فان اغلب اثرياء القرية وافراد الطبقات الاقتصادية العليا فيها هم بدون اعتبار أو منزلة اجتماعية في المجتمع ٠ وهناك أمثلة عن رجال فشلوا في كسب الاعتبار الاجتماعى رغم انهم جمعوا ثروة طائلة ، وفوق هذا هناك امثلة على رجال فقدوا الاعتبار بسبب جمعهم الثروة ٠ فاربع من عوائل (السادة) ومجموعها كلها ثمان ، وهى اعلى طبقة فى المجتمع ، فقيرة ٠ واغلب الرجال ذوى السمعة الحسنة والاعتبار العالي ، وهم (الاجاويد) ، حائكو حصر

ومزارعون يعيشون في اوطىء مستوى للمعيشة وهم في اكثر الحالات غارقون فى الديون • ولكنهم اوسع فى المجتمع نفوذا من أى واحد من الاغنياء فيه • اما الاثرياء فـ (السادة) واعضاء حمولـة (آل خيـون) منهم فقط يتمتعون باعتبار اجتماعى عظيم ، وذلك بسبب نسبهم وأصلهم لا بحكم ثرائهم ومركزهم الاقتصادى • فـ (السيد) المفلس يتمتع فى الواقع باعتبار اعظم كثيرا من اعتبار (السيد) الثرى • وعكس ذلك ، فان اثنين من اثرياء القرية ، هما الاخوان (الحاج حسين والحاج على آل طاهر) ، رغم انهما يأتيان بعد الاثرياء الستة الاوائل فى القرية في غناهما وثروتهما ، ولكنهما رغم ذلك لا يملكان في القرية الا نفوذا يسيرا واعتبارا قليلا للغاية • ويطلق اهل الچبايش دائما على افراد طبقة (السراكيل والمخاتير واجاويد الطايفة) الفقراء نعت (الاجاويد) ، فى حين يسمون رجال الاعمال الاثرياء (أهل السوگ) وهو تعبير يعنى (اصحاب الدكاكين والتجار) ولكنه يحمل فى طياته معانى الاحتقار ويشير الى ان من يوصفون به « اناس نبذوا التقاليد القبلية من اجل الحصول على الثروة » •

وخير مثل على الرجل الذى استطاع ان يجمع ثـروة ولكنه فشل فى الحصول على مركز اجتماعى عن طريق تلك الثروة هو (عبد آل مشد) • فلقد كان فى ايامه الاولى يشتغل فى اعمال محتقرة كصيد السمك وادارة الدكاكين • ولذا فقد كان ينظر اليه كواحد من الشباب الذين ابتعدوا عن طراز الحياة القبلية • وفى ابان الحرب العالمية الاخـيرة (١٩٣٩ – ١٩٤٥) ازدادت ثروة (عبد آل مشد) فجأة وتضخمت فى سـنوات قليلـة • ولكن اعتباره الاجتماعى لم يزدد رغم ازدياد ثروته ، اذ بقى فى نظر اهل القرية ، كما كان سابقا ، مجرد فرد من (اهـل السـوگ) ، « اولئك الاشخاص الذين يضحون بالتقاليد القبلية من اجل الفلوس ، وسـخ هذه الدنيا »[٦]

(٦) ان وصف الدراهم والمادة بهذه الطريقة شديد الشبه بوصفها فى الانكليزية بتعبير Filthy lucre ..

ولقد ناقشت عددا من اهل القرية فى هذا الموضـوع بالذات فكانت اراؤهم تجمع على ان « الشرف والاعتبار مو حسبة آلاف دنانير » وحين كنت اسأل « ألا يستطيع اذاً شخص مثل (عبد آل مشد) ان يصبح من اجاويد الطايفة ؟» كنت اجاب « وين اخوته ؟ وين عدته[٧] وين مضيفه ؟ » •

ولقد اضاع فى الواقع كثير من رجال القرية اعتبارهم اثنـاء جمعهم الثروة • لقد كان (مارد آل طاهر) ابنا لـ (خيّر) • فلما مات ابوه لم يترك له ثروة ما • فترسم (مارد) أول الامر خطى والده فكسب بعد قليل من السنين اسما وشهرة وصار يعرف بانه (خيّر) كذلك • ولكنه اشتغل بعد ذلك مع (بيت سيد خلف) ؛ العائلتين الثريتين اللتين تتاجران بالحصر والحبوب وتقرضان بالربا ، فجمع بعض المال • ولكنه حين ارتبط بأولئك التجار المرابين ، وحين انغمس بالاعمال التجارية فأهمل التزاماته القبلية وواجبات مركزه الاجتماعي ، أضاع سمعته الطيبة ، وصار الناس يعتبرونه واحدا من « أهل السوگ » •

ولكن الثروة ، رغم كل ما تقدم ، يمكن ان تستغل فى الحصول على اعتبار اجتماعى • فهناك عدد قليل من اهل الچبايش اسـتعملوا ثرواتهم كوسائل لرفع مركزهم الاجتماعي • فلقد كان (عبودةالسلمان) مثلا بارزا فى هذا المجال فى سنى حياته المبكرة ، كما ان القسم الاخير من حياته يعتبر مثلا لاظهار كيف أن التكالب على الكسب يعصف بالاعتبار وينسفه • فلقد كان (عبود السلمان) فراشا فى دار الحكومة فى القرية • فاتخـذه أحد مدراء الناحية المرتشين واسطة للرشوة فكسب عن هذا الطريق مبالغ كبيرة من المال • وفى ابان الحر ب العالمية الاخيرة جعل منه ذلك المدير عينه ، بدافع الربح المشترك موزع سكر رسمى ،وهو عمل يـدر ربحا كبيرا للغاية ايام الحرب • فأصبح (عبودة) فجأة رجلا غنيا • ولم ينس (عبود السلمان)

(٧) العدة : الدلال والفناجين وغير ذلك من الادوات التي تصنع وتقدم بها القهوة فى المضيف •

اثناء تهافته على جمع الثروة الاهتمام بالتقاليد والعلاقات القبلية • فبنى مضيفا رائعا وصار بعض حمولتـه (آل الشـيخ) يجتمعون اليه فيـه بين ان وآخر فيشربون قهوته • وصار يعاون المحتاجين من افراد فخذه وحمولته ، فحصل بذلك على سمعة طيبة وصار ينظر اليه كـ (خيـر) • ولكن (عبودة) اضاع تلك السمعة والاعتبار اللذين بذل كثيرا من المال والجهد فى تكوينهما حين انغمر فى نزاع حول قطعة ارض • فلقد بذل جهـودا متكررة متصلة لسلب عائلة (آل خشان) من فخذ (آل حجى سـارى) حقوقهم فى قطعة أرض أعانوه هم على انتزاعها من (أرزيج آل سعيّد) أحـد (سـراكيل) حمولة (آل غريج) • فأدعى (عبودة السـلمان) فى ذلك النزاع انـه صرف مبالغ كبيرة من المال فى استخلاص الارض من (أرزيج آل سعيّد) وما لم يدفع له (آل خشان) نصف ما صرف فانه لن يعترف لهم باية حقوق فى تلك الارض • وبعد عدة سنوات من ذلك النزاع حدثت محاولة لقتل (عبودة) نفسه ، اذ اقتحم كوخه فى احـدى الليالى اشخاص مجهولون واطلقوا عليه النار ، فقتلت زوجته وجرح هو فى ساقه جرحا بليغا كما اصيبت ابنته الصغيرة بجرح خطير فى رقبتها • فأتهم (عبودة) اربعة رجال من عائلة (آل خشان) ، وظلت الدعوى تنظر فى المحاكم قرابة سنتين • ولكن (عبودة) عجز عن اثبات اتهامه رغم انه قام بمحاولات يائسة وصرف مبالغ كبيرة جدا من المال • فاستعان بالرشوة والتلفيق ليصل الى هدفـه • وحين اطلق سراح المتهمين الاربعة من (آل خشان) طالب بواسطة (سـركال) حمـولة (آل الشيخ) بالتعويضات وبكافة ما صرف على الدعوى والتداوى حسب القانون العشائرى • ولكن طلبه رد على اساس عدم ثبوت الاتهـام فى المحاكم[٨] •

(٨) وقعت الحادثة ليلة ٤ ـ ٥ نيسان ١٩٥٢ ، وصدر الحكم فيها من قائممقامية قضاء سوق الشيوخ يوم ٦ آب ١٩٥٣ وكان يقضى بحبس كل من (جبار ومكطوف وعبدالعالى أولاد خشان وجاسم بن مكطوف) شديدا لمدة اربعة عشر عاما وفق نظام دعاوى العشائر والزامهم وافراد فخذهم بالمناصفة دفع (٧٥) دينارا لذوى القتيلة زوجة (عبودة) وبالزام المحكومين الاربعة =

فاضاع (عبودة السلمان) بسلوكه اثناء النزاع حول الارض وابّان نظـر قضية محاولة الاعتداء على حياته اعتباره وثروته واثار نفور العشيرة منه حين حاول الصاق التهمة بالرجال المذكورين واثباتها عليهم • وحين طلب اكثر مما يسمح به العرف والقانون العشائرى وقفت العشيرة كلها ضده واضحى لا يحسب بعد ذلك فى عداد الاخيار •

٢ ـ المنزلة الاجتماعية والمهنة

رغما عن التبدل الاقتصادى الكبير الذى حل فى القرية ، ورغما عن الاثر الذى يتركه الاقتصاد الحديث القائم على التجارة فيها فانه لا يزال فى الچبايش حتى الآن نظام قوى لتحديد المنزلة الاجتماعيـة بالمهنة • فأهـل الچبايش لا يقرون أى خروج على الخط الاقتصادى التقليدى القـائم على الزراعة وحياكة الحصر وتربية الماشية • وهم ينظرون لبعض المهن باعتبارها غير مرغوب فى مزاولتها ولذا فيجب ان تتجنب ، ولمهن اخـرى باعتبـارها محتقرة ولذا فهى محرمة تحريما تاما •

ان المهن المحترمة فى الچبايش هى الزراعة وحياكة الحصر فى حين ان حياكة القماش وزراعة الخضر وبيع السمك ومنتجات الالبان وصيد السمك بـ (الطواريف) هى مهن محتقرة • اما ادارة الدكاكين والتجارة والعمل بأجـرة فانها مهن غير مرغوب فى مزاولتها ويجب ان تتجنب • ولقد كنت

= وحدهم دفع (٧٥) دينارا أخرى كـ (حشـم) الى (عبـودة) نفسـه و (٣٧/٥٠٠) دينارا أخرى اليه ايضا عن الاذى الذى لحق ساقه كـ (دية عضاب) مع كافة المصاريف التى صرفها على تداوى ساقه المكسورة بعد ان يقسم اليمين على ما يدعى انه قد صرفه ، ان لم تكتسب ساقه الشفاء التام بعد عام واحد من تاريخ صدور الحكم • فان شفت فيدفعون له (دية العضاب) فقط • وصادق متصرف اللواء على الحكم بعد أن ازاد مدة الحبس الى (١٩) عاما على اساس (١٤) عاما عن قتل الزوجة و (٥) اعوام عن جرح (عبودة) وجرح ابنته • ولكن محكمة التمييز العشائرية لم تصادق على حكم المتصرفية وردت لها الدعوى لاعادة النظر فيها فأصرت المتصرفية على رأيها الاول فنقضت محكمة التمييز الحكم لعدم كفاية الادلة واطلق سراح المتهمين الاربعة بتاريخ ١٩٥٤/٢/١٣ بعد توقيف استمر قرابة سنتين •

معنيا ابان اقامتى فى الجبايش فى هذا الامر ومهتما به بصورة خاصة • ولقد قمت بمحاولات متكررة لاكتشاف مقاييس اهل القرية فى هذا الصدد • وتناقشت فى الامر مع اناس مختلفين ؛ (سراكيل) وعوام ، وفيما يلى خلاصة لآرائهم فى هذا الموضوع :

١ ـ يحتقر اهل الجبايش مهنة حياكة القماش (الحياچة) اكثر من اية مهنة أخرى ، وتأتى بعدها فى الاحتقار والازدراء مهنة زراعة الخضر (الحساوية) ، ثم صيد السمك بـ (الطواريف) (البربرة) ، واخيرا بيع السمك ومنتجات الالبان • ويبلغ احتقار هذه المهن الى حد أن كافة (بنى اسد) عدا حمولة (آل غريج) لا تعطى بناتها زوجات لحائكى القماش او لصيادى السمك الـ (بربرة) • كما لا تعطى العشيرة كلها بما فى ذلك حمولة (آل غريج) بناتها زوجات لزارعى الخضر (الحساوية) •واذا ما تقدم أحد افراد القرية يطلب الزواج بفتاة فرد أهلها طلبه ، فقد يتساءل متألما ثائرا : « چا آنه بأصلى حياچة لو بربرة ؟ » •

٢ ـ ليس هناك تفسير واضح مقبول بصورة عامة لهذا السلوك باستثناء ما يخص بيع السمك ومنتجات الالبان • فهاتان المهنتان تحتقران لا لشىء الا لان (المعدان) وهم محتقرون كثيرا من قبل اهل الجبايش ، يزاولونهما • حتى (عبدالهادى آل خيون) (سركال حمولة آل الشيخ) ، وهو اوسع اهل الجبايش علما فى الشؤون العشائرية لم يستطيع أن يعين الاسباب التى تدعو لهذا الاحتقار فيما يخص حياكة القماش وصيد السمك بالـ (طواريف) اما زارعو الخضر (الحساوية) فانه يعتقد ان السبب فى احتقارهم انهم يتجولون فى القرية يبيعون خضرهم ، وان البيع بهذه الطريقة سلوك معيب• فـ (الحساوى) على تعبيره « يدور بالزرع ماله بالمشاحيف ويبيع وهاى عيب » • وبعين الطريقة ، يعتقد الحاج جاسم آل محمد من حمولة (آل غريج) وهو محكم مشهور وحجة معروف فى القانون والتقاليد العشائرية بان (الحساوى) محتقر لانه « يجوفت بالگرام ويدور بالسلف » • اما

اسباب احتقار حاكة القماش في رأيه فان «الحياچ مغموزين بالنسب ويجذبون چثير • ويروى عن الحياچ انهم ناقصين الذمة • باگو تراچى الحسين وشهدوا على مريم لما جابت وفعلو امور مكروهة تحفظ بالتاريخ » •

ومن الجدير بالملاحظة ان :

١ ـ كافة حاكة القماش فى الجبايش من فخذ واحد هو (آل هلال) من حمولة (آل غريج) ، وان كافة صيادى السمك بـ (الطواريف) (البربرة) هم من هذه الحمولة ايضا • وفى حالة (الطواريف) حصلت بعض الاستثناءات فى السنوات الاخيرة لان قليلا من الرجال من حمايل اخرى ، خاصة حمولة (آل عنيسى) قد ابتدأت تحت ضغط الحاجة تساهم فى مثل هذه الرحلات • ولكن لم يحدث اى استثناء بصدد الحياكة • فلم يزاولها أحد من غير فخذ (آل هلال) من حمولة (آل غريج) •

٢ ـ ان افراد حمولة (آل غريج) لا يحتقرون حاكة القماش ولا (البربرة) ويتزاوجون معهم •

٣ ـ ان كافة زارعى الخضر (الحساوية) غرباء عن الجبايش وكذلك كافة نساء (المعدان) التاجرات ، ولذا فان كافة اهل القرية بما فيهم حمولة آل (غريج) يحتقرونهم •

يستخلص مما تقدم ، اذاً ، ان كافة المهن المحتقرة يزاولها اما اناس خارجيون عن القرية أو افراد حمولة واحدة منها فقط هى حمولة (آل غريج)• فاذا ما تذكرنا هذه النقاط الثلاث فيبدو معقولا أن نفسر احتقار اهل الجبايش للمهن المار ذكرها على الوجه الآتى :

١ ـ ان اسباب احتقار حياكة القماش وزراعة الخضر وصيد السمك بالـ (طواريف) وتجارة (المعدان) هى عادة تقليدية صرفة ولها جذورها فى حرص النظام القبلي على اقصاء كل غريب من العادات او الفعاليات التى لا تتفق مع مثله • فـ (بنى اسد) عشيرة بدوية ومن عاداتها أن تميز نفسها عن بقية سكان الاهوار الذين استولت عليهم وادخلتهم فى سلطتها

حين وصلت تلك المنطقة بطرق عدة منها نوعية المهن التى تزاولها • وهذه صفة عامة فى الحضارة البدوية • فالقبائل التى احتلت العراق فى القرن السابع الميلادى واستقرت فيه امتنعت عن مزاولة اى من المهن التقليدية التى كان سكان العراق الاصليون كالنبط وغيرهم يزاولونها فى تلك الفترة ، وكانت على العموم الزراعة وصيد السمك وبعض الصناعات اليدوية • فابقى البدو المحتلون على الفوارق الحضارية بينهم وبين سكان القطر الذى احتلوه ووضعوا انفسهم منهم موضع الاسياد ، فكان من جملة ما حافظوا به على قيام الفوارق الحضارية والتفاوت فى المركز هو التميز المهنى • فواظب المحتلون أول الامر على اقتصادهم الصحراوى التقليدى القائم على رعى الابل حتى تبدل بعضهم تدريجيا من حياة الرعى والتجوال الى حياة الزراعة والاستقرار ، فى حين بقى آخرون منهم محافظين على اقتصادهم المثالى • وبغض النظر عن المناطق المختلفة من العراق التى استقر فيها العرب الفاتحون وبدون الاخذ بنظر الاعتبار الدرجات المتفاوتة التى اندمجوا فيها في مجتمعات السكان الاصليين للبلاد ، فانهم لم يزاولوا مطلقا طيلة القرون الطويلة ايا من تجارة او صناعات اتباعهم من السكان المحليين • وبالاضافة الى هذا ، بما ان حياة البدو قائمة على رعى الابل والغزو فانهم يحتقرون بصورة طبيعية اية مهنة لاتتفق وهذا النوع من الحياة • واذا ما اضطر البدو تحت ضغط الحاجة الاقتصادية على ترك حياة التجوال فاستقروا ومارسوا الزراعة ، فانهم لا يزرعون غير الحبوب • فلم يعرف عنهم انهم زرعوا الخضر أو الفواكه ، كما ان البدوى لا يعتبر الخضر جزءا من طعامه الاعتيادى ولا يدخلها فى حسابه مطلقا • والحياكة بالنسبة لعقليته مهنة غير مشرفة ومكسب للعيش غير محمود كبقية المهن التى تستلزم الاستقرار والالتصاق بمكان بعينه ، وهى ، اى الحياكة ، مهنة تنطوى على الركود والخمول اذا ما قورنت بحياة الكر والفر والتجوال فى الصحراء ، تلك الحياة التي نشأ عليها البدوى وظلت بالنسبة له طرازا نموذجيا ومثلا اسمى • وظاهر طبعا أن السمك وكل

ما يتصل بالحياة المائية غريب كل الغرابة عن البدوى وحضارته وصحرائه التى لا تعرف الانهار والبحار وما فى بطونها من حياة •

٢ — ان حمولة (آل غريج) ، وهى الحمولة الوحيدة فى القرية التى يزاول اعضاؤها الحياكة وصيد السمك بـ (الطواريف) ليسوا اصلا من حمايل عشيرة (بنى اسد) ، ولكنهم كانوا عشيرة صغيرة وضعيفة جدا عاشت اول الامر تحت حماية (بنى اسد) ثم اندمجت فيما بعد فيها فأصبحت جزءا منها[٩] • وأصل حمولة (آل غريج) غامض ولكن المعروف ان لهم صلة بعشيرة (الفرطوس) وهى من عشائر (المعدان) وموطنها الاصلى اهوار العمارة ، كما ان (آل غريج) عاشوا مع عشائر (معدان) اخرى لمدد طويلة • و (معدان) العمارة يقومون بصيد السمك بـ (الطواريف) كما يوجد فى كل مجتمع من مجتمعات (المعدان) الذين استقروا فأتخذوا الزراعة مهنة ثانوية الى جانب رعى الجاموس عدد من حياكة القماش • ومهما يكن اصل حمولة (آل غريج) فالمعروف انهم ليسوا بدوا ولا يمتون للبداوة بصلة • وهذا يفسر لماذا يختلفون عن بقية العشيرة كلها ، بقدر ما يتعلق الامر بالمهن المحتقرة • ولا يقف الامر عند حد مزاولة (آل غريج) للمهن التى تحتقرها عشيرة (بنى اسد) بل انهم لا يزاولون حياكة الحصر وعدد قليل جدا منهم فقط يزاولون الزراعة ، وهما المهنتان الاساسيتان للعشيرة • وقبل أن تهجر عشيرة (بنى اسد) حياة الحرب والغزو بوقت طويل ، وحتى قبل ان تتجه العشيرة المذكورة للزراعة بصورة جدية ، وقبل ان تصبح حياكة الحصر مهنة اساسية لها بوقت طويل ، كانت حمولة (آل غريج) قد اتخذت طريقا خاصا لكسب عيشها وذلك بالعمل للغير بأجور خارج القرية • والعمل بأجرة ، وهو اسلوب حياة محتقر فى نظر (بنى اسد) ، لا يزال المورد الرئيسى للكسب لدى (آل غريج) ، وهم حتى الآن يساهمون فى هجرات

(٩) راجع الفصل الخامس ، ص٣١ •

الغراف ومكابس التمور فى البصرة[١٠] .

٣ – ان ادارة الدكاكين وكذا الحال في اية وسيلة من وسائل البيع والشراء ، محتقرة بصورة اساسية لانها لا تتسق ومثل البدوى فى الحياة القبلية • فلقد مر بنا ان (بنى اسد) يربطون بين المركز الاجتماعى والمهنة وهو ما يتفق وسلوك البدوى حيال مهن حياة الاستقرار وصناعاتها بصورة عامة ، وحيال تلك المهن والصناعات التى تضاد اسلوبه القديم فى الحياة بصورة خاصة •

ان الطريق المثالي فى الحياة فى نظر البدوى ، كما المعنا سابقا ، هو الحرب • فيجب عليه ان يكسب عيشه بالسيف ، وان كافة قيمه الاجتماعية هى قيم المحارب التى تبرز فيها اشد البروز صفتان هما الشجاعة والكرم • فبالشجاعة فى الحروب يحصل على الغنائم فيكسب عيشه ، وبالكرم يبذل ما يملك ويعطى كل ما بحوزته • فالبخل عنده عنوان الرذيلة ، لان الانسان لايكون بخيلا الا حين يفقد ثقته بنفسه على الكسب فى الحرب والغزو • وعلى هذا الاساس فالبخل عند البدوي مرادف للجبن ومطابق له • فلا شىء محتقر عنده اذاً أكثر من التقتير والادخار والمساومة وكل ما يمكن آن تشم منه رائحة اعطاء قيم للممتلكات المادية • فلا مجال مطلقاء فى عالم البدوى، لفضائل وقابليات التاجر الناجح • فالتاجر فى نظر البدوى هو الشخص الذى تتجمع وتتركز فيه خصال الضعف والجبن والبخل • والتاجر يحتاج الى الامن والطمأنينة ليرعى تجارته ويحافظ على بضائعه ، كما انه يحتاج الى المراوغة والمداورة فى مساوماته ومعاملاته •

ولو كان ما توارثته عشيرة (بنى اسد) من عادات وتقاليد هى العادات والتقاليد البدوية الحربية فحسب اذاً لكفى ذلك وحده لتفسير سلوكهم حيال موضوع المهن والكسب • ولكنهم بالاضافة لما تقدم خضعوا لتأثير الدين الاسلامى ، الذى اكد ، مدفوعا بدوافع اخرى ، عين المثل والقيم • فالمال

(١٠) راجع الفصل الثالث عشر ، ص ٣٧٦ •

وكافة مسرات الحياة الدنيا ان هى الا اعراض زائلة يجب الزهد فيها واحتقارها اذا ما قورنت بما سيجزى الله به المؤمنين فى الحياة الاخرى من نعم خالدة وملاذ دائمة • وتؤكد كثير من ايات القرآن على هذه المعانى فمثلا : « رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار »[١١] و « واذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا اليها وتركوك قائما قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين[١٢]•

لقد اوردنا سابقا كثيرا من الملاحظات عن افراد من مجتمع الچبايش تذكر بوضوح بسلوك الاوروبيين فى القرون الوسطى تجاه التجارة واقراض المال وما الى ذلك • وبوسعنا ان نتمادى فى المقارنة كثيرا • فآراء ومناقشات الفقهاء عن السلوك المذموم لمرابى اوربا وتجارها فى تلك الفترة[١٣] تكاد أن تتكرر كل يوم فى الچبايش ، رغم ان ذلك يجرى بشكل بسيط فى هذا المجتمع الاسلامى الذى يقوم اقتصاده على حياكة الحصر والزراعة • ولا غرابة فى المقارنة بين مجتمع الچبايش ومجتمع من مجتمعات اوربا الاقطاعية فى القرون الوسطى • فاقتصاديات الشرق الاوسط بصورة عامة لما تزل فى عين درجة التطور التى كانت عليها اقتصاديات اوربا فى القرن الثانى عشر[١٤] • ان تشابه وجهات النظر والفلسفات فى مجتمع اسلامى محدث واوربى مسيحى وسيط ليس أمرا شاذا فالعلوم والآراء الاسلامية والفلسفة المسيحية لا يمكن النظر اليها كفرعين منفصلين من الانتاج العقلى • فلقد

(١١) سورة النور ، آية ٣٧ •

(١٢) سورة الجمعة ، آية ١١ •

(١٣) راجع مثلا :
Coulton, G.G. Five Centuries of Religion, Cambridge, 1936, vol. 3, p. 248, and Tawney, R. H., Religion and the Rise of Capitalism, London, 1936, pp. 17, 54, 55, 61.

(١٤) لقد اشارت الى هذه الفكرة Doreen Warriner بصدد الحديث عن الزراعة فى الشرق الاوسط • راجع كتابها المشار اليه سابقا ص ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٧ •

ظهرت فى فترات متقاربة وطعم بعضهما البعض الآخر لحد كبير جدا اصبح معه من الصعب بل المستحيل التميز بين ما حققه كل فرع على انفراد فى البناء العام والتراث المشترك •

لم تكن التجارة قبل خمسين او ستين عاما معروفة لعشيرة (بنى اسد) باى شكل من الاشكال • وكانت كافة الدكاكين القليلة المنتشرة فى تلك الفترة بين جزر سكنى اهل القرية تملك وتدار من قبل ايرانيين غرباء ، كانوا محتقرين للغاية ولا يجوز التزاوج معهم باى حال من الاحوال • وكانت مقاومة اهل الجبايش لتأثير اقتصاد السوق اشد واقوى من مجرد رد فعل بسيط ناتج عن الاحتكاك بحضارة غريبة ، أو كره واضح للتغيير الذى طمس الكيان القديم للمجتمع • فلقد احتفظت عشيرة (بنى اسد) كما بينا فى الفصول الماضية ، برعى الابل فى المراحل الاولى لحياتها فى العراق • وحين استقرت العشيرة فى وسط الفرات زاولت زراعة الحبوب فقط ، باعتبارها عونا ودعما لما تحصل عليه من رعى الابل الذى تركوه وصدفوا عنه بصورة تدريجية وبطيئة جدا • وحين كان فى الامكان بسبب انعدام الامن والنظام اللجوء الى الحرب والسلب لكسب العيش فى مناطق الاهوار اعتمدت (بنى اسد) على هذه الطريقة فى حياتها الاولى فى منطقة الجبايش • ولكنها ، حين اضطرت على ترك ذلك الاسلوب فى الحياة ، نتيجة لفرض الحكومة العثمانية النظام والامن فى المنطقة كما رأينا ، ثم حين ادخلت ادارة فعالة قوية ، فان العشيرة مالت مضطرة الى الزراعة ومارستها بشغف ورغبة • وبعد ذلك ، حين ثبت ان الزراعة غير مربحة بسبب سوء الفيضانات ، لجأت العشيرة مضطرة وبعد تمنع طويل الى حياكة الحصر وفى حالات خاصة حتى للهجرات من اجل العمل •

واخيرا ، حين ازداد اتصال القرية بالعالم الخارجى ، ازداد فيها عدد الدكاكين وتوسعت التجارة بينها وبين المدن المحيطة بها • فظهر الصراع بين التقاليد القبلية والسلوك المادى واضحا وصار يتزايد ويقوى حين ظهرت

ونمت الطبقة الجديدة وهى « اهل السوگ » •

٣ – الصراع بين التقاليد القبلية والسلوك المادى

لقد اشار الاستاذ Daryll Forde فى أحد كتبه الى أن « التأثير الناتج من الاتصال باساليب الحضارة الحديثة وطرقها يؤدى فى اغلب الحالات الى فردية تفكك المجتمع القديم وتخلق تضاربا فى مصالح افراده »(١٥) • وهذا يبدو بشكل واضح جدا فى الجبايش بعد التبدل الاقتصادى الاساسى الذى حدث فيها ابان الاربعين سنة الاخيرة • فلقد ظلت الجبايش ، كبقية مجتمعات الهور فى جنوب العراق ، منفصلة عن العالم الخارجي انفصالا تاما لمدة طويلة • ولم يكن فيها قبل الحرب العظمى الاولى غير عدد قليل جدا من الدكاكين الصغيرة يديرها ايرانيون ويبيعون فيها القماش والتبغ ومواد قليلة اخرى • وحين ازداد الاتصال بين القرية والعالم الخارجى ابان الحرب المذكورة ، جازف بعض اهل الجبايش بفتح الدكاكين والقيام باعمال تجارية اخرى كأخذ تعهدات بتزويد سلطات الاحتلال بالحصر والحبوب وما شابه ذلك • وكان على اولئك المجازفين الاوائل ان يتصرفوا بطريقة فردية ، وكان هناك ايضا تضارب عنيف فى المصالح بين الرغبة فى الربح ومجاراة التقاليد القبيلة • والمهم ذكره هنا هو ان كافة اولئك المجازفين الاوائل كانوا اما من بين الغرباء القاطنين مع (بنى اسد) أو كانوا من افراد العشيرة ذاتها ولكنهم من ذوى المراكز الاجتماعية الواطئة للغاية كخدم الشيخ وصيادى السمك والمستخدمين السابقين فى الادارة العثمانية وامثالهم • ولقد تعرض هؤلاء جميعا فى البداية الى كثير جدا من الامتهان والاحتقار لسلوكهم الغريب هذا •

ليس من الميسور فى الجبايش ان يساهم المرؤ فى عمل تجارى وأن يحافظ بعين الوقت على متطلبات الحياة المحلية والتقاليد القبلية لان الناحيتين

---

(15) The Native Economies of Nigeria, London, 1950, p. 30.

متنافرتان غالبا بصورة اساسية • فالاعتبار والتقدير المحلي مرتبطان كل الارتباط بالمقاييس القبلية القديمة التي تجعل من المتعذر على الرجل الذي ينغمر في جمع الثروة ان يحافظ على مركزه في المجتمع كفرد من جماعة (اجاويد الطايفة) • والواقع ان رجال الاعمال والتجارة يضطرون بحكم عملهم ان يهملوا مثلا المضايف ويتركوها ، لان فتحها وادارتها يستلزمان اضاعة الوقت وخسارة المال • كما انهم يميلون دائما الى التفكير والعمل بصورة فردية ويضعون مصالح العمل والكسب فوق المثل والاعتبارات القبلية • ولقد قوى كثير من رجال الاعمال في الجبايش ، بسلوكهم وتصرفاتهم ، اعتقاد اهل العشيرة بان التجارة والكسب لا تتفقان مع الحياة القبلية بل انهما في الحقيقة ضدان لا يمكن ان يجتمعا • ولعل قليلامن الامثلة توضح بجلاء هذهالفكرة • فلقد تشاجر فرد من (حمولة آل خيون) ، وهي اكبر الحمايل مقاما واعلاها منزلة في القرية ، مع (عبد) من (عبيد القرية من اجل مبلغ معين من الدراهم في السوق • فاعتدى (الخيوني) على (العبد) واهانه • ولكن (العبد) لم يسكت بل حاول ان يدافع عن نفسه بان رمى حجرا على (الخيوني) التاجر • فاثارت هذه الحادثة تقزز اهل القرية وسخطهم ولام الجميع (الخيوني) الذي تردى ، من اجل المادة ، الى درجة تعريض نفسه للأهانة وسط سوق القرية من قبل (عبد) وبسبب مبلغ من المال •

وكان (حجي عبد علي آل محمد آل غياض) صاحب دكان رغم انه كان ينتسب الى عائلة ذات اعتبار كبير في حمولة (بني عسجري) • ورغم ثرائه ، اذ كان يملك دكانا ونصف زورق بخاري ، فلقد كان مشهورا بالبخل الشديد وحب الحصول على المادة • وكان بين مايفعله من أجلالحصول على الربح انه كان يجلب الثلج ايام الحر الشديد ليبيعه بأسعار فاحشة للموظفين والموسرين من اهلالقرية • وحدث ، بسبب بيع الثلج ، أن تشاجر هو وأبنه مرة مع أحد عمال بلدية القرية • فحكم مدير الناحية على كلا الطرفين

المتشاجرين بالحبس بضعة أيام • وأصبح الرأى العام كله في القرية ضد (حجي عبد علي) بشكل عنيف لانه حط من منزلته واهان نفسه بان تشاجر في السوق من اجل بيع الثلج • ولقد اثار طمعه وتهافته على جمع المادة تقزز واشمئزاز حتى (اهل السوگ) • فكان ينتقد بصراحة وعنف في كل مكان في القرية بعد الحادثة • ولقد سمعت بعض وجوه القرية ينتقدون (حجي عبد علي) في أحد المضايف مركزين انتقادهم حول هذه النقاط : « ان حجي عبد علي يستحق السجن لانه لم يكن محتاجا لبيع الثلج وامثاله وكان عليه ان يترفع عن الحط من كرامته الى هذه الدرجة • فما نفع المال للرجل ان هو اضاع كرامته واعتباره ؟ » ولقد اتفق كل المجتمعين في ذلك المضيف على وجوب عدم التدخل في الأمر أو التوسط لدى مدير الناحيةلاطلاق سراحه ، اذ يجب ان يتعلم (حجي عبد علي) درسا من هذه الحادثة •

وامتنع ، على نفس الاساس وبعين الدافع ، صاحب زورق بخاري عن الاستجابة لرغبة (السركال) وأخذه بزورقه الى سوق الشيوخ بسبب وجود فرق قدره دينار أو ديناران بين السعر الذي طلبه صاحب الزورق والسعر الذي قدمه (السركال) • ان رفض صاحب هذا الزورق تلبية رجاء (سركاله) يوضح كيف ان (اهل السوگ) لا يقيمون وزنا للتقاليد والاعتبارات القبلية ويضربونها عرض الحائط ان هي تعارضت مع الكسب والربح المادي • فبموجب التقاليد القبلية يجب احترام (السركال) وتلبية طلباته مهما كان نوعها • وكان (السركال) في هذه الحالة بالذات من حمولة (آل خيون) بل وكبيرها ورئيسها في القرية • ولذا فان على اهل القرية التزامات قوية جدا تجاه هذا الرجل والمفروض فيهم ان يقدموا له اية خدمات يريد بلا مقابل •

ولقد اثار اصحاب الدكاكين والتجار في الچبايش سخط العشيرة بتكالبهم على الربح بشكل كان اهل القرية يعتبرونه استغلالا غير مشروع ولا معقول • فلقد كانت اسعار البضائع التي تباع في دكاكين القرية مرتفعة

جدا والربح الذى يتقاضاه المرابون لقاء اقراض المال فاحشا للغاية • وكان اغلب حاكة الحصر ينظرون الى نظام (الكلاب) فى تجارتها كوسيلة قاسية غير انسانية للاستغلال، وكان الاقراض على نظام (الأخضر) مصدرا للشكوى المتصلة والتذمر الشديد • وكان اهل القرية ينظرون لهـذين النظامين معا باعتبارهما ضد تعاليم الدين الاسلامى الذى يحرم أى نوع من انواع الربا تحريما صريحا متفقا عليه فى كافة الفرق والمذاهب(١٦) • ويعرف كل من المرابين والمقترضين على حد سواء هذه الحقيقة ويعترفون بها ، ولذا فان اهل القرية ينظرون (لاهل السوگ) باعتبارهم « ما عدهم رحم » و « ما يخافون من الله » ، لانهم يتقاضون ارباحا فاحشة ويقرضون اموالهم بالربا • وكثيرا ما يعبر اهل القرية عن شعورهم تجاه تلك الفئة بقـولهم « الما يخاف من الله ما يخاف من بنى آدم » • وبما ان كافة (السادة) الثمانية الاثرياء ، وهم (أولاد رسول الله) ، والمفروض فيهم أن يكونوا شديدى التمسك بتعاليم الدين الاسلامى وقواعده ، يقرضون اموالهم على « الأخضر » ويأخذون الربا ، فان اهل القرية ازدادوا اعتقادا ان التجارة والمال هى اعظم بلية حلت بالچبايش نتيجة للاتصال بالمدنية الحديثة ؛ بلية حملت حتى (السادة) على التصرف ضد دينهم •

ولذا ، فان نظام الطبقات الاقتصاديـة الموجـود فى القـرية فى الوقت الحاضر والذى ظهر نتيجة لاتصالها بالاقتصاد الحديث القائم على التجارة ، قد اخل بالعلاقات بين الطبقات الاقتصادية والاجتماعية اخلالا تاما • كما انه

---

(١٦) فى القرآن كثير من الآيات التى تنص على هذا التحريم منها : « يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا اضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون » (سورة آل عمران ، الآية ١٣٠) • و « الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربا واحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فلـه ما سـلف وأمره الى الله ومن عاد فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون • يمحق الله الربا ويربى الصدقات والله لا يحب كل كفار اثيم » (سورة البقرة ، الآيتـان ٢٧٥ و ٢٧٦) •

عكس امكانية وجود نوعين من القيم ، القبلية والتجارية ، فى نفس المجتمع جنبا الى جنب •

ولكن ، يجب الا يغيب عن البال انه رغم ان طبقـة (اهل السـوگ) يولون التزامات العمل والتجارة كبير اهتمامهم ويكرسـون لها كل وقتهم وجهدهم ، فانهم مع هذا لا يهملون الالتزامات القبلية القوية الهامة • اذ ان اهمال مثل تلك الالتزامات يثير اشمئزاز افراد العشيـرة ويذكى فيهم نار الكراهية خاصة وان افراد العشيرة كما رأينا ينظرون لـ (اهل السـوگ) دائما باعتبارهم اناسا فرطوا بالمثل القبلية من اجل التهافت على الربح وجمع الثروة • والواقـع ان من مصلحة (اهل السـوگ) ان يؤدوا الالتزامات القبلية لحد معين كى يبقوا على نوع من الصلة بينهم وبين العشيرة والمجتمع القبلى الذين يعيشون فيه • فهم يساهمون مثلا فى التزامات الحمولة والفخذ خاصة ما كان منها لا يتعارض واعمالهم التجارية • فهم يدفعون التعويضات ويساهمون فى تكاليف الاحتفالات بالوفيات (الفواتح) ويقدمون الهدايا فى احتفالات الزواج والافراح الاخرى • ولكن (حمايلهم وافخاذهم) لا تجنى من ثرواتهم نفعا خاصا مطلقا • فاغنى الرجال الذين هم اعضاء فى ارفع طبقة اقتصادية فى القرية لا يقدمون (لافخاذهم او حمايلهم) اى نفع مادى اكثر مما يقدمه افقر الاعضاء حـالا ، لان المسـؤوليات والالتزامات التى تفرضها (الحمولة أو الفخذ) هى عينها ان كان العضو فقيرا أم غنيا •

ومن جهة أخرى ، فان (اهل السوگ) لم يظهروا أى ميل للتصرف باعتبارهم مجموعة متميزة • فهم لا تربطهم بعضهم رابطة خاصة كما انهـم لا يميزون انفسهم بزواج داخلى Endogamy ، وانما يتبعون فى هذا الموضوع عين القواعد والتقاليد التى تتبعها القرية كلها • وربما كان الاستثناء الوحيد فى هذا المجال هو الرغبة الشديدة لافراد هذه المجموعة فى الخروج على قاعدة التزوج داخل الفخذ Intra-lineage marriage وذلك لانهم اكثر قابلية ، بصورة عامة ، على ايجاد مهور لتزويج ابنائهم ولـذا فانهـم لا

يترددون فى طلب المهور الخارجية Extra-lineage bride-prices
العالية حين يزوجون بناتهم(١٧) •

ولذا فان مركز (أهل السوگ) فى القرية ليس مركز جماعة تبنت دفعة واحدة وبصورة عامة قيما جديدة لا تتفق والحياة القبلية • ولكن وضعهم فى الواقع وضع جماعة اغراها الربح والتكالب على جمع المادة على ترك بعض القيم القبلية ، ولكنها ظلت رغم ذلك ترغب فى الابقاء على اعتبارها فى عيون اخوتها افراد العشيرة • فلم يمض بعد وقت كاف لفصل هذه الفئة من العشيرة وخلق طائفة أو طبقة مستقلة منها فى القرية • ولكن مع انتشار التجارة ونمو الاعمال فى القرية ومع تكاثر عدد افراد العشـيرة الذين صاروا يحطمون قيود الاقتصاد القبلى ، فقد تكون هذه المجموعة فى المستقبل القريب مجتمعا متميزا يختلف عن المجتمع القبلي القديم باساليبه الاقتصادية وبمثله وقيمه على حد سواء •

ان التقاليد القبلية لا تزال تؤثر على الحياة الاقتصادية لاهل الچبايش لحد كبير جدا • فالتقاليد تحرم بيع منتجات الالبان لانها تعتبر مهنة (معدان) وبما ان منتجات الالبان هذه عنصر غذائى ثمين فى حياة اهل القرية ، فان عددا كبيرا من السكان الذين لا يملكون ماشية يصرفون جزءا اساسيا من دخلهم فى شراء هذه المنتجات ، فى حين لا يجد من يملك منهم فائضا من تلك المنتجات سبيلا للانتفاع منه اقتصاديا عن طريق بيعه • ولولا هـذا التحريم التقليدى لاصبح بمقدور الذين يملكون عددا كبيرا من الماشية أن يحصلوا على دخل اضافى ثابت من بيع منتجاتها ولاستطاع الذين لا يملكون ماشية من اهل القرية ان يحصلوا على منتجات الالبان باسعار زهيدة • وهـذا صحيح تماما بالنسبة لصيد السمك والطيور ايضا • فالتقاليد تحتقر صيد السـمك بـ (الطواريف) وترتب على هذا ، كما مر بنا ، ان امتنع اهل القرية الا حمولة

(١٧) راجع الفصل الرابع ، ص ١٠٥ ـ ١٠٧ •

(آل عريج) ، عن مزاولته • وهناك طرق اخرى لصيد السـمك مثـل (الكرافة) و (الهيالى)(١٨) محرمة ايضا بحكم التقاليد لانها طرق تستحوذ على كافة وقت من يزاولها وتشبه من وجوه عدة الصيد بـ (الطواريف) ، فلو كان فى وسع اهل القرية ان يصيدوا السمك بطرق منظمة جماعية ، ولو كانت كافة (الحمايل) تشارك فيه مشاركة جدية طيلة مواسم السنة ، ولو كان الصيد يباع فى القرية ويصدر الفائض منه لخارجها ، لاصبح صيد السمك مصدرا ثمينا من مصادر الدخل ، ولاصبح من الممكن تزويد سوق القرية بكميات كبيرة من السمك باسعار رخيصة للغاية اذا ما قيست بالاسعار الفاحشة التي يبيع بها (المعدان) سمكهم • ومن المهم جدا ان تتذكر هنا ان السمك هو (الغموس) الرئيسى لكافة سكان الچبايش ، لرخصه ولتوفره دائما بالقياس الى اللحم • ولذا فان كميات كبيرة جدا من السمك تباع كل يوم فى سوق القرية ، ولان الطلب دائما يفوق العرض ، فان ذلك السمك يباع طيلة مواسم السنة باسعار مرتفعة للغاية •

فاقتصاد اهل الچبايش مقيد بالتقاليد القبلية تقييدا شديدا ، ويعانى اهل القرية صعابا جمة بسبب تمسكهم بمثلهم القبلية التى تحول بينهم وبين استخدام طرق جديدة لاستغلال بيئتهم الطبيعية القاسية ورفع مستوى معيشتهم المنخفض •

(١٨) (الكرافة) طريقة لصيد السمك بالشباك يقوم بها جماعة من الصيادين وتجرى فى الانهار ، اما (الهيالى) فهى طريقة لصيد السمك بالشبكة أيضا يقوم بها الصيادون كل على انفراد وتجرى في الهور • وتشبه الاولى الصيد بـ (الطواريف) كثيرا فى حين تشبه الثانية (الدست) •

مراجع

فيما يلى ثبت باسماء بعض الكتب والبحوث ذات الصلة بهذه الدراسة والتى استفيد منها عند تأليف هذا الكتاب .

المراجع العربية :

١ ـ اسماعيل ، عبدالقادر :
خمسة عشر يوما فى الاهوار ، جريدة الاهالي (بغداد ١٩٣٤) .
٢ ـ بالايوف ، ديمترى :
الاسماك فى العراق ، مجلة الزراعة العراقية ، المجلد (٣) ، الجزء (١) ، (١٩٤٨) ، والمجلد (٤) ، الجزء (١) ، (١٩٤٩) .
٣ ـ البياتى ، علاء الدين :
احكام حقوق اللزمة فى الاراضى الاميرية ، (بغداد ، ١٩٥٣) .
٤ ـ جميل ، مكى :
تعليقات على نظام دعاوى العشائر وتعديلاته ، (بغداد ، ١٩٣٥) .
٥ ـ حمادة ، سعيد :
النظام الاقتصادى فى العراق ، (بيروت ١٩٣٨) .
٦ ـ خياط ، جعفر :
القرية العراقية ، (بيروت ١٩٥٠) .
٧ ـ الداخلية ، وزارة :
تقارير وملفات مختلفة عن الشيخ (سالم آل خيون) وعن الوضع السياسى فى الچبايش .
٨ ـ الدفتر ، محمد هادى :
تاريخ حياة الشيخ سالم آل خيون (مخطوط) (١٩٤٩) .
٩ ـ دنكور ، مطبعة :
الدليل العراقى ، (بغداد ١٩٣٦) .
١٠ـ الرى ، مديرية .... العامة :
السيطرة على الانهار واستغلال المياه فى العراق ، (بغداد ١٩٤٩) .
١١ـ سوسه ، أحمد :
تطور الرى فى العراق ، (بغداد ١٩٤٦) .
١٢ـ الصحة ، وزارة :
احصائيات الامراض لعام ١٩٤٨ ، (بغداد ١٩٤٩) .
التقرير السنوى لمديرية الامراض المتوطنة لعام ١٩٥٣ ، (بغداد ١٩٥٣) .
١٣ـ العزاوى ، عباس :
عشائر العراق ، (بغداد ١٩٣٦) .
١٤ـ فرعون ، فريق المزهر آل :
القضاء العشائرى ، (بغداد ١٩٤١) .

١٥ـ فهمى ، احمد :
تقرير حول العراق ، (بغداد ١٩٢٦) .
١٦ـ القرآن الكريم :
١٧ـ الهاشمى ، طه :
مفصل جغرافية العراق ، (بغداد ١٩٣٠) .

المراجع الانكليزية :

1. The Admiralty and the War Office: A Handbook of Mesopotamia, vol. 1, (London, 1918).
2. ALLEN, H.B., Rural Education and Welfare in the Middle East, (London, H.M. Stationery Office, 1946).
3. AMMAR, A.M., The People of Sharqiya, (Cairo, 1944).
4. BELL, LADY, The Letters of Gertrude Bell, (London, 1927).
5. BUXTON, P.A., and Dowson, V.H.W., The Marsh Arabs of Lower Mesopotamia, Indian Antiquary, vol. L, (1921).
6. CADOUX, H.W., Recent Changes in the Course of the Lower Euphrates, Geographical Journal, (September, 1906).
7. CAMPBELL, MAJ. C.G., Tales from the Arab Tribes, (London, 1949).
8. CHESENEY, F.R., The Expedition for the Survey of the Rivers Euphrates and Tigris in 1835-37, (London, 1850).
A Narrative of the Euphrates Expedition, (London, 1868).
9. Civil Commissioner Office, Baghdad: Administrative Report of the Muntafiq Division for the year 1919, (Baghdad, 1919).
Report of Administration for 1918 of Divisions and Districts of the Occupied Territories in Mesopotamia, (Baghdad, 1918).
Review of the Civil Administration of the Occupied Territories of Al Iraq 1914-1918, (Baghdad, 1918).
10. COKE, R., The Heart of the Middle East, (London, 1925).
11. Colonial Office: Review of the Civil Administration of Mesopotima Represented to Both Houses of Parliament, (H.M. Stationery Office, London, 1920).
Report on Iraq Administration, October 1920 — March 1922, (H.M. Stationery Office, London, 1922).
Special Report by His Majesty's Government of the United Kingdom of Great Britain and Northern Ireland to the Council of the League of Nations on the Progress of Iraq during the Period of 1920-1931. (H.M. Stationery Office, London, 1931).
Report by His Britannic Majesty's Government to the Council of the League of Nations on the Administration of Iraq. 9 vols. (H.M. Stationery Office, London, 1926).

12. CORRY, C.E., The Blood Feud, (London, 1937).
13. COULTON, G.G., Five Centuries of Religion, (Cambridge, 1936).
14. DARLING, M.L., The Punjab Peasant in Prosperity and Debt. (3rd edn.), (Oxford, 1932).
15. DEANE, P., The Measurement of Colonial National Incomes, (Cambridge University Press, 1948).
16. DIMMOCK, L., The Waterways of Iraq, (Journal of the Royal Central Asian Society, 1945).
17. DOWSON, SIR ERNEST, An Enquiry into Land Tenure and Related Questions (Letchworth Garden City Press, for the Iraqi Government, 1932).
18. DOWSON V.H.W., Appendix: Notes on the Date Palm in Iraq, The Anthropology of Iraq, Part 1, Number 2, (Chicago, 1949).
19. DROWER, E.S., Arabs of the Hor Al Hawiza, (A chapter in Henry Field's "The Anthropology of Iraq", Part 1, No. 2).
Marsh People of South Iraq, (Journal of the Royal Central Asian Society, 1947).
20. Economics, Ministry of, Baghdad: Principal Bureau of Statistics. Statistical Abstract, 1950, (Baghdad, 1952).
21. Encyclopaedia Britannica: (18th edition, 1950),
Euphrates, vol. 8.
Mesopotamia, vol. 15.
22. EVANS-PRITCHARD, E.E., The Nuer. (Oxford, 1947).
23. FIELD, H., Arabs of Central Iraq. (Chicago, 1935).
Marsh Arabs of Iraq. (Asia, August 1916).
Some Notes on the Albu Muhammad of Iraq, (Journal of the Royal Central Asian Society, 1949).
The Anthropology of Iraq. Part 1, No. 2. The Lower Euphrates-Tigris Region, Anthropological Series, Field Museum of Natural History, vol. 30, (Chicago, 1949).
24. Food and Agriculture Organization of the United Nations: Essentials of Rural Welfare (Washington, 1949).
25. FORDE, D. and SCOTT, R., The Native Economies of Nigeria, (London, 1950).
26. Foreign Office: Foreign Office Peace Handbooks No. 63 (Mesopotamia). (H.M. Stationery Office, London, 1920).
27. FOSTER, H.A., The Making of Iraq, (London, 1936).
28. FRANKFORT, H., The Birth of Civilization in the Near East, (London, 1951).
29. FULANIN, (HEDGECOCK, S.E., and Mrs.), Hajl Rikkan, Marsh Arab, (London, 1927).

30. GEERE, H.V., Lower Mesopotamia, United Empire, January, 1916.
31. GHALIB, ALI, Malaria and Malaria in Iraq, (Baghdad, 1944).
32. HAIDER, S., Land Problems of Iraq, (London University Ph.D. thesis, 1942).
33. HALL, L.J., The Inland Water Transport in Mesopotamia, (London, 1921).
34. HARRISON, J.V., The Shatt-el-Arab, (Journal of the Royal Central Asian Society, 1942).
35. HOWELL, E.B., Report on the Political Situation in Iraq, 1918-1920. Office of the High Commissioner, (Baghdad, 1920).
River Control in Mesopotamia. Quarterly Review, January, 1922.
The Qanun al-Aradhi, (Journal of the Royal Central Asian Society, 1922).
36. HUTTON, J.H., Caste in India, (Cambridge, 1946).
37. IONIDES, M.G., The Regime of the Rivers Euphrates and Tigris, (London, 1937).
38. Iraq, The Government of: Kingdom of Iraq. (Baltimore, Maryland, U.S.A., 1946).
Climate and Weather of Iraq. (Baghdad, 1919).
Report on the Administration of Justice, (Baghdad, 1920).
Tribal Criminal and Civil Disputes Regulation (Government Press, Baghdad, 1926).
39. IRELAND, P.W., Iraq — A Stury in Political Development, (London, 1937).
40. ISSAWI, C., Egypt at Mid-Century, (Oxford, 1954).
41. JAMALI, M.F., The New Iraq. Its Problem of Bedouin Education (New York, 1934).
42. KEEN, B.A., The Agricultural Development of the Middle East, (London: H.M. Stationery Office, 1946).
43. LANDON, P., Central Mesopotamia, The Journal of the Royal Central Asian Society, 1916.
44. LEES, G.M. and FALCON, L.N., The Geographical History of the Mesopotamian Plains. (The Geographical Journal, 1952).
45. LE STRANGE, G., The Lands of the Eastern Caliphate, (Cambridge, 1905).
46. LLOYD, S., Iraq, Oxford Pamphlets on Indian Affairs, No. 13; (Bombay, 1943).
Foundation in the Dust, (Oxford, 1947).
Twin Rivers, (Oxford, 1943).
47. LONGRIGG, S.H., Four Centuries of Modern Iraq, (Oxford, 1925).
Iraq, 1900-50 (London, 1953).

48. MACDONALD, A.D., Euphrates Exile, (London, 1936).
The Political Development in Iraq. (The Journal of the Royal Central Asian Society, 1936).
49. O'DWYER, SIR M., The Qanun Al-Aradhi. (The Journal of the Royal Central Asian Society, 1922).
50. PICKTHALL, M., The Meaning of the Glorious Koran, (London, 1948).
51. Royal Anthropological Institute of Great Britain and Ireland: Notes and Queries on Anthropology, 6th Ed., (London, 1951).
52. SMEATON, W., Tattooing Among the Arabs of Iraq, (American Anthropologist, vol. 39, 1937).
53. SMITH, W ROBERTSON, Kinship and Marriage in Early Arabia, (London, 1903).
54. Social Affairs, Ministry of, Baghdad: The General Census Report of 1947, (Baghdad, 1954).
55. SOUSA, A., Irrigation in Iraq, its History and Development, (Jerusalem, 1945).
56. STEVENS, E.S., The Mandaeans of Iraq and Iran, (Oxford, 1937).
By Tigris and Euphrates, (London, 1923).
Mandaeans of Iraq. (The Journal of the Royal Central Asian Society, 1933).
57. TAWNEY, R.H., Religion and the Rise of Capitalism, (London, 1936).
58. THESIGER, W., The Marshmen of Southern Iraq. (The Geographical Journal, vol. CXX, 1954).
59. THOMAS, B., The Arabs, (London, 1937).
Alarms and Excursions in Arabia, (London, 1931).
60. VAN-ESS, J., Meet the Arab, (London, 1947).
61. WARRINER, D., Land and Poverty in the Middle East, (London, 1948).
62. WILLCOCKS, SIR W., The Irrigation of Mesopotamia, (Cairo, 1905).
A Proposal for the Irrigation of Mesopotamia (Blackwoods Magazine, December, 1903).
63. WILSON, SIR A.T., Loyalties-Mesopotamia 1914-1917, (Oxford, 1930).
Mesoptamia 1917-1920. A Clash of Loyalties, (London, 1931).
64. WIMSHURST, C.R., Agricultural Problems in Alluvial Iraq. (The Journal of the Royal Central Asian Society, 1924).

العدد ١٠٠٠ انتهاء الطبع ١٩٧٠/٢/٥ التسلسل ١

ECH-CHIBAYISH

An Anthropological Study of A Marsh Village In Iraq

By

SHAKIR M. SALIM, *Ph.D. (London).*

SECOND EDITION

ثمن النسخة دينار واحد

AL-ANI PRESS BAGHDAD, 1970